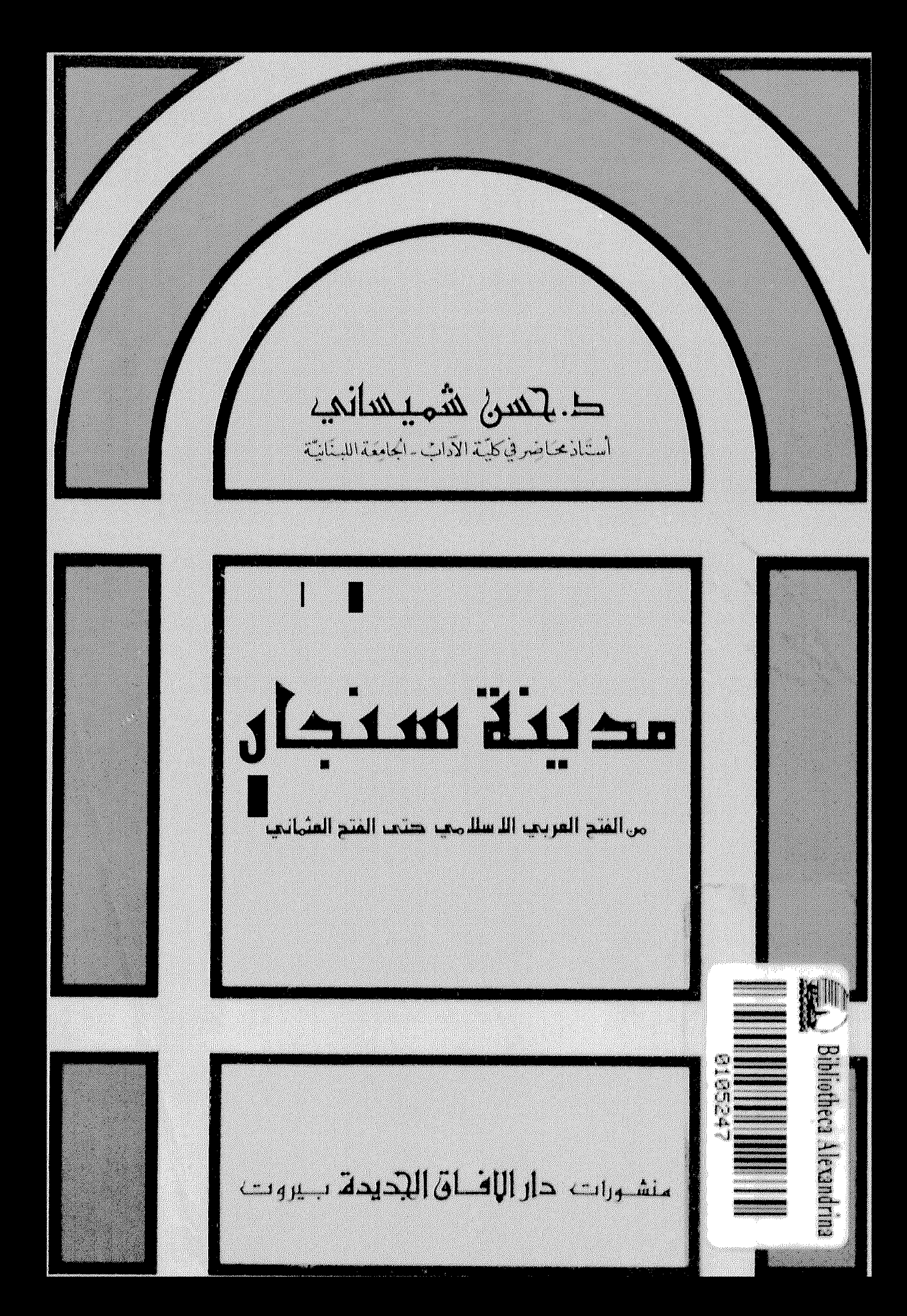


د. حسن شميساني
أستاذ محاضر في كلية الآداب - الجامعة اللبنانية

مدينة سنجار

من الفتح العربي الاسلامي حتى الفتح العثماني

منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت



مدينة سنجار

من الفتح العربي الإسلامي حتى الفتح العثماني

مدينة سنجار

من الفتح العربي الاسلامي حتى الفتح العثماني

تأليف

د. حسن شميساني

أستاذ محاضر في كلية الآداب - الجامعة اللبنانية

منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت

الطبعة الأولى
١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م

الإهـداء

الى من تجسدت فيه الانسانية بأصدق معانيها، الى من تسامى بنبل أخلاقه، الى من وهب نفسه لخدمة العلم وأهل العلم، الى البحاثة الدكتور الاب جان موريس فييه مع اسمى ايات الشكر والتقدير.



المقـــدّمـــة

ورحت اتساءل في سري، أين هي سنجار؟ ولماذا هذا الموضوع بالذات؟ وتاه بي الخيال بعيدا لعلني أتذكر اسم سنجار من بين اسماء عشرات المواقع والمدن التي ما زالت تعيها ذاكرتي. أو لعلني أتمكن من تحديد الموضع الذي حمل هذا الاسم، أكان ذلك على أرض الواقع، أو على بعض الخواطر التي ارتسمت امام مخيلتي.

وكأن أستاذي المشرف تنبه في تلك اللحظة الى حيرتي وشرودي، فقطع عليّ ذلك بقوله: ألم تسمع بمدينة سنجار؟... وتابع.. انها مدينة عراقية في قلب الجزيرة من بلاد الرافدين.. هي مدينة قديمة جدا، عرفت منذ أكثر من ستة آلاف سنة. وتعد اليوم من أشهر المصايف العراقية وأحسنها.

لقد طغى على تفكيري شبح الخوف من خوض غمار بحث الفترة التاريخية الطويلة والجوانب غير التاريخية التي سيستلزمها موضوع البحث. فعزمت صادقاً على ترك الموضوع، لكن التشجيع الذي لقيته من أستاذي الكريم دفعني الى القبول والقيام بهذه المهمة بعد ان اضاء لي الكثير من معالم الطريق، وزودني بالعديد من أسماء الكتب ذات الصلة بالموضوع. وزادني شوقا ورغبة في العمل ما رواه لي من جميل القول عن ماضي هذا البلد تاريخيا وحضاريا. وما اراني اياه من صور ملتقطة لبعض آثاره والدالة على علو شأنه ومكانته فيما مضى.

لذلك بدأ اهتمامي بمدينة سنجار، وأخذت على نفسي تسطير تاريخها

واظهار حضارتها ومكانتها التي كانت عليها. وهذا لم أحصل عليه بسهولة بالطبع. فالمعلومات عنها مبعثرة في بطون عشرات العشرات من الكتب المختلفة المواضيع من مصادر ومراجع تاريخية وجغرافية وأدبية وأثرية وكتب تراجم واعلام ودوريات عربية وأجنبية، الى غير ذلك مما خطته اقلام المؤرخين والجغرافيين والرحالة المسلمين والأجانب القدامى والحدّاث، ممن وفقوا في الحصول على اخبارها أو القيام بزيارتها والوقوف على صحة ما كان قد خط من أخبارها ورؤية ما تبقى من آثارها.

لقد انفقت جهداً كبيراً ووقتاً طويلاً في جمع ما لزم من معلومات خاصة بالموضوع، ودأبت على تنسيقها وترتيبها محاولا ان أكون منها مادة ذات فائدة. وقد سعيت جهدي في نقل الحقائق التاريخية الممحصة من مضامينها معتمدا على أشهر المؤرخين والجغرافيين الذين هم نبراس المهتدى كالدينوري، والطبري، وابن عبد ربه، وابن خرداذبة، والاصطخري، والمقدسي، وابن حوقل، وابن مسكويه، وابن الاثير، وابن العبري، وابن خلكان، وأمثالهم. وخصصت كل فترة تاريخية بمعاصريها أو بمن جاؤا بعدها بقليل، لتأتي المعلومات أكثر دقة ووضوحاً: هذا عدا ما تزودت به من أقوال وأخبار خاصة ببعض الجوانب من أستاذي المشرف، أقول بصراحة انها ساعدتني على بلورة الكثير من الافكار، وكانت سبيلا لاستكمال البحث.

وجهدت نفسي وتفكيري في ابداء ارائي الخاصة في بعض الاراء التي بحثت في مواضيع تاريخية وأثرية. وزودت البحث بعدد من الخرائط المستنسخة والصور الملتقطة لتوضيح الاراء والمعلومات التي تقتضي ذلك. كل هذا من أجل اظهار تاريخ هذه المدينة وأهميتها ومكانتها السياسية والاقتصادية خلال فترة البحث ولأول مرة، بعد ان اتضح لي — من

خلال ما تفضل به السيد رئيس المجمع العلمي العراقي، الدكتور صالح أحمد العلي — ان موضوعا كهذا خاصاً بسنجار لم يطرح على بساط البحث حتى الان.

لقد أهمل أصحاب الاقلام المعاصرون من مؤرخين وكتاب هذه المهمة، وتقاعسوا عن استعراض تاريخ هذه المدينة استعراضا يقف على قدمها وينطوي على اخبارها وحضارتها. مع انها – كما تبين لنا من خلال الدراسة – لم تكن أقل رقياً من اخواتها مدن الجزيرة المجاورة لها، واللواتي سطرت لهن تواريخ حافلة. بل قد تباريها مجداً وتكاد تناطحها بأدوارها التاريخية وسير رجالها. وتضارعها بآثارها العريقة في القدم، الصاعدة الى الاعصر الاشورية والرومانية الشهيرة بمدينتها بين شعوب العالم في تلك الأزمنة.

ولما كان موضوع البحث يستعرض تاريخا طويلا زمنياً لهذه المدينة (من الفتح الاسلامي وحتى الفتح العثماني)، ويتناول بعض الامور الاخرى، فإن بحوثه التاريخية هي منصبة على درج الفترات التاريخية وحوادثها حسب تسلسلها الزمني.

ومما يجب تبيانه هو أنني قد وطأت هذا البحث بتوطئة تظهر بعض خصائص سنجار الجغرافية ومزاياها، كالموقع والتسمية والعمران والمناخ وما شابه ذلك. ثم قسمت الرسالة الى فصول اختصت خمسة منها بالأدوار التاريخية التي تتناولها فترة البحث. مع لفتة سريعة الى تاريخ المدينة القديم فيما قبل الاسلام. والاربعة الباقية من الفصول من نصيب الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية والعلمية والمخلفات الأثرية الخاصة بالمدينة.

وزيادة في الايضاح ورغبة في اطلاع القارىء على بعض المستجدات التي طرأت على أوضاع سنجار وتاريخها في العصور اللاحقة لفترة

البحث، فقد زينّت العديد من حواشي الصفحات بالمعلومات الخاصة بذلك حسبما اقتضاه واقع الحال.

وبعد، فإنني أقدم هذا الجهد المتواضع وهو ثمرة دراسة لا أدعي انها كاملة، راجياً من أنصار العلم وأرباب الفضل ان يسبلوا عليّ ذيل السماح كرماً في ما يجدونه من أخطاء ونواقص، سيما وان موضوعا كهذا كان عملا شاقا وجهداً جاهداً.

فلوجه العلم واحياء التراث ما قمت به من مجهود عن رضى واقتناع، وأملي كبير في ان تكون لعملي هذا الفائدة المرّجوة.

والله ولي التوفيق

النبطية - لبنان الجنوبي

في ١٩٨٠/١١/٢٤

د. حسن كامل شميساني



توطئة
جغرافية مدينة سنجار

أ - موقع مدينة سنجار واهميته.

ب - بناء مدينة سنجار، تسميتها وأسماؤها، عمرانها واعمالها.

توطئة

جغرافية مدينة سنجار

لما كان للواقع الجغرافي أهمية خاصة في صنع تاريخ الأمم والاصقاع واشتهارها، وجدت من الأكمل، وأنا أبحث في تاريخ مدينة سنجار، ان أعرض ولو بايجاز لواقعها الجغرافي، سيما وان هذا الواقع كان قد أهّلها لأن تتبوأ مكاناً عالياً وشهرة واسعة، وجعلها محط أنظار الشعوب الغازية والفاتحة عبر تاريخها الطويل.

أ - موقع مدينة سنجار وأهميته:

أولاً - سنجار في اقليم الجزيرة: سنجار في اقليم الجزيرة. هذا ما اتفقت عليه آراء الجغرافيين والرحالة المسلمين الذين نبغوا واشتهروا في العصور الاسلامية، والذين طافوا العديد من الأقطار الاسلامية وغيرها، واعتنوا بدراسة ديار العرب وبخاصة ديار اقليم الجزيرة، فاسقطوها في خوارطهم ومخططاتهم لوقوعها على طريق المواصلات التي سلكوها في رحلاتهم[1]. كما وردت أيضاً بأنها في هذا الاقليم في كتابات البعض الآخر من الرحالة والمؤرخين المسلمين وغيرهم[2].

والمقصود باقليم الجزيرة هو الأراضي الواقعة بين النهرين - دجلة والفرات - والتي تمتد من تكريت على دجلة الى الحديثة وعانة على

---

(١) أحمد سوسة، العراق في الخوارط القديمة - انظر خارطة: ابن حوقل - الاصطخري - البلخي - المقدسي - ابن سعيد المغربي.

(٢) القزويني، أخبار البلاد وآثار العباد، ص ٣٩٣ - البكري الاندلسي، معجم ما استعجم، ٣: ٧٦٠.
- ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج ٣، ق ١، ص ٥ - شيخ الربوة الانصاري، نخبة الدهر، ص ١٩١.
- ليسترانج، بلدان الخلافة الشرقية، ص ١٢٨ - بدج، رحلات الى العراق، ٢: ١١٢.

الفرات جنوباً ، ثم تتجه شمالاً الى منابع النهرين التي يقترب بعضها من بعض كثيراً ، وهذا ما اتفق عليه اكثر الجغرافيين والمؤرخين. في حين نسب البعض الآخر منهم الى هذا الاقليم مدناً وقرى بعيدة عن ضفتي النهرين كالعمادية واربيل ومعلثايا والبوازيج وغيرها ، وفي هذا الصدد يقول الجغرافيان الكبيران ابن حوقل والاصطخري: «ان مدنا وقرى على شرقي دجلة وغربي الفرات تنسب الى الجزيرة وهي خارجة عنها ونائية منها[(١)] ».

ثانياً - سنجار في ديار ربيعة:* واقليم الجزيرة هو منطقة متشابهة من حيث أوصافها الطبيعية الى حد كبير، الا ان العرب قسموها لاعتبارات سكانية وسياسية الى مناطق ثلاث لا تفصل بينها الا مجار مائية قليلة الأهمية وهذه المناطق عرفت باسم القبائل التي نزلتها قبل الاسلام. فالمنطقة الأولى عرفت بديار بكر، والثانية بديار مضر، والثالثة بديار ربيعة ولكل منها مدن وقرى تابعة لها.

والذي يعنينا من هذا كله هو موقع مدينة سنجار من هذه الديار. فلقد اجمع الجغرافيون والمؤرخون القدامى على ان سنجار هي من مدن الجزيرة ومن كور ربيعة بالذات. ولتثبيت ذلك نشير الى ما ذكره هؤلاء بهذا الصدد:

فابن خرداذبة في حديثه عن المسالك قال: كور• ديار ربيعة هي:

---

(١) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ١٩١ ، الاصطخري، المسالك والممالك، ص ٥٢ ،
- الاقاليم، ص ٤٠.

* انظر خارطة ابن حوقل (المرفقة في نهاية البحث).

• كور جمع كورة وهي كل صقع يشتمل على عدة قرى ولا بد لتلك القرى من قصبة أو مدينة أو نهر يجمع اسمها «ياقوت، معجم البلدان، ١: ٣٦ - ٣٧ ». واقليم الجزيرة الذي يسميه المقدسي باسم أقور أو آبور هو في الواقع عبارة عن سهل مرتفع يتميز بوجود مستنقعات كثيرة جف بعضها مع الزمن وشكل احواضا ملئت بالترسبات التي جلبتها المياه الجارية:

نصيبين ، ارزن ، آمد ، رأس عين ، ميافارقين ، ماردين ، باعربايا ، بلد ، سنجار ، قردى ، بازبدى[١] ، والمقدسي في معرض كلامه على اقليم آقور (الجزيرة) ، وديارها وعلى مدن هذه الديار قال: اما ديار ربيعة فقصبتها الموصل ومن مدنها: الحديثة ، معلثى (معلثايا) ، الحسنية ، تلعفر ، سنجار ، الحيل (الحيال) ، بلد اذرمة ، برقعيد ، نصيبين ، دارا ، كفرتوثا ، رأس عين ، ثمانين[٢].

وقدامة بن جعفر في حديثه عن خراج ديار الجزيرة ومدنها قال: وديار ربيعة وكورها هي: بلد ، بعربايا ، نصيبين ، دارا ، ماردين ، كفرتوثا ، تل يسمى سنجار ، رأس عين ، الخابور[٣].

وعن ابن شداد قال: ذكر متأخرو المؤرخين المعنيين بتحديد الاصقاع ، ان الجزيرة تشتمل على ثلاثة اصقاع احدها ديار ربيعة ، وفيها من البلاد مما يلي الموصل: بلد ، اذرمة ، نصيبين ، دارا ، الخابور ، رأس عين ، سنجبار ، وجزيرة ابن عمر[٤].

وبعد ان قسم الانصاري الدمشقي المعروف بشيخ الربوة الجزيرة الى اقسام قال: والقسم الثاني من الجزيرة يسمى بديار ربيعة ومن مدنها:

= «العاني ، موسوعة العراق الحديث ، ١ : ٤٦ » - وصف هذا الاقليم بانه من أعرق المناطق حضارة وقدما حيث نشأت فيه أول مملكة في الدنيا وكانت على يد نمرود الجبار ، وقامت فيه أفخر المدن وأعظمها وأقدمها كبابل ونينوى. ذكره ابن حوقل فقال: .. كثير الجبايات ينبوع الخيل والعدة ، ينبوت الحيل والشدة صورة الأرض ، ص ١٩٠ ». قال فيه ادي شير: ليس في العالم بلد تستحق الذكر وتجلب الانظار إليها أكثر من بلاد النهرين عرفت عند اليونان والرومان باسم ميزوبوتامي وعند العرب باسم الجزيرة «تاريخ كلدو وأثور ، ١ : ١ ».

(١) ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص ٩٥.

(٢) المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ١٣٧ .

(٣) قدامة بن جعفر ، كتاب الخراج ، ص ١٤٥ .

(٤) ابن شداد ، الاعلاق الخطيرة ، ج ٣ ، ق ١ ، ص ٥ - ثم يذكر مدن الاصقاع الباقية فيقول: والصقع الثاني هو ديار مضر وفيها حران والرها والرقة وسروج ، والصقع الثالث هو ديار بكر وأشهر بلادها: ميافارقين وارزن وآمد وماردين ، ثم يستطرد قائلا: وفي خلل هذه البلاد بلاد آخر أضربنا عن ذكرها لصغرها » ج ٣ ، ق ١ ، ص ٦ ».

بلط (بلد)... ومدينة سنجار وهي في وسط برية[١].

اما ابن رستة فانه فصل بين كور الجزيرة وكور الموصل بقوله: واما كور الجزيرة فهي: ارزن، ميافارقين، آمد، سميساط، قردى، بازبدى، بلد، نصيبين، دارا، رأس عين، قرقيسيا، الرقة، سروج، حران، الرها. واما كور الموصل فهي: الموصل، تكريت، طيرهان، السن، الحديثة، المرج، سيسجار (سنجار لأنها كانت في زمنه تتبع الموصل)، باجلى، باجرمى[٢].

ونلاحظ مما ورد ان ديار الاقليم المعروفة بديار بكر، وديار مضر، وديار ربيعة، وما تبع كلا منها من المدن والقرى لم تبق على حالها طوال العصور بل تبدلت حسب الأوضاع السياسية والنظم المتبعة لطرق جباية الأموال والخراج. لذلك فان بعض المدن التي كانت تحسب على احدى هذه الديار في وقت ما حسبها البعض الآخر على غيرها من الديار في وقت آخر. اما بالنسبة الى مدينة سنجار فالذي رأيناه وأيّدته المصادر الجغرافية والتاريخية هو بقاؤها ضمن ديار ربيعة على الرغم من التبدلات والأحداث السياسية والاقتصادية باستثناء ما ذكره ابن خلدون من انها كانت لوقته من ديار بكر حيث قال:

وديار بكر وكرسيها الموصل، ومن مدنها: ميافارقين، نصيبين، سنجار، اسعرد، دبيس، حران، الرها، جزيرة ابن عمر[٣].

والجدير بالذكر هنا ان ديار ربيعة التي من ضمنها سنجار، كانت تتألف من الأراضي الواقعة شرقي نهر الخابور الكبير المنحدر من رأس

---

(١) شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص ١٩١.
(٢) ابن رسته، الاعلاق النفسية، ص ١٠٦.
(٣) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، مجلد ٥، ق ٥، ص ١١٥٤.

عين، والأراضي التي تقع في نهر الهرماس المناسب في وادي الثرثار•. نحو الشرق الى دجلة وكذلك الأراضي التي في غرب دجلة حتى نصيبين، والتي في شرقه المشتملة على السهول التي يسقيها الزابان (الأعلى والأسفل) ونهر الخابور الصغير[1].

ثالثاً - موقع مدينة سنجار من الأقاليم السبعة ومن خطوط الطول والعرض: تقع مدينة سنجار في الاقليم الرابع من الأقاليم التي كانت معروفة في العصور الاسلامية السابقة. وقد أيد هذا الموقع عدد من الجغرافيين والمؤرخين، نورد ما قاله بعضهم في هذا الشأن:

- قال ابن فضل الله العمري في مسالك الأبصار: وأما الذي وضع في هذا الاقليم من المدن والجزائر العامرة، مدينة الموصل، ومن رساتيقها رستاق• سنجار، ورستاق نينوى، ورستاق المرج[2].
- وابو الفدا في تقويم البلدان أورد: تقع سنجار في الاقليم الرابع من الأقاليم السبعة المعروفة حسب الاقليم العرفي[3].
- وأما القلقشندي في صبح الأعشى فذكر: وسنجار من ديار ربيعة من الجزيرة الفراتية من الاقليم الرابع من الأقاليم السبعة[4].

• وادي الثرثار: هو واد بالجزيرة في البرية بين سنجار وتكريت «الازدي، تاريخ الموصل، حاشية، ص ٩٤».

(١) الزبيدي (محمد حسين)، العراق في العصر البويهي، التنظيمات السياسية - عماد رؤوف، الموصل في العهد العثماني، ص١٣.

• الرستاق: كل موضع فيه مزارع وقرى ولا يقال ذلك للمدن كالبصرة وبغداد، فهو عند الفرس بمنزلة السواد عند أهل بغداد، «ياقوت، معجم البلدان، ١: ٣٨» وجاء في لسان العرب: رستق ورزداق ورستاق والجمع رساتيق وهي السواد «١٠: ١١٦».

(٢) ابن فضل الله العمري، مسالك الابصار، ص ٢ - ٦.

(٣) ابو الفدا، تقويم البلدان، ص ٢٨٢.

(٤) القلقشندي، صبح الاعشى، ٤: ٣٢٢. والجدير بالملاحظة ان الخوارزمي في صورة الارض، ص٢١، وابن رستة في الاعلاق النفسية، ص٩٧، وسهراب في عجائب الاقاليم، ص٢٧ - ٣٢، وشيخ الربوة في نخبة الدهر، ص٢٠، وغيرهم ممن اهتم بتحديد الاصقاع لم يأتوا على ذكر مدينة سنجار ضمن مدن الاقليم الرابع او غيره من الاقاليم الباقية مع أنهم ذكروا مدنا قريبة من سنجار ومحيطة بها من ضمن هذا الاقليم.

والاقليم الرابع هذا، والذي تقع ضمنه سنجار، والذي امتاز باعتدال مناخه، يبتدىء - كما حدده الجغرافيون - من المشرق فيمر ببلاد التبت، ثم على خراسان وبلخ وشهرزور.... وسرمن رأى والموصل وبلد.. يمر على شمال الشام حيث مدن بالس ومنبج وسميساط وملطية وحلب وقنسرين وانطاكية وطرابلس وطرطوس واللاذقية، ثم يمر في بحر الشام على جزيرة قبرص ورودس، ثم يمر بأرض المغرب على بلاد طنجة وينتهي الى بحر المغرب[1]. وكان القلقشندي قد حدد هذا الاقليم من حيث العرض والسعة بالدرجات فقال: «والاقليم الرابع مبدوءة حيث العرض ثلاث وثلاثون درجة ونصف وثمن درجة، ووسطه حيث العرض ست وثلاثون درجة وخمس وسدس درجة، وآخره حيث العرض تسع وثلاثون درجة الا عشرا، فتكون سعته خمس درج وسبع عشرة دقيقة بالتقريب[2]».

اما موقع مدينة سنجار من حيث خطوط الطول وخطوط العرض فانها الى الشرق بقليل من خط طول ٤٢ درجة شرقا (شرق غرينتش)، وعلى خط عرض ٣٦ درجة و٢٢ دقيقة شمالا[3]. وانها من حيث القياس فقد اختلف فيه. فياقوت نقلا عن الزمخشري قال: قال في الزيج ان طول سنجار ثلاثون درجة وعرضها خمس وثلاثون درجة ونصف وثلث[4]. والقلقشندي نقلا عن أبي الفدا قال: والقياس انها من حيث الطول ست وستون درجة والعرض ست وثلاثون وعشرون دقيقة[5].

رابعاً - طبيعة موقع مدينة سنجار وأهميته: اما موقع سنجار

---

(١) ابن رستة، الاعلاق النفيسة، ص ٩٧ - ٩٨.
(٢) القلقشندي، صبح الاعشى، ٣: ٢٣١.
(٣) دائرة المعارف الاسلامية، حرف السين، ص ٢٤٤.
(٤) ياقوت، معجم البلدان، ٣: ٢٦٢.
(٥) القلقشندي، صبح الاعشى، ٤: ٣٢٢.

بالنسبة الى جاراتها من مدن الاقليم فنقول انها في جنوبي نصيبين، عن يمين الطريق الى الموصل، على الطريق المؤدي من قرقيسياء على الفرات الى الموصل على دجلة، على اتصال مباشر بمعظم مدن الجزيرة. اشتهرت بكونها مدينة الطرق والقوافل منذ القديم لأنها سيطرت على الطريق بين العراق وسوريا، ولهذا ذكرت دائما في أخبار الحروب القديمة. هي في وسط برية، وفي لحف جبل نسب اليها، وعلى مقربة من واد خصب، محاطة بنطاق واسع من السهول الخصبة والمزارع المنتجة.

- وبرية سنجار هذه هي عبارة عن صحراء مستوية أكسبت المدينة شهرة في تحديد محيط الكرة الأرضية لأنها اتخذت في بعض الأوقات مرصداً فلكياً[١].

- وأما الجبل الذي نسب إليها، فهو في وسط اقليم الجزيرة، ويمتد بين ٣٥° و ٣٠ ٣٥° من خطوط العرض الشمالي. وهو عبارة عن سلسلة جبلية تقطعها وهاد عديدة، ينتصب بعلو يزيد عن ألفي قدم، وبطول يناهز الخمسين ميلاً*[٢]. فيه عيون وينابيع كثيرة وتعد تربته من

---

(١) المسعودي، مروج الذهب، ١: ٨٧ - ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٥: ١٦٢ - ١٦٣. شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص ١١. ذكر المسعودي انه عندما اشكل على الخليفة العباسي عبد الله المأمون ما ذكره المتقدمون في مقدار محيط الارض، بعث جماعة من أهل الخبرة بحساب النجوم الى برية سنجار لإجراء عملية مساحة تحققوا معها وأثبتوا ما ذكره الاقدمون من ان محيط الكرة الارضية عشرون ألف ميل ومائة وستين ميلا «مروج الذهب، ١: ٨٧» اما ابن خلكان فقال بان هذا المحيط بلغ أربعة وعشرين الف ميل وهي ثمانية آلاف فرسخ «الوفيات: ٥: ١٦٢ - ١٦٣» الدملوجي اليزيدية، ص ٤٨١. ويضيف فيليب حتي فيقول انه كان من جملة من اشترك في حل هذه المسألة ابناء موسى بن شاكر وربما الخوارزمي، وان محيط الارض هو عشرين الف ميل وقطره خمساية ميل «تاريخ العرب - مطول، ٢: ٤٥٨».

* يبلغ ارتفاع جبال سنجار الحالية نحو ٤٨٠٠ قدم، وهي المنطقة الواقعة في المنطقة الجنوبية «شمالية، وسطى، جنوبية». وهذه الجبال كانت تقسم خط الحدود المؤقت الذي رسمته دولتا الانتداب بريطانيا وفرنسا، وكانت مدار خلاف بين حكومتي العراق وسوريا الى ان تم استفتاء عام بشأنها بين الدولتين. وبعد الاستفتاء أصبحت تابعة للعراق. وعلى ذلك جرى تعديل الحدود بموجب الاتفاق النهائي في الخامس من شهر آب ١٩٣٣، «العاني، موسوعة العراق الحديث ١: ٣٦».

(٢) بكنفهام، رحلتي الى العراق، ١: ١٤.

أغنى وأخصب أراضي الرافدين[١]. ويعد هذا الجبل من أعظم الجبال الشرقية في بلاد الجزيرة ويؤلف - كما يبدو - مظهراً فريداً في جغرافية الاقليم، لذلك كانت له مكانة في المؤلفات الجغرافية القديمة التي تحدثت عن أخبار بلاد الرافدين وحوادثها امتاز بطيب هوائه وعذوبة مائه، وجمال محاسنه ولهذا تغنّى به الشعراء بأشعار وردت في العديد من المصادر. قيل ان سيدنا نوحاً عليه السلام كان قد باركه عندما نطحت سفينته به بقوله: ليكن هذا الجبل مباركاً، كثير الشجر والماء[٢]. كان دار سكنى القبائل العربية الوافدة من اقاصي الجزيرة العربية قبل الاسلام وبعده، كما كان ملاذاً للزهاد والعبادة والصالحين، وملجأ وحمى للسكان من بطش الفاتحين، ومأوى للخارجين على القانون وقطاع الطرق، كما كان حصناً لأهالي المدينة يتحصنون به لرد كيد المعتدين.

- وأما الوادي الذي عرف بوادي الحيال (أو الحوالي) فهو واد آت من سنجار ومتصل بها لذلك كانت له فائدة اقتصادية كبيرة لها، لما تنتجه اراضيه الخصبة من غلال، ولما تدره مواشيه من ثروة حيوانية كبيرة. كما أنه كان ذا فائدة دفاعية حيث كان يشكل حاجزاً طبيعياً في وجه الغزاة المعتدين. ولقد أشار ابن حوقل الى هذا الوادي محدداً: وبقرب سنجار بين شمالها وغربها الحيال، وهو وادٍ من أودية ديار ربيعة فيه مشاجر وضياع وكروم وخصب، ينتهي عند عرابان التي على الخابور، وهو آت من سنجار[٣]. كما ذكره ابن

(١) أبو الفدا، تقويم البلدان، ص ٢٨٣ - القلقشندي، صبح الاعشي، ٤: ٣٢٢.
- بكنغهام، رحلتي الى العراق، ١: ١٩ حاشية - الدملوجي، اليزيدية، ص ٤٧٢.

(٢) ياقوت، معجم البلدان، ٣: ٢٦٢.

(٣) ابن حوقل، صورة الارض، ص ١٨٧ و ١٩٩ - السامر، الدولة الحمدانية، ١: ١٤٩.

فضل الله العمري بقوله: وبقرب سنجار الجوالي، وهو واد تسكنه عربان من ربيعة، لهم ضياع وماشية[١].

والى جانب هذه الظواهر الطبيعية الثلاث، البرية والجبل والوادي، امتلكت سنجار رقعة واسعة من الأراضي ذات التربة الخصبة والانتاج الوافر. وكان مرد هذه الخصوبة وتلك الوفرة يرجع الى وجود ثروة مائية كبيرة، كانت تتفجر في معظم أنحاء سنجار، لقرب هذه المدينة من المناطق الجبلية من جهة، ولما كان يبذله أهلها من جهد في سبيل جلب مياه الأنهار اليها عبر القنى من جهة ثانية. ولهذا أسهبت المصادر في التحدث عن وفرة المياه في سنجار[٢].

فابن شداد، الذي عاش في القرن السابع الهجري، ذكر انه كان في وسط المدينة نهران، أحدهما يعرف بنهر دار العين، والآخر يخرج من عين في البلد تسمى عين الأصناف، تجري في البلد ثم تخرج من تحت سور المدينة[٣]. وشيخ الربوة الانصاري، أفاد أن المدينة نفسها كان يشقها نهر يصب في وادي الثرثار من جهة الشمال[٤]. كما أوردت المصادر بأن فوهة نهر الخابور الذي يصب في الفرات هو في أرض سنجار[٥].

---

(١) ابن فضل الله العمري، مسالك الابصار، ص ٦ – السامر، الدولة الحمدانية، ١ : ١٤٩. حدد كانار طول هذا الوادي بقوله: انه على مسير خمس ساعات من سنجار.

«CANARD. M. Histoire de la dynastie des Hamdanides,», 1: 107.

(٢) القرماني، أخبار الدول، ص ٤٥٣

– **Canard, M,** Histoire de la dynastie des Hamdanides, 1: 107.

(٣) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج ٣، ق ١، ص ١٥٦. ويظهر ان هذين النهرين كانا قد استمرا في الجريان من غير انقطاع الى القرن التاسع عشر الميلادي، بدليل ان الرحالة لا يارد، الذي زار المدينة في منتصف هذا القرن اتى على ذكرها بقوله: .. والى اليمين من الخرائب يقع جدار قديم مع قنطرة مهدمة يجري تحتها جدول ماء عذب كان في زمن ما نافورة ماء للمدينة.

– Layard, Discoveries, P. 248.

(٤) شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص ١٩١ – بدج، رحلات الى العراق، ٢ : ١١٢.

– ليسترانج، بلدان الخلافة الشرقية، ص ١٢٨.

(٥) الحميري، الروض المعطار، ص ٣٢٦.

وكذلك أوضحت بعض النصوص بأن أصل منبع نهر الثرثار هو في شرقي المدينة وقريب منها وبالتحديد فهو بالقرب من قرية سرّق[1].

هذا هو موقع سنجار وتلك هي طبيعته، ولهذا اطنب الجغرافيون والمؤرخون في وصفه وتعداد محاسنه. فهو في وسط من الأرض، عظيم الانتاج واسع الغنى• وهذا الوسط نفسه هو بمثابة حصن فريد من نوعه، كان منذ القدم نقطة اتصال ذات أثر كبير من الوجهة الحربية بين حكومات الشرق والغرب والشمال والجنوب، لذا كان من المواقع العسكرية الشهيرة خلال الحروب التي قامت في الماضي من أجل تكوين امبراطوريات عالمية، حيث ظل لفترة طويلة مسرحاً للجيوش القادمة من الشرق والغرب، ولهذا ورد ذكر سنجار في أخبار تلك الحروب وعلى الأخص الكبيرة منها. وهذا ما يفسر الأسباب التي دفعت بالدول التي غزت العراق بوجه عام واقليم الجزيرة بوجه خاص من أن تتطلع الى تلك البقعة من الأرض، وتبذل الجهد الكبير من أجل الاستئثار بها. فتناوبت عليها دولٌ مختلفة تركت كل منها أثراً من حضارتها ومعتقداتها وتقاليدها، ولهذا غدت أرض سنجار مسرحاً لمدنيات ومعتقدات ولغات ذات ألوان كثيرة. ومن طرف آخر فان الأهمية الخاصة لموقع سنجار وغناه دفع ببعض ملوك اقليم الجزيرة وأمرائها ممن أقاموا ممالك أو إمارات لهم في أقسام مختلفة منه، الى التطلع نحو امتلاك هذا الموقع سواء أكان ذلك عن طريق المقايضة أم الحرب تماماً كما حدث في العهدين الأتابكي والأيوبي، وهذا ما سنلحظه فيما بعد. وخير شاهد على أهمية هذا الموقع ما أتت به المصادر من نصوص تثبت ذلك.

---

(١) ابن الاثير، الكامل، ٤: ٣١١.

• مساحة أرض سنجار الحالية هي ٢٤٧٢ كلم مربع ومساحة القطر العراقي الإجمالية هي ٤٣٨٤٤٦ كلم مربع «العاني، موسوعة العراق الحديث، ١: ٢٢».

فابن الأثير في معرض كلامه على امتلاك صلاح الدين الأيوبي مدن الجزيرة قال ما نصه: ...: ان جميع ما ملكه صلاح الدين في أرض الجزيرة استقر بملك سنجار، لأن سنجار كانت على الجميع كالسور[1].

وابن خلدون تحدث بمثل ذلك وأشار بقوله: .. لما ملك صلاح الدين سنجار سنة ٥٧٨ هـ/ ١١٨٢ م صارت سياجاً على جميع ما ملكه[2]. والسبط ابن الجوزي كان قد أورد نصاً يستنتج منه، ان سنجار كانت في بعض مزاياها الطبيعية تضاهي مدينة دمشق[3].

---

(١) ابن الاثير، الكامل، ١١: ٤٨٨ سنة ٥٧٨ هـ.
(٢) ابن خلدون، تاريخه، مجلد ٥، ق ٣، ص ٥٧٤.
(٣) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ٨، ق ٢، ص ٦٦٤، سنة ٦٢٧ هـ.

ب - بناء مدينة سنجار، تسميتها وأسماؤها، عمرانها وأعمالها.

أولاً - بناء المدينة وتسميتها: من عادة القدامى أنهم لا يقرون بجهلهم اسم مؤسس مدينتهم، او تفسير تسمية هذه المدينة، ولذا فقد كانوا يتقدمون بروايات مختلفة منها أولاً ان يلصق هذا التأسيس باسم شخص يحمل الاسم نفسه، وثانياً ان يلصق باسم ملك أو بطل اسطوري يتردد اسم سلالته في أكثر صفحات الكتب القديمة. أما من حيث تفسير اسم المدينة، فمن المعروف أن البلداني القديم كان يأخذ اسم المدينة كما هو في وقته ويفسره بموجب لغة أهل العصر.

وهناك روايات عديدة تحدثت في هذا الموضوع وهي:

الأولى: ذكرها ياقوت نقلاً عن ابن الكلبي فقال: انما سميت سنجار (وآمد وهيت)، باسم بانيها وهم بنو البلندى بن مالك بن دُعْر بن بويب بن عنقاء بن مدْيَن بن ابراهيم عليه السلام. ثم يضيف: ويقال ان سنجار بن دعر نزلها[١].

الثانية: وهي مطابقة للأولى أوردها السمعاني في الأنساب فقال: هذه المدينة سميت باسم بانيها وهو سنجار بن مالك بن دعر وهو أخو آمد الذي بنى آمد[٢].

الثالثة: ذكرها القزويني بقوله: ان جارية للسلطان السلجوقي ملكشاه كان قد ضربها الطلق بأرض سنجار، فولدت السلطان سنجر فسموا المدينة باسمه[٣].

---

(١) ياقوت، معجم البلدان، ٣: ٢٦٢ - ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج ٣، ق ١، ص ١٥٤.
(٢) السمعاني، الانساب، ٧: ١٥٩.
(٣) القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص ٣٩٣.

الرابعة: رواها ابن خلدون حين تحدث عن مؤسس المدينة فأفاد: سنجار هي من بناء سنجاريف بن اثور بن نينوي بن اثور الذي يرجع نسبه الى الموصل بن جرموق ابن اخت سوريان، وسنجاريف هذا هو الذي غزا بني اسرائيل فصلبوه على بيت المقدس[1].

وإذا حققنا في صحة هذه الروايات نتبين ان رواية القزويني هي رواية مردودة، لأنها لا تستند الى أساس تاريخي. فالمصادر القديمة أطلعتنا على ان السلطان سنجر• كان قد ولد في الربع الأخير من القرن الخامس الهجري، وان مدينة سنجار قد وردت بهذا الاسم وعند العديد من الجغرافيين والمؤرخين قبل هذه الفترة بكثير ومنهم: الدينوري المتوفي في سنة ٢٨٢ هـ والطبري المتوفي في سنة ٣١٠ هـ، وقدامة بن جعفر المتوفي في سنة ٣٢٠، وابن خرداذبة المتوفي سنة ٣٠٠ هـ، وابن حوقل المتوفي ٣٦٧ هـ، والمقدسي المتوفي ٣٧٥ هـ، وغيرهم. بل وان أغلب المصادر كانت قد ذكرت ان السلطان سنجر السلجوقي كان قد سمي باسم المدينة، وليست المدينة هي التي سميت باسمه[2]. وان ما ذكره ياقوت نقلاً عن ابن الكلبي، وما ذكره السمعاني وابن خلدون، ففيه وجهة نظر من حيث انه يعكس اعتقاد القدامى الآنف الذكر والقائل من ان العديد من الأمكنة والمواضع كانت تسمى بأسماء بناتها، أو تنسب الى من شارك في بنائها، أو من نزلها وأقام فيها. ولما كان ابن

---

(١) ابن خلدون، تاريخه، مجلد ٢، ق ١، ص ١٣٠.

• السلطان سنجر السلجوقي: ولد بسنجار في سنة ٤٧٧ هـ/ ١٠٨٤م (ابن الاثير، الكامل، ١٠: ١٤١) وذلك عندما نزل والده ملكشاه بها اثناء توجهه لغزو بلاد الروم. قيل ان اسمه أحمد ثم غلب عليه اسم سنجر لكونه مولودا بسنجار (أبو الفدا، المختصر في اخبار البشر، مجلد (ج ٤، ص١٠٦). وقيل إسره الترك أربع سنوات، وخطب له على منابر الاسلام. استقام امره وأطاعه السلاطين. توفي سنة ٥٥٢ هـ/ ١١٥٧م.

(٢) السمعاني: الانساب، ٧: ١٥٩ – الزبيدي، تاج العروس، ٣: ٢٨٠.

خلدون قد انفرد بذكر اسم سنجاريف دون أن يكون هناك مصدر آخر يشاركه هذا الرأي فلا يعقل الأخذ به، وإنما نستطيع أن نضيف هذا الرأي بين الآراء التقليدية القائلة بالسلالات الاسطوربة.

- تفسير اسم سنجار من قبل ياقوت:

وفي مكان آخر ذكر ياقوت بان تسمية هذا الموضع المعروف بسنجار بهذه اللفظة، كان مرده الى الرواية التي كان قد سمعها من أهل سنجار أنفسهم. وهذه الرواية تقول ان سفينة سيدنا نوح عليه السلام، لما مرت بالجبل (جبل سنجار) نطحته فقال نوح: هذا سن جار علينا فسميت سنجار. ويضيف ياقوت فيقول ان أهل المدينة يعرفون هذا صغيرهم وكبيرهم ويتداولونه[1]. فإذا سلمنا جدلاً بأن هذه التسمية كانت نتيجة لتلك الحادثة، فلا يعقل أن نسلم بأن اللغة العربية كانت معروفة ومتداولة بهذا الشكل من التهذيب والاتقان، وان سيدنا نوحا كان يتكلمها بطلاقة. فالمقطعان اللذان يؤلفان الكلمة وهما - سن وجار - هما لفظتان عربيتان لكل منهما معنى تام، ويفيدان مجتمعين المعنى الذي قصده نوح من عبارته. أعتقد أن ذلك لم يكن ولم يحصل وان كل ما أعتقده بل وأكاد أجزم به هو أن هذه الرواية هي كغيرها من الروايات والأساطير التي درجت على ألسنة الناس وتداولوها جيلاً بعد جيل دون التثبت من صحتها تماماً كما كان عليه الحال بالنسبة إلى أهل سنجار.

وملاحظتنا في هذا ان تفسير ياقوت مبني على حالة اسم المدينة في وقته، بينما يجب علينا أن نبحث عن الاسم الأقدم الذي اشتقت منه الأسماء الحديثة.

(١) ياقوت، معجم البلدان، ٣: ٢٦٢.

ثانياً - أسماء سنجار القديمة والحالية.

١ - الأسماء القديمة: وسنجار العريقة في القدم، كانت قد عرفت عند البابليين والأشوريين بلفظ سنكارا أو سنغارا وكانت يومئذ من أهم مدن اثور[١]. وعرفت عند المصريين القدماء بلفظ سنكار وعند الآشيين بلفظ شنخار[٢]. وعند اليونان والرومان بلفظ سنكارا إلا أن الامبراطور الروماني اورليوس أطلق عليها اسم اورليا وسبتميا عندما جدد بناءها في حدود سنة ١٩٩ م[٣]. وهناك بعض الرحالة الغربيين الذين كانوا قد طافوا أرض الجزيرة الفراتية وكتبوا عنها أشاروا الى ان منطقة سنجار هذه قد تكون هي أرض سنعار أو شنعار التي ورد ذكرها في الأسفار المقدسة، وان كلمة سنجار ما هي إلا تحريف لهاتين اللفظتين[٤]. والحقيقة ان ما ذكرته المصادر القديمة يثبت ان كلمة سنعار أو شنعار كانت قد أطلقت فعلاً على منطقة جنوبي بلاد الرافدين أي بابل ووركاء وأكاد[٥].

٢ - الأسماء الحالية: من المفهوم ان لكل كلمة في اللغة العربية معنى أو دلالة، وسنجار هي إحدى الكلمات التي وردت في العديد من المصادر اللغوية والجغرافية والتاريخية بلفظها الحاضر وذلك مع بداية الاسلام، وكلها أفادت بأنها مدينة مشهورة في الجزيرة الفراتية وهي

---

(١) طه باقر وفؤاد سفر، المرشد، الرحلة الثالثة، ص ٦٤ - بكنغهام، رحلتي الى العراق، ١: ١٤ - دائرة المعارف الاسلامية، حرف السين، ص ٢٤٤ - الدملوجي، اليزيدية، ص٤٧٢. وكان بلينوس قد أشار الى هذه المدينة بنفس هذه الالفاظ «التاريخ الطبيعي ٥: ٨٦» ووردت كذلك عند.
OATES, DAVID, Singara and its fortifications, Part VII-XII P, 97.

(٢) بدج، رحلات الى العراق، ٢: ١١٣ - وردت لفظة شنخار هذه في كتاب كان قد أرسله ملك الاشية «الى ملك مصر في القرن الخامس عشر قبل الميلاد ذكر فيه ملك خطاي وملك شنخار «نفس المصدر».

(٣) بكنغهام، رحلتي الى العراق، ١: ٣٦ «حاشية»، - AURILIA-SEPTEMIA-

(٤) بكنغهام، رحلتي الى العراق، ١: ١٧ - ١٨.

(٥) M- D'Anville. L'Euphrate et le tigre, p: 50.
- Niebuhr, Voyage en arabie, Vol, II, P. 315.

موضوع بحثنا، مع العلم بان ياقوتا كان قد ذكر موضعاً آخر يحمل اسم سنجار وقال بأنه اسم قرية بمصر من كور النستراوية[١]. أما ابن عبد الحق وياقوت وابن الأثير وأبو الفدا ومن ثم الزبيدي في تاج العروس فهؤلاء أجمعوا القول على ان موضع سنجار هو في الجزيرة الفراتية وحددوها لغوياً بقولهم: وسِنْجار بكسر السين المهملة وسكون النون وفتح الجيم، وألف وراء مهملة، مدينة مشهورة بأرض الجزيرة[٢]. وإلى جانب هذه اللفظة - أي سنجار - فان المدينة عرفت في العهد الأتابكي بلفظة سنجارة[٣]. كما ان مواطنيها من الأكــراد ما زالوا يرددون اسمها بلفظة شنكار وشنكاري - بامالة الياء. وكذلك فان النصارى السريان يذكرونها بلفظة شيغار [٤].

ثالثاً - عمران مدينة سنجار وأعمالها:

١ - عمران سنجار وأوصافها: ان الموقع المهم الذي تمتعت به مدينة سنجار كان سبباً في عمرانها وازدهارها حينا وفي خرابها ودمارها حيناً آخر في بحر تاريخها الطويل. وتطلعنا المصادر على أنها كانت قبل الإسلام وفي القرن الأول الميلادي مركز دولة مستقلة ضربت فيها النقود[٥]. وقبل سنة ١١٥ م كانت مملكة ارامية مستقلة وكان ملكها

---

(١) ياقوت، المشترك، ص٢٥٤ -

(٢) ابن الاثير، اللباب في تهذيب الانساب، ١: ٥٦٨ - ياقوت، المشترك، ص ٢٥٤.
- أبو الفدا، تقويم البلدان، ص ٢٨٢ - ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع، ٢: ٧٤٣.
- الزبيدي، تاج العروس، ٣: ٢٨٠.

(٣) هذه اللفظة (سنجارة) ظهرت على بعض المسكوكات التي ضربت في المدينة في العهد الاتابكي، انظر: مجلة سومر، مجلد ٢٣، الجزء الاول والثاني سنة ١٩٦٧، ص ١٩٢، مقال بقلم محمد باقر الحسيني بعنوان: دراسة تحليلية لثلاث مسكوكات ذهب اتابكية نادرة.

(٤) ادي شير، تاريخ كلدو واثور، ١: ٥.

(٥) طه باقر وفؤاد سفر، المرشد، الرحلة الثالثة، ص ٦٣.

يدعى آنذاك معنو[1]. وفي سنة ١١٥ م أصبحت مستعمرة رومانية كثرت فيها التماثيل الدينية والمدنية[2]، وكانت قد دخلت في حلبة الصراع الفارسي الروماني الى ان دخلها الاسلام. وفي العهود الاسلامية المتعاقبة ورد اسم سنجار في كثير من المؤلفات الجغرافية والتاريخية بصفات مختلفة، وذلك حسب المكانة التي كانت تتمتع بها في كل عصر. فذكرت بصفة بلد سنجار، ثم بصفة مدينة، ثم رستاق وكورة، كما ذكرت باسمها المجرد من كل صفة.

فالذين ذكروها باسمها المجرد فقط نذكر: الطبري، الدينوري، البلاذري، الازدي، اليعقوبي، السمعاني، ابن الجوزي (السبط)، الفارقي، ابن الفرات، الذهبي، الزبيدي... وبصفة بلد سنجار نذكر: ابن العديم ابن واصل، ابن تغري بردى... وبصفة مدينة وهي الأكثر على الغالب نورد: قدامة بن جعفر، الاصطخري، المقدسي، ابن الأثير، القزويني، ابن شداد، ابن جبير، اليونيني، ابن بطوطة، شيخ الربوة الانصاري، القلقشندي... القراماني وسواهم.

أما الذين ذكروها بصفة كورة فنذكر منهم: ابن خرداذبة، قدامة بن جعفر، ابن رسته، وبصفة رستاق نورد: ابن حوقل، ابن فضل الله العمري... ومما تجدر ملاحظته هنا ان من أطلق عليها اسم بلد أو مدينة صغيرة أو ما شابه ذلك من صفات ربما كان قد رآها أو سمع عنها في بعض أدوارها السالفة، وعلى أثر الخراب والدمار الذي أصابها من نكبات الحروب. أو انه ربما نسخ ما كتبه غيره. وان ما أوردته من أسماء أعلاه هو على سبيل المثال لا الحصر. كما أفيد بأنها كانت حتى

---

(١) ادي شير، تاريخ كلدو واثور، ١: ١٧٩ - معنو لقب كان يطلق على ملوك أورها (الرها). «نفس المصدر ١: ١٧٠».

(٢) بكنغهام، رحلتي الى العراق، ١: ١٨.

قبيل ظهور العثمانيين لا تزال عامرة وتذكر باسم مدينة كما ورد ذلك في مؤلفات القلقشندي المتوفى في حدود سنة ٨٢١ هـ/ ١٤١٨ م.

هذا وان الرحالة الذين زاروا سنجار مع بداية القرن التاسع عشر الميلادي واطلعوا على بقايا المدينة القديمة، أكدوا انها كانت تتمتع بأهمية جغرافية واقتصادية وسياسية كبيرة. كما أكدوا انها كانت مدينة كبيرة ذات شأن في التاريخ، وانها كانت تحتوي كل متطلبات الحياة بدليل ما شاهدوه بأم أعينهم من سعة مساحة الأطلال والسور وبقايا الأبنية المتناثرة. أما من حيث تخطيط بناء المدينة وأوصافها، فقد لوحظ من خلال رؤية الخرائب المتبقية انها قامت منذ البدء على منحدر من التلال الصخرية التي كان يشقها مجرى ماء - كان الجغرافيون القدامى قد أشاروا اليه - الى قسمين جنوبي وشمالي مكوناً بينهما ما يشبه الوادي. فالقسم الجنوبي - كما بدا - هو الذي تظهر فيه معظم معالم المدينة. والشمالي وأكثره في الوادي يظهر انه كان محاطاً بسور آثاره ما زالت باقية. لذلك فان بيوت المدينة كانت على ما يبدو مبنية على شكل سلاسل من المدرجات بعضها فوق بعض[1].

واستنادا الى النص الذي أورده ابن شداد، والذي وصف فيه المدينة قبيل استيلاء التتر عليها في سنة ٦٦٠ هـ/ ١٢٦٢ م فان محتوياتها العمرانية التي كانت قائمة آنذاك وربما استمرت الى ما بعد ذلك بكثير فهي التالية[2]:

- سوران اثنان، احدهما أعلى من الآخر.

---

(١) بدج، رحلات الى العراق، ٢: ١١٢ - ١١٣.

- **Layard,** Discoveries, P: 249.
- Le Strange, the Lands of Eastern caliphate, P: 98.

(٢) سنتحدث عن بعض هذه المحتويات بالتفصيل اذا أمكن وحسبما تمدنا به المصادر من معلومات خاصة بها وذلك في فصل الاثار.

- اربعة أبواب، ثلاثة في قبلي المدينة، والرابع في شمالها.
- دور السلطنة والامارة، وتشغل مساحة كبيرة، يدخل اليها من الباب الثالث الذي في جهة القبلة والمسمى بالباب الجديد.
- قلعتان اثنتان، تقعان على تلين، وبرج كبير يعرف ببرج الخزانة.
- ربضان اثنان وأسواق واسعة ومساجد آهلة.
- ست مدارس وثلاث خانقاوات ومشاهد ومراقد للأولياء والصالحين[١].

٢ - أعمال سنجار: طالما نجد في تاريخ المدينة، موضوع البحث، أسماء بعض المواقع التابعة لها، فلا بد من ان نذكر بعض هذه المواقع التي تسمى بالأعمال، مع العلم ان عددها كان قد اختلف باختلاف الأوضاع السياسية التي كانت تستجد في اقليم الجزيرة. ولاثبات ذلك نورد بعض ما ذكرته المصادر بهذا الخصوص على سبيل المثال لا الحصر.

فالازدي قال: لسنجار قرى عديدة ومنها النجدية[٢].

وابن حوقل وابن الاثير افادا: لسنجار ضياع عديدة منها قرية الحيال[٣].

وياقوت أورد: لسنجار نواح كثيرة منها النعمانية[٤].

وأبو شامة ذكر: ان ماكسين هي من أعمال سنجار[٥].

وابن واصل أوضح: ان تلعفر كانت من أعمال سنجار[٦].

---

(١) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج ٣، ق ١، ص ١٥٥ - ١٥٧.
(٢) الازدي، تاريخ الموصل، ص ٢٦٨ سنة ١٧٠ هـ.
(٣) ابن حوقل، صورة الارض، ص ١٩٩ ، ابن الاثير، الكامل، ١٢: ٥٠٠ سنة ٦٢٨ هـ.
(٤) ياقوت، المشترك، ص ٢٥٤ و ٤٢٠.
(٥) أبو شامة، ذيل الروضتين، ص ٥٩، سنة ٦٠٤ هـ.
(٦) ابن واصل، مفرج الكروب، ٤: ٣١ سنة ٦١٦ هـ. ويبدو ان وضع مدينة سنجار لم يتغير في العصور اللاحقة، وانها استمرت قاعدة ادارية تصرف فيها شؤون وأمور القرى والضياع الملحقة بها. وبهذا

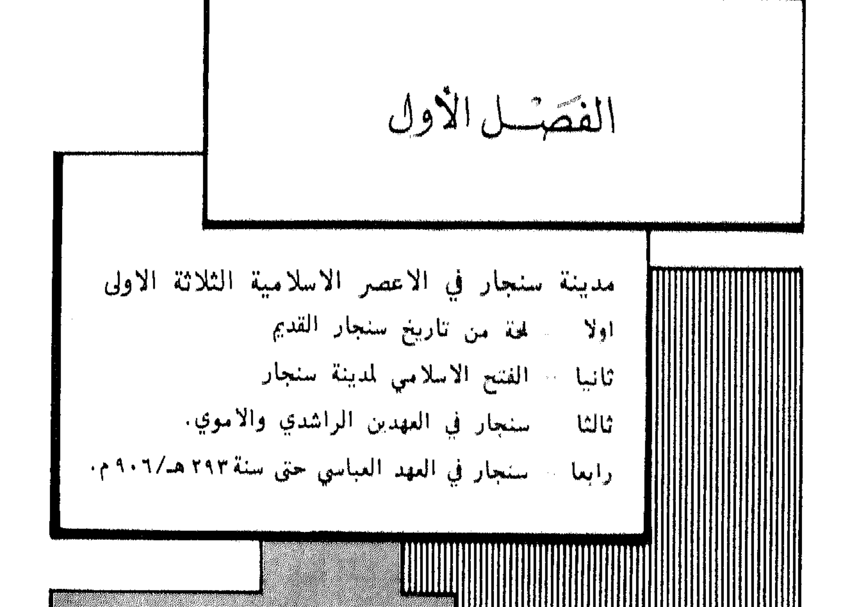
وبعد ان اطلعنا على واقع سنجار الجغرافي، ننتقل الآن الى الواقع التاريخي الذي عاشته المدينة خلال المدة المقررة في موضوع البحث.

= الصدد نشير الى ما ذكره «فيتال كوينيه» من أن سنجار كانت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر المدينة الوحيدة ذات الأهمية في ناحية تلعفر، وانها كانت مركزاً ادارياً لتلك الناحية حيث كانت مقر القائمقام.

Guinet, La Turquie D'Asie, 1: 839.

وفي مطلع القرن العشرين أصبحت سنجار قاعدة لقضاء عرف باسمها ويتبعها عدد من القرى والضياع «عبد الرزاق الحسني، موجز تاريخ البلدان العراقية القديمة، ص١٤٢». اما اليوم فإن مدينة سنجار التي قامت على أنقاض المدينة القديمة وتوسعت الى ما جاورها من أراض فهي مركز قضاء سنجار التابع لمحافظة نينوى وهذه المحافظة تضم عددا من الوحدات الادارية (أقضية) عدا قضاء سنجار نذكرها على التوالي: الموصل، الشيخان، تلعفر، الشرقاط، الحمدانية، تكليف، الحضر، البعاج. هذا وبلغ عدد سكان قضاء سنجار حسب احصاء ١٩٧٣ نحوا من ٥٩٥٨٩ نسمة في حين بلغ عدد سكان المحافظة (نينوى) حسب احصاء ١٩٧٤ نحوا من ٨٩٢ ألف نسمة.

«العاني، موسوعة العراق الحديث، ص ٣٠ - ٣٣».



الفصل الأول

مدينة سنجار في الاعصر الاسلامية الثلاثة الاولى

اولا - لمحة من تاريخ سنجار القديم

ثانيا - الفتح الاسلامي لمدينة سنجار

ثالثا - سنجار في العهدين الراشدي والاموي.

رابعا - سنجار في العهد العباسي حتى سنة ٢٩٣ هـ/٩٠٦م.



سنجار في الاعصر الاسلامية الاولى الثلاثة

اولا – لمحة من تاريخ مدينة سنجار القديم:

يستدل من الملتقطات الاثرية التي عثر عليها في الموضع الذي كانت تقوم عليه مدينة سنجار القديمة على انها كانت من المستوطنات العراقية الموغلة في القدم. فالادوات الحجرية الصوانية والحجرية الاوبسيدية (البركانية) من العصور الحجرية تدل على ان هذا المكان سكنه الانسان منذ عصر ما قبل التاريخ[1]. والادوات الخزفية والقرميدية والنحاسية والحديدية، التي هي عبارة عن حلى وادوات للزينة واخبية ونبال وما شابه ذلك، الى جانب بقايا الابنية وخاصة تلك التي عثر عليها الأثاري سيتون لوئيد* في المرتفعات القريبة من موقع المدينة، ترتقي بجملها الى عصور قديمة مختلفة كعصر اوروك، بل وقبل اوروك الى عصر ما قبل التاريخ ايضا[2]. لكن ما تؤكده المصادر وتوضحه الاثريات وغيرها من الكتابات المسمارية هو ان سنجار كانت من ضمن الممتلكات الاشورية ومن اهم مدن اشور. حيث ملكها الاشوريون ونشروا فيها مدنيتهم، واتخذوا من جبلها قاعدة لاعمالهم الحربية ضد الحثيين وغيرهم[3].

---

(١) طه باقر وفؤاد سفر، المرشد، الرحلة الثالثة، ص ٦٤.
(٢) الصايغ، تاريخ الموصل، ٣: ٦٣ - ٦٤.
(٣) الدملوجي، اليزيدية، ص ١٧٢ - ١٧٣؛ بكنغهام، رحلتي الى العراق ١: ٢٩.
لسترانج، بلدان الخلافة الشرقية، ص ١٢٩.

* قام الآثاري سيتون لوئيد Seton, Eloyed بعمليات الحفر والتنقيب نيابة عن دائرة الآثار العراقية في منطقة سنجار ما بين ٢٠ آذار و ٨ حزيران من سنة ١٩٣٩، وكتب ما تجمع لديه من معلومات في مجلة العراق الاركيولوجية التي نشرها المعهد البريطاني الاركيولوجي بعنوان: تنقيبات الحكومة العراقية في سنجار. تناولت هذه العمليات المرتفعات القريبة من سنجار والتابعة لها وهي: كري رش، بين سنجار وبلعفر وعلى أربعة أميال من الاول، وتل حوش. عثر اثناء ذلك على العديد من

وبعد انقراض دولة اشور في عام ٦١٢ ق. م على يد البابليين وحلفائهم، ثم غلبة الفرس على شعوب بلاد المشرق اصبح هؤلاء هم الوارثون لمملكة اشور فيما بعد، ودخلت منطقة سنجار تحت حكمهم، فاهتموا بتحصينها واتخذوا من الجبل (جبل سنجار) معقلا قويا تجاه اعدائهم وبخاصة الرومان. فمن المعلوم ان الحروب كانت سجالا بين الامبراطوريات الشرقية والرومان مدة طويلة قبل الاسلام وحتى بدء ظهوره، وكان اقليم الجزيرة وبخاصة بلاد ما بين النهرين العليا مسرحا للمعارك بين جيوشهم من اجل الاستئثار بهذه البلاد والسيطرة عليها.

لهذا نقول ان سنجار قاست الكثير من ويلات الحروب بين الدولتين العظميين في ذلك الوقت. فقد هجم عليها الفرس ودمروها، كما حدث في عهد شابور الاول سنة ٢٦٠ م وفي عهد هرمز الثاني (٣٠٢ - ٣٠٩ م)، وفي عهد شابور الثاني (٣١٠ - ٣٧٩ م) المعروف بذي الاكتاف والذي لا تزال اكثر المصادر القديمة تذكر اسمه ملطخا بدماء الابرياء، ممن قتلهم في سنجار وغيرها، من رهبان وراهبات وكهنة وعامة[1]. وتفيد المصادر انه رغم صراع الدولتين على ارض الجزيرة، فان مدينة سنجار كانت قد تمتعت بنصيب من الاستقلال في فترات متباعدة. فلقد كانت عشية استيلاء الرومان عليها مملكة ذات سيادة وان ملكها معنو هو الذي انهزم امام الجيوش الرومانية التي كانت بقيادة الامبراطور طريانوس (تراجان)، فدخلت لاول مرة تحت

= المخلفات الأثرية القديمة جدا. انظر التفاصيل في كتاب، تاريخ الموصل، للقس سليمان الصايغ ج ٣، ص ٦٣ - ٦٤. - عثر أيضاً في منطقة سنجار - تلعفر على فخار يرتقي تاريخه الى عصور ما قبل التاريخ المتأخر «انظر مجلة سومر، مجلد ٣١ ج ١ و ٢ سنة ١٩٧٥، ص ٢١ القسم الاجنبي، مقال بقلم د. بهنام أبو صوف».

(١) ادي شير، تاريخ كلدو واثور، ٢: ٨٥ - الصايغ، تاريخ الموصل، ١: ٢٣ - ٢٥.
- بكنغهام، رحلتي الى العراق، ١: ١٦.

السيطرة الرومانية وكان ذلك في حدود سنة ١١٤ - ١١٥م[١]. ويبدو ان المدينة عادت وأخذت من ايدي الرومان بحيث لا توجد اية اشارة في المصادر القديمة تدل على وجودهم فيها خلال الفترة المتبقية من القرن الثاني الميلادي. لكن في السنوات الاخيرة من هذا القرن، ومع بداية القرن الثالث، فانه يمكننا ان نستنتج من خلال الالقاب التي حملتها المدينة في هذه الفترة وهي اوروليا وسبتميا انها وضعت من جديد ضمن الكورة الرومانية وبالتالي اصبحت مستعمرة للرومان وذلك بعد حملات لوسيوس فيروس - من قبل الامبراطور مرقس اورلس، وغدت فيما بعد

---

(١) ادي شير، تاريخ كلدو واثور، ٢: ١٧٩ - بلينوس، التاريخ الطبيعي، ٥: ٨٦.

- **D'Anivlle,** L'Euphrate et le tigre, P: 50.
- **Oates, David,** Singara and its fortifications... part VII, XII, P 97.

ومن المحتمل ان تكون هذه المملكة هي التي أقامتها القبائل العربية في منطقة سنجار حيث كانت عاصمتها مدينة الحضر الشهيرة. وقد ازدهرت كثيراً لكنها تعرضت في كثير من الاوقات لغزو الفرس والرومان على السواء، وتفيد المصادر انها كانت قادرة في كل مرة على ردهم. «ابن الاثير، الكامل، ١: ٣٨٧».

وكان بلينوس الذي أشار الى سنجار بلفظة سنغارا قد ذكر ان سكانها كانوا في النصف الثاني من القرن الاول الميلادي من العرب وينتسبون الى قبيلة عربية أطلق عليها اسم «PRAETAVI»ربما كانت قد شاركت هذه القبيلة في قيام هذه المملكة، لكننا لسوء الحظ نجهل ماهية هذه القبيلة.

«بلينوس، التاريخ الطبيعي، ٥: ٨٦». وكذلك ورد اسم هذه القبيلة ومكان سكناها في منطقة سنجار في مؤلفات:

- **Oates,** David Singara and its... part VII-XII, P: 9 è-98.
- **Sarré-Herzfeld.** Archaeologische,.., 1: 203.

* ومن المحتمل ايضاً أن تكون هذه المملكة التي على رأسها معنو قد دانت قبل استيلاء الرومان عليها لسيطرة الفرثيين، الذين كانوا قد دخلوا العراق في سنة ١٣٩ ق.م واستمروا في حكمه الى ٢٢٦م. ويذكر ان هؤلاء كانوا قد قسموا مملكتهم الى ممالك صغيرة - حيث لم يكن لديهم نظام واحد يحكمون به كل الاقطار - وكانت كل مملكة او امارة يحكمها ملك او امير يكون خاضعاً للملك الفرثي في طيسفون، وان بعض هذه الممالك كان مستقلا استقلالا ادارياً وسياسياً ولم يكن للفرثيين عليها الا خراج يتقاضونه. وكان من عداد تلك الامارات في العراق وحده خمس وهي: ميسان - الحضر في الشمال الغربي - حدياب - اربيل - الحيرة - سنجار «احمد سوسة، ملامح من التاريخ القديم ص١٦٢».

حصنا لحامية رومانية[١]. ومن غير المحتمل ان تكون هذه المدينة قد احتفظت بهذه الالقاب لمدة طويلة، الى ان كان عصر الامبراطور اسكندر ساويروس (٢٢٢ - ٢٣٥ م) حيث اعيدت يومئذ الى السيادة الرومانية، وادخلت ضمن المدن الحدودية التي شكلت خطا من الخابور الى دجلة. ومن الجائز أن تكون الفرقة الفرثية الاولى - وهي فرقة من فرق الجيش الروماني - قد رابطت فيها. كذلك فاننا لم نتأكد من معرفة ما اذا كانت سنجار قد استمرت تحت السيطرة الرومانية بعد الهجوم المعاكس الذي قام به اردشير في سنة ٢٣٧ م (اي بعد عهد ساويروس)، والذي استولى فيه على زاكوره. لكن من المؤكد انها كانت في ايدي الرومان في عهد الامبراطور جورديان الثالث حيث ضربت فيها النقود باسمه[٢]. ومن المحتمل ايضا ان تكون سنجار قد وقعت تحت السيطرة الفارسية بين سنة ٢٥٠ م، وذلك عندما هاجم شابور الاول تلك المنطقة وسواها بالارض. لكن يظهر انها رجعت الى القبضة الرومانية في سنة ٢٨٣ م في عهد الامبراطور كاروس الذي هاجم مدينة طيسفون وافلح في ذلك. ويبدو ان قوة الساسانيين قد ضعفت في عهد خلفاء شابور لدرجة ان بهرام كان مستعدا ان يسلم بلاد ما بين النهرين الشمالية الى الرومان لقاء السلام بينه وبينهم.

وخلال القرن الرابع الميلادي كانت مدينة سنجار تترجح بين السيادتين الفارسية والرومانية[٣]. هذا الترجح جعل منطقة سنجار

---

(١) Oatos, David, Singara and its Fortifications. .., Part. VII- XII, P: 97- 98.

- طه باقر وفؤاد سفر، المرشد، الرحلة الثالثة، ص٦٣ - ورد اسم الامبراطور مرقس اورلس على حجرة مسافات كانت قد اكتشفت على بعد بضع كيلومترات من جنوب غرب مدينة سنجار، «سومر، مجلد٨، ص٣١٩، سنة ١٩٥٢ ».

(٢) 11 Oates, David, Op, cit.., P: 97- 106.

111Op, cit. P:, 97- 106.

(٣) Oates, David, Singara and..., Part VII-XII, P: 97-98.

والمدينة نفسها عرضة لمعارك طاحنة بين الدولتين، وان اشهر هذه المعارك كانت تلك التي وقعت في حدود سنة ٣٤٨م والتي ذكرتها المصادر القديمة باسم معركة سنجار، حيث حاصرها شابور الثاني ودمرها ونقل اهلها اسرى الى فارس فنكل بهم وقتل اكثرهم. هذا وقد وردت تفاصيل وافية عن هذه المعركة في كتاب بعنوان «اضمحلال الامبراطورية الرومانية وسقوطها لمؤلفه ادوارد جيبون»[١].

ونظرا لاهمية هذه المعركة والنتائج التي ترتبت عليها فاننا سنوجز بعض ما ذكر عنها سواء عند جيبون او عند غيره من المؤلفين.

كانت سنجار عشية وقوع هذه المعركة تدور في الفلك الروماني، وان القوات الرومانية المتمركزة في ضواحيها بقيادة الامبراطور قسطنطين «Constantius» قد ارتدت على اعقابها حال اقتراب الفرق الفارسية بقيادة شابور الثاني منها. ويستفاد مما ذكر ان هذه المعركة كانت في البدء لصالح القوات الرومانية وان الجيش الفارسي ولى الادبار[٢]. لكن سرعان ما انقلب الموقف وانهزم الرومان في مذبحة مريعة ومميتة حتى ان بقية فرقهم المنهزمة كانت قد تعرضت لشدائد لا يمكن احتمالها. وقد تم اسر خمسة فيالق رومانية ذات اعداد قليلة ارسلت مخفورة الى اقاصي فارس. ويعزو جيبون سبب هزيمة الرومان في هذه المعركة الى طبيعة ارض سنجار والاخطار التي نجمت عن شدة الحر والعطش اللذين اصابا

---

(١) **Gibbon, Edward,** History Of The decline and Fall Of The Roman Empire, Vol II, Battle **Of Singara, P: 98- 99.**

(٢) يقول محمد امين زكي في كتابه «خلاصة تاريخ الكرد وكردستان» ج١، ص١١٤، ان قسطنطينوس قائد الجيش الروماني هزم الجيش الايراني الذي كان بقيادة شابور الثاني شر هزيمة واسر ولي العهد الايراني. هذا بالطبع كان في بداية المعركة لكن سرعان ما تحول النصر الى هزيمة ساحقة للرومان كما اكد ذلك جيبون ومن ثم سيتون لوئيد الذي اضاف بان«شابور»لم ينعم بهذا النصر بسبب اعتقال ولده وقتله. «الرافدان، ص١٦٥».

الفرق الرومانية، والى صعوبة وصول المؤن اليها، لا الى قدرة الجيش الفارسي فقط.

وتفيد الاخبار انه بعد ان استولى الفرس على سنجار جردوها من حصونها وهدموها[١]. ومع ذلك استمروا فيها الى ان قام الامبراطور يوليانوس (جوليان) وانتزعها منهم وبقيت في ايدي الرومان الى سنة ٣٦٠ م حيث عاد شابور واخذها منهم اثر معركة اسر فيها عددا من الفرق الرومانية ومنها الفرقة الفرثية الاولى، وفرقة فلافيا الاولى، وعددا من الجنود المحليين، وآخر من الفرسان الذين كانوا قد تواجدوا صدفة بها[٢].

ويظهر ان الرومان لم يسكتوا على الهزيمة، فاعادوا جمع قواتهم وتنظيمها وشحنها بالعدد والعدة. وانقضوا على الفرس وثأروا منهم واسترجعوا البلاد. وتفيد النصوص ان سنجار بقيت في ايديهم الى ان كانت سنة ٣٦٣ م. وفيها تنازل الامبراطور جوفيان• (يوبيانوس)، خليفة جوليان، عن سنجار وغيرها من الولايات الى شابور الثاني، وذلك اثر توقيع الهدنة بينها. وبموجب هذا الاتفاق صدر العفو الفارسي، الذي سمح بموجبه للاسرى والهاربين من ابناء سنجار وغيرها بالعودة الى ديارهم. وبموجب هذا الاتفاق ايضا رسمت الحدود بين الدولتين في ارض الجزيرة، بحيث اصبح الخابور الحد الفاصل بين الممتلكات الفارسية والرومانية[٣]. ونشير بهذا الصدد الى ما اورده ابو يوسف في

---

(١) سيتون لوئيد، الرافدان، ص١٦٧.

(٢) **Oates, David,** Singara and its..., part VII–XII, P: 98–106 – Sarré– Herzfeld **Archaeologische..,** 1: 203

• جوفيان، (٣٣١ – ٣٦٤ م) هو فلافيوس يوبيانوس جوفيان، كان ضابطاً في الحرس الامبراطوري برتبة نقيب. وعند وفاة سلفة جوليان اختاره الجيش امبراطورا لروما. «بكنغهام، رحلتي الى العراق، ١: ٣٢».

(٣) طه باقر وفؤاد سفر، المرشد الى مواطن الآثار، الرحلة الثالثة ص٦٣– يذكر سيتون لوئيد بان

كتاب الخراج حيث قال: «ان الجزيرة كانت قبل الاسلام طائفة منها للروم، وطائفة لفارس، ولكل فيها في يده منها جند وعمال. فكانت رأس العين فما دونها الى الفرات للروم، ونصيبين وما وراءها الى دجلة لفارس. وكان سهل ماردين ودارا وسنجار والى البرية لفارس، وجبل ماردين ودارا وطور عبدين للروم»[١]. وعليه نستطيع ان نقول جوازا ان ديار ربيعة التي امتدت من شمال تكريت والموصل والى نصيبين وبلد وسنجار، دخلت ضمن ممتلكات فارس. اما ديار بكر وديار مضر وجزء من ديار ربيعة بما فيها رأس العين فقد بقيت ضمن ممتلكات الروم[٢]. والجدير بالذكر ان هذه الديار كلها - كما اسلفنا من قبل - قد استوطنتها القبائل العربية قبل الاسلام وسميت باسمائها. والذي نعتقده، ان الفرس كانوا قد عينوا على سنجار - اسوة بغيرها من المدن التي تبعت لهم - حاكما خضع لسلطة المرزبان* الذي كان مقره في نصيبين عاصمة منطقة باعر بايا[٣].

ان الاتفاق الذي وقع بين الدولتين، والذي بموجبه اقتسمتا ارض

الفرات غدا بعد المعاهدة الحد الشرقي للامبراطورية الرومانية (الرافدان، ص١٧٣) وذكر ان من بين المدن التي سلمها جوفيان الى شابور الثاني، كانت نصيبين وكاترا موروزم،
Oates,David, Singara and its..., part VII–XII, P: 106.

(١) ابو يوسف، كتاب الخراج، ص٣٩.

(٢) الواقدي، فتوح الشام، ٢: ٦٠.

(٣) باعر بايا او بيت عرباي، لفظة اطلقها السريان على المنطقة الممتدة بين بيت بازبدي (قرب جزيرة ابن عمر) والى بلد ونصيبين ومعناها موطن العرب او بلد العرب اي ان سكانها كانوا عربا والمسماة بديار ربيعة. ولهذا اطلقت على هذه الديار تسمية باعر بايا، «ادي شير، تاريخ كلدو واثور، توطئة الجزء الثاني» - توما المرجي، كتاب الرؤساء، هامش ص٦١ - بابو اسحق، مدارس العراق قبل الاسلام، هامش ص٢٦ - قلت اعلاه اعتقد ان حاكم سنجار الذي نصبه الفرس كان يتبع مرزبان باعر بايا، لأن سنجار كانت في ديار ربيعة المسماة باعر بايا، ولأنها ايضاً كانت تتبع من الناحية الدينية لابرشية باعر بايا، مثل بلد، زبداي، باقردي، وكفرزمار «ادي شير. تاريخ كلدو واثور، توطئة الجزء الثاني».

* والمرزبان هو الرئيس من الفرس، بضم الزاي، والجمع المرازبة، والمرازب اعجمي معرب، تكلمت به العرب، وتفسيره بالعربية، حافظ الحد، «الجواليقي المعرب، ص٣١٧».

الجزيرة، لم يكن في الواقع اتفاقا سرمديا مقدسا، فلقد خرق هذا الاتفاق مرات ومرات ومن كلا الدولتين على السواء. فكثيرا ما كان يحلو لقادة الفرس او الرومان من ان يعبث كل منهما بممتلكات الاخر ويستولي على اجزاء منها. وسنجار كانت من ضمن المناطق التي اصابها الاخذ والرد نتيجة لذلك.

والذي يهمنا من هذا كله هو معرفة الدولة صاحبة السيادة على سنجار عشية تحرك الجيوش الاسلامية لفتح العراق واقليم الجزيرة. ويستنتج مما اوردته المصادر من انها كانت ضمن السيادة الفارسية وهذا ما سنثبته في الاسطر القليلة التالية وذلك في حديثنا عن فتح المسلمين لمدينة سنجار.

ثانياً - الفتح الاسلامي لمدينة سنجار:

مما يلفت النظر ويثير الدهشة هو ان المؤرخين الذين تحدثوا عن الفتوح الاسلامية في شمال العراق والجزيرة لم يُلحظ في كتابات غالبيتهم اسم سنجار، الى جانب غيرها من مدن وبلدان الرافدين التي اسهبوا في التحدث عن تاريخ وكيفية فتحها، فذكروها بلداً بلداً وحصناً حصناً، مع ان سنجار كانت حتى عشية الفتح الاسلامي من اهم مدن الجزيرة واغناها، وان الاستيلاء عليها كان ضرورة حربية ملحة لتأمين فتوح المسلمين بالشام.

وهذه بعض الشواهد على ذلك:

- فالواقدي، الذي يعتبر اكثر المؤرخين توضيحاً لسير الفتوحات، بعد ان اورد تكليف عياض بن غنم الاشعري بالمسير الى ارض ربيعة فارس وديار بكر، وبعد ان ذكر استعداد ملك الروم شهرياض بن فرون برأس العين ومناشدته عرب الجزيرة للوقوف الى جانبه ضد المسلمين، وبعد ان اورد تنكر هؤلاء له وانحيازهم الى المسلمين، يورد اسماء المدن والضياع التي تم فتحها وهي كل ارض الجزيرة على ما يبدو باستثناء اسم سنجار. ومن هذه المدن على سبيل المثال لا الحصر نذكر: ماكسين عربان، الشماسية، بلد، الموصل، نصيبين، وجميع مدن الخابور[١]. لكن ورود هذه المدن يدفعنا الى القول ان سنجار وان لم تذكر بالاسم فقد تم فتحها اثناء فتح هذه البلاد، لأنها كانت كما نعلم ضمن ارض ربيعة فارس حسب ما افادنا به كتاب الخراج لأبي يوسف.

---

(١) الواقدي، فتوح الشام ٢: ٥٩ - ٧٢.

- والطبري واليعقوبي ومن ثم خليفة بن خياط، وابن الاثير، اتفقوا جميعاً على ان فتح سائر مدن الجزيرة تم على يد عياض بن غنم وقواده، وذكر بعض هؤلاء بل جلهم هذه المدن باسمائها الا مدينة سنجار، اما الذين ذكروا سنجار بالاسم في فتوح الجزيرة فهاك بعض ما اوردوه بهذا الخصوص.

فالبلاذري حدثنا بما يلي قال: «... حدّث محمد بن المفضل الموصلي عن مشايخ من اهل سنجار قالوا: كانت سنجار في ايدي الروم ثم ان كسرى المعروف بابرويز اراد قتل مائة رجل من الفرس كانوا حملوا اليه بسبب خلاف ومعصية فكلّم فيهم فامر ان يوجهوا الى سنجار، وهو يومئذ يعاني فتحها، فمات منهم رجلان، ووصل اليها ثمانية وتسعون رجلا، فصاروا مع المقاتلة الذين كانوا بازائها ففتحوها دونهم واقاموا بها وتناسلوا»[1]. ويظهر ان المدينة رجعت الى النفوذ الروماني بعد ذلك بدليل انه في نهاية سنة ٦٢٨م، وعندما تقدم القيصر الروماني البيزنطي هرقل الى المدائن وانسحب منها احتفظ بالقسم الشمالي من العراق الحالي، ابتداء من خط جنوب تكريت، وترك حامية رومانية بقيادة حكام كان آخرهم يعرف عند الفتح الاسلامي باسم انطاق.

ويؤكد ما ذهبنا اليه، من ان سنجار كانت ضمن النفوذ الروماني في هذه الفترة، هو ان الروم كانوا في سنة ٦٢٩م قد شملوها بالابرشيات المسيحية التي وضعوها تحت وصاية مطرانية تكريت. الا ان العودة الرومانية الى سنجار وغيرها كانت هذه المرة قصيرة الامد، لأن الروم - كما نقلت الاخبار - انسحبوا منها ومن دارا وماردين، واحتفظوا فقط بوادي دجلة. والدليل على ذلك هو ان المسلمين كانوا قد اخذوها من يد الفرس عند فتحهم لبلاد الجزيرة الفراتية، كما

(١) البلاذري فتوح البلدان، ص٢٤٤.

ذكرت ذلك المصادر الاسلامية القديمة، واكدتها المراجع الحديثة. وهذا ما ذهب اليه البلاذري واكد ان عياض بن غنم هو الذي افتتحها. « فلما انصرف عياض من خلاط، وصار الى الجزيرة بعث الى سنجار ففتحها صلحاً واسكنها قوماً من العرب »[1].

- وابو يوسف افاد بمثل ذلك عندما اورد النص التالي: « ... وافتتح عياض ما كان بيد الروم اما صلحاً او عنوة. واما ما كان في ايدي فارس من الجزيرة، فانها لما هزمت يوم القادسية وبلغ ذلك من كان هناك من جنودهم (فارس)، تحملوا بجماعتهم وعطلوا ما كانوا فيه الا اهل سنجار فإنهم وضعوا بها مسلحة يذبون عن سهلها وسهل ماردين ودارا فاقاموا في مدينتهم، فلما هلكت فارس واتاهم من يدعوهم الى الاسلام اجابوا واقاموا في مدينتهم...[2].

- وابن الفقيه الهمداني اوضح ذلك حين قال: قال الزهري: لم يبق بالجزيرة موضع قدم الا فتح على عهد عمر بن الخطاب، على يد عياض بن غنم، فتح حران والرقة وقرقيسيا ونصيبين وسنجار وآمد وكفرتوثا، وطور عبدين وماردين ودارا وقردي وبازبدي وارزن[3].

فالبلاذري وابو يوسف وابن الفقيه ذكروا ان سنجار فتحت على يد عياض وفي عهد الخليفة عمر بن الخطاب. بيد أن ما اورده ابن خلدون يشير الى ان فتحها كان في عهد الخليفة عثمان وهاك ما ذكره في ذلك: « ... وبعد ان اكمل عبد الله بن عامر فتح فارس وخراسان وكرمان وسجستان احرم بعمرة من نيسابور وقدم على عثمان، واستخلف على خراسان قيس بن الهيثم، فسار قيس بارض طخارستان ودوخها، وامتنع

---

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٤٤.
(٢) ابو يوسف، كتاب الخراج، ص٤٠ - ٤١.
(٣) ابن الفقيه الهمداني، مختصر كتاب البلدان، ص١٣٢.

عليه اهل سنجار وافتتحها عنوة »[1].

ان ما ذهب اليه ابن خلدون هذا يبدو بعيداً عن الواقع، لأن المصادر الاسلامية القديمة اتفقت جميعها على ان فتح المسلمين للجزيرة كان قد تم في حدود سنة ٢٠ هـ/٦٤٠م لا اكثر، وان خلافة عثمان كانت في غضون سنة ٢٤ هـ/٦٤٤م، فهل يا ترى بقيت سنجار دون غيرها في ارض الجزيرة دون فتح ولمدة اربع سنوات، والى خلافة عثمان؟.

واستناداً الى ما تقدم فإن سنجار فتحت كغيرها من مدن الرافدين في عهد الخليفة عمر وعلى يد عياض بن غنم قائد الجيوش الاسلامية التي زحفت الى ارض الجزيرة. هذا وتفيد المراجع الحديثة ان عياضاً بعث من قبله ابا موسى الاشعري الى سنجار والى غيرها كنصيبين وقرقيسيا وميافارقين ودارا وآمد. فافتتحها جميعها[2].

ودخلت سنجار النصرانية في حوزة الاسلام، وبقي اهلها على نصرانيتهم بعد ان فرضت عليهم الجزية اسوة بغيرهم من سكان المدن الاخرى.

---

(١) ابن خلدون، تاريخه، مجلد ٢ ق ٥، ص١٠١٦.

(٢) عبد العزيز سالم، تاريخ الدولة العربية، ص٥١٤.

ثالثاً - سنجار في العهدين الراشدي والاموي:

ان المصادر التاريخية التي تحدثت عن احداث الجزيرة الفراتية، كالموصل ونصيبين وبلد ورأس عين وسائر ديار ربيعة خلال العهدين الراشدي والاموي، لم تعط لسنجار شيئاً من الاهمية والمكانة التي كانت عليها قبل الاسلام، او تلك التي اصبحت لها في العصور العباسية اللاحقة. ان كل ما اوضحته هذه المصادر أفاد ان مدينة سنجار كانت مع بداية الاسلام قد تبعت امراء الجزيرة المسلمين المعينين من قبل الخلافة. وان هؤلاء ارسلوا من ينوب عنهم الى سنجار وغيرها من النواحي الاخرى لادارة شؤونها. ويذكر ان اول من تولى امر الجزيرة بعد عياض بن غنم كان سعيد بن عامر بن حذيم، ثم وليها معاوية بن ابي سفيان اضافة الى الشام من قبل الخليفة عثمان[١]. وتوضح المصادر ان الوالي معاوية ارسل عامله الضحاك بن قيس الفهري الى سنجار لينوب عنه[٢]. وبعد مقتل عثمان وخلافة الامام علي بن ابي طالب، ولي امر سنجار وغيرها من النواحي الاشتر بن مالك النخعي، فوقع هذا الاخير في قتال مع الضحاك صاحب معاوية الذي رفض تسليمها اليه وذلك بسبب الصراع الذي كان قائماً بين الخليفة علي والوالي معاوية[٣]. الا ان هذا الاقتتال انتهى لصالح الاشتر فتسلم البلاد وسير امورها. وبعد

---

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٤٥.

(٢) الدينوري، الاخبار الطوال، ص١٥٤ - ويضيف الدينوري فيقول ان معاوية كلف عامله الضحاك بادارة شؤون الموصل ونصيبين ودارا وآمد وميافارقين وهيت وعانات الى جانب سنجار «نفس المصدر».

(٣) الدينوري، الاخبار الطوال، ص١٥٤ - ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج٣، ق١، ص١١.

مقتل الخليفة الامام علي، وعلى اثر الانتصار الذي حققه ابراهيم بن الاشتر على الامويين في موقعه الخازر، ملك ابن الاشتر الجزيرة وانفذ نوابه وعماله الى سائر مدنها، فاستعمل السفاح بن كردوس على سنجار، واسماعيل بن زفر على قرقيسيا، وحاتم بن النعمان الباهلي على حران والرها وسميساط، وعمير بن الحباب السلمي على كفرتوثا، وسار هو الى نصيبين واقام بها[١]. وفي قول آخر. ان ابراهيم بن الاشتر بعث اخاه عبد الرحمن بن عبد الله على نصيبين وان هذا الاخير غلب على سنجار ودارا وما والاها من ارض الجزيرة[٢]. وتتابع المصادر التي توفرت لدينا ذكر اسماء الامراء الذين استعملوا على الجزيرة، في ظل الدولة الاموية وحتى سقوطها، بينما توقفت عن ذكر اسماء نوابهم على سنجار لسبب او لآخر. ومع ذلك فقد افادتنا هذه المصادر معلومات اطلعتنا على الاحداث التي المت بهذه المدينة خلال تلك الفترة. فلقد اتضح لنا ان معظم ما اصاب سنجار من آلام ونكبات وويلات كان مصدره الخوارج اولا، وحروب القبائل العربية القاطنة في ارض الجزيرة، فيما بينها ثانيا.

١ - اثر الخوارج في سنجار: لقد ادى وجود الخوارج، قوة سياسية وعسكرية ذات فعالية في اقليم الجزيرة، الى حروب كثيرة بينهم وبين السلطة المركزية الاموية، ثم العباسية والامارات والدول التي قامت في المنطقة انذاك. ويستدل على كثرة الخوارج وسيطرتهم في الجزيرة

---

(١) الدينوري، الاخبار الطوال، ص٢٩٦ - ٢٩٧.

• جرت معركة الخازر بعد مقتل الامام علي، بين اتباعه بقيادة ابراهيم بن الاشتر من قبل المختار الثقفي الذي كان قد حمل لواء معارضة الامويين والثأر منهم لقتلهم الحسين بن علي في كربلاء، وبين الامويين بقيادة عبيد الله بن زياد الذي كانت له اليد الطولى في مأساة كربلاء. وتذكر المصادر ان ابراهيم قد انتقم من ابن زياد فمثل به بعد قتله.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٦: ٩٢ - ابن خلدون، تاريخه، مجلد٣ ق٢، ص٦٧. ويحدد ابن تغري بردى السنة التي بعث فيها ابن الاشتر نوابه الى تلك النواحي وقال بأنها سنة ٦٧ هـ، لكنه لم يشر الى ذكر اسماء هؤلاء النواب «النجوم الزاهرة، ١: ١٧٩».

واطرافها من النصوص التالية:

- ذكر ابن عبد ربه في حديثه عن مذاهب اهل الامصار قال: قال الاصمعي: «البصرة كلها عثمانية، والكوفة كلها علوية، والشام كلها اموية، والجزيرة كلها خارجية، والحجاز كلها سنية»[1]. وقال ايضاً: «والجزيرة خارجية لأنها مسكن ربيعة وهي رأس كل فتنة واكثرها نصارى وخوارج»[2].

- وابن الفقيه الهمداني يشير الى وجود الخوارج (الشراة) في منطقة الجزيرة وديار ربيعة فيقول: «جبل سنجار، جبل شراة بني تغلب، والشراة منهم بنو زهير وبنو عمرو»[3].

- والمسعودي افاد: «.. والصفرية وغيرهم من فرق الخوارج وبلدانهم من الارض مثل سنجار وتل اعفر من بلاد ربيعة والسن والبوازيج والحديقة (الحديثة) مما يلي بلاد الموصل»[4].

- وابن نشوان الحميري في معرض كلامه عن الكور التي غلبت عليها الخوارج عدد «الجزيرة، الموصل، عمان، سجستان»[5]. اذن الخوارج في الجزيرة، وفي سنجار، اما من حيث ما قام به هؤلاء من ثورات هنا وهناك اقلقت بال الامويين من جهة وآذت العديد من مدن الجزيرة من جهة ثانية فنذكر تلك التي وافتنا بها المصادر واعني بذلك الثورة التي قام بها الخارجي مسرح بن صالح بالتعاون مع خارجي آخر كان يدعى شبيبا بن يزيد على محمد بن مروان الاموي عامل الجزيرة لجهة اخيه الخليفة عبد الملك. ومسرح هذا هو احد بني امرىء

(١) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٦: ٢٤٨.
(٢) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٦: ٢٥٢.
(٣) ابن الفقيه الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص١٣٣.
(٤) المسعودي، مروج الذهب، ٣: ١٠٠، طبعة بيروت: دار الاندلس ١٩٦٦.
(٥) الحميري، الحور العين، ص٢٠٢.

القيس بن زيد مناة من تميم امير فرقة الصفرية في ارض الجزيرة، وصف انه كان رجلا ناسكاً صاحب عبادة، له اصحاب في بعض نواحي الجزيرة فعمل على ارشادهم وبث روح الانتقام فيهم ضد الامويين وطرد عمالهم من الجزيرة، لأنهم كانوا في نظره ونظر غيره من الخوارج مغتصبين للحقوق، وخارجين عن طاعة الله ومنتهكين لحرمته، وعاصين في الارض وسافكين دماء الابرياء. قيل استجاب له جمع غفير وساروا معه واستولوا على ما كان للامير الاموي من دواب ومتاع وتقووا بها ثم انتشروا في بعض المدن والقرى يدمرون وينهبون ويسلبون ويتلفون المزروعات، ويجبون الاموال بالقوة، اقاموا بارض دارا مدة ومنها اخذوا يغيرون على نصيبين وسنجار وسواهما ملحقين الاذى بأهلها والخراب بعمرانها، الامر الذي اضطر معه الناس الى ترك منازلهم وهجرة قراهم ومدنهم. كما اضطر الباقون الذين لم يتيسر لهم الخروج الى اقامة التحصينات والمتاريس لصد هجماتهم ومنع اعتداءاتهم او الحد منها.

ويشير الطبري الى هذه الحادثة ومما قاله: « ... وتحصن منهم أهل دارا وأهل سنجار[1] ». وأتى بمثل هذه الاخبار كل من ابن الاثير وابن كثير: « .... وتحصن منهم أهل دارا وأهل نصيبين وأهل سنجار[2] ». وتنهي المصادر هذه الثورة بقتل مسرح وأتباعه على يد عساكر الحجاج بن يوسف، بعدما طاردتهم عدة سرايا من قوات الأمير محمد بن مروان الى ما بعد الموصل.

٢ - أثر حروب القبائل العربية* فيما بينها في سنجار: كانت أرض

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٦: ٢١٦ - ٢٢٠.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ٤: ٣٩١.

- ابن كثير، البداية والنهاية، ٩: ١٢، سنة ٧٦ هـ.

* - انظر، تاريخ ابن خلدون، مجلد ٢ ق ٣، ص ٦٢١ - ٦٢٣ للاطلاع على اسماء القبائل العربية وبطونها وافخاذها وفروعها.

الجزيرة الفراتية دار هجرة كثير من القبائل العربية من عدنانية وقحطانية، الوافدة من تخوم الحجاز واليمن طلباً للعيش والاستقرار قبل الاسلام وبعده. وغلب على تلك الأرض قبائل ثلاث اختصت كل منها بجزء واسع من الأرض عرف باسمها وهي: ربيعة ومضر وبكر. وعاشت هذه القبائل منذ آن وطئت أرض الرافدين في نزاع وتناحر مستمرين وذلك من أجل الاستئثار بالأرض الخصبة والمياه الوفيرة. وزاد من حدة هذا الصراع النزوح المستمر للقبائل الاخرى الى تلك الجهات، فنتج عن ذلك حروب ومآسٍ ذكرتها المصادر المتنوعة. والذي نحن بصدده الآن الحروب التي قامت بين قبيلتي تغلب وقيس في العصر الأموي، وفي خلافة عبد الملك بن مروان، ومدى تأثيرها على مدينة سنجار. فمن المعروف ان منازل تغلب كانت فيا بين الخابور والفرات ودجلة[1]، وبالتحديد في المنطقة الواقعة بين قرقيسيا، وسنجار والموصل شمالا وعانة وتكريت جنوبا[2]. وهذا ما أشار إليه ابن خلدون حين قال: «... وكانت بلادهم (تغلب) في الجزيرة بجهات سنجار ونصيبين وتعرف بديار ربيعة وكانت لهم شهرة وكثرة[3]. وكانت النصرانية هي الغالبة على تغلب لمجاورتها الروم[4]. وهؤلاء كانوا موالين لآل مروان وحلفاء لهم.

ومنطقة بني تغلب هذه، والتي وصفها الجغرافيون بأنها منطقة عظيمة وغنية، وانها أشبه بجزيرة ترويها الأنهار الثلاثة السالفة الذكر، كان لا بد ان تثير مطامع جيرانها من القبائل الاخرى ومنها قبيلة

---

(١) البلاذري، انساب الاشراف، ٥: ٣١٤.

(٢) السامر، الدولة الحمدانية، ١: ٤٨ - مع العلم اننا نجد منازل التغلبيين تمتد شمالا الى ابعد من هذا أي الى منطقة المدينة التي سميت فيا بعد بجزيرة ابن عمر.

(٣) ابن خلدون، تاريخه، مجلد ٢، ق٣، ص ٦٢١.

(٤) ابن خلدون، تاريخه، مجلد٢/ ق٣، ص ٦٢١، القلقشندي، قلائد الجمان، ص ١٣٢. نهاية الارب، ص ١٧٦.

قيس، فهذا سبب من أسباب الصراع. وهناك اسباب أخرى تمثلت في العصبية القبلية التي كانت موجودة ومتأججة في ذلك الحين من جهة، والتعدي والسيطرة على الآخرين من جهة ثانية. فهذه الاسباب جميعها كانت متوفرة لدى القبيلتين على أرض الجزيرة، لذلك كانت الظروف مهيأة للاقتتال في كل لحظة. فقيس ومن معها من بني سليم وكليب كانت دائماً تتحرش بتغلب وحلفائها لتدفعها الى القتال دفعاً. وفي هذا يشير البلاذري وابن الاثير: «... وكانت قيس ومن معها يستأوون أو (يسيئون) جوار تغلب ويسخرون مشايخهم من النصارى، فهاج ذلك بينهم شراً لم يبلغ الحرب[1] ». كذلك فإن العداء السافر الذي كانت تكنه قيس لآل مروان كان يثير غضب تغلب - أصدقاء وحلفاء آل مروان - ولقد أشار الطبري الى هذا بقوله: «... وكانت قيس كلها بالجزيرة فهم أهل خلاف لآل مروان[2] ».

إذن دخلت تغلب وقيس وحلفاؤهما في حرب ضروس عرفت بالأيام، وهذه الايام وردت اخبارها في العديد من المصادر القديمة والمراجع الحديثة. ومن هذه الايام نذكر على سبيل المثال: يوم ماكسين، يوم الثرثار الأول، يوم الثرثار الثاني، يوم الفدين، يوم بلد، يوم الكحيل، يوم البشر[3]. وكان لسنجار نصيب من هذه الايام سواء تلك التي جرت قبل الاسلام أو بعده، فقبل الاسلام ذكر لها يوم كان قد أشار إليه القلقشندي: «.... يوم سنجار كان لتغلب على قيس[4] ».

وبعد الاسلام شهدت سنجار اياماً اخر وان لم تنسب إليها ومنها يوم الثرثار الأول الذي جرى في عهد خلافة عبد الملك، وكان بجوار

---

(١) البلاذري، انساب الاشراف، ٥: ٣١٤ - ابن الأثير، الكامل، ٤: ٣٠٩.
(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٦: ٨٦.
(٣) البلاذري، انساب الاشراف، ٥: ٣١٦ - ٣٢١. - ابن الأثير، الكامل ٤: ٣١٢ - ٣١٣.
(٤) القلقشندي، نهاية الارب، ص ٤١٨.

سنجار، فتأذت منه وأصابها الخراب والدمار. وخلاصة ما جاء فيه: انه بعد ان انزلت قيس الهزيمة بتغلب يوم ماكسين•، استعدت تغلب لأخذ الثأر كالعادة، ونادت حلفاءها، وتهيأت قيس واستنجدت سليم وغيرها ودارت معركة على الثرثار، قتلت تغلب مقتلة عظيمة من قيس وبقرت بطون ثلاثين امرأة من سليم، من سكان سنجار والحلبيات•، وسقط العديد من القتلى والجرحى، ولم ينج الا القليل كما اخليت الديار من أهلها. ولقد أشار الى هذه الحرب الشاعر الاموي الاخطل في قصيدة مطلعها «خف القطين» يمتدح فيها الخليفة عبد الملك ويظهر شماتته بقيس، فيهجوها، ويهجو بني كليب حلفاءها، ويذكر كيف أجبروا في النهاية على مبايعة الخليفة، كما يصف الحالة التي أفضت إليها البلاد من بعد الحرب فيقول:

خفّ القطين فراحوا منك اوبكروا ... وازعجتهم نوى في صرفها غير
وقيس عيلان حتى أقبلوا رقصا ... فبايعوك جهارا بعد ما كفروا
فلا هدى الله قيسا من ضلالتهم ... ولا لعا لبني ذكوان اذ عثروا
ضجوا من الحرب اذ عضت غواربهم ... وقيس عيلان من أخلاقها الضجر
ولم يزل بسليم امر جاهلها ... حتى تعايا بها الايراد والصدر
إذ ينظرون وهم يجنون حنظلهم ... الى الزوابي، فقلنا بعد ما نظروا
كروا إلى حرّتيهم يعمرونها ... كما تكرُّ الى أوطانها البقر
وأصبحت منهم سنجار خالية ... فالحلبيات فالخابور فالسرر(١).

---

(١) الاخطل، ديوان الأخطل، ص ١٠٧ - ١٠٨ - البكري الاندلسي، معجم ما استعجم، ٢: ٤٨١.

• ماكسين: بلد قريب من سنجار.

• الحلبيات: بليدة بين الموصل وسنجار.

رابعا - سنجار في العهد العباسي حتى سنة ٢٩٣ هـ/ ٩٠٦ م:

وتولى العباسيون مقاليد الخلافة اثر الهزيمة التي الحقوها بالأمويين في موقعة الزاب سنة ١٣٢ هـ/ ٧٥٠ م. وخلال حكمهم الذي امتد الى سنة ٦٥٦ هـ/ ١٢٥٨ م، ظلت مدينة سنجار تتبع ادارياً وسياسياً حكام نصيبين حينا وحكام الجزيرة في الموصل احياناً سواء كان ذلك في عصر قوة العباسيين وعظمتهم أم في عصر ضعفهم وذهاب سلطتهم، وأعني بذلك عصر الذين تسلطوا على الخلافة من بويهيين وسلاجقة واستبدوا بأمورها وتلاعبوا بحقوق شعبها، باستثناء فترة الحكم الاتابكي للموصل ولسنجار وفيه استطاعت سنجار ان تستقل وتصبح مركز امارة ذات سيادة، عرفت باسم امارة سنجار أو أتابكية سنجار مما سنوضحه في فصول لاحقة. ولهذا فإن سنجار مرت طيلة الحقبة العباسية الطويلة بظروف مختلفة ساعد بعضها على الازدهار وعمرانها، وأسهم البعض الاخر في خرابها ودمارها. وهذا الازدهار ونقيضه لم يقتصر على عصر معين وانما كانا يتبعان عوامل مختلفة ومتنوعة، منها الوضع الداخلي والخارجي للخلافة العباسية والإمارات العربية التي قامت بين ظهرانيها في الجزيرة، ومنها ايضا طبيعة الحكام الذين اتيح لهم الوصول الى حكم المدينة وادارة شؤونها ونوعيتهم من جهة وعلاقة هؤلاء بمن جاورهم من حكام المدن الآخرين من جهة ثانية، وربما جمع العصر الواحد النقيضين معا.

والذي يهمنا من هذا كله هو معرفة أحوال هذه المدينة خلال الفترة الممتدة من سنة ١٣٢ هـ/ ٧٥٠ م الى سنة ٢٩٣ هـ/ ٩٠٦ م أي الى أيام

وصول الحمدانيين الى سدة الحكم في ديار الجزيرة وبسط سيادتهم على أكثر بلدانها ومنها سنجار.

ويستخلص مما أوردته الاخبار أن وضع سنجار خلال هذه الفترة لم يتبدل الى الأحسن عما كان عليه زمن الأمويين، بل وانه أخذ يسير من سيء الى أسوأ وذلك منذ مطلع القرن الثالث الهجري حيث امسى الحكم فيه بيد العناصر غير العربية في الدولة العباسية. وأصبح هؤلاء يعبثون بأملاك الدولة واقتسام اجزائها. فلقد ذكر أن رجال السلطة في الدولة كانوا يقتطعون الاراضي والضياع والمدن ببدل معين من الخلفاء ويتاجرون بها. وبالطبع كان هم المشتري (الحاكم الجديد) هو جمع الخراج أو الجزية وسائر الضرائب - التي كان يقدر نسبتها بنفسه - بشتى الطرق والوسائل، لأن همه كان ليس الحصول على ما دفعه من مال فقط وانما الحصول على قدر كبير من الأرباح قد يعادل اضعاف ما دفعه، من غير الالتفات الى أحوال الرعية ومتطلبات البلاد.

لقد كانت وظيفة الوالي أو العامل في العهد الراشدي، هي مراقبة الاحكام واقامة الصلاة، وتقاضي أموال الجباية. وفي العهد الاموي، وعندما احتاج الامويون الى الاحزاب دفعا لمطامع منازعيهم، زادوا في صلاحية العمال ونفوذهم، وجعلوا قسماً من الاعمال طعما لهم. ونهج العباسيون هذا المنهج وزادوا على ذلك تضمين الخراج لهم. كذا فعل هارون الرشيد مع ابراهيم بن الاغلب اذ ضمنه افريقيا، والمأمون مع عبد الله بن طاهر اذ ضمنه خراسان. وجرى على هذه القاعدة الخلفاء من بعدهم[١].

وإلى جانب عبث الولاة ونوابهم واتباعهم بأحوال البلاد والرعايا ومنها بلاد سنجار ورعاياها، كانت هناك أمور تسببت في خلق سوء

(١) الصايغ، تاريخ الموصل، ١: ١٠٣.

الحالة في سنجار وفي غيرها. ولقد زودتنا المصادر بعدد من هذه الامور نذكر منها:

١ - تصرفات الخوارج، فهؤلاء كانوا قد دوخوا الخلافة العباسية، والاموية من قبل بحروبهم وثوراتهم حيث كانت ارض الجزيرة ومنها سنجار مسرحا لعملياتهم.

٢ - هجمات القرامطة على ممتلكات الدولة العباسية وحروبهم مع السلطة المركزية.

٣ - تناحر عمال الجزيرة وحروبهم فيما بينهم واشراك السلطة العباسية في هذه الحروب.

٤ - حُروب القبائل العربية فيما بينها داخل حدود الجزيرة.

٥ - غارات بني شيبان وامتدادها الى أطراف سنجار.

والذي يجدر ملاحظته هنا هو ان خطر الروم البيزنطيين على حدود الدولة الاسلامية، وخاصة على شمال العراق حيث سنجار، كان قد ضعف وتلاشى في العهد العباسي وعلى الاخص في عهد الخلفاء الاوائل الذين استطاعوا بحنكتهم السياسية» وقوتهم العسكرية وضع حد له وإبعاده عن حدود دولتهم.

وقبل ان نعرض صور هذه الاحداث، نقول انه ولسوء الحظ لم يتيسر لنا من أسماء الأشخاص الذين اتيح لهم فرصة الحكم في سنجار خلال هذه المدة الا اسما واحدا فقط هو عبد الله ابن أبي هريرة الذي كان قد أقره والده - أبو هريرة محمد بن فروخ مولى تميم - نائبا عليها. وكان أبو هريرة أميراً على الجزيرة من قبل الخليفة هارون الرشيد في سنة ١٧١ هـ/ ٧٨٧ م[١].

---

(١) الازدي، تاريخ الموصل، ص ٢٦٧، سنة ١٧١هـ.

١ - أهم ثورات الخوارج التي أثرت في سنجار:

تضاعف عدد الثورات التي قام بها الخوارج - ضد بني العباس من جهة ، وضد بني قومهم من جهة ثانية - عما كانت عليه أيام الأمويين وجميعها أثرت على سنجار وضواحيها سواء بصورة مباشرة كالتي دارت على أرضها بالفعل أو بصورة غير مباشرة كتلك التي شملت ارض المدن المجاورة لها والقريبة منها، كالموصل ونصيبين ودارا والخابور وغيرها. ومن بين الثورات التي آذت سنجار بصورة غير مباشرة نذكر على سبيل المثال:

- ثورة ملبد بن حرملة، أحد بني أبي ربيعة بالموصل في سنة ١٣٨ هـ/ ٧٥٥ م، على عهد الخليفة ابي جعفر المنصور، ويذكر ان الخليفة وجه إليه أحد رجاله فقتله[١].

- ثورة الوليد بن طريف، أحد بني حي، ببلاد الجزيرة، رأس العين، باعربايا، نصيبين، دارا، بلد، وغيرها، وذلك في سنة ١٧٨ هـ /٧٩٤ م. وكذلك فإن الرشيد أرسل إليه يزيد بن مزيد الشيباني فقتله بعد معارك طاحنة[٢].

- ثورة الفضيل ابن أبي سعيد، من راذان. امتدت ثورته فشملت نصيبين، وبلد، ودارا وآمد وخلاط والموصل وغيرها وذلك في سنة ١٨٠ هـ/ ٧٩٦ م. قيل ان الرشيد وجه إليه معمر بن عيسى العبدي فقتله وأتباعه بعد معارك[٣].

أما الثورات التي دارت على أرض سنجار مباشرة فنذكر منها:

- ثورة الصحصح الحروري: كان ذلك في سنة ١٧١ هـ وفي أيام

---

(١) خليفة بن خياط، تاريخه، ٢: ٦٣٩، سنة ١٣٨ هـ.
(٢) خليفة بن خياط، تاريخه، ٢: ٧٢١ - ٧٢٢ - ابن الاثير، الكامل، ٦: ١٤١، سنة ١٧٨ هـ.
(٣) خليفة بن خياط، تاريخه، ٢: ٧٢٤، سنة ١٨٠ هـ.

هارون الرشيد، وكان أمير الجزيرة يومئذ أبو هريرة محمد بن فروخ مولى تميم، ووالي سنجار ابنه عبدالله مضافا إليه بلد ونصيبين. شملت ثورة الحروري مساحة واسعة من أرض الجزيرة، وكان قد استطاع بجموعه الكبيرة ان ينزل الهزيمة بالجيش العباسي الذي كان بقيادة علي بن حرب. فغلب على ديار ربيعة بأكملها وجبى أموالهم وظلم وعسف. وبعد ان تهيأت الفرصة للرشيد أوكل أمره الى أحد وجوه الشيعة المدعو نصر بن عبد الله الضبي، فسار إليه وطارده، الى أن كبسه بالقرب من قرية تدعى «الخصوص» فقتله مع جملة من اتباعه. ونظرا لتخاذل ابي هريرة عن مواجهة الحروري، ونظرا للنتائج السيئة التي أحدثتها هذه الثورة على البلاد والعباد، أصدر الرشيد امره بعزل الوالي واستبدل به غيره من القادة الاقوياء(١).

- ثورة محمد بن عمرو الشيباني: حدثت في أيام خلافة الواثق بالله ابن المعتصم «٢٢٧ - ٢٣٢ هـ». وكان أمير الجزيرة يومئذ أبو سعيد محمد بن يوسف. اتخذ محمد بن عمرو من ديار ربيعة مسرحا لعملياته الحربية ضد العباسيين، وكانت عدته تراوح ما بين ثلاثمائة وأربعمائة رجل. وتشير المصادر ان أبا سعيد، لما علم بحركة الشيباني استعد له وخرج إليه فاضطره الى اللجوء الى سنجار فتحصن بها واتخذها معقلا لقواته وأجبر أهلها على القتال الى جانبه، وبعد ان اتم أبو سعيد حشد قواته قصد سنجار وحاصرها مدة تبادل خلالها الطرفين الكر والفر مما تسبب في خراب المدينة وقتل العديد من سكانها. ولما أدرك الخارجي ضعفه امام تزايد قوات الامير انهزم الى ناحية الموصل، فلحق به وأسر وجيء به الى ابي سعيد فأدخله نصيبين مشهوراً على بقرة ثم حمله الى الخليفة الواثق فحبسه(٢).

---

(١) الازدي، تاريخ الموصل، ص ٢٦٧، سنة ١٧١ هـ.

(٢) اليعقوبي، تاريخه، ٢: ٤٨٣.

- ثورة مساور بن عبد الحميد الشاري:

اعتبر المؤرخون هذه الثورة أقوى وأعنف ثورات الخوارج في الجزيرة على السلطة العباسية وذلك في مطلع النصف الثاني من القرن الثالث الهجري.

ففي سنة ٢٥٢ هـ/ ٨٦٦م خرج مساور بن عبد الحميد الشاري البجلي باصحاب من خوارج الموصل واعمالها (منهم خوارج سنجار) المعروفين بالشراة، على والي الموصل من قبل الخليفة العباسي المستعين بالله ٢٤٨ - ٢٥٢ هـ/٨٦٢ - ٨٦٦م، فحاربه وهزمه واستولى على اكثر اعماله وقام بالبوازيج اولا ثم ما لبث ان غادرها الى الحديثة حيث جعلها دار هجرته (١). ومنها بدأ مساور يوسع دائرة نفوذه فاستولى على الموصل دون قتال في حدود سنة ٢٥٥ هـ/ ٨٦٩م، بسبب معارضة اهلها انذاك للخلافة من جهة ولضعف واليها عبد الله بن سليمان من جهة اخرى، وتفيد المصادر بانه لم يمكث فيها طويلا فتركها وعاد الى الحديثة. ولقد خدمت الظروف مساورا في هذه الفترة لان الخلافة العباسية كانت تعاني من اخطار جسيمة، كان ابرزها قوة الزنج التي ظهرت في البصرة ونواحيها مما اتاح لمساور ان يمد نفوذه الى مناطق الخابور (٢). فحكمها حكما فعليا ونظر في شؤونها وقيل انه احسن السيرة في اهلها. وفي الوقت الذي تلهت فيه الخلافة عن مساور تعرض هذا الاخير لخطر كبير، كان بسبب انشقاق بعض الخوارج عليه بزعامة

(١) السامر، الدولة الحمدانية، ١: ٦٩ - حسن ابراهيم حسن، تاريخ الاسلام السياسي...، ٣: ٣٠٧.
(٢) السامر الدولة الحمدانية، ١: ٦٩ - السامرائي، البحتري في سامراء بعد عصر المتوكل، ص ٢١١.

عبيدة من بني زهير العمري، وكان عبيدة قد خالف مساورا في بعض احكام الخوارج ومنها توبة المخطىء. فبينما رأى مساور قبول هذه التوبة، رفضها عبيدة ونادى بتكفير المخطىء، فقامت الحرب بينهما في نواحي الموصل سنة ٢٥٧ هـ/ ٨٧١م واقتتلا فقتل عبيدة وانهزم جمعه[١].

وفي هذه الاثناء منع مساور الاموال (الخراج والضرائب) عن الخليفة فضاقت على الجند ارزاقهم فسير اليه اثنين من قادته، هما موسى بن بغا، وبابكيال، في عسكر عظيم فاشتبكا معه. الا ان مساورا استطاع انزال الهزيمة بهما. فاضطر الخليفة المعتمد على الله ان يوجه اليه قائده مفلحا. واتبع مساور سياسة الكر والفر مع مفلح حتى اتعبه واضطره الى التراجع الى سامراء منهزما. وعاد الخارجي واستولى على ما كان بيده من بقاع وراح يصلح ما تخرب ويرمم ما تهدم ويجبي الاموال الى ان قويت شوكته واشتد امره[٢]. وكان لبلاد سنجار نصيب وافر من هذا الكر والفر فعاد عليها وعلى شعبها بالويل والخراب. ومات مساور في حدود سنة ٢٦٣ هـ/٩٨١م. وكان موته سببا في قيام صراع بين الخوارج انفسهم وذلك من اجل الاستئثار بالسلطة. وتفيد المصادر ان هذا الصراع اسفر عن تفوق هارون بن عبد الله البجلي على منافسه محمد بن خرزاد. فهارون كان قد برهن على حذق سياسي ونزعة واقعية لاستطاعته جذب آل حمدان وبني تغلب اليه: واتباعه معهم ومع اعوانه سياسة اللين والبذخ فحسن اوضاعهم وصان كرامتهم، في الوقت الذي اظهر فيه ابن خرزاد النسك والتعبد والتشدد. فانتصر هارون عليه واستولى على ما كان لمساور من بلاد وبالطبع كان من ضمنها سنجار فجبى خراجها واصلح خرابها وحافظ على ابنائها وصد غارات

(١) ابن الاثير، الكامل، ٦: ٢٢٧ - السامرائي، البحتري في سامراء بعد عصر المتوكل، ص ٢١١.
(٢) ابن الأثير، الكامل، ٦: ٢٢٧.

الشيبانيين عنها، كما ابعد جند يوسف بن ابي الساج - حاكم قنسرين والرحبة - عنها وانزل الهزائم بهم[1] .

وما كاد هارون ينتهي من مشاكله هذه وينصرف الى معالجة امور بلاده واصلاح ما خلفته هذه المشاكل اذ به يفاجأ بخروج محمد بن عبادة - المعروف بابي جوزة - عليه، وكان محمد قد جمع اعوانه من الاعراب، وطاف في الضياع والقرى يجمع العشور على الغلات، ويقبض الزكاة الى ان قوي امره فاستولى على معلثاي ثم على سنجار بعد معارك. وفي سنجار اقام وعسكر وبنى حصنا فوق تلالها، حمل اليه الامتعة والميرة وزوده بالمقاتلة، وجعل عليه ابنه ابا هلال مع مائة وخمسين رجلا من وجوه بني زهير الشراة وغيرهم[2] . اخذت رجال ابي هلال تغير على سنجار واطرافها بين حين وآخر قصد السلب والنهب، وقصد اجبار ابناء المنطقة على الدخول في طاعتهم والعمل معهم. وتفيد المصادر ان هارون علم بما جرى في سنجار فعزم واصحابه على انهاء هذه الحالة. فسار بجموعه ووصل سنجار وحاصرها وبعد اشتباكات دامية تمكن من اقتحام الحصن وقتل من فيه. وبعدها توجه الى قبراتا حيث يمكث ابن عبادة، فوصلها واقتتل معه، فغلب ابن عبادة على امره ولاذ بالفرار فوصل آمد وهناك تمكن صاحبها من القاء القبض عليه بعد حرب وسلمه الى الخليفة المعتضد. وتنهي المصادر هذه الحادثة وتقول بان الخليفة سجنه ثم عذبه وسلخ جلده وكان ذلك في سنة ٢٨٠ هـ/٨٩٣ م[3]. ونود ان نشير هنا الى ان هذه الحروب التي دارت بين الخوارج انفسهم ادت الى اضعافهم وتفككهم وضياع سلطتهم فعلى

---

(١) حسن ابراهيم حسن، تاريخ الاسلام السياسي، ٣: ٢٠٨.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ٧: ٤٦٣.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ٧: ٤٦٣ - السامر، الدولة الحمدانية، ١: ٧٦.

- ابن خلدون، تاريخه، مجلد ٣، ق ٤، ص ٧٣١ - حسن ابراهيم حسن، تاريخ الاسلام السياسي، ٣: ٢٠٨.

الرغم مما احرزه هارون من نصر على خصمه ابن عبادة، فان ذلك الشقاق الذي آلوا اليه اتاح للعباسيين فرصة التغلب عليهم، فاستطاع عامل الخليفة على آمد ان ينتصر على ابن عبادة وان يسوقه الى دار الخلافة. كما استطاع عامل الموصل من قبل الخلافة ان ينتصر فيما بعد على هارون سنة ٢٨٢ هـ/ ٨٩٥ م، وكذلك الحسين بن حمدان في السنة التالية حيث ساقه الى حاضرة الخلافة مشهرا به[١]. وكذلك نشير الى ان ما خلفته هذه الحروب من مآسٍ ودمار في البلاد التي دارت فيها، كان اكثر بكثير مما كانت تسببه حروب الخوارج مع السلطة العباسية.

٢ - اثر القرامطة في سنجار:

والحركة القرمطية، التي هي احد اوجه الدعوة للعلويين، والتي كانت قد اتخذت من البحرين قاعدة لها، افادت من الوضع السيء الذي آلت اليه الخلافة العباسية، فاخذت تعمل على افساد المجتمع العباسي والاخلال بامنه، ونهب ثرواته. فاعترض اتباعها القوافل التجارية وقوافل الحجاج وسلبوها ونهبوها، وقامت جماعات قرمطية بغارات متواصلة على مدن العراق والجزيرة وعلى طول نهر الفرات. حتى ان اعتداءاتهم بلغت الحرمين الشريفين، مكة والمدينة.

وتفيدنا المصادر انه منذ سنة ٢١١ هـ/٨٢٦م بدأت غارات القرامطة على البصرة والموصل وسائر اعمال الجزيرة، وقصد ابو طاهر القرمطي «سليمان بن ابي سعيد الجنابي» - البصرة بنفسه وكبسها وآتى اعمال السلب والنهب فيها. وكذلك قام في سنة ٢١٦ هـ/٨٣١م بغارات على الانبار ثم الرحبة وقيل انه ملكها واستباحها، وكان للمذابح التي احدثها اثر مهم في تخويف اهالي المناطق المجاورة الامر الذي اضطرهم الى طلب الامان من كاهل قرقيسيا. وذكرانه لما وصل الى الرقة اقام بها

(١) حسن ابراهيم حسن، تاريخ الاسلام السياسي، ٣: ٢٠٨ - الصايغ، تاريخ الموصل، ١: ٩٥.

ومنها بث سراياه الى اطراف سنجار والى المدينة نفسها فدخلها وفتك بسكانها، فقتل وشرد وامعن رجاله في السلب والنهب من ديارها الى ان طلب من بقي من اهلها الامان، فأجابهم اليه وفي هذا يشيرابن خلدون فيقول: « ... وسار ابو طاهر القرمطي الى الرقة فقاتلها ثلاثا وبعث السرايا الى رأس العين وكفرتوثا وسنجار فاستأمنوا اليهم »[١]. وتعددت بعد ذلك غارات القرامطة على تلك الديار.

٣ - الصراع بين عمال الجزيرة واثره في سنجار:

قلت انه مع مطلع القرن الثالث الهجري، ومع بداية خلافة المعتصم بالله ٢١٨ - ٢٢٧/٧٣٣ - ٨٤٢م، سيطر القادة الاتراك - اخوال الخليفة - على امور الخلافة، ولم يقتصر نفوذهم على العاصمة وحسب، بل شمل الولايات الاسلامية الاخرى كافة، واخذ الخلفاء يقطعون هؤلاء القادة تلك الولايات مقابل مبلغ يؤدونه لبيت المال. وجرت العادة ان يبقى هؤلاء القادة في العاصمة بغداد او سامراء الى جانب الخليفة في اكثر الاوقات ويرسلون من ينوب عنهم في حكم الولاية، وكانت الجزيرة الفراتية قد شملها هذا الاجراء. واسندت ولايتها في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري الى محمد بن اتامش، الذي اقطعها (ضمنها) بدوره الى اثنين من عماله ووزعها بينهما لقاء ضمان سنوي معين، وهذان العاملان هما:ابن ابي الساج واسحق بن كنداج[٢]. وكما اسلفنا من قبل فقد كان هم الوالي والعامل على السواء هو جمع الاموال بشتى الطرق (جباية، مصادرة املاك.. الخ). وكان التعدي على اعمال الغير من قبل

---

(١) ابن خلدون، تاريخه، مجلد ٣، ق٤، ص ٧٩٣ - ٧٩٤.

(٢) استمر محمد بن اتامش في حكم الجزيرة الى ان استولى احمد بن طولون على الشام وسار اليه فطرده وولى اخاه موسى بن اتامش ديار ربيعة، وكانت لابن كنداج (من قبل محمد بن اتامش) فطرده منها سنة ٢٦٦ هـ/٨٧٩م، ثم عاد ابن كنداج واسترجعها مع كافة اجزاء الجزيرة مع ابن ابي الساج، حتى ان هذين العاملين طمعا بعد وفاة ابن طولون في سنة ٢٧٠ هـ/٨٨٣م في بلاد الشام فملكوها وولوا عليها الى ان طردهما منها خمارويه بن احمد بن طولون. «ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج٣، ق١، ص٢٩».

هذا العامل او ذاك هو السمة المميزة خلال تلك الفترة. فالتعدي واقتطاع اجزاء من املاك الجار كان يسبب ازمات ومشاكل توصل في كثير من الاحيان الى الاقتتال وقيام الحروب، تماما كما حصل بين ابن ابي الساج وابن كنداج. فالاول كانت اعماله بقنسرين والرحبة والفرات، والثاني كانت اعماله باقي اجزاء الجزيرة ومنها سنجار، وكان مركزه الموصل. وتفيد الاخبار ان هذين الرجلين كانا متفقين ومتفاهمين، ثم انه بسبب اطماع ابن ابي الساج فسد الحال بينهما في سنة ٢٧٣ هـ/٨٨٦ م[١]. ولما اراد الاخير ان يستولي على بعض اعمال جاره والتقدم عليه، امتنع ابن كنداج عليه وقاوم مطامعه. وامام قوة ابن كنداج اضطر ابن ابي الساج الى الاستعانة بخمارويه بن احمد بن طولون صاحب مصر من قبل الخلافة العباسية[٢]. ولقاء ذلك اظهر ابن ابي الساج الطاعة لخمارويه وخطب له في اعماله. واتى خمارويه لنجدته ودخل الجزيرة واقتتل الى جانب ابن ابي الساج مع ابن كنداج. والذي يهمنا من هذا الحديث هو وضع سنجار خلال هذا الصراع، فسنجار على نحو ما جاء في المصادر كانت في مرحلة من مراحل هذا الصراع ارضا لمعارك كبيرة، اتخذ اهلها موقفا معاديا من حلف ابن ابي الساج وخمارويه،

---

(١) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج٣، ق١، ص ٣٠ - ٣١.

(٢) ادى ضعف الخلافة العباسية في هذه الفترة الى قيام حركات انفصالية ونزعات استقلالية في اطراف الدولة، كانت اكثر وضوحاً في المشرق الاسلامي الذي كان بالنسبة الى الخلافة هو المعين الخصب الذي استمدت منه قوتها منذ بداية نشر دعوتها. ولهذا حدث نوع من الارتباط بين الدول التي استقلت عن الخلافة في المشرق وبين الخلافة نفسها، يقوم على الولاء لها حتى في اشد فترات ضعفها. ونلمس ذلك بوضوح في حرص هذه الدول بما فيها تلك التي قامت في مصر والشام على اعلان تبعيتها وولائها عن طريق الدعاء للخليفة العباسي ونقش اسمه على السكة وارسال الجزية الى داره. وهذا يعني من طرف انها استقلت استقلالا ذاتياً وداخلياً فقط على عكس دول المغرب الاسلامي التي استقلت استقلالاً تاماً سياسياً وروحياً منذ العصر العباسي الأول، ومنها الدولة السنية في الاندلس، ودولة الادارسة العلوية في المغرب الاقصى. ومن بين دول المشرق الموالية للخلافة العباسية نذكر الدولة الطولونية ومؤسسها احمد بن طولون ٢٥٤ - ٢٩٢ هـ/٨٦٨ - ٩٠٥ م. الذي كان قد ارسل نائباً من قبل بعض القادة الاتراك الى مصر ثم استبد بحكمها. وقد استطاعت هذه الدولة في عهد ابنه خمارويه ان تمد نفوذها ليشمل ارض الجزيرة الفراتية.

واعلنوا الثورة عليه، فسار اليهم ابن ابي الساج وحاصر المدينة ثم دخلها واعمل السيف في رقاب اهلها وسلب ونهب. «... وسار ابن ابي الساج نحو سنجار لتأديب الاعراب الذين اعلنوا الثورة عليه فاوقع بهم»[1]. وترك ابن ابي الساج سنجار ولاحق ابن كنداج قيل التقى به في برقعيد وانزل الهزيمة به واستولى على ما كان بيده من اعمال الجزيرة مثل الموصل وبلد وسنجار ودارا وبرقعيد وغيرها. وخطب فيها لخمارويه ثم لنفسه من بعده وبعث احد رجاله ويدعى «فتحا» الى هذه الأعمال فجبى خراجها ودبر امرها.

وحدث ان انقلب خمارويه على حليفه ابن ابي الساج واستولى على اثقاله ونصر ابن كنداج وحالفه عليه، فأنزل ابن كنداج الهزيمة بخصمه، الذي ولى هاربا الى دار الخلافة، واستولى على اعماله واعترف له خمارويه بذلك واقام ابن كنداج بعد ذلك في ديار ربيعة[2]. واعترف له الخليفة المعتمد على الله بذلك. وهكذا وقعت سنجار تحت رحمة ابن كنداج من جديد ثم اصبحت بيد ابنه من بعده[3]. ومن سياق ما تقدم نلمس مدى ضعف وعجز الخلافة العباسية صاحبة السيادة في طول الامبراطورية الاسلامية وعرضها، عن مواجهة مثل هذه الاحداث، او وضع حد لها، والقيام بما يعيد الامن والاستقرار الى هذه المناطق. كما نلحظ ايضا عدم اكتراث او اهتمام الولاة الذين ضمنوا تلك الديار لمثل هؤلاء العمال، بما كان يجري لشعوبها من ويلات ومصائب، فالمهم عندهم هو قبض البدل المتفق عليه كاملاً غير منقوص.

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ٧: ٤٢٢ - ابن خلدون، تاريخه، مجلد ٣، ق٣، ص ٧٠٠ - ٧٠١.

(٢) ابن خلدون، تاريخه، مجلد٣، ق٣، ص ٧٠١ - الصايغ، تاريخ الموصل، ١: ٨٥ - ٨٦. ويضيف صاحب الاعلاق الخطيرة فيقول ان ابن كنداج لم يكتف بديار ربيعة فقط بل واستولى على ديار مضر سنة ٢٧٦ هـ/٨٨٩م، واستمر حتى وفاته في سنة ٢٧٨ هـ/٨٩١م «ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج٣، ق١، ص ٣١».

(٣) - قيل، كان ابنه يدعى محمد، دعا خلال ولايته لخمارويه إلى ان عزل «ابن شداد الأعلاق الخطيرة ج٢ ق١، ص٣١ - ٣٢»

٤ - حروب القبائل العربية داخل اقليم الجزيرة واثرها على سنجار:

لم تتطرق كتب التاريخ والمراجع الاخرى الى ذكر الحروب التي استعرت بين قبائل بني تغلب في الجزيرة، في النصف الاول من القرن الثالث الهجري. وندين بمعرفتنا بها الى بعض قصائد البحتري، التي وردت في ديوانه، والتي اطلعتنا على مجرى تلك الحروب والنتائج التي تمخضت عنها، والتي كانت سبباً من اسباب خراب سنجار وغيرها وهجرة سكانها[١].

فلقد ذكرنا من قبل منازل تغلب، وقلنا انها كانت في ديار ربيعة. ويستفاد مما ورد في قصائد البحتري• ان هذه الحروب كانت قاسية وعنيفة الى درجة ان الشاعر اظهر حزنه واساه على ما آلت اليه حال القبيلة والديار التي تقطنها. ويظهر ان امد تلك الحروب قد طال بحيث ابادت الرجال وافنت الابطال وادت الى الخراب والدمار. ولدوافع انسانية - كما يظهر - سعى البحتري في الوساطة لدى كل من الخليفة المتوكل على الله ٢٣٢ - ٢٤٧ هـ/٨٤٦ - ٨٦١ م، ووزيره الفتح بن خاقان بالتدخل لانهاء هذا النزاع القبلي الدامي والعفو عما جرى. ويتضح ان جهوده قد افلحت وجرى الصلح بين المتحاربين. وفي قصيدة من قصائد شاعرنا التي يمتدح فيها المتوكل، ويذكر هذا الصلح، ويبين نتائج حدة هذا القتال، وكيف انه كان سبباً لخلو الديار من ساكنيها يقول:

اسيت لاخوالي ربيعة اذ عفت مصايفُها منها واقوت ربوعها

(١) السامرائي، البحتري في سامراء حتى نهاية عصر المتوكل، ص ١٢٣.

• البحتري: ٢٠٦ - ٢٨٤ هـ، هو ابو عبادة الوليد بن عبد بن يحيى الطائي البحتري، خدم المتوكل والفتح بن خاقان، مات في منبج من جهات الشام.

بكرهي ان باتت خلاء ديارها ووحشا مغانيها وشتى جميعها[١]

ثم يذكر مساعي الفتح بن خاقان، واياديه البيضاء على تغلب وحقن دماء ابنائها فيقول:

توالت اياديه على الناس فاكتفى بها كل حي من شآم ومعرق
فكم حقنت في تغلب الغلب من دم مباح وادنت من شتيت مفرق[٢]

ثم يقول في قصيدة اخرى يثني فيها على الفتح بن خاقان ويذكر توسطه لدى المتوكل ثم يصف الخراب الذي شمل ديار تغلب وهجرة سكانها نتيجة تلك الحرب فيقول:

بني تغلب اعزز علي بان ارى ديارکم امست وليس لها اهل
خلت بلد* من ساكنيها واوحشت مرابع من سنجار يهمي بها الوبل
وازعج اهل الخلبيات ناجز من الحرب ما فيه خداع ولا هزل
افي كل يوم فرقة من جميعكم تبيد ودار من مجامعكم تخلو[٣].

٥ - غارات بني شيبان على اطراف سنجار:

وكان لانتشار بني شيبان في جهات الموصل وبعض ديار ربيعة الاخرى، وثوراتهم وغاراتهم المستمرة على مناطق واسعة من أرض الجزيرة اثره السيء على تلك الجهات، ولا بد من ان يكون قد نال سنجار واطرافها نصيبها الوافر من حركاتهم اسوة بغيرها لوقوعها في حيز من ديارهم. ولشدة ما اقترفه هؤلاء الشيبانيون من قتل وسفك وخراب اضطر الخليفة المعتضد بالله ان يسير اليهم بنفسه ويقاتلهم في

(١) البحتري، ديوانه، تعليق رشيد عطية، ١: ٦ - السامرائي، البحتري في سامراء حتى نهاية عصر المتوكل، ص ٢٠١.
(٢) السامرائي، البحتري في سامراء حتى نهاية عصر المتوكل، ص ١٢٣.
(٣) البحتري، ديوانه، تعليق رشيد عطية، ١: ٦٠ - ابن منقذ، المنازل والديار، ١: ٧١.
• بلد او بلط، تسمى اليوم اسكي موصل، مدينة قديمة على دجلة فوق الموصل، انظر الخوارط الملحقة بالبحث.

الموصل واعمالها في سنة ٢٨٠ هـ/٨٩٣ م ويعمل السيف في رقابهم الى ان طلبوا الامان[١].

(١) ابن الأثير، الكامل، ٧: ٤٦٢ - الصايغ، تاريخ الموصل، ١: ٨٨.

الفصل الثاني

مدينة سنجار من العهد الحمداني الى بداية العهد الزنكي

٢٩٣ - ٥٢١هـ/٩٠٦ - ١١٢٧م

اولا - مدينة سنجار في عهد الامارة الحمدانية ٢٩٣ - ٣٨٠هـ/٩٠٦ - ٩٩٠م.

ثانيا - مدينة سنجار في عهد الامارة العقيلية ٣٨٠ - ٤٨٩هـ/٩٩٠ - ١٠٩٦م.

ثالثاً - مدينة سنجار في عهد الامراء الذين حكموا باسم السلاجقة ٤٨٩ - ٥٢١هـ/ ١٠٩٦ - ١١٢٧م.



مدينة سنجار من العهد الحمداني الى بداية العهد الزنكي
٢٩٣ - ٥٢١ هـ/ ٩٠٦ - ١١٢٧ م

اضحت الدولة العباسية منذ اواخر القرن الثالث الهجري ميدانا للدسائس والفوضى، واصبح الخلفاء مسلوبي السلطة، مكتوفي الايدي، ليس لهم من الامر الا الخطبة والاسم على السكة[1]. وصار بأيدي القادة الاتراك ومن بعدهم الفرس امر تولية الخليفة وعزله ثم حبسه، حتى ان البعض منهم تجرأ على ان يقتطع لنفسه المساحات الواسعة ويستقل بها. ومن هنا كان ظهور الدويلات المستقلة او شبه المستقلة في اطراف الدولة الام، التي اصبحت مع الايام عبارة عن مجموعة من الاقطاعات للولاة والقادة الامراء ونوابهم. فظهرت الامارات الفارسية فيما وراء النهر، والطولونية والاخشيدية في مصر والشام، ودولة الاغالبة في تونس، والزيدية في اليمن، والاموية في الاندلس، والفاطمية في المغرب. كما ظهرت مجموعة من الدويلات والامارات العربية في الموصل والجزيرة وبلاد الشام، كالحمدانية والعقيلية والمزيدية (في الحلة)، والمرداسية (في حلب)، والطائية (في الرملة). ومثلت هذه الامارات حقيقة الوجود العربي في المنطقة وتحملت مهمة الدفاع عن العنصر العربي في وقت زال فيه نفوذ العرب وسلطانهم بعد ان اضعف العباسيون عصبيتهم العربية بأيديهم ورضخوا للتيارات الخارجية. والذي يعنينا من هذه الامارات جميعا تلك التي قامت في قلب الجزيرة الفراتية ونواحيها واقصد بذلك امارة آل حمدان، وآل عقيل، والذي يهمنا من امر هاتين الامارتين هو الاطلاع على اوضاع مدينة سنجار في ايامها، وفي ايام من عاصرهما ممن تغلبوا وتسلطوا على الخلافة العباسية وحكموا باسمها من اتراك وبويهيين وسلاجقة. وبنو حمدان ظهروا على مسرح الاحداث بقوة في الدولة

(١) الصابي، المختار من رسائله، ص ٦٥.

العباسية منذ بداية النصف الثاني من القرن الثالث الهجري اثر تكليف جدهم حمدان بن حمدون من قبل الخلافة في اخضاع ثورة الخارجي مساور بن عبد الحميد البجلي. ومنذ ذلك الحين اخذ نجم آل حمدان في الظهور واصبحت الخلافة العباسية تحسب لهم الف حساب، وراح الحمدانيون يعملون على اقتناص الفرص فتارة نراهم يقفون الى جانب الخلفاء وطوراً نراهم ينضمون الى صفوف الخارجين ويقاتلون جيش الخلافة[١].

لقد دخل الحمدانيون في خدمة الخلفاء وتقلدوا المناصب الرفيعة في الدولة العباسية، واستعملوا في احيان كثيرة في اخماد الحركات والفتن من خارجية وقرمطية وحاربوا وتصدوا لهجات الروم وردوهم عن حدود الدولة، كما استعملوا في اسكات القادة الخارجين عن طاعة الخليفة[٢].

بدأ الحمدانيون نشاطهم السياسي في الدولة العباسية عمالا للخلافة، ثم انهم لما رأوا تجاوز الخلفاء عن تصرفاتهم المرة تلو الاخرى، واختبروا ضعفهم وتسلط العناصر غير العربية عليهم، وادركوا حاجة هؤلاء الخلفاء اليهم، ثاروا عليهم وجنحوا الى الاستقلال بما في ايديهم من بلاد استقلالا كان في وقت ما ناجزاً وتاماً حكما واقتصاداً حيث اقاموا كيانا خاصاً بهم عرف بالامارة واحياناً بالدولة او الدويلة.

---

(١) حسن ابراهيم حسن، تاريخ الاسلام السياسي والاجتماعي، ... ٣: ٢٠٨ - الصايغ، تاريخ الموصل، ١: ٩٥.

(٢) الشكعة، سيف الدولة الحمداني، ص٢٢ - الصايغ، تاريخ الموصل، ٢: ٥٢.

اولا - مدينة سنجار في عهد الامارة الحمدانية، ٢٩٣ - ٣٨٠ هـ/٩٠٦ - ٩٩٠ م.

١ - سنجار ضمن منطقة نفوذ آل حمدان: وبنو حمدان، الذين هم من قبيلة ثعلب بن وائل، كانوا من أهل ديار ربيعة بالجزيرة، فيها نشأوا وبها اقاموا اول ما اقاموا امارتهم[١]. والذي تجدر ملاحظته هنا هو ان تعبير الجزيرة - الذي ينطبق على الفترة الحمدانية - لم يكن مقصوراً على العراق الا على الواقع بين دجلة والفرات، او الاقليم الذي اطلق عليه الاسم اليوناني القديم «Mésopotamis» اي بلاد ما بين النهرين، وتشتمل على ديار ربيعة ومضر، بل انه يمتد ليشمل مناطق اوسع تقع بين جبال ارمينية وكردستان شمالا، وشرقاً حتى الخط الوهمي الذي يصل عانات وحديثة وتكريت على دجلة جنوباً[٢]. تلك هي المساحة التي كانت مجالا لنشاط الحمدانيين وتحركهم، وكانت لهم فيها من وقت لاخر سيادة جزئية او كلية.

والذي يسّر للحمدانيين حكم هذه المنطقة والاستقلال بها هو خطر المنطقة نفسها وعدم استقرارها، وحاجتها الى امير جريء قوي مغامر، لأنها كانت منطقة الثغور المجاورة للروم الاقوياء الذين دأبوا على الاغارة عليها. كما انها كانت هدفاً لثورات القرامطة والخارجين على

---

(١) ديار ربيعة وما خلفها وآخرها ديار مضر، رأس العين ثم كفرتوثا ثم نصيبين، وهي دار حمدان بن حمدون موالي تغلب «ابن الفقيه الهمذاني، صفة جزيرة العرب، ص ١٣٣». وسنجار كانت من ضمن ديار ربيعة باعتراف الجغرافيين والمؤرخين القدامى وخاصة المعاصرين لفترة آل حمدان كابن خرداذبة وقدامة بن جعفر وابن رسته، والمقدسي وابن حوقل.

(٢) السامر، الدولة الحمدانية، ١: ١٢٤ - كذلك امتد نفوذ الحمدانيين فشمل مناطق من بلاد الشام ومنها حلب. حيث اقام فيها أميرهم علي بن عبد الله بن حمدان المعروف بسيف الدولة الحمداني امارة مستقلة ذات شأن في التاريخ.

السلطة فإمرتها كانت محفوفة بالأشواك والمخاطر، ولم يكن يستطع مواجهة ذلك الا رجال هذه الاسرة الذين كانوا - كما وصفتهم المصادر - محاربين مشهورين بالشجاعة والفروسية وروح المغامرة(١). ولاجل هذه الصفات نالوا رضى الخلفاء وقُرِّبوا اليهم.

ومن المدن التي كانت على علاقة متينة مع الحمدانيين وارتبطت بتاريخهم في ديار ربيعة بعد الموصل نذكر: رأس العين، ماردين،دنيسر، كفرتوثا، نصيبين، اذرمة، برقعيد، سنجار، الحسنية، بلد، الحديثة (حديثة الموصل) اربيل، بالاضافة الى القلاع والحصون والمواقع العسكرية الاخرى التي انتشرت في تلك المناطق(٢).

٢ - حكام سنجار في العهد الحمداني: ويلاحظ من خلال تاريخ الدولة الحمدانية وعلاقتها بالسلطة المركزية العباسية ان حكم الحمدانيين لتلك الديار، لم يكن حكماً متصلا، وانما كانت هناك فترات يصبح معها الامير اوالحاكم الحمداني مطارداً ومعزولا، اما لعدم الوفاء بدفع اموال الضمان ونقص شروط العقود المبرمة مع الخلافة، واما للاستئثار باراض وضياع جديدة على حساب املاك الامراء والحكام الآخرين او على حساب املاك الخلافة الخاصة. ومع ذلك فإننا اذا تتبعنا تسلسل ولاة الموصل وديار ربيعة ومنها سنجار منذ سنة ٢٩٣ هـ/٩٠٦ م، اي منذ بداية ظهور الحمدانيين فعلا على مسرح السياسة في بلاد الجزيرة والعراق، فإننا لا نجدهم في اكثر الاحيان من غير نطاق اسرة بني حمدان، هذا يعزل ليحل اخوه محله. وهكذا حتى تقلد امرة البلاد الاخوة جميعاً على وجه التقريب. ومن الذين قلدوا امارة ديار ربيعة وسنجار من حمدانيين وغيرهم خلال الفترة الحمدانية التي نحن بصددها الان نذكر:

---

(١) الشكعة، سيف الدولة الحمداني، ص٣١.

(٢) السامر، الدولة الحمدانية، ١: ١٤٠.

- عبد الله بن حمدان الملقب بابي الهيجاء، تقلدها من الخليفة المكتفي بالله ٢٨٩ - ٢٩٥ هـ/٩٠٢ - ٩٠٨ م، ثم من الخليفة المقتدر بالله ٢٩٥ - ٣٢٠ هـ/٩٠٨ - ٩٣٢ م. وذلك منذ سنة ٢٩٣ هـ/٩٠٦ م حتى وفاته في سنة ٣١٧ هـ/٩٢٩ م عزل خلالها عدة مرات[١].

- الحسين بن حمدان تقلدها خلال عزل اخيه عبد الله في سنة ٢٩٦ هـ/٩٠٩ م من الخليفة المقتدر واستمر الى سنة ٣٠٣ هـ/٩١٥ م حيث عزل. وبعزله خلت ديار ربيعة والموصل من حكم الحمدانيين[٢].

- عثمان العنزي، ولي من قبل القائد مؤنس المظفر بعد حبس آل حمدان لخروج الحسين على طاعة الخليفة، وكان ذلك في بداية سنة ٣٠٤ هـ/٩١٦ م واثناء قيام مؤنس بحملته المعروفة بالصائفة ومروره بمدينة الموصل واقامته بها بعض الوقت قصد الراحة. وكان من بين البلاد التي ولي عليها عدا سنجار، مدينة بلد ومدينة باعيناتا[٣].

- ابراهيم بن حمدان، ابو اسحق، ولي ديار ربيعة وسنجار في سنة ٣٠٧ هـ/٩١٩ م[٤]. وعزل في السنة التالية.

---

(١) زامباور، معجم الانساب والاسرات الحاكمة، ١: ٥٨ - الزبيدي، العراق في العصر البهويهي، ص ٧١.

(٢) مسكويه، تجارب الأمم، ١: ٣٦ - ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج٣، ق١ ص ٣٢. ويفيد ابن الأثير ان الحسين بن حمدان كان قد خرج في هذه السنة ٣٠٣ هـ/٩١٥ م، على طاعة الخليفة المقتدر عندما طالبه الوزير علي بن عيسى بمال كان عليه من ديار ربيعة، فسير اليه جيشاً بقيادة القائد رائق الكبير، فلم يفلح في القضاء عليه، ثم عاد الخليفة وسير مؤنس الخادم الذي استطاع قهره والقاء القبض عليه كما قبض على اخوته ومنهم عبد الله بن حمدان وحبسهم جميعاً وقتل من عصى منهم، «ابن الأثير، الكامل، ٨: ١٠٦».

(٣) ابن الأثير، الكامل، ٨: ١٠٦، حوادث سنة ٣٠٤ هـ - وقيل عثمان العبودي «ابن خلدون، تاريخه، مجلد ٣، ق٤، ص ٨٠٦».

(٤) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج١، ق٣، ص ٣٢ - زامباور، معجم الانساب، ١: ٥٨.

- داودبن حمدان، ولي سنجار وبعض ديار ربيعة في حدود سنة ٣٠٩ هـ/٩٢١ م[١].

- عبد اللهبن حمدان، ثانية في سنة ٣١٤ هـ/٩٢٦ م حتى سنة ٣١٧ هـ/٩٢٩ م وفي هذه المرة اناب عنه في الحكم ولده الحسن المعروف بناصر الدولة[٢].

- الحسن بن عبد الله بن حمدان الملقب بناصر الدولة، ولي استقلالاً من سنة ٣١٧ الى سنة ٣١٩ هـ/٩٢٩ - ٩٣١ م من قبل الخليفة المقتدر بالله الذي ولاه ديار ربيعة، اي نصيبين وسنجار والخابور ورأس عين وميافارقين وارزن[٣]. وعزله عن الموصل وولاها عميه سعيداً ونصراً ابني حمدان[٤].

- مؤنس الخادم، تسلم سنجار وسائر ملك آل حمدان في سنة ٣٢٠ هـ/٩٣٢ م[٥] وبعد مقتل مؤنس اعيدت البلاد الى بني حمدان حيث ضمنها الخليفة الراضي بالله. ٣٢٠ - ٣٢٩ هـ/٩٣٢ - ٩٤١ م، بما فيها الموصل للامير الحمداني سعيدبن حمدان[٦]، بعدما غضب على ناصر الدولة الامر الذي دفع بالاخير الى الانتقام من عمه سعيد وقتاله واخذها منه في حدود سنة ٣٢٣ هـ/٩٣٥ م[٧].

(١) زامباور، معجم الانساب، ١: ٥٨.

(٢) ابن شداد، الاعلاق، ج٣، ق١، ص ٣٣ - زامباور، معجم الانساب، ١: ٥٨.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ٨: ٢١٧ - ابن شداد، الاعلاق، ج٣ ق١، ص٣٣.
ابن خلدون، تاريخه، مجلد٣، ق٤، ص ٨١٥ - ٨١٦ - السامر، الدولة الحمدانية، ١: ٢٠٩.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ٨: ٢١٧ حوادث سنة ٣١٨ هـ - السامر، الدولة الحمدانية، ١: ٢٠٩.

(٥) مسكويه، تجارب الأمم، ١: ٢٣٤ سنة ٣٢٠ هـ - ابو الفدا، المختصر في اخبار البشر، مجلد ١، ج٣، ص٩٥ - ٩٦. ويفيد مسكويه ان مؤنس ملك ضياع واموال آل حمدان واستولى عليها بما فيها الموصل واعمالها. وسبب ذلك يرجع الى خلاف مؤنس مع دار الخلافة - وخروجه عن طاعة الخليفة المقتدر بالله، الذي اوعز الى بني حمدان بقتال مؤنس وتأديبه، وتفيد المصادر ان هؤلاء استجابوا وحاربوا مؤنس لكنهم هزموا وفروا من المعركة ودخل مؤنس بلادهم واستولى عليها واحسن السيرة في اهلها فاحبوه ونصروه على الخليفة في بغداد.

(٦) ابو الفدا، المختصر في اخبار البشر، مجلد ١ج ٣ص ١٠٤ - الصايغ، تاريخ الموصل ١: ١٠٤.

(٧) ابو الفدا، المختصر في أخبار البشر، مجلد١، ج٣، ص١٠٤ - ١٠٥.

واستمر ناصر الدولة في حكمها اما بنفسه أو باشراف ابنائه واخوته حتى وفاته في سنة ٣٥٨ هـ/ ٩٦٩ م وتعتبر سنة ٣٢٣ هـ/ ٩٣٥ م هي البداية الحقيقية لقيام الإمارة الحمدانية، وذلك نظراً لما تمتعت به من عز ومجد واتساع الى درجة جعل معها المؤرخون يطلقون عليها اسم دولة[١].

وبعد وفاة ناصر الدولة، انقسم أولاده على أنفسهم فتحاربوا وضعفوا، فهان على الخلافة وأزلامها من السلاطين البويهيين على انهاء حكمهم وانتزاع أملاكهم وهكذا صار اذ أخذ عضد الدولة البويهي بلاد بني حمدان وأناب فيها الى سنة ٣٨٠ هـ/ ٩٩٠ م وبعد ذلك أصبحت هذه البلاد من أملاك بني عقيل[٢].

٣ - **أوضاع سنجار في العهد الحمداني:** شهدت منطقة نفوذ الحمدانيين، حالة من القلق والاضطراب، تسببت في تدهور الأوضاع وخراب المدن والضياع وكان لهذا كله أسباب منها:

أ - **تعسف الأمراء الحمدانيين في جمع الأموال:** هذا التعسف كان مرده الى حاجة الأمراء المتزايدة الى المال الكثير من أجل سد نفقاتهم الباهظة والمتنوعة، التي كان يقتضيها دفعهم للضمان من جهة، ومصاريف الحروب والبذخ والترف من جهة ثانية. فمن المعروف ان الحمدانيين كانوا يجرون مع الخلفاء ومن ثم مع المتسلطين على الخلافة، السلاطين البويهيين عقودا بشأن ضمان البلاد، وكانت تلك العقود تتناول المبالغ الباهظة، اما بسبب حاجة الخلافة والسلطة العباسية الى المال واما بسبب تنافس الأمراء الحمدانيين أنفسهم للحصول على ذلك. كما ان

(١) استطاع ناصر الدولة في وقت ما ان يستقل بملكه، وان يضرب السكة باسمه الى جانب اسم الخليفة كما حدث في سنة ٣٣١ هـ/٩٤٣م وان يقاوم اطماع السلاطين البويهيين ويضيق عليهم ويظهر بمظهر رئيس الدولة الناجزة الاستقلال، «مسكويه، تجارب الأمم، ٢: ٩١».

(٢) ابن الأثير، الكامل، ٨: ٦٩٢.

هذا التنافس في دفع المزيد من المال دفع بالخلفاء أو السلاطين إلى اجراء العقد لأكثر من شخص على منطقة واحدة وفي آن واحد تماماً كما حصل في زمن الخليفة الراضي بالله[١].

والجدير بالذكر ان المال الذي كان يجدده العقد، والذي كان يرتفع ليبلغ آلاف الآلاف من الدراهم كان يجبى من سكان البلاد عن طريق فرض الضرائب وجمعها بشتى الوسائل حتى بمصادرة الأملاك والأرزاق اذا اقتضى الأمر. وهذا ما خلق جواً من الخوف والاضطراب بعد أن تسبب في افقار البلاد وهجرة سكانها وتدمير عمرانها[٢].

وبهذا الصدد فان ابن حوقل النصيبيني - المعاصر لبني حمدان في الموصل وديار ربيعة، يقدم لنا وصفاً عاماً ومفيداً لأوضاع البلاد التي دانت لسلطان الحمدانيين وخصوصاً في الموصل وسنجار وبلد ونصيبين والحديثة. فيتحدث بحسرة ولوعة عما رآه من تشتيت للقبائل ومن اغتصاب وانتزاع للممتلكات، ومن اتلاف للمحاصيل، ومن هجرة للسكان، وخراب ودمار للديار. فيتحدث عن سنجار فيقول:

... وقد شابها من نسيم الزنيم ونالها من البلاء ما يشبه الزمان »[٣].

وعن الموصل قال: « ... ومزق أهلها جور بني حمدان، وبددهم في كل صقع ومكان، بعد انتزاع أملاكهم، وقبض ضياعهم، واحواج أكثرهم الى قصد الأطراف والشتات في أعماق الأكناف، فمن هالك في نجف ومضطهد في طرف، ومعرض نفسه للحين والتلف[٤] ».

---

(١) يذكر ان الخليفة الراضي كان قد ضمن الموصل وديار ربيعة في سنة ٣٢٢ هـ/٩٣٤م للامير الحمداني سعيد سرا وكانت لابن اخيه ناصر الدولة بموجب عقد سابق وذلك بقصد الحصول على المزيد من المال والتلاعب بابناء آل حمدان «ابو الفدا، المختصر في اخبار البشر، مجلد ١ج٣، ص١٠٤ ».

(٢) ذكر ابن الأثير ان بعض هذه العقود تضمنت مبلغاً كبيراً ارتفع حتى بلغ الفي الف درهم وتسعمائة الف درهم سنوياً - الكامل، ٨:٥٢٢ سنة ٣٤٧ هـ/٩٥٨م. وبخصوص الأموال التي كان الحمدانيون ينفقونها على بذخهم وترفهم انظر ما قيل بهذا الخصوص في تجارب الأمم، ج٢، حاشية ص٤٠٤ - وذيل تجارب الأمم، ج٣، ص ٢٢٠.

(٣) (٤) - ابن حوقل، صورة الارض، ص١٩٩، ١٩٥.

وعن نصيبين قال: «أكب عليها بنو حمدان بظروف الظلم والعدوان ودقائق الجور والغشم مما حمل أهلها الى الخروج من ديارهم كبني حبيب. واكتسح الحسين بن عبد الله بن حمدان أشجارها. وبدّل ثمارها، وغوّر أنهارها، واشترى من بعض القوم، واغتصب آخرين، فملكها الا القليل[1]».

ومن خلال هذه النصوص نستشفّ انه ربما كانت هذه الأعمال التي تعرضت لها هذه المدن في عصر بعض الأمراء الحمدانيين الذين كانوا يعسفون في جمع الأموال ويستأثرون بها من غير ان يخرجوها في وجوهها، أو يضعوها في حقوقها[2]، ويمنعوها عن الخلافة انما كانت تحدث في بعض الأحيان، لا على امتداد العصر الحمداني. اذ ان هذا العصر كان من العصور المزدهرة في تاريخ اكثر مدن الجزيرة الفراتية[3]، او إن ذلك الخراب والدمار والتهجير والافقار الذي حلّ بتلك الديار كان بسبب الحروب المتواصلة التي تضطر بعض الأمراء الى زيادة الضرائب واستعمال جميع الوسائل لتحصيلها لتلافي مصاريف تلك الحروب. ولا احسب ان ابن حوقل كان متحاملاً أو متجنياً على الحمدانيين الى هذا الحد كما ذهب اليه بعض المؤرخين، وان ما أورده من شواهد كاف لأن يدفعنا الى الأخذ بأقواله.

ب - **حروب الحمدانيين على أرض سنجار:** قلت ان الحمدانيين كانوا محاربين من الطراز الأول، عملوا في البداية على استمرار وحدة الخلافة والمحافظة على هيبتها وسلطانها، من حيث انها من وجهة نظرهم

---

(١) ابن حوقل، صورة الأرض، ص١٩٣.

(٢) الصابي، المختار من رسائله، ص١٣٣.

(٣) يقول الدملوجي، ان سنجار كانت في عهد الدولة الحمدانية مدينة كبيرة كثيرة القرى والعمران وان ذلك استمر الى ان غزاها السلطان طغرلبك السلجوقي فخرّبها واهلك معظم اهلها «اليزيدية، ص٤٧٨».

تمثل الشرعية الاسلامية التي ينتمون اليها، فنالوا رضاها في أغلب الأحيان، وانتدبهم الخلفاء أو قاموا من تلقاء أنفسهم باخماد الحركات والثورات التي قامت لتسيء الى سمعة الدولة العباسية وتعبث بمقدراتها وتلحق الضرر والفساد ببلادها وبلادهم التي هي جزء منها. كتلك التي قام بها الخوارج والقرامطة والقادة العسكريون الخارجون على سلطة البيت الخلافي وسواها.

- مع الخوارج: ومن أهم حركات الخوارج في ايام الحمدانيين حركة الخارجي صالح بن محمود التي ظهرت في بعض ديار ربيعة وكانت سنجار والحديثة وسواهما ارضاً ومسرحاً لها. أكدت المصادرة قوة هذه الحركة وعنفها وألحت الى الأضرار الجسيمة التي ألحقتها بالبلاد والعباد، وأفادت المعلومات عنها بان صالحا كان من بلدة بجيلة من أهل البوازيج، اجتمع لديه جمع غفير من بني مالك وغيرهم وسار بهم الى ان نزل سنجار فقاتل أهلها وعبث بعمرانها وأرزاقها واستولى عليها من عاهل الأمير ناصر الدولة الحمداني سنة ٣١٨ هـ/ ٩٣٠م واقام فيها يجبي الأموال ويعتدي على القوافل التجارية المارة بها - حيث كانت كما نعلم معبراً لتلك القوافل حتى اذا افقر أهلها وخرب ديارها تركها خالية ليصل الى الشجاجية• من أرض الموصل، ثم الى الحديثة (أسفل الموصل) وفعل بها ما فعله بسنجار. فطالب المسلمين بزكاة أموالهم والنصارى بالجزية عن رؤوسهم. وبعدما ثقل امره واشتد خطره على باقي نواحي الجزيرة، استعد له امير الموصل نصر بن حمدان - وكان يشاركه في الولاية اخوه سعيد[1] -، فقاتله واستطاع أسره وأولاده

• الشجاجية، لعلها الكونيسية الحالية.

(١) ابن الأثير، الكامل، ٨: ٢١٧.
السامر، الدولة الحمدانية، ١: ٢١٠.

وأرسلهم جميعا الى دار الخلافة مشهورين[1].

– مع القرامطة: وتوالت غارات القرامطة على أرض الخلافة وديار الجزيرة، وتفيد الأخبار ان هؤلاء ضاعفوا هجماتهم وخاصة في عهد الخليفة المقتدر بالله، فعانت منهم سائر مدن الجزيرة، واستطاعوا في وقت ما الاستيلاء على بعض المدن وجباية الأموال من أهلها، بل لم يتورعوا عن مصادرة الممتلكات، وتخريب الديار، واتلاف المحاصيل، واستباحة الأعراض. ولشدة ما ارتكبوه من جرائم، اضطر من بقي من أهل المدن والضياع الى طلب الأمان لقاء ما يملكونه من مال ومتاع. ومدينة سنجار كان قد أصابها ضررهم وفسادهم «وساروا الى سنجار فنهبوا الجبال ونازلوا سنجار فطلب أهلها الأمان فأمنوهم[2]». ولقد جد الخليفة المقتدر بمطاردتهم وأثنى على عزيمة الأمراء الحمدانيين أصحاب البلاد آنذاك في الاستمرار على رد كيدهم وقتالهم الى ان تمكن هؤلاء بمساعدة فرق أخرى من جيش الخلافة من القضاء عليهم وتخليص ديار الجزيرة من شرهم[3].

– مع القادة الخارجين على سلطة الخلافة: ومن أبرز هؤلاء القادة كان:

١ – مؤنس الخادم، فلسبب أو لآخر غضب الخليفة المقتدر على قائده مؤنس فصادر أملاكه وأملاك أصحابه في سنة ٣٢٠هـ/ ٩٣٢م، وكتب – كما أسلفنا من قبل الى بني حمدان أمراء الموصل وسنجار يستحثهم على قتاله، فقيل، جرت بينهم وبين مؤنس معارك كان فيها

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ٨: ٢٢١ حوادث سنة ٣١٨ هـ.
السامر، الدولة الحمدانية، ١: ٢١٠ – الصايغ، تاريخ الموصل، ١: ١٠٠
(٢) ابن الأثير، الكامل، ٨: ١٨١ حوادث سنة ٣١٦ هـ.
(٣) ابن خلدون، تاريخه، مجلد ٣، ق٤، ص٧٩٣ – ٧٩٤ – الشكعة، سيف الدولة الحمداني، ص٢٢.

النصر لصالح مؤنس فاستولى على أملاك بني حمدان وأقام فيها مدة[1].

٢ - تكين التركي، ذكر انه في سنة ٣٣٥ هـ/ ٩٤٦ م وعندما اصطلح معز الدولة البويهي وناصر الدولة الحمداني، غضب الأتراك التوزونيون (نسبة الى القائد توزون) الذين كانوا قد التجأوا اليه فثاروا على ناصر الدولة فهرب منهم فتعقبوه فاستصرخ القرامطة فأنجدوه، ولما لم يقدر عليه الأتراك جعلوا عليهم تكين الشيرازي اميراً وقبضوا على أصحاب ناصر الدولة في البلاد فسار ناصر الدولة الى الموصل ثم الى نصيبين فسنجار وتكين وأصحابه في أثره فدخلوا سنجار وأصابها قتال شديد أدى الى خراب ودمار وتشريد، وانتهى هذا القتال باحتلال الأتراك للمدينة واستباحتها بعد فرار ناصر الدولة منها الى الحديثة فالسن ومنها استنجد بالسلطان البويهي معز الدولة فانجده واستطاع بعد ذلك القاء القبض على تكين وسجنه وسمل عينيه[2].

- مع الخلافة والمتسلطن عليها من البويهيين: وعلى العموم فان علاقة الحمدانيين مع الخلفاء العباسيين أو السلاطين البويهيين، كانت

---

(١) مسكويه، تجارب الأمم، ٢: ٢٣٤ حوادث سنة ٣٢٠ هـ - ابو الفدا، المختصر في اخبار البشر، مجلد ١، ج٣، ص٩٥.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ٨:٤٦٦ حوادث سنة ٣٣٥ هـ - ابن خلدون، تاريخه مجلد ٤، ق٣، ص٥٠٦ - ٥٠٧، يذكر ان ناصر الدولة كان قد اتفق مع قائد الخلافة توزون على اقتسام البلاد، فيكون له من الموصل الى اعالي الشام ولتوزون من اعمال السن الى البصرة وما يفتحه من وراء ذلك، والا يعرض احد منهم للآخر، الا ان البصرة وما يفتحه من وراء ذلك، والا يعرض احد منهم، الا ان هذا الاتفاق لم يستمر حيث اتت، فل الديلم بقيادة معز الدولة البويهي واسقطت بغداد سنة ٣٣٤ هـ/ ٩٤٤ م واستبدت بالخلافة، واصطلح معز الدولة مع ناصر الدولة الحمداني الشكعة، سيف الدولة الحمداني، ص ٣٨ ».

- كانت السلطة العباسية تعهد الى الحمدانيين بحكم البلاد بضمان - - كما اسلفنا - يجددون فيه قيمته واحدة، وكان من شرائط العهد الذي كان يعهد اليهم والعقد الذي يعقد لهم والضمان الذي هم عليه هو ان يتناهى الحاكم منهم في ضبط الثغور وحفظ الاطراف، ورم الاكناف، وجهاد الروم «الصابي، المختار من رسائله، ص١٣١ ». ويذكر ان اكثر الامراء الحمدانيين الذين ولوا ديار ربيعة، اخلوا بهذه الشروط، فاستأثروا بالمال واقتطعوه لانفسهم واحرزوه في قلاعهم.. انظر » الصابي، المختار من رسائله ص١٣٢.

علاقة تودد وتقارب واستعطاف ثم تباعد وحروب. ففي وقت الرضى، وعندما تسدد أموال الضمان وتطبق شروط العقود•، كان الحمدانيون أسياداً وأمراء في مناطقهم وأسياف السلطة المشهورة في وجه اعدائها والمتطاولين عليها، وامراء الأمراء في الدولة العباسية، تماماً كما حصل لناصر الدولة عندما توصل الى امرة الأمراء في وقت من الأوقات[1].

وفي وقت الغضب، وعندما يمتنعون عن ارسال المال ويخلون بالمواثيق والعهود، ويخرجون على الطاعة. فان ذلك كان يعني الحرب، ويعنينا من هذه الحروب تلك التي كانت سنجار ساحة لها، وأهلها وقوداً لنارها.

- ففي سنة ٢٨٢ هـ، وبعد ان اشترك حمدان بن حمدون، جد الحمدانيين في قتال الخارجي مساور بن عبد الحميد الشاري في ديار ربيعة وسنجار لصالح الخلافة؛ عاد وانقلب على الخليفة والتحق بالخوارج وحالف هارون بن عبد الله البجلي الذي خلف مساورا في رئاسة الخوارج. فعصى على الخليفة، فجرد اليه هذا الأخير كتائب من جيشه طاردته طويلا الى ان دخل سنجار واعتصم بها. وفيها دارت معاركه التي انتهت بأسره وحمله الى دار الخلافة، كما انتهت بتكبيد المدينة الخسائر المادية والبشرية. وتفيد النصوص بأن الخليفة لم يصفح عن حمدان إلا بعد ان تكفل له الحسين بن حمدان باخضاع هارون والمجيء به مقيدا الى حضرة الخلافة. ووفى بذلك وأطلق سراح والده[2].
- وفي سنة ٢٩٦ هـ/ ٩٠٩ م. اشترك الحسين بن حمدان مع بعض قواد الخلافة على خلع المقتدر والبيعة لابن المعتز، وكان الحسين آنذاك

(١) الرافعي، حضارة العرب في العصور الاسلامية الزاهرة، ص٢١٣ - الصايغ، تاريخ الموصل، ١: ١٠٧.

(٢) حسن ابراهيم حسن، تاريخ الاسلام السياسي، ٣: ٢٠٨ - الشكعة، سيف الدولة الحمداني، ص٢١.

والياً على ديار ربيعة. قيل انه لما انكشف أمره سيرت اليه عساكر الخلافة وكان من ضمنها أخوه عبد الله بن حمدان - ابو الهيجاء - وكان اميرا على الموصل، فتعقبه الى ان دخل الحسين أرض سنجار فتبعه واقتتل معه قتالاً مريراً قيل استمر عشرة أيام جرت حوادثه من بيت الى بيت. وناهيك بما أصاب المدينة وأهلها من أضرار وخسائر - الى ان ظفر ابو الهيجاء بأخيه الحسين فأسره وأصحابه وأخذ أمواله[1].

وكعادة كل امير حمداني، أخذ الحسين يتودد ويستعطف الوزير ابن الفرات، فشفع له وأعيد الى ديار ربيعة[2].

- وفي سنة ٣٠٣ هـ/ ٩١٥ م خرج الحسين بن حمدان على طاعة المقتدر وكان يومئذ لا يزال والياً على ديار ربيعة، وحدث ان تأخر في ارسال المال الى حضرة الخلافة - كما اسلفنا من قبل - فوجهت اليه الجيوش واستطاع القائد مؤنس انزال الهزيمة به والقاء القبض عليه وعلى اخوته، وقتل من عصى منهم[3].

وكالعادة فقد كانت بلاد سنجار مجالا لتحركات الحسين وحروبه مع مؤنس. هذا وان أشهر المعارك التي شهدتها سنجار خلال حروب آل حمدان مع القادة العباسيين أو مع السلاطين البويهيين كانت تلك التي حدثت في سنة ٣٤٧ هـ والتي عرفت باسم معركة سنجار. فبعد ان أسقط البويهيون الخلافة العباسية في هذه السنة نفسها عملوا على اخضاع حكام المقاطعات والاستيلاء على ما بأيديهم، ولتحقيق ذلك سار معز الدولة الى بني حمدان، في ديارهم ولما علم ناصر الدولة الحمداني - امير ديار ربيعة - تهيأ وحشد قواته واستنفر

(١) ابن الأثير، الكامل، ٨: ١٥ - ١٩ - الصايغ، تاريخ الموصل، ١: ٩٧

(٢) الصابي، تحفة الوزراء، ص٨١.

(٣) مسكويه، تجارب الأمم، ١: ٣٦ - ٣٨ - ابن الأثير، الكامل، ٨: ٩٢ حوادث ٣٠٣هـ.

السكان. وفي مدينة سامراء، اقتتل مع البويهيين الذين استطاعوا اخضاعه واجباره على حمل الأموال اليهم والخطبة لهم[١].

ودام ذلك الى سنة ٣٤٧ هـ/ ٩٥٨م وفيها تأخر الحمدانيون عن ارسال المال، وتقاعسوا في تقديم الغلات والعلوفات التي عليهم ارسالها، والحّ معز الدولة في الطلب، إلا ان الحمدانيين تنكروا لذلك فقصدهم الى الموصل اولا حيث كان ناصر الدولة، ولما علم هذا الأخير بقوة معز الدولة تركها الى نصيبين بعد ان أخذ معه الدواوين والميرة، ورافقه الكتّاب والولاة، كل ذلك بقصد التضييق على العسكر البويهي وارغامه على الرجوع عنه. وأدرك معز الدولة مقصد خصمه فتوجه نحو نصيبين بعد ان ترك حاجة له في الموصل. ولما قارب بلد برقعيد بلغه ان ولدي ناصر الدولة – ابا المرجي وهبة الله – قد أقاما وعسكرا بسنجار وكلفا بمهمة الدفاع عن هذا الحصن الشهير[٢]. وهنا رأى معز الدولة ان الوضع يقتضي كسبها اولا فندب لذلك جماعة من كبار القادة، كان عليهم الرئيس تكين الجامدار في خمسمائة رجل[٣]. وفاجأوا ولدي ناصر الدولة وأصحابهما، فحدثت مذبحة عظيمة في طول سنجار وعرضها، فوضعوا السيف في رقاب المحاربين الحمدانيين ومناصريهم من سكان المدينة، فقتلوا المئات وأسروا العشرات وهدّموا وخربوا. وتفيد المصادر ان ولدي ناصر الدولة تمكنا من الافلات والنجاة بنفسيهما مع عدد من مرافقيهما وحملا معهما بعض أثقالهما، بعد ان تركا جميع ما كان لديهما من أموال، غنيمة للعسكر البويهي[٤]. واستباح جند البويهيين المدينة مدة،

(١) مسكويه، تجارب الأمم، ٢: ١١٥ – الصايغ، تاريخ الموصل، ١: ١١٢.
(٢) مسكويه، تجارب الأمم، ٢: ١٧١ – ابن الأثير، الكامل، ٨: ٥٢٢.
ابن خلدون، تاريخه، مجلد ٤، ق ٤، ص٩٤٢.
Histoire de la dynastie des Hamdanides, 1:524.– Canard, M,
(٣) مسكويه، تجارب الأمم، ٢: ٧٠، حوادث سنة ٣٤٧ هـ.
(٤) ابن الأثير، الكامل، ٨: ٥٢٣ حوادث سنة ٣٤٧ هـ.

الإمارة ولده أبو تغلب، فأثار ذلك غضب الاخوة الباقين وحقدهم فقرروا طرده واقتسام الإمارة فيما بينهم. وفي سنجار بالذات واجه أبو تغلب حلف الاخوة وكان على رأسهم حمدان بن ناصر الدولة. وتفيد النصوص بأن أبا تغلب استطاع أن يوقع بينهم بعد حرب معهم، وان يحسن لبعضهم للوقوف الى جانبه ونجح في ذلك حيث التجأ اليه حمدان وابراهيم مستجيرين به، فأكرمهما وأقاما عنده في سنجار[1] ».

- وفي سنة ٣٦٣ هـ/ ٩٧٤ م عادت العلاقات السيئة بين الأخوة من جديد لكنها في هذه المرة كانت أشد خطراً على نفوذ الحمدانيين وبقائهم على أرض الجزيرة. بحيث تدخل في خلافات الاخوة من كان يسعى الى التخلص منهم والقضاء عليهم وأعني بذلك بني بويه. وبالفعل فقد التجأ حمدان وابراهيم الى عز الدين بختيار - السلطان البويهي - في بغداد واستجارا به من أخيهما أبي تغلب. وكان حمدان يسعى جاهداً لأخذ ملك أخيه، فطلب ذلك من بختيار وتعهد له بدفع المزيد من المال واقامة الخطبة له. فصادف طلبه هوى في نفس البويهي، الذي وجد ان الفرصة قد حانت لتفتيت جهود الحمدانيين واضعافهم عن طريق التلاعب بهم. فاستجاب لحمدان، وانذر ابا تغلب بدفع المال واستزادته ولما رفض أبو تغلب طلبه، سير إليه الجيوش فقصدته في الموصل، فخاف من عددها وعدتها وفر واحتمى بسنجار منكشفا فلحق به. وفيها تبادل الفريقان النصر والهزيمة، ولما أدرك أبو تغلب حرج موقفه في

---

(١) ابن خلدون، تاريخه، مجلد ٤، ق٣، ص٥٢٢.

- III. Canard, M, Op. cit. 1:547.

ومن الاسباب الأخرى التي اثارت غضب وحقد ابناء ناصر الدولة على اخيهم ابي تغلب هي ان هذا الأخير كان قد عامل والده معاملة قاسية فالقى القبض عليه وحبسه في آخر ايامه حتى مات. للمزيد من المعلومات انظر « الصابي، المختار من رسائله، ص١٢٨ - ١٣٠ ».

سنجار وما جره عليها من خراب، تركها خفية وقصد بغداد محتمياً[1].

- وفي سنة ٣٦٦ هـ/ ٩٧٦م وبينما كان بختيار قاصداً الشام بصحبة حمدان الحمداني، زين له هذا الأخير قصد الموصل من بلاد أخيه ابي تغلب لكثرة أموالها، ونقلت الأخبار ان بختيار أطاعه وعرج عليها ولما وصل تكريت أتته رسل أبي تغلب بالقبض على حمدان، وان هو فعل ذلك حضر اليه أبو تغلب وأنجده على منافسة عضد الدولة. فلاقى عرض أبي تغلب استحسان بختيار لأنه جاء لمصلحته أولا وقبل كل شيء، ولا مانع من التخلي عن حمدان لأن الأمر عنده سيان أكان الغضنفر أم حمدان في حكم البلاد، فالمهم تحقيق أهدافه وجعل مصلحته هي العليا. فقيل قبض بختيار على حمدان وسلمه الى نواب أبي تغلب. ونهض الأخير لنجدة بختيار، ولسوء الحظ فان عضد الدولة استطاع قهرهما ومطاردتها فدخل الموصل وطارد أبا تغلب الذي كان قد فر منها الى سنجار وتحصن، فتبعه وقاتله فيها قتالا مريراً انهزم على أثره الغضنفر ولاذ ببلاد الروم[2].

- حروب الحمدانيين مع الروم: ومن بين الأسباب التي ضايقت السنجاريين وأسهمت في تدهور أوضاعهم أيام الحمدانيين، كانت المشاكل والقلاقل التي كانت تحدثها غارات الروم في منطقة نفوذ بني

(١) مسكويه، تجارب الأمم، ٢: ٣١٧ - الصابي، المختار من رسائله، ص١٢٧.

- ابن الأثير، الكامل، ٨: ٦٣٢ - ابن خلدون، تاريخه، مجلد٤، ق٤، ص٩٥٤ وفي بغداد راسل ابو تغلب بختياراً في الصلح واعادة تضمين البلاد له، ووعده بدفع ما انفقه في هذه الغزوة واعادة اخيه حمدان الى مقاطعة ماردين، كما طلب من بختيار ان يزوجه ابنته ويفيد الصابي بان الأخير استجاب لطلبات ابي تغلب «المختار من رسائله، حاشية ص١٢٠».

(٢) الصابي، المختار من رسائله، حاشية ص١١٤ - ويفيد ابن خلدون ان عضد الدولة بعد ان ملك الموصل ارسل عدة سرايا لتتعقب ابا تغلب (تغلب) وان سرية منها اتجهت الى سنجار وعليها ابو طاهر بن محمد، واخرى لاحقت ابا تغلب في جزيرة ابن عمر، وان الأخير فر الى الشام حيث هلك هناك «تاريخه، مجلد ٤، ق٤، ص٩٦٧، ٩٦٨. وقيل ايضا انه دخل بعد ذلك بلاد الاسلام الى آمد واقام بها «ابو الفدا المختصر، مجلد ١، ق٤، ص٨».

حمدان، فمن المتفق عليه ان هذه المنطقة هي منطقة الثغور - كما أسلفنا القول من قبل - لمجاورتها بلاد الروم، وهؤلاء استمروا في التحرش بهذه المنطقة والاغارة عليها، ولهذا وصفت آنذاك بأنها من أخطر المناطق وأكثرها اضطراباً. وكان على الحمدانيين عبء مواجهتهم اسوة بسائر الحركات والثورات التي واجهوها.

والجدير بالملاحظة هو ان مواجهة هذه الأحداث، أو بالأحرى التصدي للروم وأمثالهم من أصحاب الأطماع كان يدخل في نطاق عقود الضمان، وأن أكثر هذه العقود كانت تتضمن - الى جانب تحديد الأموال - شرطاً واضحاً يتعهد أصحاب الضمان بموجبه المحافظة على حدود المنطقة موضوع العقد، والدفاع عنها، ورعاية شؤونها وتحسين أوضاعها وتعميرها. وبهذا الصدد يقول الصابي: «ان صرف الأموال على من تجبى اليه، وحفظ البلاد على من هي بيده[1]». كما يتعهد الضامن ايضا بغزو العدو - الروم - واستعادة بعض ما أخذه من سلفه من مدن وقرى وسواها من ثغور المسلمين. تماماً كما حدث عندما أُبرم العقد بين السلطة العباسية وابني حمدان سعيد ونصر في سنة ٣١٨هـ/ ٩٣٠م حيث تضمن تولية الأخوين على الموصل وديار ربيعة، واشترط عليهما غزو بلاد الروم واسترجاع مدينة ملطية[2].

هذا وان غارات الروم واعتداءاتهم التي تجاوزت مختلف ديار الجزيرة ووصلت في أوقات كثيرة الى نصيبين والموصل، يظهر انها لم تبلغ سنجار، لأن المصادر التي توفرت لدينا والتي أرخت لهذه الفترة وما بعدها، لم تلمح الى ذلك، ولعل هذا في اعتقادي يرجع الى صعوبة مسالك منطقة سنجار وطبيعة أرضها الوعرة.

---

(١) الصابي، المختار من رسائله، حاشية، ص٦٥.
(٢) السامر، الدولة الحمدانية، ١: ٢١١.

واذا كانت الاعتداءات لم تنل من سنجار عمرانيا، فانها نالت منهـا بشريـا ومـاديـا. فـالجيوش الـتي كـان قـد أعـدهـا الأمراء الحمدانيون ومن أعقبهم في حكم المنطقة، كانت ولا ريب تضم بين كتائبها كتائب من ابناء سنجار القادرين على حمل السلاح والحرب. والأموال التي كانت تصرف في اعداد هذه الكتائب وعدتها، كان جزء منها يجبى من السناجرة انفسهم اسوة بغيرهم من أبناء المدن والضياع الأخرى. لذلك كان لسنجار نصيب من الغنائم او الخسائر التي تنتج عن كل غارة وحرب. والمرجح ان نصيب سنجار من الخسارة كانت أكبر بكثير من سواها لأنها كانت بالطبع ملاذاً للكتائب المنهزمة والفارة التي كانت تجد من المنطقة حصنا وحمى. كما كانت تجد من السكان أفضل وأسهل مصدر لجمع الجبايات والإعانات الفورية في تلك اللحظات الحاسمة. وكانت المدينة فوق ذلك كله ملجأ ومأوى للاعداد الكبيرة من سكان الديار الأخرى الفارين امام قوات الجيوش الغازية خوفا ورعباً فيما تسميهم اليوم بالمهجرين. وما يترتب على هجرتهم وأوضاعهم من مشاكل سكنية ومادية كان يتحمل اعباءها الأهالي السناجرة في كل مرة.

والروم، كما يتبين من المصادر، كانوا طوال الفترة الحمدانية، يثخنون في ديار الجزيرة جراحا وتخريباً، وان بعض هذه الديار كانت بين أخذ ورد مستمرين. على ان الذي يجب التنويه به هو أن أكثر الأمراء الحمدانيين، ومن ورائهم القيمين على الخلافة العباسية من القادة البويهيين، كانوا قد تقاعسوا وتخاذلوا عن دفع الروم عن بلادهم، واستهانوا بحرمة أهلها الى درجة ان منهم من كان يشتري سلم الروم بالمال[1]. والآخر كان قد التزم بمصانعتهم

(١) الصابي، المختار من رسائله، حاشية ص٦٤.

ومهادنتهم بل ودفع الجزية لهم[١].

هذا الموقف المتخاذل من قبل هؤلاء، شجع الروم على مواصلة اعتداءاتهم، فكثفوا حملاتهم وأفلحوا فيها، فنهبوا وسلبوا وروعوا. وهاك بعض ما زودتنا به المصادر من أخبار الروم في الجزيرة خلال تلك الحقبة من الزمن، وان كان ذلك لا يطال سنجار مباشرة فتأثيره عليها كان واضحاً كما أسلفنا من قبل.

- في سنة ٣١٥ هـ/ ٩٢٧م دخل الروم بلدة سميساط ثم حاولوا في السنة الثانية أخذ ملطية فلم يفلحوا وفي سنة ٣١٧هـ/ ٩٢٩م، حاولوا اقتحام ملطية وميافارقين وآمد وارزن وان هذه الأخيرة استنجدت بجيرانها فتخاذلوا عن نجدتها. لكنها قاومت وردت المعتدين، إلا أن ملطية وقعت في أيديهم[٢].
- في سنة ٣٣٥ هـ/ ٩٦٦م خرج الروم ووصلوا الى آمد وحاصروها ثم انصرفوا عنها الى نصيبين فغنموا وهرب أهل نصيبين. وبعد ذلك سار الروم عن الجزيرة الى الشام فنازلوا انطاكية وأقاموا عليها مدة طويلة[٣].
- وفي سنة ٣٥٨ هـ/ ٩٦٩م وفي عهد أبي تغلب الحمداني تعرضت ديار الجزيرة لغارات عديدة من جانب الروم حيث وصلوا الى

---

(١) الصابي، المختار من رسائله، ص١٣٢ - نشير بذلك الى موقف ابي تغلب بن ناصر الدولة من الروم حيث ورد في احدى رسائل الصابي النص التالي: «... وتراخى في امر عظيم مهملا واطرح الفكر فيه مغفلا حتى هجم في الديار واثر في الاثار، ونكى القلوب، وابكى العيون، فما كان عنده فيه ما يكون عند المسلم. فصدف عن ذكر الله لاهياً، ولاطف طاغية الروم وهاداه وماراه (قدم له الميرة) واعطاه وصانعه بمال المسلمين، وقاد اليه من الخيل العتاق ما هو عون للكفار على الايمان» نفس المصدر».

(٢) - Canard, M, Histoire de la dynastie des Hamdanides,, 1: 733.

(٣) ابو الفدا، المختصر في اخبار البشر، مجلد١، ج٣، ص١٣٣ - كان ذلك في حياة ناصر الدولة الحمداني.

كفرتوثا، فنهبوا وسلبوا وأحرقوا وعادوا دون ان يسارع اميرها الى ردهم ومطاردتهم[1].

- وفي سنة ٣٦١ هـ/ ٩٧٢م أغار الروم على الرها ونواحيها وساروا حتى بلغوا نصيبين وعاثوا في ديار الجزيرة ولم يقف في وجههم أحد حتى ان ابن حمدان صاحب الموصل (أبا تغلب) كفهم عن نفسه بالمال[2].

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ٨: ٥٩٧.

(٢) الصابي، المختار من رسائله، حاشية ص٦٤، حوادث سنة ٣٦١ هـ.

ثانيا - مدينة سنجار في عهد الامارة العقيلية، ٣٨٠ - ٤٨٩ هـ/ ٩٩٠ - ١٠٩٦م

١ - العقيليون يستولون على منطقة نفوذ الحمدانيين:

والعقيليون كانوا في البداية من أعوان بني حمدان واتباعهم يؤدون إليهم الاتاوة، ويخرجون معهم لجهاد الاعداء، مدافعين عن شرعية الخلافة العباسية الاسلامية العربية وحماة للديار التي أصبحت بضمانهم فيما بعد. هؤلاء سرعان ما تطلعوا الى الحكم والسلطان فلما ان لمسوا تصدع الامارة الحمدانية وتفتتها، وتأكدوا من استمرار ضعف الخلافة، وفساد السلطة المتحكمة فيها حتى أزاح المسمى أبو الدرداء (الذؤاد) محمد بن المسيب العقيلي، ابا طاهر بن ناصر الدولة الحمداني، آخر امراء بني حمدان، وقتله مع ذويه، واستولى على أعماله واستقر بالموصل[1]. وبعد ذلك كاتب السلطان البويهي وسأله انفاذ من يقيم عنده من الحضرة الخلافية، الا أن البويهيين سرعان ما خذلوه وعزلوه في سنة ٣٨٢هـ /٩٩٢م وحكموا البلاد واستمروا سنوات الى ان استعادها عقيلي آخر هو المقلد بن المسيب (أخو أبي الذؤاد)، بفضل تودده وتقربه من البويهيين، لسداد رأيه وحسن سريرته وشجاعته، فضمن منهم البلاد وولي حمايتها وجبايتها، ولقب بحسام الدولة وكان ذلك بدء ظهور الدولة او الإمارة العقيلية وتأسيسها حيث امتدت الى سنة ٤٨٩ هـ/ ١٠٩٦م عندما ازالها السلاجقة واستولوا على أعمالها[2].

(١) ابو شجاع الروذراوري، ذيل تجارب الأمم، ٣: ١٧٨ حوادث سنة ٣٨٠هـ.
- ابو الفداء، المختصر في اخبار البشر، مجلد ١، ج٤، ص١٨ سنة ٣٨٠هـ.
(٢) لين، طبقات سلاطين الاسلام، ص ١١٤ - ١١٥.

اتسع نفوذ الامراء العقيليين فشمل اقليم الجزيرة بكامله[1]، كما امتد في وقت من الاوقات من بغداد الى حلب، فأخذوا الاتاوة من الروم، كما قصدوا مدينة دمشق وافتتحوها[2].

ومن أهم مواطن العقيليين كانت الموصل وهي دار الامارة، ثم اعمالها ومنها مدينة سنجار[3] ثم مدينة نصيبين ومدينة بلد[4].

٢ - **الامراء العقيليون حكام سنجار:** وسنجار كما كانت من قبل، لم تزل مضافة الى من يلي ديار ربيعة والموصل، فلما خرجت من أيدي بني حمدان في حدود سنة ٣٨٢ هـ /٩٩٢م انتقلت الى أمراء بني عقيل، أمراء الموصل، وأبرزهم:

- أبو الذؤاد محمد بن المسيب بن رافع بن المقلد، بقيت في عهدته الى وفاته في سنة ٣٨٧ هـ/ ٩٩٧ م[5].

- المقلد بن المسيب، حسام الدولة (اخو أبي الذؤاد)، حكمها الى

---

(١) الزبيدي، **العراق في العصر البويهي**، ص ٧١ - ٧٣.

(٢) الصايغ، **تاريخ الموصل**، ٢: ٧٣.

قبيلة بني عقيل، من القبائل العربية التي نزحت من الجزيرة العربية لظروف اقتصادية واجتماعية الى العراق والشام والخليج العربي، سكنت البحرين، ثم غادرتها بعد مشاكل مع تغلب الى العراق، وملكت الكوفة والبلاد الفراتية. وعقيل هو ابن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر... بن قيس بن عيلان، استمروا في البقاء في ديار الجزيرة والكوفة الى ان غلبهم عليها السلاجقة فتحولوا عنها الى البحرين، حيث كانوا اولا، فوجدوا فيها بني تغلب قد ضعف امرهم فغلبوهم عليها وسار الأمر لهم فيها. ويفيد عمر كحالة انه حتى سنة احدى وخمسين وستمائة للهجرة كان الملك في البحرين لا يزال لبني عامر بن عقيل. ويضيف ان بني عصفور كانوا ينتسبون الى بني عقيل، كما ان بني ثعلب كانوا من رعاياهم «معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، ٢: ٨٠١».

(٣) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان «الحوادث الخاصة بالسلاجقة» ص١٩٨.

زامباور، معجم الانساب والاسرات الحاكمة، ١: ٢٠٥.

(٤) زامباور، معجم الانساب والاسرات الحاكمة، ١: ٢٠٥.

(٥) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج٣، ق١، ص١٦٠.

مقتله في سنة ٣٩١ هـ/ ١٠٠١ م[١].

- معتمد الدولة أبو المنيع، قراوش بن المقلد، وليها الى وفاته في سنة ٤٤٢ هـ/ ١٠٥٠ م واستمرت من بعده بيد من يلي الموصل من بني عقيل الى زمن.

- الامير شرف الدولة، أبو المكارم مسلم بن أبي المعالي قريش بن بدران بن المقلد، الذي كان قد ملك ديار ربيعة ومضر وحلب وامتد نفوذه الى صاحب بلاد الروم وأخذ الاتاوة منه. وكان يوصف بالشجاعة والاقدام والسيرة الحسنة، استمر الى مقتله في المعركة التي نشبت بينه وبين سليمان بن قتلمش السلجوقي، بظاهر انطاكية وذلك في سنة ٤٧٨ هـ/ ١٠٨٥ م[٢].

- أبو سالم ابراهيم بن قريش. ذكر ان أخاه شرف الدولة كان قد اعتقله خلال حكمه لمدة أربع عشرة سنة بقلعة سنجار، ولما توفي الأخير اجتمعت العشيرة العقيلية على اخراجه وتوليته مكان اخيه شرف الدولة، فأخرجوه وولوه الموصل وسنجار وقدموه عليهم[٣]. ولم يزل بها الى حين وصول السلطان السلجوقي ملكشاه في سنة ٤٨٠ هـ/ ١٠٨٧ م فقبض عليه واعتقله.

(١) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج٣ ق١، ص١٦١ - قتل على يد غلام تركي ودفن على الفرات بين هيت والانبار «ابن خلكان وفيات الاعيان، ٥:٢٦٣».

(٢) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة ج٣، ق١، ص١٦٢ - ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٥: ٢٦٧ - ٢٦٨. كان حكم معتمد الدولة قد دام قرابة الخمسين سنة الى ان اختلف مع اخيه بركة بن المقلد، فقبض عليه بركة وسجنه في سنة ٤٤١ هـ/١٠٤٩ م في قلعة الجراحية من قلاع الموصل. وتولى مكانه ولقب نفسه بزعيم الدولة، واقام بالامارة مدة سنتين الى وفاته في سنة ٤٤٣ هـ/١٠٥١ م. فقام بالأمر بعده ابو المعالي قريش بن بدران الذي ذكر عنه انه اتفق مع الثائر ابي الحرث البساسيري على نهب دار الخلافة وانه توفي في سنة ٤٥٣ هـ/١٠٦١ م بنصيبين» ابن خلكان، وفيات، ٥: ٢٦٧» وبعد وفاة قريش ولي البلاد ولده ابو المكارم مسلم الذي زوجه السلطان السلجوقي - الب ارسلان - اخته صفية وذكر ان الشعوبية حاولت قتل مسلم لتشيعه ومحبته لال ابي طالب «ابن خلكان، وفيات ٥: ٢٦٨». وتعتبر وفاة مسلم في سنة ٤٧٨ هـ هي بداية النهاية للامارة العقيلية.

(٣) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج٣، ق١، ص ١٦٣
- ابن خلكان، وفيات، ٥: ٢٦٨.

- أبو عبد الله محمد بن شرف الدولة بن قريش. ذكر انه بعد اعتقال ابي سالم ابراهيم سلم ملكشاه البلاد الى أبي عبد الله محمد وزوجه أخته زليخة «بنت السلطان ألب أرسلان[١]». وبقي أبو عبد الله الى أن سخط عليه ملكشاه واعتقله وبقي في معتقله الى وفاة هذا الاخير، عندها أطلقت تركان خاتون - زوجة ملكشاه - سراحه مع عمه ابراهيم وعاد الى دياره في الجزيرة حيث كان نوابه يحكمون في سنجار مدة حبسه فتسلم البلاد ثانية[٢]. الا أن عمه ابراهيم عزم على أخذ البلاد منه. فجمع العرب والأكراد وحاربه وتغلب عليه، وأبعده عن الولاية وتسلم الموصل وأعمالها[٣]. وأسند ابراهيم امر هذه البلاد الى ابن أخيه الامير علي بن مسلم نيابة، واستمر ابراهيم في الحكم والسلطان الى أن نازله تاج الدولة تتش السلجوقي وقتله مع جملة من الامراء والمقدمين من بني عقيل وأكثر في ديارهم السلب والنهب والسبي وذلك في حدود سنة ٤٨٦ هـ/ ١٠٩٣م وأنفذ تتش ولاته الى الموصل وسنجار[٤]. ويلاحظ مما أتى به ابن شداد من أخبار ان أبا عبد الله محمد عاد الى حكم سنجار والموصل واستمر في الولاية الى أن قتله الامير

(١) ابن خلكان، وفيات، ٥: ٢٦٨.

(٢) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج٣، ق١، ص١٦٣ - ١٦٤، ذكر انه بعد اعتقال ابي عبد الله محمد العقيلي ولي على سنجار وسائر ديار ربيعة فخر الدولة ابن جهير في سنة ٤٨٢ هـ/ ١٠٨٩م واستمر في ولايته الى وفاته في سنة ٤٨٣ هـ/١٠٩٠م «ابن شداد، الاعلاق، ج٣، ق١. ص٣٩٣ - الفارقي، تاريخه، ص٢٢٦ - ٢٢٧». ثم أعيدت الى بني عقيل بعد وفاة ابن جهير أي الى نواب أبي عبد الله.

(٣) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص١٢٢.

(٤) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص١٢٣ - ويضيف ابن القلانسي فيقول بأن بني عقيل غضبوا لمقتل الامير ابراهيم، ولما فعله تتش بارزاقهم فتوجهوا الى السلطان بركياروق بن ملكشاه يشكون ما نزل بهم على يد تتش وكان على رأس هؤلاء الامير علي بن شرف الدولة مسلم ووالدته (خاتون بنت السلطان محمد بن داود «عمة ملكشاه» ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق ص١٢٣». ولعل هذا يبدد قول زامباور» «حيث ذهب ان تاج الدولة تتش كان قد قرب إليه الامير علي بن مسلم وولاه البلاد وان الاخير استمر يحكم الى سنة ٤٨٩ هـ/ ١٠٩٦م وفيها حاصره الامير السلجوقي كربوغا وخلعه، «زامباور، معجم الانساب والاسرات الحاكمة، ١: ٦٠».

السلجوقي كربوغا في وقعة جرت بينهما في سنة ٤٨٩ هـ/ ١٠٩٦ م واستولى على أملاكه جميعا بعد حصار[١].

ولقد تبين من خلال دراسة تاريخ الامارة العقيلية ان ولاية امرائها لم تكن ولاية متصلة وانما كان يتخللها فترات عزل كان يسند خلالها امر الولاية الى عمال ووزراء السلاطين المتغلبين على البيت الخلافي، كما سنلحظ فيما بعد، وذلك أثر الخلافات التي كانت تنشب بين الامراء العقيليين وأسيادهم السلاطين من بويهيين وسلاجقة، ثم ما تلبث ان تسوى هذه الخلافات بطريق أو بآخر فتبرم الاتفاقات وتحسن العلاقات، ويعود هؤلاء الامراء الى مراكزهم كما كانوا، وكانت الفترة السلجوقية هي الفترة الاكثر وضوحا في هذا المجال. والجدير بالذكر ان امراء بني عقيل كانوا قد عايشوا الخلافتين معا العباسية السنية والفاطمية الشيعية مدة قرن ونيف، وكانت علاقاتهم بها مترجحة مع ميل الى العباسيين رغم اعلان تشيعهم[٢]. كما عاصروا ايضا ردحاً من الزمن كلا من البويهيين والسلاجقة الذين حكموا باسم الخلافة، وكانت للعقيليين مع هؤلاء مواقف مختلفة، تأثرت بمواقفهم من الخلافة، مع ان العقيليين، كانوا كغيرهم من أمراء الاسر العربية الحاكمة، فمع حرصهم على بقاء شرعية الخلافة، فإنهم كانوا يقتنصون الفرص لتحقيق مكاسب لهم ضمن منهجهم الرامي الى الاستئثار بالسلطة والاستقلال بما في ايديهم من أعمال، وكانوا أيضاً يسعون الى اضعاف نفوذ الآخرين - ممن تسلط على

---

(١) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج٣، ق١، ص١٦٣ - ١٦٤ - ابن كثير، البداية والنهاية، ٢: ١٥٢.

(٢) المعاضيدي، دولة بني عقيل في الموصل، ص٨٢. ويظهر هذا الميل من خلال ما كان يقدمه الامراء العقيليون من مساعدات معنوية ومادية للخلافة العباسية في أوقات الشدة. فمن ذلك ان الامير مسلم العقيلي كان قد تبرع بالمال الكثير لإعادة اعمار بغداد عندما غرقت في سنة ٤٧٤ هـ/ ١٠٨١ م وانهدم سورها (نفس المصدر)، كما ظهر هذا الميل ابان خروج البساسيري على طاعة الخليفة العباسي في بغداد ووالي الفاطميين، فساند العقيليون جيش الخلافة وقاتلوا الى جانبه، كما سنرى بعد قليل.

حكم الدولة العباسية - وبشتى الطرق والوسائل[1]. فالبويهيون ثم السلاجقة من بعدهم كانوا منذ أن وطئوا أرض الخلافة يطمحون الى السيطرة على الخلفاء أولا وعلى عمالهم امراء النواحي ومنهم العقيليون واسلافهم من قبل ثانيا. والعقيليون كانوا بدورهم، وبحكم نزعتهم العربية يرغبون في الحصول على ما كان بأيدي أسيادهم الحمدانيين من ممتلكات. فمن أجل ذلك اتبعوا أسلوب التودد والتقرب منذ البدء مع هؤلاء المتحكمين بمقدرات الخلافة وأطرافها فدفعوا إليهم الأموال ضمانا للبلاد، وزادوا في العطاء لكسب الرضى وبالتالي لتثبيت النفوذ على أرض ديار الجزيرة، وكثيرا ما كان التأخر في دفع المال أو الامتناع عن ذلك، وكذلك الاخلال بشروط العقود من أسباب اثارة الخلافات. كما أنه كان لفساد العلاقات بين العقيليين أنفسهم من جهة وبين من عاصرهم من سلاطين بويهيين أو سلاجقة، أو خلفاء عباسيين وفاطميين من جهة أخرى اثره السيء على الوضع في بلاد الجزيرة أجمع ومنها مدينة سنجار.

٣ - أوضاع مدينة سنجار في زمن العقيليين: والمصادر التي أرخت لسنجار خلال الفترة العقيلية، يظهر انها قليلة جداً ان لم تكن نادرة تقريبا، ورغم ندرتها فقد افادتنا بمعلومات فياضة عما أصاب هذه المدينة الكبيرة انذاك من ويلات ومآس. حتى ليذكر انها في وقت من الاوقات سويت بالأرض ونقل من بقي حياً من أبنائها اسرى. وهذه الويلات وتلك المآسي كانت قد نتجت عن الأمور التالية:

- الخلافات بين أبناء البيت العقيلي، وهذه كانت قد استغرقت

---

(١) تحدث سبط ابن الجوزي بهذا الصدد فقال: «.... وبينما كان تتش السلجوقي يحاصر حلبا جاءه مسلم بن قريش لنجدة له، وكان معه غلال كثيرة له ولاصحابه، وكان بحلب غلاء شديد فباعهم فيها فعاتبه تتش قائلا: انت اتيت في مساعدتي ام في تقويتهم؟ ارجع الى أعمالك، مالي إليك حاجة، فعاد مسلم الى سنجار». «مرآة الزمان، الحوادث الخاصة بالسلاجقة ص١٩٨، حوادث سنة ٤٧١ هـ».

بل عايشت تاريخ الامارة بكامله فنتج عنها حروب كثيرة دارت رحاها في طول وعرض الامارة وخاصة ديار ربيعة ومنها سنجار[١].

- الحملات ومن ثم الغارات التي كان يقوم بها الغز (الترك) على نواحي الجزيرة، والتي وصفتها المصادر بالعنف والشدة، «... وسار بعضهم (أي الغز) الى سنجار ونصيبين والخابور، فقتلوا ودمروا ونهبوا وعادوا[٢]». حتى انهم كانوا في بعض هذه الحملات وعلى الأخص تلك التي حصلت في سنة ٤٣٣هـ/ ١٠٤١م في الموصل وأطرافها ومنها سنجار، كانت قاسية جدا حيث أفادت الاخبار بأن هؤلاء ارتكبوا مذبحة عظيمة دامت نحو اثني عشر يوماً، وكانوا يومها بقيادة أمير يدعى كوكتاش[٣].

- حملات العقيليين لجهاد الروم، والتي كانت تكلف المبالغ والخسائر المادية والبشرية والتي كان أهل سنجار يتحملون القسط الاكبر منها.

- الخلافات بين الأمراء العقيليين والسلاطين وكانت نتائجها بالغة الخطورة على المدينة وأهلها. وشهدت سنجار نتيجة لهذه الخلافات اعظم موقعة في تاريخها عرفتها المصادر باسم موقعة سنجار وكانت في سنة ٤٤٨هـ/ ١٠٥٦م وقيل في سنة ٤٤٩هـ/ ١٠٥٧م في عهد السلطان السلجوقي طغرلبك.

- **موقعة سنجار ونتائجها:** كان النفوذ الفاطمي قد ازداد في بلاد الشام والعراق خلال الفترة العقيلية، وعمل الخلفاء الفاطميون على استمالة السلاطين البويهيين وبعض القادة الأتراك في الدولة العباسية،

---

(١) الصايغ، تاريخ الموصل، ٢: ٧٣.
(٢) ابن الاثير، الكامل، ٩: ٣٨٦ حوادث سنة ٤٢٠هـ.
(٣) الصايغ، تاريخ الموصل، ٢: ٧٣.

واستطاعوا تحقيق ذلك بفضل الجهود التي بذلها دعاتهم وعلى الأخص الداعي المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي. فقد نجح في احلال التقارب البويهي الفاطمي خلال الفترة الواقعة بين سنة ٤٣٠ هـ/ ١٠٣٨ م وسنة ٤٤٠ هـ/ ١٠٤٨ م[1]. ونجح ايضا في استمالة القائد التركي المعروف بأبي الحرث ارسلان البساسيري واثارته على اسياده العباسيين، الذين قربوا اليهم السلاجقة آنذاك.. ودارت المراسلات بين البساسيري والخلفاء الفاطميين بواسطة الداعي المؤيد وأرسلت الامدادات والأموال والرجال الى ابي الحرث. في الوقت الذي كان فيه الداعي قد نجح في جمع كلمة الأتراك حول البساسيري، والعرب حول دبيس بن علي بن مزيد امير عرب الفرات (امير الحلة). وبالتالي في جمع الزعيمين التركي والعربي للوقوف في وجه التغلغل السلجوقي ودرء اخطاره من جهة ومد النفوذ الفاطمي الى تلك المناطق لمناوأة العباسيين من جهة اخرى. اما عن الموقف العقيلي من هذه التطورات فنقول بان الأمراء العقيليين الموالين للعباسيين والبويهيين في آن واحد، سرعان ما أعلنوا ولاءهم وطاعتهم للسلاجقة لحظة نجاحهم في السيطرة على شؤون الخلافة، وعملوا على مناصرتهم ومحاربة اعدائهم اي انهم اتخذوا موقفاً مناوئاً للبساسيري. لهذا قرر أبو الحرث ان ينتقم منهم ومن الخلافة بالذات.

وخرج البساسيري على الخلافة واستبد بالسلطة وحبس الخليفة الذي لم يجد أمامه سوى طلب النجدة من حلفائه الجدد وأعني السجلاقة الذين كانوا في طريقهم نحو بغداد. لذلك وجد طغرلبك السلجوقي ان الفرصة حانت لدخول بغداد وبرضى الخلافة نفسها، فدخلها في سنة ٤٤٧ هـ/ ١٠٥٥ م مسقطا الدولة البويهية، وخطب له فيها[2].

---

(١) حسن ابراهيم حسن، تاريخ الاسلام السياسي والاجتماعي، ٤: ١٢.

(٢) ابن خلدون، تاريخه مجلد ٣، ق ٤، ص ٩٥٩، كان لسقوط دولة بني بويه الشيعية وقيام دولة السلاجقة =

سقطت بغداد بأيدي السلاجقة، والبساسيري عند حليفه صاحب الحلة، فبدأبالمسير نحو ديار عقيل في الموصل واطرافها للاستيلاء عليها وتأديب العقيليين. ولما وصلت اخباره استنجد قريش العقيلي بزعماء الخلافة الجدد (السلاجقة) فانجده طغرلبك بابن عمه الأمير قتلمش فوصل اليه، واستعد الرجلان لملاقاة البساسيري وجمعه. وعلى ارض سنجار التقى الطرفان، البساسيري وحليفه دبيس، وقريش العقيلي ومناصره قتلمش وذلك في سنة ٤٤٨ هـ/١٠٥٦ م فدارت معارك ضارية هزمت في نهايتها الجيوش العقيلية - السلجوقية وتشتت جمعها وقتل الكثير من افرادها. ويجدر بنا ان نبين هنا ان أهالي سنجار، انقلبوا على أميرهم العقيلي وانضموا الى صفوف خصمه، وكانت لهم اليد الطولى في انتصار البساسيري. وتفيد الأخبار بأن سكان سنجار كانوا قد بالغوا في اذى قتلمش واصحابه[١]. كما انتقموا من اميرهم قريش فجرحوه واجبروه

= السنيين في بغداد وقع سيء في الاوساط الفاطمية في القاهرة، وكان رد الفعل عنيفا حيث اتجه الفاطميون نحو سياسة الانتقام من حكومة بغداد الجديدة. فشجعوا البساسيري وغيره على العصيان واسقاط الخلافة وطرد السلاجقة.

والبساسيري كان في الاصل مملوكا تركيا للسلطان بهاء الدين البويهي، تنقل في عدة وظائف الى ان اصبح قائد حرس الخليفة العباسي القائم بامر الله «٤٢٢ - ٤٦٧ هـ». ونال عند الخليفة حظوة كبيرة اثارت حقد الوزير ابي القاسم علي بن مسلمة فاخذ يكيد له ويفسد احواله مع الخلافة الى ان نجح. واضطر البساسيري الى الهرب من بغداد والاقامة في مدينة الرحبة شمالا على نهر الفرات. ولما دخل طغرلبك بغداد، اتصل البساسيري بالمستنصر الفاطمي عن طريق الداعي المؤيد هبة الله الشيرازي ونجح في كسب عطفهم وارسلت اليه الاموال والذخائر، وتحين البساسيري بعد الاستيلاء على ديار عقيل، الفرصة لاخذ بغداد. فما ان غادرها طغرلبك لمحاربة اخيه ابراهيم بن ينال في شمال العراق حتى هاجمها البساسيري واستولى عليها وقبض على الوزير ابن القاسم وقيده وشهر به، ونهب دار الخلافة، لكنه احسن الى الخليفة وبالتالي ارغمه على كتابة عهد يعترف فيه بانه ليس لبني العباس حق في الخلافة مع وجود اولاد فاطمة ورفع الالوية المصرية في بغداد واقامة الخطبة لخليفة مصر. الا ان هذه الحال لم تستمر طويلا، فما ان تخلص طغرلبك من امر اخيه ورجع الى بغداد حتى قاتل البساسيري وقضى على حركته «العبادي، التاريخ العباسي والفاطمي، ص ١٨١ - ١٨٣».

(١) ابن الاثير، الكامل، ٩: ٦٢٥ - ٦٢٦ - ابن خلدون، تاريخه، مجلد ٤، ق ٣، ص ٥٦٦ - ٥٦٧.

على ترك قتلمش والانضمام الى امير العرب دبيس فقيل استجاب لهم وقصد دبيس وان الأخير اعطاه خلعة كانت قد نفذت اليه من الفاطميين من مصر، فلبسها وسار مع البساسيري، ودبيس الى الموصل، وهناك خطبوا لخليفة مصر - المستنصر بالله - على منابرها، وبعثوا جميعاً اليه فارسل اليهم الهدايا والخلع(١).

اثار لجوء العقيليين الى البساسيري ودبيس حفيظة وغضب طغرلبك فاوعز الى قائده المدعو هزار سب بتأديب العقيليين والاغارة على أعمالهم وأعمال دبيس في الحلة وديارها. فاوقع هزار في هذه الديار الخراب، وامعن في السلب والنهب ومصادرة الارزاق، وقتل الابرياء ولما وجد كل من قريش العقيلي ودبيس انه في وضع لا يسمح له بالاستمرار في معاداة السلاجقة الذين تمكنوا من انهاء حركة البساسيري، اتفقا على مراسلة الامير هزار سب، معلنين طاعتهما له، فرفق بهما واستجاب وقربهما اليه(٢).

اما فيما يختص بمدينة سنجار وأهلها، فهذه المدينة قد تحملت - كما افادت الأخبار - نتائج هذه الحرب وكانت باهظة التكاليف. فقد ذكر ان الأمير قتلمش كان قد شكا الى ابن عمه السلطان طغرلبك ما فعله اهل سنجار به وبعساكره اثناء القتال مع البساسيري، فوعده بالانتقام منهم وبالفعل فقد سير السلطان السلجوقي كتائب من جنده الى سنجار في سنة ٤٤٩ هـ/١٠٥٧ م، فحاصرت المدينة حصارا طويلا اظهر خلاله السكان كل شجاعة ورباطة جأش. فتحدوا السلاجقة تحديا سافرا رغم معاناتهم الجوع والعطش، قيل انهم اخرجوا جماجم من كانوا قتلوا

(١) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، الحوادث الخاصة بالسلاجقة، ص١١.
(٢) ابن الاثير، الكامل، ٩: ٦٢٩ - ابن خلدون، تاريخه، مجلد ٤، ق٣، ص٥٩٦ - ٥٩٧.

وقلانسهم وتركوها مشهورة على رؤوس القصب. حتى حار طغرلك في أمره ماذا يفعل واستعمل كل ما من شأنه لاضعافهم. ولما طال بهم الحصار ونفذت المؤن في البيوت، واستزاد السلاجقة في العدد والعدة، فتحت المدينة أمام السلاجقة فاستباحوها وامعنوا بسكانها قتلا وبخيراتها نهباً وسلبا، وبعمرانها خرابا وتدميرا، فقتل اميرها وكان يدعى مجلي بن جرجي[1]، وخلق كثير من رجالها، وسبي النساء والاطفال، واحرق جامعها ودرست اثارها، وقيل ان عدد القتلى بلغ أربعة آلاف نفس واكثر[2].

وتفيد النصوص ان البقية الباقية من سكانها استشفعوا بالامير السلجوقي ابراهيم بن ينال اخي السلطان طغرلبك، وان شفاعته قبلت بشرط الا يقيموا في البلد فاجابوه[3].

وذكرابن الاثير في تاريخه في حوادث سنة ٤٤٨ هـ ان طغرلبك سلم سنجار والموصل وسواها الى اخيه ابراهيم بن ينال، وطلب بعد ذلك من العسكران يكفوا عن أعمال السلب والنهب « ... ونادى في عسكره من تعرض لنهب صلبته، فكفوا عنهم »[4]. وسقطت سنجار في أيدي السلاجقة وتولاها الأمير ابراهيم فأدار شؤونها واصلح احوالها وكان ذلك في مطلع سنة ٤٤٩ هـ/١٠٥٧م[5] ومن خلال هذه السطور نلمح مدى الفاجعة التي الت بمدينة سنجار، كما نلمح ايضا مدى القوة التي كانت عليها سنجار، تلك القوة التي جهد طغرلبك نفسه في قهرها فلم يفلح الا

---

(١) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، الحوادث الخاصة بالسلاجقة، ص٢٢، حوادث سنة ٤٤٩ هـ. وقيل مجلي بن مرجا «ابن الاثير، الكامل، ٩: ٦٣٠ - «وقيل علي بن مرجا» ابن خلدون، تاريخه، مجلد ٤، ق٣، ص٥٦٨، ومجلد ٣، ق٤، ص٩٥٧.

(٢) و(٣) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، الحوادث الخاصة بالسلاجقة ص٢٢ حوادث سنة ٤٤٩ هـ.

(٤) ابن الاثير، الكامل، ٩: ٦٣٠ حوادث سنة ٤٤٨ هـ.

(٥) أبو الفدا، المختصر في اخبار البشر، مجلد ١، ج٤، ص٨٠.

- ابن خلدون، تاريخه، مجلد ٤، ق٣، ص٥٦٨.

بعد لأي وطول اناة، تلك القوة التي دفعت السناجرة الى اعلان شماتتهم وتحديهم للسلاطين وذلك عندما رفعوا رؤوس قتلى السلاجقة واشهروها على رؤوس القصب على مرأى من طغرلبك نفسه. اذن كانت سنجار قوية في هذه الفترة، وهذه القوة كان مردها الى كثرة عدد سكانها. فقد كان هذا العدد كبيرا جدا لأن القتلى منهم بلغوا اكثر من أربعة آلاف شخص ما عدا الجرحى والاسرى وإذن فسنجار كانت مدينة كبيرة يحسب لها حسابها في الجزيرة عدة وعددا، وكان لديها كافة الوسائل التي تستلزمها ضرورات الحياة والحرب. على ان الذي يجب ان نذكره في هذا المضمار هو ان الذي اعطى لسنجار هذه القوة وتلك الهيبة وكان له اثره عبر تاريخها هو موقعها الذي كان يتحكم في طرق مواصلات الجزيرة بل وفي طرق مواصلات العراق وبلاد الشام - كما اسلفنا من قبل -. لقد كان هذا الموقع ذا اثر في خراب المدينة ودمارها وفي عمرانها وازدهارها. واحب السلاجقة بلاد سنجار - رغم قساوة اهلها - احبوها لحسن مناظرها، ولطافة جوها، وعذوبة مياهها، فنزلها سلاطينهم واقاموا بها وسكنوها وبلغ من محبتهم لها انهم سموا ابناءهم باسمائها حتى ليذكر ان السلطان ملكشاه كان بعد ان نزل ارض سنجار قد رزق بولد اسماه باسم المدينة فكان فيما بعد السلطان سنجر[1].

(١) السمعاني، الانساب، ٧: ١٥٩.
الفارقي، تاريخ ميافارقين، ص٢٨٧.

ثالثا - مدينة سنجار في عهد الامراء الذين حكموا باسم السلاجقة ٤٨٩ - ٥٢١ هـ/١٠٩٦ - ١١٢٧ م.

كان لاسلوب الضمان الذي اتبعه البويهيون في تولية حكام المقاطعات والمدن، مساوىء انعكست نتائجها على الاوضاع العامة في البلاد. فقد ادى الى ضعف الدولة وتفككها. وبوصول السلاجقة الى الحكم في الدولة الاسلامية العباسية، رأوا ان يتجنبوا هذا الاسلوب، ويستفيدوا من اخطاء اسلافهم البويهيين، فمالوا الى اتباع نمط جديد يضمن للبلاد الامن والاستقرار، وللدولة الام القوة والمنعة، فاتجهوا الى منح القادة من مماليكهم الولايات والمدن والقلاع اقطاعا مقابل قيام هؤلاء القادة بالخدمة العسكرية التي تطلب منهم في اوقات الحرب من جهة، ومقابل قيامهم بحفظ الأمن والنظام وجباية الخراج في ولاياتهم من جهة ثانية. وعلى هذا الاساس اصبحت معظم اراضي الدولة موزعة الى اقطاعات يحكمها مماليك السلاجقة بتفويض من السلطان. فاذا دعت الحاجة الى حضورهم للخدمة جاء كل منهم بمماليكه وعدته وسلاحه للمشاركة في القتال. حتى اذا انتهت الحرب، عادوا من حيث اتوا.

فبعد موقعة سنجار الشهيرة والانتقام الكبير الذي اقدم عليه السلطان طغرلبك من اهل المدينة اسند حكم المدينة - كما قلنا سابقا - الى اخيه ابراهيم الذي ما لبث ان اقصي عنها بعد فترة وجيزة لخلاف مع طغرلبك. وهذا الاقصاء اتاح للعقيليين فرصة العودة الى حكم المدينة، بعد ان اظهر قريش بن بدران الطاعة والولاء للسلطان واستمر قريش وابناؤه من بعده في حكم ديار العقيليين الى سنة

٤٨٢ هـ/١٠٨٩م حين نفر السلطان ملكشاه من ابي عبد الله محمد بن شرف الدولة امير تلك الجهات واعتقله، وولى مكانه فخر الدولة ابا نصر بن جهير. وتسلم ابن جهير المدينة وخطب له على منبرها وعلى منابر نصيبين والموصل والرحبة والخابور وديار ربيعة اجمع[١]. ودام فخر الدولة في الولاية الى وفاته في سنة ٤٨٣ هـ/١٠٩٠م، اعيدت بعدها البلاد للامراء العقيليين مع استمرار الوصاية السلجوقية عليهم. وابان الصراع بين ابناء البيت السلجوقي على السلطنة - بعد وفاة ملكشاه في شوال من سنة ٤٨٥ هـ/١٠٩٢م - استطاع الأمير تتش السلجوقي - اخو ملكشاه - ان يهزم ابن اخيه المدعو بركياروق ويستولي على البلاد ومنها سنجار، ويرسل اليها عماله ونوابه[٢]. ويعتقد ان الامير ابا عبد الله محمد العقيلي كان من بين هؤلاء العمال، وان مدينة سنجار رجعت اليه ووليها الى يوم مقتله على يد الامير كربوغا السلجوقي في حدود سنة ٤٨٩ هـ/١٠٩٦م[٣].

ومنذ ذلك الوقت بدأ السلاجقة يطبقون اسلوبهم الجديد باقطاع البلاد لذويهم وخواصهم من امراء وولاة. وفي الفترة الممتدة من سنة ٤٨٩ هـ/١٠٩٦م وحتى سنة ٥٢١ هـ/١١٢٧م تبعت سنجار - كما في

---

(١) ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٥: ١٢٧ - فخر الدولة أبو نصر محمد بن جهير مؤيد الدين الموصلي الثعلبي، كان ذا رأي وحزم، وزر للأمير نصر الدولة أحمد بن مروان الكردي صاحب ميافارقين وديار بكر، كانت ولادته بالموصل سنة ثمان وتسعين وثلثمائة هجرية (نفس المصدر) - ذكرت المصادر ان الخليفة العباسي عزل ابن جهير عن الوزارة فقصد ملكشاه وتحادث معه وكسب ود وزيره نظام الملك الذي أطمعه في التحرك نحو ديار بكر بعد ان اقنع السلطان بذلك. وجهز فخر الدولة العساكر وسار فنزل ميافارقين في سنة ٤٧٨ هـ وحاصرها وسير ابنه زعيم الدولة (علي بن محمد)... الى آمد ففتحها. وفتحت ديار بكر بأسرها في رمضان سنة ٤٨٢ هـ واستقل فخر الدولة بديار ربيعة وخطبوا له على منابرها فأقام الى رجب من سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة هجرية وتوفي في الموصل وحمل أمراء بني عقيل جنازته، «الاعلاق الخطيرة، ج٣، ق١، ص٣٨٣ - ٣٩٣» - ابن الاثير، الكامل، ١٠: ١٨٢ حوادث سنة ٤٨٣ هـ. «الفارقي، تاريخ ميافارقين، ٢٢٦ - ٢٢٧».

(٢) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص١٣٣.

(٣) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج٣، ق١، ص١٦٤ - ابن كثير، البداية والنهاية، ١٢: ١٥٢.

السابق – اداريا وسياسيا امارة الموصل، وطبقت على ارضها كافة الانظمة الادارية والاجتماعية والاقتصادية التي سادت العصر السلجوقي في اطار مبسط بعيد عن التعقيد، واقطعت لعمال دانوا بالطاعة للسلاطين السلاجقة اولا ولامير الموصل ثانيا ومن بين هؤلاء الامراء الذين ولوا بلاد سنجار بالاضافة الى الامير كربوغا نذكر:

الامير ارسلان تاش: تميزت فترة ولايته للمدينة باشتداد المواجهة العسكرية بين المسلمين والفرنج بحيث اصبحت شغل الحكام الشاغل. وقد شارك جند سنجار في هذه المواجهة. ففي عهده حاول المسلمون استرجاع بعض الحصون والمعاقل التي كانوا قد خسروها من قبل ومنها مدينة انطاكية وتذكر المصادر ان هذه المحاولة باءت بالفشل وهزم المسلمون ومعهم عساكر سنجار بقيادة ارسلان بعد ان تكبد الجميع الخسائر الكبيرة، كما نتج عن هذه المحاولة ان انفسح المجال امام الفرنجة لمتابعة غزواتهم ضد معاقل المسلمين حتى ليذكر انهم قصدوا انذاك بيت المقدس وحاولوا الاستيلاء عليه وكان ذلك في سنة ٤٩١ هـ/١٠٩٧ م(١).

٢ – **البي بن ارسلان تاش:** انتقل امر سنجار بعد وفاة ارسلان الى ابنه البي، وكان ابرز ما حصل للمدينة في عهده، هو الحصار الذي ضربه صاحب الموصل الامير جكرمش – عليها وقتاله لأهلها في سنة

---

(١) ابن العديم، زبدة الحلب، ٢: ١٣٣ «حاشية» – ابن الاثير، الكامل ١٠: ٢٨٧.
– ابن خلدون، تاريخه، مجلد ٥، ق١، ص٤١، ومجلد ٤، ق١، ص١٤٠ – ١٤١. ويفيد ابن شداد ان نفوذ كربوغا على سنجار استمر الى وفاته «الاعلاق الخطيرة، ج٣، ق١، ص١٦٥. في هذه المحاولة اجتمعت الجيوش الاسلامية بقيادة الامير كربوغا في مرج دابق وكانت مؤلفة من رضوان بن تتش صاحب حلب، وأخوه دقاق، وطغتكين اتابك صاحب دمشق، وجناح الدولة صاحب حمص وأرسلان تاش وقيل «أرسلان شاه» (ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٥: ١٤٧)، وسقمان بن ارتق صاحب ماردين وغيرهم. ونازلوا انطاكية وكادوا يأخذونها لولا خلاف الامراء المسلمين وتخوف بعضهم من ازدياد سلطان كربوغا، ان هم حققوا النصر في هذه المحاولة واستيحاش البعض الاخر منه وانفته من ترفعه عليه، وبسبب المقدرة التي أظهرها مقدمو الفرنج في تلك المحاولة، فكانت هزيمة المسلمين ومطاردة الفرنج لجموعهم الهاربة من أرض المعركة.

٤٩٩ هـ/١١٠٦ م. وخلاصة ما زودتنا به المصادر عن هذا الحصار نقول انه عندما عزم صاحب حلب الامير رضوان بن تتش السلجوقي، على غزو بلاد الروم، استدعى امراء النواحي، ومنهم صاحب سنجار البي بن ارسلان. فاستجابوا جميعاً الا جكرمش. وكان جكرمش قد خلف كربوغا في امارة الموصل، لذا رأى الامراء المجتمعون تأديبه وقصد بلاده للاستكثار باموالها وعسكرها. فقصدوا نصيبين وكان عليها اميران من قبل جكرمش فحاصروها، وجدوا في حصارها، واثناء ذلك أصيب صاحب سنجار بسهم فجرحه فاضطر الى ترك الحصار والعودة الى بلاده فعاد. وانتهى خبر حصار نصيبين الى جكرمش، وكان ساعتئذ في بلد تلعفر. فقصد حرب القوم الذين كان قد انفرط عقد تحالفهم بعد عودة البي. وقد عز على جكرمش ان يجد صهره البي قد كان من بين المهاجمين والحاصرين لاملاكه والطامعين فيها. فرغب في قصده وتأديبه فمال في طريقه الى سنجار ونازلها وجد في ذلك، ولقي مقاومة من اهلها. وتفيد الاخبار ان البي رأى ان يخرج بنفسه ليعتذر عما بدر منه نحو عمه. فخرج محمولا واعتذر، فعاتبه جكرمش وكان عتابه قاسياً، ثم عاد وترفق به واعاده الى مقره، وما لبث ان مات بعد ايام في الوقت الذي كانت فيه عساكر جكرمش تحاصر المدينة واصحاب البي واهالي سنجار يمتنعون عليهم، ويقاومونهم ببسالة لدرجة ان جكرمش وعساكره لم تظفر منهم بشيء. ونظرا لطول امد الحصار - الذي استمر قرابة الشهرين، رمضان وشوال - [1] تضايق خلاله الاهالي ضيقاً شديداً، الامر الذي دفع بتميرك (تميرك) عم البي واخي ارسلان تاش، الى الخروج بنفسه لمقابلة جكرمش ومصالحته، فقدم اليه الطاعة، وبذل له خدمته، قبل ان جكرمش قبل منه وفك الحصار عن المدينة، وعاد الى الموصل[2].

(١) ابن خلدون، تاريخه، مجلد ٥، ق٢، ص٣١٩.
(٢) ابن الاثير، الكامل، ١٠ : ٤٠٧ حوادث سنة ٤٩٩ هـ.
- ابن خلدون، تاريخه، مجلد ٥، ق٢، ص٣١٩.

٣ – تميرك، اخو ارسلان تاش: وبموافقة جكرمش، صاحب الموصل، اصبح تميرك اميراً على سنجار، وفي عهده تعرضت المدينة لحصار شديد، وقتال عنيف، اثر في عمرانها وزاد من بؤسها. وكان هذا الحصار من جانب الاميرين جاوولي سكاوو (سقاوو) وحليفه ابي الغازي بن ارتق[١] صاحبي الموصل ونصيبين وذلك في سنة ٥٠٢ هـ/١١٠٩ م. وتذكر المصادر ان سكان سنجار قاوموا المحاصرين واقتتلوا معهم واستبسلوا في الدفاع عن مدينتهم «.. وحاصراها فامتنعت عليهم»[٢] ورفض صاحبها ان يرضخ لمطالبها «... ولم يجبهما صاحبها تميرك الى صلح»[٣]. وفي عهده ايضاً شاركت جند سنجار العساكر الاسلامية بقيادة مودود بن اشتكين صاحب الموصل، في قتال الفرنج. ونجحت معها في استرجاع بعض الحصون التي كان الفرنج قد استولوا عليها من قبل «... فلما اجتمعوا (اي العساكر الاسلامية) ساروا الى بلد سنجار وفتحوا عدة حصون للفرنج وقتل من بها منهم»[٤]. وفي ولاية تميرك كانت سنجار قد اتخذت مقراً ومركزاً لتجمع قادة المسلمين وعساكرهم للتشاور ورسم الخطط، والخروج للغزو، «... واجتمع قادتهم في منزل صاحب سنجار وقرروا الزحف الى القدس، واقتتلوا مع الفرنجة قرب طبرية[٥]» واستمر تميرك في حكم المدينة الى

(١) كان جاولي سكاوو قد أقطع الموصل وأعمالها من قبل السلطان محمد بن ملكشاه السلجوقي، الذي كان قد سخط على جكرمش لقطعه حمل الأموال إليه، ودخل سكاوو في صراع مع جكرمش انتهى بقتل الاخير، ثم ما لبث جاولى ان قطع الحمل. أيضاً، واستفحل أمره. فأقطع السلطان محمد البلاد الى الامير مودود بن أشتكين، وكلفه بتأديب جاولي، فطارده الى نصيبين حيث التجأ الى صاحبها ابي الغازي بن ارتق وطلب النجدة منه على مودود. قيل ان أبا الغازي استجاب له وسار معه الى سنجار وحاصرها، ولما امتنعت عليهما، وكان قد علما وهما يحاصران المدينة بنزول مودود على الخابور، فخاف أبو الغازي على ملكه، فترك سنجار وقفل عائداً الى نصيبين، بينما رحل جاولي الى مدينة الرحبة متخفيا، «ابن خلدون، تاريخه، مجلد ٥، ق٣، ص٤٨٣»

(٢) ابن خلدون، تاريخه، مجلد ٥، ق١، ص٨٠، ومجلد ٥، ق٣، ص٤٨٣.

(٣) ابن الاثير، الكامل، ١٠: ٤٥٩ حوادث سنة ٥٠٢هـ.

(٤) ابن الاثير، الكامل، ١٠: ٤٨٥ حوادث سنة ٥٠٥هـ.

(٥) ابن خلدون تاريخه مجلد ٥ ق١ ص٨٧ – العمري منهل الاولياء، ١: ١٠٥.

سنة ٥١٥ هـ/١١٢٢م وكان خلال ذلك في خدمة وطاعة اصحاب الموصل، ومشاركاً في مجاهدة الفرنجة[١].

ففي سنة ٥٠٧ - ٥٠٨ هـ/١١١٤م، اشترك تميرك مع الجيش الاسلامي بقيادة آق سنقر البرسقي في حصار مدينة الرها وان الحصار دام قرابة الشهرين[٢].

وفي سنة ٥٠٨ - ٥٠٩ هـ/١١١٥م شارك الجيش السنجاري بقيادة تميرك في الحملة الاسلامية المؤلفة من عساكر برسق بن برسق امير همذان، وعساكر جيوش بك صاحب الموصل في قتال الفرنج بامر من السلطان محمد السلجوقي[٣]. وفي هذه السنة نفسها اصيب الجيش الاسلامي (برسق - تميرك) بهزيمة موجعة من قبل الفرنج في معركة دانث• - حيث فاجأ الفرنج هذا الجيش بهجوم مباغت ادى الى اختلال النظام في صفوف المسلمين. فانهزم برسق تاركاً الجيش السنجاري يقاتل بمفرده. وتفيد المراجع بأن هذا الجيش صمد طويلاً ورد الهجوم الفرنجي الا ان الامدادات التي تلقاها صاحب مدينة حارم الفرنجي - جاي فريستل - وعدم اكتراث باقي الجيوش الاسلامية بالأمر، غير مسار المعركة، فطوق الفرنج العساكر السنجارية وشددوا عليها وامعنوا فيها قتلا ولم ينج منها الا اسرع الفرسان عدواً[٤].

وبعد تميرك اقطعت بلاد سنجار مع غيرها من المناطق الى آق سنقر

---

(١) ابن الاثير الكامل، ١٠: ٥٨٨ حوادث سنة ٥١٥ هـ - ابن خلدون، تاريخه، مجلد ٥، ق١، ص١٠٨.

(٢) رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ٢: ٢٠٨.

(٣) رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ٢: ٢١٢، ٢١٥.

(٤) رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ٢: ٢١٢، ٢١٥.

• دانث: تل يقع قرب مدينة سرمين، «رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ٢: ٢١٥».

البرسقي*. وبعد مقتل البرسقي في سنة ٥٢٠ هـ/١١٢٦ م قام بأمر البلاد ابنه عز الدين مسعود بتدبير مملوك ابيه الامير جاولى. وتحدثت المصادر بأن الامور جرت في بلاده على احسن نظام، لكن ايام عز الدين لم تطل اذ توفى في غضون سنة ٥٢١ هـ/١١٢٧ م، فقام بالحكم من بعده اخوه الاصغر عماد الدين بتدبير جاولى ايضاً[1]. ولما رغب هذا الاخير في اخذ موافقة السلطان على تولية عماد الدين بتدبيره هو قوبل طلبه بالرفض بسبب تدخل بعض رجال الحاشية السلطانية، التي رغبت ان يكون الامر في هذه البلاد لعماد الدين بن زنكي بن اق سنقر[2]. والجدير بالملاحظة ان المصادر كانت قد اغفلت عن ذكر اسم صاحب سنجار خلال الفترة التي ولي فيها ابني البرسقي للموصل واعمالها. ويعتقد ان يكون جاولى قد اشرف بنفسه على سنجار وسائر البلاد. وبوصول عماد الدين زنكي الى الحكم دخلت الموصل وسنجار في عهد جديد هو عهد آل زنكي الاتابكيين.

---

(١) ابن الاثير، التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية، ص٣١ - ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص٢٠٣ - ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج٣، ق١، ص١٦٦.

(٢) ابن الاثير، الكامل، ١٠: ٦٤٣ حوادث سنة ٥٢١ هـ - التاريخ الباهر ص٣٤ - ٣٥.

* كان البرسقي قبل ان يولى على الموصل وأعمالها شحنة بغداد (حاكما على بغداد)، وملازما للسلطان السلجوقي في حروبه وناصحا له في أموره، وصف انه كان مملوكاً شجاعاً حسن السيرة ومن خيرة الرجال «أبو الفدا المختصر في اخبار البشر، مجلد ١، ج٤، ص١٥٩».



الفصل الثالث

مدينة سنجار في العهد الاتابكي الزنكي، ٥٢١ - ٦١٧ هـ/١١٢٧ - ١٢٢٠ م

اولا - سنجار من اعمال اتابكية الموصل.

ثانياً - سنجار اتابكية مستقلة.



مدينة سنجار في العهد الاتابكي• الزنكي
٥٢١ - ٦١٧ هـ/١١٢٧ - ١٢٢٠ م.

اولا - سنجار من اعمال اتابكية الموصل الزنكية:

١ - عماد الدين زنكي الاول يفتح سنجار: كان وضع المسلمين حرجاً عشية اختيار عماد الدين لولاية الموصل واعمالها(١). فالدولة السلجوقية، تسرب اليها الضعف والوهن، بسبب الانقسامات داخل البيت السلجوقي من جهة، وبسبب اشتداد هجمات الفرنجة الشرسة على معاقل المسلمين في معظم ديار الجزيرة، وازاء هذا الوضع رأى

(١) كان الامير جاولي الوصي على ابن البرسقي قد كلف القاضيان - بهاء الدين ابا الحسن علي بن الشهرزوري، وصلاح الدين محمد الباغسياني لأخذ موافقة السلطان على ابقاء ابن البرسقي في الولاية. وكان هذان الرجلان يخافان جاولي ويرفضان طاعته والولاء له «ابن الاثير، الباهر، ص٣٤». وفي بغداد حاولا مع بعض المقربين في السلطة، اقناع الوزير أنو شروان بن خالد، بعدم تولية ابن البرسقي لصغر سنه أولا ولان البلاد بحاجة الى رجل قادر يستطيع مواجهة الاحداث ثانيا. فطرحا اسم عماد الدين بن زنكي وأثنيا على شجاعته واخلاصه وذكرا بموافقه السابقة من الاحداث. وكان عماد الدين لساعته يتولى شحنكية بغداد «ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص٢٠٣» فاستحسن رأيهما وتوسط لهما عند السلطان الذي لم يمانع بذلك. وكلف عماد الدين بالولاية.

• يبدأ العصر الاتابكي بتولية عماد الدين زنكي الاول على الموصل في سنة ٥٢١ هـ/ ١١٢٧ م وينتهي بهروب ولدي السلطان بدرالدين لؤلؤ عشية استيلاء التتر على الموصل وأعمالها في سنة ٦٥٩ - ٦٦٠ هـ/ ١٢٦٠ - ١٢٦١ م. والاتابك، لفظ تركي، معناه الاب الامير، أو المربي لإبن السلطان، ثم أصبح لقبا تشريفيا يمنح لكبار القادة بمعنى قائد الجيش ونائب السلطنة، وأول من تلقب به كان الوزير نظام الملك السلجوقي من قبل السلطان ملكشاه في سنة ٤٦٥ هـ/ ١٠٧٣ م. وكان السلاجقة لا يهبون هذا اللقب الا لمن تأكد اخلاصه ووفاؤه. وسمحوا لاصحاب هذا اللقب بتوريثه لابنائهم من بعدهم. وتفيد الاخبار بأن هؤلاء الاتابكة استقلوا في أعمالهم عندما لمسوا ضعف الخلافة والسلاطين، وأنهم انشأوا دولا مستقلة عرفت بالدول الاتابكية. ومعظم الاتابكيين كانوا من مماليك قصر السلطان وحجابه أو من القادة أو من الغلمان، أو غلمان الغلمان، ثم غدوا ملوكاً وسلاطين وحكاما، «البستاني، دائرة المعارف، مجلد ٥، ص٤٨٧». ومن مشاهير الاتابكة في أوائل القرن الثاني عشر الميلادي، كان عماد الدين زنكي مؤسس اتابكية الموصل والشام وديار ربيعة ومضر.

عماد الدين - فور استلامه مهام منصبه، ان يضع برنامجاً يهدف الى تحسين اوضاع البلاد، وقطع دابر الفوضى، ومجابهة القوى الفرنجية، والتعامل معها بالطرق المناسبة بالتعاون مع جيرانه حكام المقاطعات الاخرى.

بدأ عماد الدين بتسلم البلاد التي اوكل امرها اليه، وتذكر المصادر ان الامير جاولى - الوصي على ابن البرسقي - لم يمانع في اعلان طاعته لعماد الدين، فسلمه ما كان عليه من امر وسار بخدمته، فكافأه عماد الدين واقطعه مدينة الرحبة واعمالها. وبعد ان اخذ عماد الدين الموصل، اخذ بعدها جزيرة ابن عمر ونصيبين، ثم توجه الى مدينة سنجار لضمها اليه مع سائر المناطق المجاورة لها. فوصلها وفرض الحصار عليها. هذا ولم تشر المصادر الى من كان حاكماً على المدينة اثناء حصار عماد الدين لها، ولا الى من كان مسؤولا عن تنظيم دفاعها، وكل ما اشارت اليه هو ان اهل المدينة تصدوا لعماد الدين وقاتلوه وامتنعوا عليه، وانه لما لم يروا من مقاومتهم اية جدوى ازاء اصرار عماد الدين على اقتحامها اضطروا الى مصالحته وتسليم مدينتهم اليه واتصلوا بعد ذلك بخدمته[١]. وقيل بأن عماد الدين ملك سنجار صلحاً دون قتال[٢]. وولى عماد الدين على سنجار من قبله نائبه المعروف يلمان (تلماك) الذي استمر في حكمها من سنة ٥٢٣ هـ/١١٢٩ م الى سنة ٥٤١ هـ/١١٤٦ م[٣]. ومن سنجار سير عماد الدين بعضاً من قواته

(١) ابن الاثير، التاريخ الباهر، ص٣٧ - الكامل، ١٠: ٦٤٦.

- ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج٣، ق١، ص١٦٧. «... وسار زنكي الى الموصل ورتب امورها، وأقطع جاولي الرحبة، ثم استولى على نصيبين وسنجار وحران وجزيرة ابن عمر وأعمالها»، محمد العمري، منهل الاولياء، ١: ١٠٨ ياسين العمري، منية الادباء، ص٥٣».

(٢) «... وسار عماد الدين من نصيبين الى سنجار فملكها صلحاً، ابن خلدون تاريخه، مجلد ٥، ق١، ص١١٩».

(٣) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج٣، ق١، ص١٦٧ - في حين ذكر أبو شامة ان نصير الدين جقر بن يعقوب كان حتى مقتله في سنة ٥٣٩ هـ نائبا بالموصل والبلاد والشرقية، «الروضتين، ١: ٤٠».

(الشحن) الى الخابور وحران وسروج والرها وغيرها من ديار الجزيرة ممن كانت بيد الفرنج ايضاً فاستولى عليها جميعاً واصلح شأنها واقطعها جنده وعماله[1]. ولما كانت سنجار على الطريق بين الموصل وحلب، وتشكل منطلقاً للسيطرة على المناطق الاخرى فقد حقق عماد الدين باستيلائه عليها نصراً استراتيجياً مهماً. وكان ذلك في اواخر سنة ٥٢٢ هـ، استناداً الى رواية ابن شداد من جهة تولية يلمان في سنة ٥٢٣ هـ/١١٢٩ م. وكان ابن الاثير والعمريان وغيرهم قد ذهبوا الى القول بأن وقوع سنجار بيد عماد الدين كان قد حصل في سنة ٥٢١ هـ/١١٢٧ م.

وبعد ان تمكن عماد الدين من بلاد الجزيرة، ولى وجهه نحو حلب والشام فملكها في السنة التالية ودخلت ضمن مملكته التي أصبحت مترامية الأطراف. في حين يؤخذ من بعض المصادر ان عماد الدين كان قد توجه الى حلب واستلمها قبل تسلم الموصل، وانه لم يتعرض للمدن والحصون الواقعة على الطريق بينها وبين الموصل لأن الظروف كانت تستدعي منه ان يضع يده على حلب أولاً، ثم ينطلق منها لفرض سيطرته على المواقع الأخرى من أجل تأمين الطريق الى الشام، وانه بعد ان أقر أوضاع حلب اتجه الى سنجار[2]، وهكذا دخلت مدينة سنجار في فلك الحكم الزنكي، وطبق عليها من النظم والأحكام تلك التي طبقت على غيرها من مدن الأتابكية الزنكية.

٢ - سنجار ملجأ عماد الدين، ومودع أمواله، ومثوى رفاته: ظلت سنجار كما كانت في السابق محط رحال المسؤولين من السلاطين والأمراء والقادة في أوقات السلم والحرب، مصيفاً ومشتى، ملجأ ومأوى. فموقعها المهم ومناخها المعتدل، وخيراتها الوافرة، وقوة بأس أهلها، أهّلها لأن

---

(١) ابن الاثير، التاريخ الباهر، ص٣٧.

(٢) عماد الدين خليل، عماد الدين زنكي، ص٧٤.

تكون كذلك، ومكّن المسؤولين عنها من ان يظهروا تشدداً وتصلباً في مواقفهم في كثير من الأحيان. فالأخبار أفادت بأنه عندما تسبب عماد الدين بإثارة غضب الخليفة المسترشد بالله العباسي، جرد اليه هذا الأخير حملة وسار من بغداد في حدود سنة ٥٢٦ هـ/ ١١٣٢ م. وما كاد يصل الموصل حتى علم عماد الدين ففارقها والتجأ الى سنجار واحتمى بها[١]. كذلك علم من المصادر بأن مدينة سنجار اتخذت من قبل عماد الدين مقراً له ومودعا لأمواله ودواوينه وسجلاته الخاصة بدولته الى جانب الموصل وحلب، وذلك لحفظها من عبث العابثين في أوقات الشدة والحرب. وبهذا الصدد نذكر قول عماد الدين نفسه حسبما أوردته المصادر قال: «... اذا جرى على بعض هذه الجهات خرق، وحيل بيني وبينه، استعين على سد الخرق بالمال الذي في غيره[٢]». هذا وكان مقتل عماد الدين في سنة ٥٤١ هـ/ ١١٤٦ م فدفن بسنجار بتربته التي حملت اسمه[٣].

٣ - سيف الدين غازي بن عماد الدين يسلم سنجار الى المقدم عبد الملك الديلمي:

قتل عماد الدين أثناء حصاره لقلعة جعبر، تاركاً وراءه ملكاً واسعاً، وولداً كثيراً[٤]. فتملك بعده ولده الأكبر سيف الدين غازي، وكان أول

---

(١) ابن خلدون، تاريخه، مجلد ٥، ق٣، ص٥١٣ - ياسين العمري، منية الادباء، ص٥٤.

(٢) ابن الاثير، التاريخ الباهر، ص٨٠ - أبو شامة، الروضتين ١: ٤٤ حوادث سنة ٥٤١ هـ. ويضيف ابن شداد فيذكر ان ورثة عماد الدين ومنهم سيف الدين غازي الاول كان قد فضلها على الموصل في حفظ الذخائر والاموال، وانه نقل إليها جميع خزائن الموصل، «الاعلاق الخطيرة، ج٣، ق١، ص١٦٧».

(٣) أبو شامة، الروضتين، ١: ٤٢ - ٤٣ - ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٦: ٢٤٩.

(٤) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج٣، ق١، ص١٦٨ - يعدد النعيمي ولد عماد الدين فيذكر منهم: غازي - محمود (نور الدين) - مودود (أبو ملوك الموصل) - أمير اميران - وبنت واحدة فقط «الدارس، ١: ٦١٧». وعماد الدين هو ابن قسيم الدولة آق سنقر الحاجب الذي كان قد بدأ حياته مملوكاً للسلطان ملكشاه، وقد لعب دورا بارزاً في شؤون الدولة السياسية والادارية والعسكرية ما بين سنة ٤٦٥ هـ وسنة ٤٨٧ هـ. وكسب ثقة السلاطين وتقديرا لجهوده وتفانيه في خدمتهم وفي مجاهدة =

ما فعله ان عزل الأمير يلهان صاحب سنجار ورتب عليها المقدم عبد الملك الديلمي - والد المقدم شمس الدين، الأمير المشهور - وأطلق عليه اسم دزدار• سنجار[١]. وتفيد النصوص بان سبب ترتيب المقدم على سنجار يعود الى الصداقة التي كانت بينه وبين سيف الدين، وكانت هذه الصداقة نشأت أيام كان المقدم في خدمة سيف الدين ابان قيام الأخير بوظيفته في حضرة السلطان، فقد كان المقدم من بين الجندارية العشرة الذين رتبوا لخدمة سيف الدين من قبل السلطان السلجوقي. ونظراً لما أبداه المقدم من اخلاص وتفان في خدمة سيف الدين كافأه بحكم سنجار وأنعم عليه بها[٢].

٤ - **سنجار بين ورثة سيف الدين غازي**: وبعد ولاية دامت ثلاث سنوات توفي الأتابك سيف الدين غازي في سنة ٥٤٤ هـ/ ١١٤٩ م. فاختلف الأمراء والقادة بسبب وراثة البلاد[٣]. فذهب البعض منهم الى تمليك أخيه قطب الدين مودود وكان يومئذ في الموصل - في حين ذهب البعض الآخر الى تمليك أخيه الأكبر نور الدين - وكان في الشام وله حلب ومناطق حماه - ولما كان المقدم عبد الملك - حاكم سنجار - من بين هؤلاء القادة المقررين، ولما كان يخاف قطب الدين، ولا يرضى بطاعته، لذلك كان أول من أيد تمليك نور الدين بجميع بلاد أخيه سيف الدين غازي، فكاتبه واستدعاه لتسلم سنجار منه[٤].

= الفرنجة فقد قدموا ولده عماد الدين ونصبوه. وصف عماد الدين بأنه كان ذا مكر وخديعة شديد الهيبة والوقار على رعيته، عاشت بلاد الموصل وسنجار في عهده وعهد ابنائه ازهى أيامها. وكان كغيره من عمال الخلافة والسلطنة قد اغتنم فرصة ضعف السلاطين فتلاعب بهم وانتصر لهذا وذاك اثناء خلافاتهم من أجل الوراثة فتعرض الى مضايقة السلاطين من جهة والى غضب الخلافة احياناً. كما نال في أكثر الاحيان رضى الاثنين معاً.

(١) ابن الاثير، التاريخ الباهر، ص٩٧ - ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج٣، ق١، ص١٦٨.

(٢) كانت بلاد سيف الدين غازي تمتد انذاك من تكريت الى لبنان ومن الموصل الى حدود أذربيجان. «الصايغ، تاريخ الموصل، ٢: ٨٥».

(٣) و(٤) ابن الاثير، التاريخ الباهر، ص٩٧.

• دزدار: دز في اللغة التركية تعني قلعة، فدزدار تعني حاكم قلعة أو نائب قلعة.

ونظراً لما كانت عليه المدينة من أهمية استراتيجية وحربية واقتصادية فان نور الدين لم يتأخر في تلبية الدعوة، بل وأكثر من ذلك فان نور الدين وان لم توجه إليه الدعوة لاستلامها، فانه كان على الأرجح قد وضعها في حسابه قبل غيرها من المدن عندما استعد للاستيلاء على كافة بلاد أخيه سيف الدين بعد وفاته، وذلك لتحكمها في طرق المواصلات الرئيسية التي تربط بين شطري اتابكية سيف الدين حلب والجزيرة معا. لذلك سارع لاستلامها على الفور مصطحبا معه أكابر دولته ومنهم أسد الدين شيركوه ومجد الدين الداية وجمعاً من جنده. وجد في السير في طلب سنجار. ولما شارف المدينة حط رحاله وأرسل الى نائبها المقدم عبد الملك يعرفه بوصوله. وتجمع المصادر بأن دزدار سنجار كان في تلك الساعة قد استدعي الى الموصل لأن خبره مع نور الدين كان قد بلغ من بها بعد ان ترك ابنه شمس الدين نيابة عنه. فلما علم الأخير بمقدم نور الدين أرسل الخبر الى والده الذي كان وصل منطقة تل أعفر فعاد الى سنجار واجتمع بنور الدين وسلمه المدينة في أواخر سنة ٥٤٤ هـ/ ١١٤٩ م. هذا وتفيد المصادر بان قطب الدين لما سمع بأخبار أخيه نور الدين سار من الموصل بصحبة أعوانه ونزل في تل اعفر وأرسل الى نور الدين ينكر عليه اقدامه هذا وأخذ ما ليس له ويهدده بالخروج قهراً ان لم يرجع اختياراً. وذُكر أن نور الدين لم يعبأ بالرسول ولا بمطالب أخيه... وجرت اتصالات ومراسلات بين الأخوين انتهت بتنازل نور الدين لأخيه عن سنجار على ان يتسلم منه حمص، وعاد نور الدين بعد ذلك الى الشام آخذاً معه ما كان في خزائن سنجار من أموال[1].

---

(١) ابن الاثير، التاريخ الباهر، ص٩٦ - ٩٧ - ابن خلدون، تاريخه، مجلد ٥، ق٣، ص٥٣٧. وبهذا الصدد يقول ابن الاثير في تاريخه: « ... وأخيراً تقرر الصلح وتسلم قطب الدين سنجار وسلم مدينة حمص والرحبة وبقي الشام لنور الدين وديار الجزيرة لأخيه واتفقا وعاد نور الدين الى الشام وأخذ معه ما كان قد ادخره أبوه من أموال وكانت كثيرة.

٥ - مصير صاحب سنجار - المقدم عبد الملك - بعد الاتفاق: وبعد اتفاق الأخوين وتسلم قطب الدين مدينة سنجار، لا بد وان نتساءل عن مصير دزدار سنجار - المقدم عبد الملك - وعن الفوائد التي جناها من خلال تأييده لنور الدين واستدعائه له. ان المصادر التي بين ايدينا، اطلعتنا على ان المقدم كان قد اقدم على مكاتبة نور الدين لعلمه ان الأخير سوف يقربه اليه ويثبته في منصبه ويزيده في اقطاعه، بل ويستفيد من قسم من الاموال والجواهر التي كانت في خزائن المدينة، والتي كان مؤتمنا عليها، والتي كان لا يعلم بمقاديرها نور الدين لجهله بمعرفة اوضاع الموصل واعمالها ولبقائه الدائم في بلاد الشام وعلى الاخص حلب وجوارها، ولعهده به بانه سوف يستطيع التغلب على اخيه قطب الدين لشجاعته وكثرة اتباعه ومؤيديه. ولعلمه ايضا ان قطب الدين كان على معرفة بكل شاردة وواردة في بلاد الموصل لانها كانت محور تجواله وترحاله في عهد ابيه سيف الدين وجده عماد الدين. فقد كان يعلم بما هو موجود في خزائن سنجار، والتي كانت بمجموعها تمثل خزائن بيت اتابك جميعها، وان لديه جريدة تتضمن مقاديرها[1]. لذلك فما ان علم ولده شمس الدين - الذي كان ينوب عن والده في المدينة - بقدوم نور الدين حتى خاف على تلك الخزائن، فعمد في الحال الى فتحها واختار منها ما يعز وجوده من نفائس الجواهر واخاير الذخائر، وبعدها طلب الى نور الدين بدخول المدينة واشترط عليه الا يطالبه بشيء مما اخذه. فوافق نور الدين على طلبه وتسلم البلد واحتفظ المقدم

= «الكامل، ١١: ١٤١ حوادث سنة ٥٤٤ هـ. - ابن شداد، الاعلاق، ج٣، ق١، ص١٧١».

= شمس الدين محمد بن المقدم،... - ٥٨٣ هـ/ ١١٨٧م، كان من أعيان امراء الدولتين النورية والصلاحية. وهو الذي سلم سنجار لنور الدين ثم تملك بعلبك وعصي على صلاح الدين الايوبي فيما بعد فحاصره الاخير حتى صالحه. وناب شمس الدين لصلاح الدين بدمشق. كان بطلا شجاعا عاقلا محتشماً. بنى العديد من الربط والمدارس في دمشق وسنجار وغيرها، قتل في موسم الحج لخلاف مع أمير حج العراق من قبل الخلافة وكان يومئذ يرأس بعثة حجاج صلاح الدين. «النعيمي، الدارس، ١: ٥٩٤».

(١) ابن الاثير، التاريخ الباهر، ص٩٧.

بما في يده وفاز به.

ولما بلغ قطب الدين الخبر بعث وزيره جمال الدين الاصفهاني، ليفرغ ما في الخزائن من اموال واقمشة وجواهر وكان معه جريدة تتضمن ذلك. وسار الوزير الى ان وافى نور الدين. وقيل انه قد جرت بين الرجلين مجادلة عنيفة في سنجار انتهت بتقرير الصلح الذي نص على ان يأخذ نور الدين الخزائن ويسند اليه ايضاً حكم الرقة والرحبة وحمص ويعطي اخاه قطب الدين مدينة سنجار [1]. هذا وكان ابن الاثير قد قدر الأموال التي حملها نور الدين من سنجار فذكر: « ... وعاد نور الدين الى حلب ومعه خزائن سنجار على ستمائة جمل ما خلا البغال وما فرقه على اولاد الملوك والامراء وستة وتسعين بغلا محملة ذهباً »[2]. وتجدر الاشارة الى انه وان كانت هناك مغالاة في تقدير قيمة الاموال التي كانت مودعة في خزائن سنجار والتي اقتسمها نور الدين والمقدم، فالمقصود من هذا هو اظهار ما كانت عليه اتابكية آل زنكي من غنى وسعة ناتجين عن ازدهار في شتى ميادينها وعلى الاخص ميدان اقتصادها من جهة، والفات النظر الى الأهمية التي كان يوليها الاتابكة ونوابهم هذه المدينة الحصينة. لقد فاز كل من نور الدين وعبد الملك بالمال، واذا كان نور الدين قد اخذ هذه الاموال وذهب بها الى حلب، فان قطب الدين، لم يصبر طويلا على تصرفات عبد الملك التي ابداها، فما ان تسلم امر المدينة حتى اطاح بالمقدم وابنه وسلم سنجار وغيرها من الأعمال الى نائبه وقائده المفضل زين الدين علي بن بكتكين[3].

٦ - زين الدين علي بن بكتكين دزدار سنجار - وحدة الدولة الاتابكية: لوحظ من خلال سير البحث ان مكانة سنجار واهميتها

---

(١) ابن العديم، زبدة الحلب، ٢: ٢٩٦.
(٢) ابن الاثير، التاريخ الباهر، ص٩٨.
(٣) ابن الاثير، التاريخ الباهر، ص٩٧.

كانت تتطلب أن يكون حكامها وعمالها من الرجال الاقوياء، القادرين على كسب ثقة السكان ومحبتهم اولا، وعلى درء الاخطار التي تواجه المدينة وما جاورها ثانيا. ومن بين الذين كتب لهم ترؤس هذه المدينة كان زين الدين علي بن بكتكين «كمشتكين»، ربيب آل زنكي، وتفيد الاخبار بأن علاقة زين الدين بالاتابك قطب الدين كانت عميقة الجذور وتعود الى ايام الطفولة. ولما سمحت الظروف بوصول الاتابك قطب الدين الى حكم الموصل، كان زين الدين قد بلغ اشده وغدا من امهر القادة البارزين في الدولة الاتابكية[١]. لهذا اختاره قطب الدين واقطعه مدينة سنجار[٢]. كما اقطعه عددا من المدن الهامة التي لم يستطع الاتابك الاشراف عليها بنفسه. واضاف اليه نيابة الموصل. وحكم زين الدين، واستبد بدولة سيده وصارت اكثر البلاد اقطاعا له، كاربل وشهرزور وقلاع الهكارية والعمادية وتكريت وسنجار[٣]. وصف زين الدين بانه كان رجلا صالحا - من أصل تركي - لقب بكجك «أي القصير اللطيف» كان معروفا بالشجاعة، رؤوفا بالفقراء، لم يعرف الغدر قط[٤]. عاشت بلاد سنجار في عهده ازهى ايامها، حيث اشاع في ربوعها الأمن والعدل، فازدهر عمرانها، ونشطت مواردها، وحسنت بتدبيره احوالها، فعظم شأنه واستقام امره، وتحققت بجهوده آمال سكانها[٥].

---

(١) ابن العديم، زبدة الحلب، ٢: ٢٤٢ - ٢٦٥. كان نجم زين الدين قد بدأ يظهر على مسرح الاحداث في الجزيرة وخاصة في الموصل والبلاد الشرقية منذ سنة ٥٣٩ هـ/ ١١٤٤ م عندما اختاره عماد الدين زنكي والياً على تلك البلاد خلفا لنائبه نصر الدين جقر بن يعقوب الذي قتل في تلك السنة على يد ابن السلطان مسعود السلجوقي الملك الب أرسلان المعروف بالخفاجي. ويذكر ان عماد الدين كان كثير الثقة بزين الدين فاعتمد عليه «أبو شامة، الروضتين ١: ٤١» - وشارك زين الدين جنبا الى جنب مع قطب الدين في حرب الفرنج ورد غاراتهم وغزوهم واحتلال مواقعهم «أبو شامة، الروضتين، ١: ١٤٧».

(٢) ابن الأثير، الباهر، ص٩٧.

(٣) ابن خلدون، تاريخه، مجلد ٥، ق٣، ص٥٥٥.

(٤) ابن الاثير، التاريخ الباهر، ص١٣٥.

(٥) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص٢٨١ - أبو شامة، الروضتين، ١: ٤١.

- عماد الدين خليل: عماد الدين زنكي ص٢٤٠.

استمر زين الدين في الحكم الى سنة ٥٦٣ هـ/١١٦٨م بعدها ترك مهام عمله وارتحل الى بلده اربيل مسلما جميع ما كان بيده من أعمال الى سيده قطب الدين، وقيل ان سبب ذلك هو تدهور حالته الصحية واصابته بالعمى والطرش[١].

والدولة الاتابكية التي ظهرت مع ظهور عماد الدين الأول في سنة ٥٢١ هـ/١١٢٧م كانت قد تمتعت بنوع من الاستقلال والتحرر وذلك بسبب ضعف الخلافة العباسية والحلال الدولة السلجوقية خلال تلك الفترة، وان كانت هناك تبعية لهذين السلطانين فانها لا بد وان تكون اسمية ليس الا. واذا كانت هذه الدولة قد عاشت حرة دون رقيب او محاسب في معظم اوقاتها فانها قد عانت من خلافات ملوكها بسبب وراثة الملك بدسائس الحاقدين والواشين المستفيدين الذين كانوا يسعون الى بذر الخلاف وتعميقه حتى ولو ادى ذلك الى قيام مناوشات وحروب بين ابناء البيت الواحد وهذا ما كان قد حصل بالفعل. ومع ان هذه الحروب كانت تؤدي الى انتصار فريق على آخر فان الرباط العائلي الزنكي سرعان ما كان يفرض نفسه ويحتم على الاطراف التصافح والتصالح ونسيان الماضي، وبالتالي التراضي فيما بينهم على أساس اقتسام أجزاء المملكة مع المحافظة على استمرار وحدتها وهيبتها تماما كما كان عليه الحال عندما اقتسم كل من نور الدين محمود وقطب الدين مودود دولة اخيهما سيف الدين غازي الأول، واستقل كل منهما في ناحيته - حلب والموصل - وعرفت كل ناحية انذاك باسم اتابكية. لذلك نقول أن تقسيم المملكة بين ابناء زنكي، كان من الوجهة القانونية، تقسيما صوريا. لأن نور الدين محمود صاحب الشام وحلب اصبح بعد التقسيم

---

(١) ابن الاثير، الكامل، ١١: ٣٣١ حوادث سنة ٥٦٣ هـ.
- ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٤: ١١٤، ويضيف ان زين الدين توفي في ذي القعدة من سنة ثلاث وستين وخمسمائة (نفس المصدر).

يمارس صلاحيات رئيس الدولة الواحدة الموحدة مع وجود اخيه الاصغر قطب الدين على بلاد الموصل سنجار واعمالها، كما دلت على ذلك المعلومات التي استقيناها من المصادر التي ارخت لهذه الفترة - فسلطة قطب الدين كانت لا تتعدى كونها سلطة ادارية مركزية وكالية فقط ويستدل على ذلك من وجوه عدة منها:

١ - ان نور الدين كان في سنة ٥٥٢ هـ/١١٥٧ م قد الغى الضريبة المعروفة بضريبة المظالم عن المدن الواقعة ضمن دولته اجمع والتي تضررت من حوادث الزلازل التي حصلت في هذه السنة، وتفيد الأخبار بأن نصيب سنجار من هذا الاعفاء قدر بمبلغ الف دينار كانت تدفعه الى خزانة الدولة الأتابكية سنوياً[١]. مع العلم ان سنجار كانت في هذه الفترة من أعمال قطب الدين مودود.

٢ - انه بعد وفاة قطب الدين في سنة ٥٦٥ هـ/١١٧٠ م اختلف أبناؤه على وراثة الملك الذي كان بيده. ونقلت الأخبار أن نور الدين تدخل في الأمر وحسم الخلاف ووفق بين الأخوة قهراً ام طوعاً ونصب على البلاد من كان يرغب هو نفسه فيه، وثبته في الملك، واختار له المدبرين والقضاة وما شابه ذلك[٢].

---

(١) ورد هذا النص المترجم في مؤلفات المستشرق الفرنسي - ايلي سييف - بعنوان نور الدين -. وذكر أنه استقى هذه المعلومات من كتاب الروضتين لأبي شامة من حوادث سنة ٥٥٢ هـ/ ١١٥٧ م. ولدى اطلاعنا على هذا المصدر لم نلحظ أية اشارة الى ذلك.

(٢) أبو شامة، الروضتين، ١: ١٨٩ حوادث سنة ٥٦٦ هـ.

جاء في دائرة المعارف للبستاني، مجلد ٥، ص٤٨٨، انه بعد وفاة عماد الدين زنكي الأول انقسمت بلاده الى أتابكيتين: الشام وعليها ولده نور الدين محمود، والموصل وعليها ولده سيف الدين غازي الاول. والصواب هو أنه بعد وفاة عماد الدين تسلم ملك البلاد جميعها ولده الاكبر سيف الدين غازي وبعد وفاة هذا الاخير قسمت البلاد بين أخويه نور الدين وقطب الدين مع المحافظة على وحدة الدولة وسلطانها كما بينت ذلك اعلاه.

ثانياً - سنجار اتابكية مستقلة

١ - نورالدين محمود بن زنكي يقطع بلاد سنجار الى ابن اخيه عماد الدين بن قطب الدين: وتعود المصادر لتتوقف ثانية عن ذكر اسم من اسند اليه حكم بلاد سنجار بعد رحيل زين الدين علي بن بكتكين. واغلب الظن ان اتابك قطب الدين كان قد أشرف بنفسه على ادارة شؤون المدينة وأطرافها خلال السنوات التي سبقت وفاته أو أنه أوكل ذلك الى نائبه الأمير فخر الدين عبد المسيح، الذي اصبح بعد زين الدين القيم الوحيد على أمور الدولة قاطبة. وسيان اكان هذا ام ذاك فالذي تجدر الاشارة اليه هو ان سنجار التي كانت من أعمال قطب الدين وتحت سيادة نور الدين اصبحت مثار خلاف كبير تطور الى حرب مسلحة بين آل زنكي ورثة قطب الدين وذلك بعد وفاة الأخير التي حصلت في سنة ٥٦٥ هـ/١١٧٠م وجرت احداث هذه الحرب على أرض سنجار حيث حوصرت المدينة ونالها من أمور القوم اوخم العواقب.

وتشير النصوص التاريخية المعاصرة للاحداث الى ان قطب الدين كان قد اوصى بحكم ما بيده من أعمال لولده الأكبر عماد الدين، وكان فخر الدين عبد المسيح يخاف عماد الدين لهيبته وسطوته فاتفق والخاتون زوجة قطب الدين - ابنة حسام الدين تمرتاش - وبعض الامراء فردوا قطب الدين عن رأيه قبل موته واستحضروا الامراء الآخرين واستحلفوه لولده سيف الدين غازي الثاني[1]. ومات قطب الدين وتسلم

(١) ابن الاثير، الكامل، ١١: ٣٦٢، حوادث سنة ٥٦٦ هـ، والتاريخ الباهر، ص١٤٦.
- ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج٣، ق١، ص١٧٢.

سيف الدين غازي واستبد به فخر الدين عبد المسيح، وعلم بذلك نور الدين محمود - رئيس دولة اتابكة - الموصل وحلب معاً - وكان كما تفيد المصادر - يكره عبد المسيح لخشونته واستبداده. فعزم على اعادة ترتيب امور بلاد الموصل وسنجار وأعمالها من جديد وحسبما تقتضي مصلحة الدولة الاتابكية العليا التي يرأسها. كما وضع نصب عينيه ابعاد فخر الدين من التلاعب بأولاد اخيه وقال: «... انا اولى بتدبير اولاد اخي وملكهم»[1]. وركب في عسكره وقصد الموصل. وما ان سمع فخر الدين بمسيره حتى امر القادة العسكريين بالاسراع في تنظيم دفاعات الموصل وبلاد سنجار، واعلن التعبئة العامة في صفوف الجند وتهيأ للاقتتال مع نور الدين. في هذه الاثناء، كان عبد المسيح قد لمس عطف اهل سنجار ومحبتهم للاتابك نور الدين وابن أخيه عماد الدين فخاف على نفسه منهم. وأرسل الى المدينة مجموعات كبيرة من عسكر الموصل ليمنع أي تحرك من جانب أهلها لصالح نور الدين أولا وليمنع كتائب نور الدين من دخول سنجار وردها على اعقابها ثانياً.

وصل نور الدين المدينة وفرض عليها الحصار ونصب عليها المجانيق. وجرت بين الطرفين اشتباكات عنيفة ومتفرقة داخل أسوار المدينة وخارجها، ورغم ما بذله قادة فخر الدين من مقاومة، فان عساكر نور الدين أفلحت في دخول المدينة وتمكنت من الاستيلاء عليها ونودي فيها بالأتابك عماد الدين رئيساً[2].

---

(١) أبو شامة، الروضتين، ١: ١٨٧ حوادث سنة ٥٦٦ هـ - ابن شداد، **الاعلاق الخطيرة**، ج٣، ق١، ص١٧٣.

- حسن ابراهيم حسن، تاريخ الاسلام السياسي، ٤: ٧٨ - ويضيف أبو شامة نقلا عن القاضي ابن شداد بأن عبد المسيح كان نصرانياً ثم أسلم، وقيل بقي على نصرانيته، وانه نكل بأرباب العلم وآذى المسلمين، وتقاعس في مجاهدة الفرنج لهذا اثار عليه غضب نور الدين وحقده «الروضتين ١: ١٨٨».

(٢) ابن العديم، زبدة الحلب، ٢: ٣٣٢ حوادث سنة ٥٦٦ هـ.

- أبو شامة، الروضتين، ١: ١٨٨ حوادث سنة ٥٦٦ هـ - ابن شداد، **الاعلاق الخطيرة**، ج٣، ق١، ص١٧٦.

ومن سنجار ارتحل نور الدين بجموعه نحو الموصل لاسقاط فخر الدين وتأديب أعوانه، وتشير الأخبار ان الأخير استنجد بأمراء النواحي•. فلبوا طلبه وكاتبوا نور الدين وأشاروا عليه بالابتعاد عن الموصل وفك الحصار عنها وابقاء المدينة على ابن أخيه - سيف الدين غازي - واعطاء سنجار لعماد الدين، وعدم الإساءة الى فخر الدين عبد المسيح، كما تمنوا عليه باعطاء الأخير اقطاعا يكون له في المستقبل[1]. وسار نور الدين من الموصل قاصدا الشام فعرج على سنجار - التي أصبحت لعماد الدين - فتفقد أحوالها وأرشد صاحبها، وأشرف بنفسه على إعادة تعميرها، فذكر أنه أمر بإعادة عمارة الأسوار وترميم البنيان، وقام بسلسلة من الاجراءات التي ترمي الى تثبيت أقدام عماد الدين في حكم المدينة، فعزل وولى في الادارة والقضاء. ومن هذه التدابير كان اسناد منصب القضاء في المدينة (بالإضافة الى نصيبين والخابور) الى الشيخ شرف الدين بن أبي عصرون، وبعد أن اطمأن الى سلامة الأوضاع سار قاصدا الشام[2].

٢ - عماد الدين بن مودود ينشىء أتابكية سنجار: التوزيع الذي

---

(١) ابن الاثير، التاريخ الباهر، ص١٥٣، الكامل، ١١: ٣٦٣ حوادث سنة ٥٦٦ هـ - ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج٣، ق١، ص١٧٥. أما ابن العبري فقد ذهب الى القول بأن عبد المسيح هو الذي طلب من نور الدين ان يقطعه اقطاعا مرضياً يكون عنده في الشام لقاء ان يسلم إليه الموصل، وان نور الدين اجابه الى ذلك. ثم اصطحبه معه عند رجوعه الى حلب. «تاريخ مختصر الدول، ص ٢١٤».

• كان فخر الدين عبد المسيح قد طلب النجدة من أتابك شمس الدين ايلدكز صاحب بلاد الجبل وأذربيجان وآزن. فأشار هذا الاخير على نور الدين بالابتعاد عن الموصل لأنها للسلطان وانتهى الامر بالاتفاق المبين اعلاه. «ابن الاثير، الكامل، ١١: ٣٦٣ حوادث سنة ٥٦٦ هـ - ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج٣، ق١، ص١٧٥». ويضيف أبو شامة بأن نور الدين لم يلتفت الى طلب صاحب بلاد الجبل وقال للرسول: «قل لصاحبك: انا أرفق ببني أخي منك فلا تدخل نفسك بيننا». ويتابع فيقول: «وبعد ان تم الاتفاق بين نور الدين وفخر الدين، قسم نور الدين جميع ما تركه أخوه قطب الدين بين أولاده (أولاد اخيه) بمقتضى الفريضة ثم سار الى الشام ومعه عبد المسيح بعد ان غير له اسمه وسماه عبد الله وأقطعه اقطاعا كثيراً، «الروضتين، ١: ١٨٨».

(٢) أبو شامة، الروضتين، ١: ١٨٩.

وافق عليه نور الدين لبلاد الموصل وسنجار أو الذي اعتمده من تلقاء نفسه ما كان إلا خدمة لمصالحه وتتويجا لسياسته الرامية الى اخضاع امراء النواحي لسلطانه ومشيئته. إذ ليس من مصلحته ان يرى في تلك النواحي اميراً أو ملكاً قوياً بشعبه وبأرضه وان تقسيم الموصل وأعمالها بين ابني أخيه ما هو إلا تدبير قصد منه - اذا صح قولنا - وجود ملكين ضعيفين، يكون باستطاعته التلاعب بهما متى شاء واني شاء. وهكذا شاءت الظروف ان انشقت سنجار عما كان يسمى بأتابكية الموصل وتسلمها عماد الدين من عمه نور الدين منشئا فيها أتابكية جديدة مستقلة عرفت باسم اتابكية سنجار•، استمرت من سنة ٥٦٦ هـ/ ١١٧١ م الى سنة ٦١٧ هـ/ ١٢٢٠ م، حين أزالها الأيوبيون وألحقوها بحكومتهم، وفيما يلي أسماء الملوك الذين تعاقبوا على حكم هذه الأتابكية طيلة هذه المدة.

- عماد الدين زنكي ابو الفتح بن مودود، ٥٦٦ هـ - ٥٩٤ هـ/١١٧١ - ١١٩٧ م.
- قطب الدين محمد بن عماد الدين زنكي، ٥٩٤ - ٦١٦ هـ/ ١١٩٧ - ١٢١٩ م.
- عماد الدين: شاهنشاه بن قطب الدين محمد، ٦١٦ - ٦١٦ هـ/ ١٢١٩ - ١٢١٩ م.
- جلال الدين محمود بن قطب الدين محمد، ٦١٦ - ٦١٧ هـ/ ١٢١٩ - ١٢٢٠ م.(١).

---

(١) البستاني، دائرة المعارف، ٥: ٤٨٨.
ان اسم جلال الدين محمود بن قطب الدين، كان قد ورد عند ابن الاثير باسم فروخ شاه عمر «ابن الاثير، الكامل، ١٢: ٣٤٢».

• أصبحت بلاد الموصل وسنجار أتابكيتين الاولى عرفت بأتابكية الموصل وعليها سيف الدين غازي الثاني امتدت الى سنة ٦٦٠ هـ/ ١٢٦٢ م حين ازالها المغول وقتلوا آخر ملوكها الصالح اسماعيل بن بدر الدين لؤلؤ. والثانية اتابكية سنجار التي نحن بصدد التحدث عنها. والى جانب هاتين الاتابكيتين:

وتسلم عماد الدين مهام منصبه في بلاد سنجار. وما هو إلا وقت قصير حتى واجهته هموم عديدة أتته من جهات مختلفة، كانت لها آثارها السلبية على المدينة وأهلها نعرضها فيما يلي:

٣ - أوضاع أتابكية سنجار في عهد عماد الدين:

أ - سيف الدين غازي الثاني صاحب الموصل يحاصر سنجار: وما ان فارق نور الدين محمود الحياة في سنة ٥٦٩ هـ/ ١١٧٤م حتى وجد ابنه الصالح اسماعيل وحاشيته انهم وجها لوجه أمام أطماع الأيوبيين وعلى رأسهم السلطان صلاح الدين - أحد قادة نور الدين الكبار - وكان السلطان الأيوبي قد استولى على مصر وبعض بلاد الشام «حمص وحماه» وراح يهدد الصالح ويحاصر بلاده وأمام هذا الوضع المتردي طلب الصالح النجدة من ابنيّ عمه أصحاب الموصل وسنجار.

وتشير المعلومات ان صلاح الدين كان يطمع في السيطرة على كافة بلاد الشام والجزيرة أي ملك آل زنكي بأكمله. فبعد ان تأكد من تثبيت أقدامه في أكثر مدن الشام، كاتب امراء الجزيرة بالتعاون معه وزين لهم انه يشاركهم في السراء والضراء. وراح يخيفهم من خطر الوجود الصليبي الجاثم فوق ثغور الجزيرة. وطالبهم بتكوين قوة اسلامية موحدة في جزيرتهم من الموصل وسنجار وجزيرة ابن عمر واربل لتلافي هذا الخطر(١). وأظهر لهم حسن نواياه وأنه ما زال خادماً مطيعاً لآل زنكي وقائداً من قواد كتائبهم. ومن بين من اتصل بهم في الجزيرة كان عماد الدين صاحب سنجار. وترددت الرسل بين الرجلين فوثقت الصلة بينهما. وكان صلاح الدين قد وعد عماد الدين ان هو سار معه

= كانت هناك أتابكية ثالثة هي أتابكية بلاد الشام وعليها نور الدين محمود الذي كان يعتبر نفسه مسؤولا عن الاتابكيات الثلاث وقد انتهت هذه الاتابكية بوفاة ابن نور الدين الصالح اسماعيل في سنة ٥٧٧ هـ/ ١١٨١م حيث صارت بعد سنوات من املاك الايوبيين.

(١) حسن ابراهيم حسن، تاريخ الاسلام السياسي، ٤: ٧٩.

فسوف يساعده على ضم بلاد الموصل الى أعماله. لذلك فما ان وصل الى عماد الدين طلب الصالح اسماعيل بن نور الدين رفضه وتمنع عن تلبية دعوته[1]. في حين استجاب له صاحب الموصل الأتابك سيف الدين غازي.

تمنع العماد عن نصرة الصالح أثار غضب أخيه سيف الدين، فحمل عليه قاصداً إقناعه أو تأديبه وأخذ بلاده منه بعدما علم بما جرى بينه وبين صلاح الدين فوصل سنجار وترددت الرسل بينه وبين أخيه ولما لم تفلح حاصر المدينة وشدد عليها. وكان في الوقت نفسه قد سير نجدة الى حلب بقيادة أخيه عز الدين مسعود. وان الأخير التقى بعساكر صلاح الدين في منطقة قرون حماه وهزم. ويفيد ابن العديم انه لما وصل خبر كسرته الى أخيه سيف الدين غازي وهو محاصر سنجار، اضطر الى مصالحة أخيه عماد الدين ورجع الى الموصل وراح يجمع عساكره ويستعد لمواجهة الأيوبيين[2]. في حين عكف عماد الدين على إعادة ترتيب أمور بلاده ومواساة من لحق به الأذى.

ب – عماد الدين يقايض سنجار بحلب – عز الدين مسعود يمتلك سنجار: كان صاحب الموصل، سيف الدين غازي الثاني، يرغب في ان يجعل الملك من بعده لولده القاصر معز الدين سنجرشاه، فامتنع عليه أخوه عز الدين مسعود قائد عساكره وأيده في امتناعه بعض الأمراء ومنهم: مجاهد الدين قيماز وطالبوا الأتابك باسناد الملك اليه «أي الى

(١) ابن العديم زبدة الحلب، ٣: ٢٣ – ابن خلدون، تاريخه مجلد ٥، ق٣ ص٥٧٠.

• كان الايوبيون في خدمة الدولة الاتابكية النورية ومن قادتها البارزين. أقاموا دولتهم في مصر على أنقاض الدولة الفاطمية. وبعد وفاة نور الدين سعى صلاح الدين، الى الاستقلال بملكه في مصر والشام والجزيرة واستطاع ذلك، ودام حكم الدولة الأيوبية في بلاد الشام الى سنة ٦٥٨ هـ/ ١٢٦٠م حين قضى السلطان المغولي هولاكو على آخر ملوكها الناصر يوسف بن محمد الايوبي. بينما استمر ملكهم في حصن كيفا الى أبعد من ذلك بمئة سنة. «العزاوي، تاريخ النقود العراقية، ص١٩٦».

(٢) ابن العديم، زبدة الحلب، ٣: ٢٣ – ٢٤ – ابن الاثير، الكامل، ١١: ٤٢١، حوادث سنة ٥٧٠ هـ. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٦: ٢٥.

عز الدين »، وذلك لكبر سنه وحسن سياسته وكفايته سيما وان صلاح الدين قد تمكن بالشام وقويت شوكته وبات يهدد سائر الديار الشامية والجزيرة «حلب والموصل» كما طالبوه بان يعطي ابنيه بعض البلاد ويكونان بتدبير أخيه عز الدين. قيل ان سيف الدين استجاب للطلب وحلف الناس لأخيه[1]. وتوفي سيف الدين بحلول سنة ٥٧٦ هـ/ ١١٨٠ م. ولحق به بعد سنة صاحب حلب الصالح اسماعيل، بعد ان أوصى بملكه الى عز الدين مسعود صاحب الموصل[2]. ولما علم صاحب سنجار ما آل إليه أمر بلاد حلب عزّ عليه ذلك وأحب أن يكون له الأمر في تلك الجهات، لمكانتها وغناها. ولما لم يستطع اقناع أخيه عز الدين بتركها له، أرسل إليه يطلبها منه مقابل ان يعوض عليه

---

(١) ابن الاثير، التاريخ الباهر، ص١٨١.

(٢) هذه اسماء الملوك الاتابكيين الذين حكموا الموصل مع تواريخ حكمهم ووفياتهم كما أوردتها مجلة سومر وكما تأكدت من خلال سير البحث.

- عماد الدين زنكي بن آق سنقر ٥٢١ - ٥٤١ هـ/ ١١١٢٧ - ١١٤٦ م حكم الموصل وسنجار.
- سيف الدين غازي الاول ابن عماد الدين ٥٤١ - ٥٤٤ هـ/ ١١١٤٦ - ١١٤٩ م، حكم الموصل وسنجار.
- قطب الدين مودود بن عماد الدين ٥٤٤ - ٥٦٥ هـ/ ١١٤٩ - ١١٧٠ م حكم الموصل وسنجار.
- سيف الدين غازي الثاني بن مودود ٥٦٥ - ٥٧٦ هـ/ ١١٧٠ - ١١٨٠ م حكم الموصل فقط.
- عز الدين مسعود الأول بن مودود ٥٧٦ - ٥٨٩ هـ/ ١١٨٠ - ١١٩٣ م حكم الموصل فقط.
- نور الدين أرسلان شاه الاول بن مسعود الأول ٥٨٩ - ٦٠٧ هـ/ ١١٩٣ - ١٢١٠ م الموصل فقط.
- الملك القاهر عز الدين مسعود الثاني ابن أرسلان شاه، ٦٠٧ - ٦١٥ هـ/ ١٢١٠ - ١٢١٨ م، حكم الموصل فقط.
- نور الدين أرسلان شاه الثاني ابن القاهر، ٦١٥ - ٦١٦ هـ/ ١٢١٨ - ١٢١٩ م حكم الموصل فقط.
- ناصر الدين محمود ابن القاهر، ٦١٦ - ٦٣١ هـ/ ١٢١٩ - ١٢٣٤ م، حكم الموصل فقط.

« مجلة سومر، مجلد ٢، ج١، ص٢٣، سنة ١٩٤٦ ».

مقال بقلم داود الجلبي بعنوان: الملك بدر الدين لؤلؤ والاثار الاسلامية القديمة في الموصل «وكان قد أشير على الصالح ان يوصي لإبن عمه عماد الدين لأنه زوج أخته فرفض بحجة ان عز الدين له من الأموال والعساكر ما يقدر على حفظ حلب وأثبت من عماد الدين «... ومتى ذهب الجميع فاستحسنوا رأيه».

« ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٦: ٨٩ ».

بسنجار، وهدده ان هو لم يفعل ذلك فانه سيسلم بلاد سنجار الى صلاح الدين[١]. هذا التهديد، كانت له نتائج خطيرة عند عز الدين أدرك من خلاله انه متى أخذ صلاح الدين بلاد سنجار - وكانت تتحكم بطريق الموصل - حلب - يستطيع وبسهولة ان يمد نفوده الى كلا المدينتين المذكورتين ويستولي عليها دون عناء. لهذا قلق عز الدين وخاف، وتخوف معه أنصاره ومعاونوه ومن بينهم - مجاهد الدين قايماز. فأشاروا عليه بقبول الطلب[٢]. وتم ذلك وتسلم عماد الدين حلب وأخذ عز الدين سنجار وأناب عليها أخاه امير اميران هندو، وعاد الى الموصل[٣]. وفي هذا المجال قال ابن العديم:

« ... وتخلى عماد الدين عن سنجار وتحالف مع أخيه عز الدين مسعود على ان تكون حلب وأعمالها لعماد الدين، وسنجار وأعمالها لعز الدين وان ينجد كل واحد منهما صاحبه[٤] ».

صحيح ان بلاد سنجار كانت تتمتع بأهمية استراتيجية وبموارد اقتصادية مشجعة وبمواطنين قادرين الا انها لم تكن لتضاهي بالفعل بلاد حلب لا من قريب أو بعيد وهذا ما دفع بعماد الدين الى المطالبة بها بالحاح وبمقايضتها بسنجار. إلا انه سرعان ما أُصيب بخيبة أمل كبيرة لأنه ما أن وضع يده على المدينة حتى وجد خزائنها صفرا من الأموال، وقلعتها خالية من الرجال والسلاح وزاد في همومه انه أصبح يجاور سلطانا قوياً، لا يجد أية وسيلة للحد من مداخلاته الا وهو الناصر

(١) ابن الاثير، التاريخ الباهر، ص ١٨١، الكامل، ١١: ٤٧٥، حوادث سنة ٥٧٧ هـ.

(٢) ابن العديم، زبدة الحلب، ٣: ٤٧ حوادث سنة ٥٧٧ هـ.

(٣) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص ٢١ - ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٦: ٢٨. - ابن خلدون، تاريخه، مجلد ٥، ق ٣، ص ٦٥٩ - محمد العمري، منهل الاولياء ١: ١١٦.

(٤) ابن العديم، زبدة الحلب، ٣: ٥٢ حوادث سنة ٥٧٨ هـ.

- **Grousset, R,** Histoire des croisades..., 2: 685.
- **Runciman. Steven,** A history of the crusades, 2: 433.

صلاح الدين بن أيوب[1].

ج - صلاح الدين بن أيوب يستولي على سنجار: في هذا الوقت كان ابن أيوب يتأهب لأخذ ما تبقى من بلاد الشام ولوضع يده على الجزيرة. وراح يختلق الأعذار لتحقيق أطماعه. فادعى انه قد بلّغ ان المواصلة (أهل الموصل)، كانوا قد كاتبوا الفرنج واتفقوا معهم على قتاله فجعل ذلك حجة عليهم. وسار اليهم فنزل حلب وكانت لصديقه عماد الدين زنكي. ويفيد ابن العديم، ان عماد الدين اتصل بصلاح الدين أثناء وصوله الى حلب وتحادث معه وقال له: « ... امض الى سنجار وخذها، وادفعها الي، وأنا أعطيك حلب[2] ». ويظهر ان لهذه العبارة أكثر من دلالة ومعنى وعليها نفيد ان صلاح الدين حين أقدم على حصار حلب أولاً رغم أنها لصديقه كان يقصد من ذلك هدفين اثنين:

أولاً: افساد التحالف الذي كان قد تم بين الأخوين صاحبي حلب والموصل، عماد الدين وعز الدين عقب المقايضة السالفة الذكر، وإبعاد عماد الدين عن مساعدة أخيه عز الدين عندما يسير ابن أيوب إليه.

ثانياً: بوقوف عماد الدين على الحياد. يسهل على ابن أيوب أخذ الموصل وسنجار، ومتى تم له ذلك أصبح من اليسير عليه ان يبطش بعماد الدين وينهي ملكه في حلب. ولتحقيق هذه الأهداف رأى صلاح الدين ان يستجيب لعماد الدين ويقصد بلاد سنجار، وسار ابن أيوب في عساكره، حتى وافى الموصل. ولما لم يظفر بها رحل عنها الى سنجار. في هذه الأثناء كان عامل سنجار امير اميران هندو - أخو عز الدين مسعود قد

---

(١) ابن العديم، زبدة الحلب، ٣: ٥٦ حوادث سنة ٥٧٨ هـ.
(٢) ابن العديم، زبدة الحلب، ٣: ٥٦ حوادث سنة ٥٧٨ هـ.

وصله خبر صلاح الدين. فعمد الى ترتيب العساكر في مواقعها وأجرى التحصينات واستعد للقتال. وذكرت الأخبار بأن السناجرة استبسلوا في الدفاع عن مدينتهم استبسالاً ضايق العسكر الصلاحي وأثّر فيه. ولما تأكد لصلاح الدين عجز قواته عن اقتحام المدينة وخرق دفاعاتها، عمد الى اتباع أساليب السياسة والحيلة، فاتصل ببعض امراء المدينة من الأكراد الزرزارية واشتراه بالمال، وقيل أطمعه في نيابة حكم المدينة ان تم له فتحها. وقيل أيضاً ان هذا الأمير هو الذي كاتب صلاح الدين وخامر معه وأشار عليه بقصده من الناحية التي بها ليسلم اليه البلد[1]. وربما كان هذا الرأي الأخير معقولاً إذا كان من الصحيح ان كلا الرجلين، صلاح الدين والأمير الزرزاري، كانا من الأكراد.

وقصد ابن أيوب ناحية الأمير الكردي «وكانت تعرف بالباشورة»، ليلا وتسلمها منه. ولما علم اميرها بما جرى، استكان لساعته وخضع وطلب الأمان فأمن[2]. ويلاحظ ان ابن الأثير كان قد انتقد موقف صاحب سنجار امير اميران وحمله مسؤولية سقوط المدينة بعد المدافعة الشديدة عنها في البداية، فيقول: « ... ولو قاتل شرف الدين عن تلك الناحية لأخرج العسكر الصلاحي عنها ولو امتنع بالقلعة لحفظها ومنعها، ولكنه عجز فلما طلب الأمان أجابه صلاح الدين اليه[3]». وتسلم صلاح الدين المدينة واستناب فيها الأمير سعد الدين بن معين الدين انر وكان من أكابر القوم وأحسنهم[4]. وقيل انه استناب ابن اخيه

(١) ابن الاثير، الكامل، ١١: ٤٨٧ حوادث سنة ٥٧٨.

(٢) يقول ابن العديم ان الامير الكردي كان يقيم في برج من أبراج المدينة فسلمه الى صلاح الدين فضعفت نفس واليها اميراميران فسلمها بالامان «زبدة الحلب، ٣: ٥٨ - ٥٩».

(٣) ابن الاثير، الكامل، ١١: ٤٨٧ حوادث سنة ٥٧٨.

(٤) ابن الاثير، الكامل، ١١: ٤٨٨ حوادث سنة ٥٧٨ - ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج٣، ق١، ص١٨٠.

تقي الدين عمر[١]. وفي هذا الحدث ذكر ابن العبري في تاريخه في حوادث سنة ٥٧٨ هـ فقال: «... وفيها سار صلاح الدين الى الديار الجزيرية فملك الرها وحران والرقة وقرقيسيا وعرابان ونصيبين، وسار الى الموصل بأسلحة كثيفة فلقي صعوبة في امتلاكها فعاد الى سنجار فملكها[٢]. وبعد ذلك غادر شرف الدين سنجار بصحبة أعوانه وأفراد حاشيته قاصدين الموصل وقيل ان صلاح الدين سيّر معهم حامية من عسكره رافقتهم الى هناك وكانوا مكرمين معززين[٣]. وأفادت الأخبار بان جند صلاح الدين انتقموا من سكان المدينة، فور دخولهم اليها فاستباحوهم ونهبوهم وان ابن أيوب عجز عن منعهم من ذلك[٤].

د - عودة سنجار الى عماد الدين: وهكذا تحقق الشطر الأول من سياسة صلاح الدين لأخذ بلاد الجزيرة وحلب. من حيث انه أبعد عماد الدين عن مساندة أخيه عز الدين في سنجار، فوقف عماد الدين مكتوف اليدين لم يبد أي تحرك إزاء الأحداث التي عانتها سنجار - كما رأينا - وبقي على ابن أيوب ان ينجز الشطر الثاني الرامي الى أخذ حلب. وكان ذلك أمراً ميسوراً.

ويستفاد مما ذكره ابن الأثير بأن هناك خلافاً قد حصل بين صاحب حلب وصلاح الدين قبل أو بعد سقوط سنجار. وربما كان بسبب العنف الذي اتبعه جند ابن أيوب في المدينة حيث لم يرض عماد الدين عن هذا التصرف الجائر - الذي لم يدخل في نطاق الاتفاق -، وعلى أثر هذا

---

(١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٦: ٢٩.

(٢) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص٢١٩ حوادث سنة ٥٧٨ هـ.

- النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس، ٢: ١٨١.

- Grousset. R. Histoire des croisades...., 2: 714.

(٣) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج٣، ق١، ص١٨٠.

- رنسيان، تاريخ الحروف الصليبية، ٢: ٧٠١.

(٤) رنسيان، تاريخ الحروب الصليبية، ٢: ٧٠١.

الخلاف سار صلاح الدين قاصداً حلب مختلقاً الأعذار فحاصرها فطلب صاحبها من بعض مؤيدي ابن أيوب ويدعى الأمير حسام الدين طمان بن غازي الياروقي• التدخل في الصلح وابعاد الخطر فتدخل وتقرر ذلك[١]. إلا ان بعض المصادر أوضحت ان عماد الدين طالب صلاح الدين بالاتفاق السابق بينهما والقاضي باعطائه سنجار لقاء تسليمه حلب. « ... وطالبه عماد الدين ان يعوّضه عن حلب سنجار ونصيبين والخابور والرقة وسروج فأجابه الى ذلك[٢]. وقيل ان عماد الدين كافأ الأمير حسام الدين طمان على جهوده فأعطاه مدينة الرقة « .. وتم الاتفاق على ان يأخذ الناصر صلاح الدين حلب وأعمالها ويعطي عماد الدين سنجار والخابور ونصيبين وسروج، وان يكون لطمان الرقة[٣] ». وعاد عماد الدين الى ادارة شؤون سنجار من جديد بعد ان اتسع نطاق ملكه فشمل بلاداً جديدة واستمر في الحكم هذه المرة وبصورة متواصلة من سنة ٥٧٩ هـ/ ١١٨٣م الى وفاته في سنة ٥٩٤ هـ/ ١١٩٧ م[٤].

والذي تجدر ملاحظته هو ان المعلومات اختلفت لجهة تأريخ عودة عماد الدين من حلب إلى سنجار. ففي حين ذهب بعضها الى انها كانت في سنة ٥٧٩ هـ/ ١١٨٣ م[٥]، ذهب البعض الآخر الى انها تمت في سنة

---

(١) ابن الاثير، الكامل، ١١: ٤٩٧ حوادث سنة ٥٧٩ هـ - أحمد ابن الحنبلي، شفاء القلوب، ص١٠٥.

(٢) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٨، ق٢، ص٤٥٧ حوادث سنة ٥٧٩ هـ.
- ابن خلدون، تاريخه، مجلد ٥، ق٣، ص٥٧٩.
- Grousset. R. Histoire des croisades...., 2: 720.

(٣) ابن العديم، زبدة الحلب، ٣: ٦٦ حوادث سنة ٥٧٩ هـ.
- ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٦: ٢٩.
- زامباور، معجم الانساب والاسرات الحاكمة، ١: ٥٣.

(٤) ابن الاثير، الكامل، ١٢: ١٣٢ حوادث سنة ٥٩٤ هـ.

• وقيل حسام الدين طمان بن عبدالله النوري صاحب الرقة «أحمد ابن الحنبلي، شفاء القلوب في مناقب بني أيوب، ص١٠٥ ».

(٥) ابن الاثير، الكامل، ١٢: ١٣٢ حوادث سنة ٥٩٤ هـ.

٥٨٣ هـ/ ١١٨٧ م[١]. وكان للسياسة التي اتبعها عماد الدين مع صلاح الدين آثارها السلبية على سمعة آل زنكي في بلاد الشام والجزيرة. فالشاميون ومن ثم الحلبيون كانوا ينظرون الى ابن أيوب مجرد خادم من خدام أسيادهم الزنكيين وهذا ما تفوه به صلاح الدين نفسه عندما قدم من مصر الى الشام بحجة حماية ملك الصالح اسماعيل بن نور الدين. كما كانوا يقولون بأحقية آل زنكي الدائمة في الملك والسيادة. لذلك هالهم بل وعزّ عليهم ان يروا أحفاد زنكي يستكينون هذه الاستكانة ويرضخون لخدامهم فراحوا يوجهون الى عماد الدين الانتقادات الجارحة التي تنال من هيبته وسمعته. فنظموا فيه الاهازيج الشعبية المليئة بعبارات التجريح والتوبيخ وطافوا ينشدونها في طول مدن حلب وعرضها[٢].

ونود ان نقول هنا ان إعادة سنجار وتوابعها الى عماد الدين بهذه السهولة، رغم ادراك صلاح الدين لأهميتها، كان مرده هو اعتقاد ابن أيوب ان باستطاعته أخذها من عماد الدين متى شاء، لأنه كان في نظره مجرد نائب له أو وكيل عنه على تلك الجهات ليس إلا. واذا كان ابن أيوب قد نظر الى ابن زنكي بهذا المنظار، واعتقد فيه هذا الاعتقاد

- أحمد ابن الحنبلي، شفاء القلوب، ص١٠٥.

(١) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج٣، ق١، ص١٨٢.
- ابن الفرات، تاريخه، مجلد ٤، ج٢، ص١٤٠.

(٢) ابن العديم زبدة الحلب، ٣: ٦٨ حوادث سنة ٥٧٩ هـ.
- ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٦: ٩٥.
- رنسيان، تاريخ الحروب الصليبية، ٢: ٧٠٣.
- **Runciman.** A History of The crusades. 2: 435.

يقول أحمد ابن الحنبلي انه بعد ان سلم عماد الدين حلب الى صلاح الدين، سار من يومه الى سنجار وكان أهل حلب قد جعلوا له صابونا وثيابا تحت القلعة وصاحوا به: يا فاعل، يا صانع، انزل اغسل الثياب من الخانيث، وعملوا الاشعار، وغنوا بها في الاسواق ومنها.

وبعت بسنجار خير القلاع ثكلتك من بائع مشتري

«شفاء القلوب، ص١٠٥».

فاننا نوضح بان عماد الدين - كما أفادت المصادر - لم يكن بالرجل المستضعف الى هذا الحد. وفي رأينا - وهذا هو الصواب - انه رمى من خلال تعامله مع صلاح الدين تحقيق أهدافه ورغباته الا وهي الاستقلال بحكم بلاد زنكي جميعها. لذلك وجد في صلاح الدين خير معين له على ذلك سيما وان ابن أيوب قد وعده بالمساعدة عندما تمت الاتصالات الأولى بينهما.

هـ - عساكر سنجار تشارك العسكر الصلاحي في حربه ضد الفرنج: وسيان ان كان صلاح الدين قد استضعف ابن زنكي، او ان الأخير قد اتخذه سندا ومعيناً في خلافاته مع أخوته وأبناء عمومته، فالذي تؤكدة الأخبار هو ان الرجلين كانا متفقين ومتعاونين وان كانت قد ظهرت في الأفق في بعض الأحيان ملامح خلافات بينهما. فابن أيوب انجد صاحبه في كثير من المواقع، وابن زنكي استمر في تعاونه مع صلاح الدين ومن ثم مع ابناء صلاح الدين فيما بعد وساعدهم في حل مشاكلهم وخوض حروبهم، بل وكان من اقدر امراء عساكرهم، وقيل ان صلاح الدين كان قد جعله مقدما لبعض اقسام عسكره(١).

لقد اتسمت الفترة التي عاشها عماد الدين في سنجار باشتداد المواجهة بين المسلمين والفرنج. وكان ابن ايوب قد تعهد بحمل مسؤولية الدفاع عن الثغور الاسلامية بمعاونة امراء المسلمين في بلاد الشام والجزيرة ومن بين هؤلاء كان عماد الدين صاحب سنجار، حيث قاد السناجرة المقاتلين في كتائب عديدة واشترك في مواقع كثيرة جرت في اطراف الشام والجزيرة، تحمل خلالها الشعب السنجاري جزءاً كبيراً من تكاليف هذه الحروب البشرية منها والمادية.

---

(١) ابن الاثير، الكامل، ١٢: ١٥ حوادث سنة ٥٨٤ هـ.
ابن خلدون، تاريخه، مجلد ٥، ق٣، ص٦٨٧.

ففي سنة ٥٨٤ هـ/١١٨٨ م، قاد عماد الدين العسكر السنجاري لمشاركة صلاح الدين في نزال الفرنج[1].

وفي سنة ٥٨٦ هـ/١١٩٠ م. اشترك السناجرة مع الجيش الأيوبي في قتال الفرنج في عكا[2].

وفي سنة ٥٨٧ هـ/١١٩١ م، شارك الجند السناجرة بقيادة مجاهد الدين يرنفش - احد قواد عماد الدين ومن مماليكه - الجيش الاسلامي في حرب الفرنج[3].

و - **ملحقات اتابكية سنجار في عهد عماد الدين**: الفترة الطويلة التي قضاها عماد الدين زنكي الثاني في ملك سنجار وتوابعها من سنة ٥٦٦ - ٥٩٤ هـ/١١٧١ - ١١٩٧ م باستثناء مدة السنة التي قضاها في حلب - تمتعت سنجار خلالها بشهرة واسعة في مجالات عدة سنأتي على ذكرها في فصول لاحقة. الشهرة هذه كانت قد نتجت عن اهتمام ابن زنكي ونوابه بأمور البلاد وتحسين احوال العباد، وبالعمل على توسيع رقعة ملك سنجار بحيث شملت اراض واسعة ضمت مدنا وضياعا كثيرة عرفت بالملحقات. ففي عهد عماد الدين اصبحت سنجار عاصمة للملك نقلت اليها كافة ادارات الدولة وخزائنها، اصبحت مقراً للحكام ومركزاً لتصريف امور الملحقات وسوقا اقتصاديا لها، وشهرة سنجار في عهد ابن زنكي ترجع الى أهمية المدن والقرى التي الحقت بها. ولقد وافتنا المصادر باسماء البعض من هذه المدن وهاك ما اوردته بهذا الخصوص:

- في سنة ٥٧٩ هـ/١١٨٣ م كانت مدن الخابور ونصيبين وسروج

(١) ابن الاثير، الكامل، ١٢ - ١٥ - رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ١٢: ٧٦١.
(٢) ابن الاثير، الكامل، ١٢: ٥٣ حوادث سنة ٥٨٦ هـ.
(٣) ابن الفرات، تاريخه، مجلد ٤، ج ٢، ص ١١ حوادث سنة ٥٨٧ هـ.

والرقة من ملحقات سنجار[١].

- وفي سنة ٥٨١ هـ/١١٨٥ م اضيف الى هذه الملحقات بلد تلعفر اثر استيلاء صلاح الدين ابن ايوب عليها واعطائها لعماد الدين[٢].

- وفي سنة ٥٨٥ هـ/١١٨٩ م. كانت مدن نصيبين - الخابور تلعفر فقط من أعمال سنجار[٣].

- وفي سنة ٥٨٩ هـ/١١٩٣ م. ذكر من هذه الملحقات فقط نصيبين[٤].

- وفي سنة ٥٩٤ هـ/١١٩٧ م. عددت المصادر الملحقات التالية: نصيبين - الخابور والرقة[٥].

٤ - اوضاع اتابكية سنجار في عهد ورثة عماد الدين.

أ . قطب الدين محمد بن عماد الدين يملك سنجار - علاقته بالايوبيين: ومات عماد الدين ودفن بمدينة سنجار، في التربة المعروفة بالعمادية، بعد أن أوصى بالملك من بعده لولده الأكبر قطب الدين محمد، الذي لقب بالملك المنصور[٦]. هذا وكان المؤرخون القدامى قد اثنوا على عماد الدين بعبارات واقوال نورد بعضا منها: قال ابن الأثير: كان عماد الدين دينا، خيراً، عادلاً، حسن السيرة في رعيته عفيفاً في اموالهم واملاكهم، متواضعاً[٧]. وذكره السبط ابن الجوزي فقال: كان عاقلا،

---

(١) ابن العديم، زبدة الحلب، ٣: ٦٦ حوادث سنة ٥٧٩ هـ.
- ابن خلدون، تاريخه، مجلد ٥، ق٣، ص٥٧٩.
(٢) ابن العديم، زبدة الحلب، ٣: ٨١ حوادث سنة ٥٨١ هـ.
(٣) **III- Anonymi,** chronicon 1234, P. 240.
(٤) ابن الاثير، الكامل، ١٢: ٩٩ حوادث سنة ٥٨٩ هـ.
(٥) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص٢٢٥ حوادث سنة ٥٩٤ هـ.
(٦) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٨، ق٢، ص٤٥٧ حوادث سنة ٥٩٤ هـ.
(٧) ابن الاثير، التاريخ الباهر، ص١٩١ حوادث سنة ٥٩٤ هـ.

جوادا، فرض احترامه على رعيته واحترمه صلاح الدين، وقدم اليه الهدايا والاموال[١]. وملك قطب الدين محمد اتابكية سنجار ودبر اموره مملوك ابيه مجاهد الدين يرنقش[٢]. واذا كانت الظروف هي التي حتمت على عماد الدين مصانعة الناصر الأيوبي، فانها هي نفسها كانت قد دفعت بولده قطب الدين محمد الى مصانعة العادل الايوبي سيف الدين ابي بكر، الذي ملك مصر والشام بعد اخيه الناصر، ولما كان الأيوبيون يودون امتلاك بلاد زنكي، فقد عملوا قدر الأمكان على الافادة من الأوضاع التي كانت سائدة في تلك البلاد. فهم لا يتورعون في اوقات كثيرة عن البطش بحلفائهم متى وجدوا الى ذلك سبيلا. لهذا فقد ترجحت علاقاتهم بدولة قطب الدين. كما ترجحت علاقته بهم. وكان لذلك اثره البيّن على بلاد الاتابكية ارضاً وشعباً وعلى الأخص مدينة سنجار، فمن جهة كان الأيوبيون يظهرون بمظهر الحليف الأنيس المخلص لقطب الدين، يحاربون الى جانبه ويدافعون عن ملكه تماما كما حدث في سنة ٥٩٤ هـ/١١٩٧ م وسنة ٦٠٠ هـ/١٢٠٤ م[٣]. ومن جهة ثانية يظهرون بمظهر العدو لقطب الدين فيحاربونه ويضطرونه الى الالتجاء لامراء الجزيرة من ابناء عمومته فيحاربهم ويقاتلهم كما فعل ذلك في سنة ٥٩٥ هـ/١١٩٨ م وسنة ٥٩٧ هـ/١٢٠٠ م وسنة ٥٩٩ هـ/١٢٠٣ م على سبيل المثال لا الحصر[٤].

---

(١) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ٨، ق٢، ص٤٥٧.

(٢) ٦ابن الاثير، التاريخ الباهر، ص١٩١.

- ابن الفرات، تاريخه، مجلد ٤، ق٢، ص١٤١.

(٣) ففي سنة ٥٩٤ هـ/ ١١٩٧ م انتزع الاتابك نور الدين أرسلان صاحب الموصل مدينة نصيبين من قطب الدين فاستنجد الاخير بالعادل الايوبي فأنجده واعادها إليه «ابن الاثير، التاريخ الباهر، ص١٩٠».

وفي سنة ٦٠٠ هـ عاد نور الدين أرسلان صاحب الموصل وأخذ بلد تلمفر من قطب الدين، فاستعان القطب بالاشرف الايوبي موسى فاستمادها له بعد معركة هزم فيها صاحب الموصل وأسر عدداً من رجاله وأمرائه «ابن واصل، مفرج الكروب، ٣: ١٥٩ حوادث سنة ٦٠٠ هـ.

- ابن خلدون، تاريخه، مجلد ٥، ق٤، ص٧٣٩. وقد ذكر أبو شامة بعض من أسر من أمراء نور الدين ومنهم: المبارز سنقر الحلبي وولده الظهير غازي «ذيل الروضتين، ص٤٥ حوادث سنة ٦٠٠ هـ».

(٤) ابن الاثير، التاريخ الباهر، ص١٩٥ - الكامل، ١٢: ١٤٩، ١٧٩.

وكثيراً ما اجبروه على الاستسلام واعلان الطاعة والولاء لهم وقيام الخطبة في بلاده لسلطانهم، كما فعل به العادل سيف الدين ابي بكر الأيوبي[1].

وكأن التاريخ يعيد نفسه، فبعد مرور أكثر من ربع قرن على العمل العدائي الذي أقدم عليه الناصر الأيوبي تجاه اتابكية سنجار وصاحبها عماد الدين - كما رأينا من قبل - اقدم اخوه العادل سيف الدين أبي بكر على مثل ذلك، فكانت مدينة سنجار من اكثر المدن تأذيا وانتهاك حرمة.

ب - **مدينة سنجار والعادل الايوبي:** اما عن ماهية الاسباب التي دفعت العادل الى غزو بلاد قطب الدين محمد، فمن المعروف ان الأيوبيين كانوا - كما اسلفنا من قبل - قد اتبعوا منذ دخولهم ارض الشام والجزيرة مع امراء تلك النواحي سياسة فرق تسد، ليتسنى لهم بالفعل تحقيق ما يصبون اليه. فقد حدث ان تصالح العادل مع نور الدين ارسلان - صاحب الموصل بعد منازعات وحروب - وقيل انه اتفق معه على قسمة بلاد قطب الدين والجزيرة اجمع[2]. وحدث ان سمع قطب الدين بالاتفاق، وكان على جانب من السياسة والحيلة، فتقرب من ابن عمه نور الدين واخذ يسر اليه واقنعه بخطورة الاتفاق مع العادل. وانه متى تم ذلك فان العادل لن يحجم في يوم من الأيام عن الاقدام على انتزاع بلاده منه. فاستحسن نور الدين صواب رأيه وعدل عن مشروعه،

- ابن خلدون، تاريخه، مجلد ٥، ق٤، ص٧٣٢ - ٧٣٣.
- ابن واصل، مفرج الكروب، ٣: ١٢٧.
- ابن الفرات، تاريخه، مجلد ٤، ق٢، ص٢٠٦ - ٢٠٧.

(١) ابن خلدون، تاريخه، مجلد ٥، ق٣، ص٥٩٠.

(٢) تم الاتفاق على قسمة بلاد قطب الدين محمد - وبلاد سنجر شاه بن غازي بن مودود - صاحب جزيرة ابن عمر - فيكون ملك قطب الدين للعادل، وتكون الجزيرة لنور الدين «ابن الاثير، الكامل، ١٢: ٢٨٤. لمزيد من المعلومات عن هذا الاتفاق انظر، «شفاء القلوب في مناقب بني أيوب، لأحمد ابن الحنبلي ص٢١٩ - ٢٢٠».

ولما تبين للعادل ان قطب الدين كان وراء موت الاتفاق، ولما تبين له ان الفرصة سانحة لتأديب قطب الدين والانتقام منه واخذ بلاده، سار اليه بجموعه الكثيفة وراح يحتل اراضيه ومدنه، فملك بلد الخابور ثم توجه الى نصيبين فأخذها، ومنها قصد سنجار لأنه كان يعلم أهميتها ومكانتها ويدرك انها كالسور على جميع مدن ارض الجزيرة وان مُلْك بلاد الجزيرة لا يستقر الا بملكها وهذا ما ذهب اليه ابن الأثير في بعض أحاديثه[1].

ويتحدث ابن واصل عن مراسلات كانت قد جرت بين الرجلين - العادل وقطب الدين - قبل مسير ابن ايوب نحو بلاد سنجار، وكان من جملة ما طلبه العادل هو اخذ سنجار من قطب الدين والتعويض عليه فيقول في حوادث سنة ٦٠٦ هـ/١٢٠٩ م: «... وبعد ان تكاملت عساكر العادل واجتمعت لديه، كاتب قطب الدين - صاحب سنجار - ليسلم اليه البلد ويعطيه العوض عنها، وان قطب الدين عزم على ذلك فمنعه مدبره احمد بن يرنقش - مملوك أبيه - وقام بحفظ سنجار والذب عنها»[2].

اذن فشلت المفاوضات وتهيأ العادل للمسير نحو سنجار فوصلها ونصب عليها المجانيق وراح يضربها، وقد اشار الى ذلك ابو شامة فقال في حوادث السنة نفسها: «... وفيها، وفي ربيع الأول نزل العادل على سنجار بعساكر مصر والشام وحلب وديار بكر ومعه أولاده، الاوحد وغيره، واقام يضربها بالمجانيق الى رمضان، ولم يبق الا تسليمها»[3]. ويفيد ابن واصل أنه عندما جد العادل في حصار سنجار، اخرج اليه صاحبها - قطب الدين - نساءه وحرمه يضرعن اليه ويسألنه ابقاء

(١) ابن الاثير، الكامل، ١١: ٤٨٨.
(٢) ابن واصل، مفرج الكروب، ٣: ١٩١ حوادث سنة ٦٠٦ هـ.
(٣) ابو شامة، ذيل الروضتين، ص٦٧ حوادث سنة ٦٠٦ هـ.

المدينة عليهن، لكن العادل لم يستجب اليهن وأمر بإعتقالهن حتى تسليم البلد، مما اضطر صاحبها الى القاء المقاليد اليه واجابه، على ان يعوضه مدينة الرقة وسروج وضياعاً من بلد حران. عندها اطلق العادل النساء وامر بإدخال علمه الى المدينة، وتحدث ابن واصل عن خدعة قطب الدين للعادل فيستطرد القول: ما ان علم قطب الدين بالافراج عن النسوة وادخال علم العادل الى المدينة حتى امر بكسره واستعد للحصار من جديد وارسل الى العادل يقول: «غدرة بغدرة والبادي اظلم»[١]. وتتحدث الاخبار عن مدى الغضب الذي احدثه هذا القول في نفس العادل فثارت ثائرته وامر بتشديد الحصار ومضاعفة الضربات. كما تتحدث عن البطولة التي أبداها السنجاريون في الدفاع عن أنفسهم وحرمهم وممتلكاتهم - البساتين والجواسق - ولما طال الحصار ولحق الناس الجوع والعطش استصرخ قطب الدين امراء النواحي وبخاصة صاحب الموصل - نور الدين ارسلان - وصاحب اربل - مظفر الدين كوكبري، ليشفعا له عند العادل[٢]. ويطالباه بابقاء المدينة عليه وعدم التعرض اليه، فقيل ان العادل اعتذر عن الاستجابة لهما وذكر لقطب ذنوبا تقتضي تأديبه وحصاره[٣].

ولما رُدّت شفاعتها، غضبا وعزما على قصد سنجار لنجدة قطب الدين. وتفيد المصادر انهما راسلا صاحب حلب، وكان يومئذ الملك الظاهر غازي الأيوبي واطمعاه في السلطنة. وان الأخير توسط لهما لدى عمه العادل في اطلاق سنجار على قطب الدين، وان وساطته نجحت

(١) ابن واصل، مفرج الكروب، ٣: ١٩٣.

(٢) كانت بين العادل وكوكبري علاقات طيبة، قامت على المصاهرة بينهما. فلما رفض العادل شفاعة كوكبري ثارت ثائرته فتشاور مع نور الدين أرسلان صاحب الموصل واتفق معه على مساعدة قطب الدين.

«ابن واصل، مفرج الكروب، ٣: ١٩٤ حوادث سنة ٦٠٦ هـ».

(٣) ابن الاثير، التاريخ الباهر، ص١٩٧.

واشار ابن العديم الى هذا النجاح فقال: «...وان العادل استجاب له واطلق سنجار على صاحبها بعد أن استنزله على الخابور ونصيبين[1]». وبهذا اقتطع العادل جزءاً من مملكة قطب الدين على امل اقتطاع اجزاء اخرى في المستقبل القريب. وتعلل المصادر الاسباب الأخرى التي دفعت بابن ايوب - العادل - الى فك الحصار عن سنجار وابقائها على صاحبها بما يلي:

١ - مسير عساكر امراء النواحي لمساعدة قطب الدين ونزولها بظاهر سنجار وكانت كثيفة العدد والعدة. ومن بين هذه العساكر نذكر: عساكر صاحب الموصل - نور الدين ارسلان - عساكر صاحب اربل - مظفر الدين كوكبري - عساكر صاحب بلاد الروم - غياث الدين - عساكر صاحب ارزن الروم - مغيث الدين طغرل شاه أخي غياث الدين[2].

٢ - وجود بعض القادة في عسكر العادل ممن كانوا يعارضونه في استمرار قتال السناجرة ويناصحونه في فك الحصار ومن هؤلاء نسمي أسد الدين شيركوه صاحب حمص[3].

٣ - توسط الخليفة العباسي - الناصر لدين الله - بعد الطلب الذي وجه اليه من صاحب سنجار، اذ ارسل استاذ دار الخلافة - ابا نصر هبة الله بن المبارك بن الضحاك، والأمير آق تاش من خواص مماليكه لاصلاح الحال[4].

---

(١) ابن العديم، زبدة الحلب، ٣: ١٦١ حوادث سنة ٦٠٦ هـ.

(٢) ابن واصل، مفرج الكروب، ٣: ١٩٤ - ١٩٥.

(٣) ابن الاثير، الكامل، ١٢: ٢٨٧ - ابن واصل، مفرج الكروب، ٣: ١٩٦.
ويضيف ابن واصل بأن سبب معارضة شيركوه لحصار سنجار وقتالها كان بدافع العلاقات الطيبة الودية بينه وبين صاحب سنجار. وتفيد الاخبار بأن شعبي البلدين كانا على علاقات اقتصادية متبادلة وكانت كلا المدينتين سوقاً لتصريف منتوجات الاخرى. «.... وكانت سنجار سوقاً لبعض موارد حمص من الاغنام والأقوات وغيرها» ابن واصل، مفرج الكروب، ٣: ١٩٦.

(٤) ابن واصل، مفرج الكروب، ٣: ١٩٦ - وقيل ان رسول الخلافة كان اقباش الناصري بهاء الدين ابن

٤ - ويضيف الرهاوي سبباً آخر وهو حدوث برد شديد وثلج كثيف وعواصف أضعفت من قوى العساكر المحاصرة[١].

٥ - على ان السبب الأهم والأقوى كان امتناع السناجرة على العادل حيث استبسلوا في الدفاع وقاوموا بضراوة وتحملوا الأهوال والمآسي التي تسببها الحصار ولم يستسلموا وأجبروا ابن أيوب على الركوع والبحث عن وسيلة يحفظ فيها ماء وجهه ويبرر فك حصاره عن المدينة، والرحيل عنها. ولهذا وافق على طلب الخلافة وتقرر الصلح على ما يلي:

- ان يكون للعادل نصيبين والخابور وكل ما ملكه من البلاد في الجزيرة.
- ان تبقى سنجار على صاحبها قطب الدين وان يرحل العادل وعسكره عنها[٢].

واستقرت القاعدة على ذلك ورحل العادل عن سنجار[٣]. ويشير ابن العبري الى هذه الحادثة بقوله: «... وفيها (أي في سنة ٦٠٦ هـ/ ١٢٠٩ م) ملك العادل أبو بكر الخابور ونصيبين وحاصر سنجار ثم عاد عنها[٤]».

وهكذا تقلصت حدود اتابكية قطب الدين لتقتصر على بلاد سنجار مع تلعفر فقط[٥]. وكان قطب الدين قبل مسير العادل اليه قد حافظ

الضحاك، «ابن الاثير، التاريخ الباهر، ص١٩٧» - وقيل أيضاً ان الخلافة نفذت عضد الدين أبو نصر المبارك ابن الضحاك استاذ الدار العزيزة يومئذ وصحبه الامير اقباش الناصري المعروف بالدويدار.

«ابن الساعي الخازن، الجامع المختصر في عنوان التواريخ والسير، ٩: ٢٨٨».

(١) II- Anonymi, Chronicon 1235, P. 164.

(٢) ابن واصل، مفرج الكروب، ٣: ١٩٦.

(٣) ابن الاثير، التاريخ الباهر، ص١٩٧ - الكامل، ١٢: ٢٨٧.

" أبو شامة، ذيل الروضتين، ص٦٧، حوادث سنة ٦٠٦ هـ.

(٤) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص٢٢٩ حوادث حوادث سنة ٦٠٦ هـ.

(٥) ابن واصل، مفرج الكروب، ٤: ٧١.

على هذه الحدود وجهد في توسيعها فأضاف اليها مدنا وضياعا كثيرة وردت اسماؤها في العديد من المصادر[1].

وانزوى قطب الدين في مملكته الصغيرة، وفي نفسه لوعة وفي قلبه حسرة لما آلت اليه أوضاع بلاده على يدي العادل ومؤيديه، فأخذ يداوي الأوجاع ويصلح الخراب، ويجدد البناء، ويقوي الدفاع، لينتقم من الأعداء متى وجد الى ذلك سبيلاً. فنراه يشارك امراء الجزيرة حربهم على العادل كما حدث في سنة ٦٠٧ هـ/ ١٢١٠ م على سبيل المثال[2].

واستمر قطب الدين في ملك سنجار الى وفاته في سنة ٦١٦ هـ/ ١٢١٩ م، وكان عهده فيها هو استمرار لما كان عليه عهد ابيه من نمو وازدهار في شتى مرافق الحياة رغم متاعب ونكبات الأيوبيين.

وخلف قطب الدين في الملك ولده عمادالدين شاهنشاه[3]. فاشتمل عليه الناس شهوراً الى ان اغتاله اخوه فروخ شاه عمر[4]، وقيل الأمجد عمر[5] بسبب وراثة الملك. وملك فروخ شاه مدينة سنجار إلا ان ملكه لم يدم قرابة سنة - حسب اخبار المصادر - اذ سرعان ما

- ابن خلدون، تاريخه، مجلد ٥، ق ٤، ص٧٥٧.

(١) من هذه المدن والضياع نذكر ماكسين حيث كانت من أعمال سنجار في سنة ٦٠٤ هـ، «أبو شامة، ذيل الروضتين، ص٥٩، حوادث سنة ٦٠٤ هـ».

(٢) أبو شامة، ذيل الروضتين، ص٧٥، حوادث سنة ٦٠٧ هـ.

(٣) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج٣ ق١، ص١٩٣ - أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، مجلد ٢، ق٦، ص١٦ - ١٧.

(٤) ابن الاثير، الكامل، ١٢ - ٣٤٢ - ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج٣، ق١، ص١٩٤.
- ابن خلدون، تاريخه، مجلد ٥، ق ٤، ص٧٥٧.

(٥) المقريزي، السلوك، ج١ ق١، ص٢٠٤. وقيل محمود بن محمد، أبو الفدا، المختصر فى أخبار البشر، مجلد ٢ ج٦، ص١٧ - وقيل فروخ شاه محمود بن قطب الدين «ابن واصل، مفرج الكروب، ٤: ٧١».

استبد به الملك الأيوبي الأشرف موسى وأخذ بلاده منه[١]، مسقطا الدولة الاتابكية الزنكية السنجارية التي كانت قد عاشت زهاء نصف قرن من الزمن، ومزيلاً نفوذ آل زنكي من سنجار بعد دوام قارب المئة عام.

٥ - **أضواء على العهد الأتابكي في سنجار:** أفادت المصادر ان حكم الأتابكة الزنكيين لبلاد سنجار كان عهد تقدم ونجاح في مختلف نواحي الحياة العمرانية والعلمية والاقتصادية - وهذا ما سنلحظه في فصول لاحقة - وكانت مدينة سنجار أوفر حظاً من جاراتها في هذا المجال حيث أخذت حركة الرقي فيها تمشي بخطى سريعة، مما جعلها مثار الأطماع المائجة بين الملوك الزنكيين والأيوبيين.

ونجح الملوك الأتابكة الزنكيين في جعل سنجار إمارة مستقلة استقلالاً كاد ان يكون تاماً في أحيان كثيرة، وجعلوا من المدينة عاصمة لتلك الإمارة لها شأنها ومكانتها. فنالت شهرة واسعة تحدثت عنها المصادر التي أرخت لهذه الفترة باسهاب.

ان اهتمام آل زنكي بمدينة سنجار وتفضيلها على ما عداها من مدن وضياع لم يكن مجرد محبة او هوى لها، وإنما كان لهذا الاهتمام دوافع وأسباب، فمن ذلك الموقع المهم الذي كانت تتمتع به أولاً، والموارد الكثيرة المتنوعة التي كانت تمتلكها المدينة وبلادها ثانياً. فالجهد والموقع والخيرات تضافرت كلها وجعلت من سنجار بقعة مهمة كان لها حسابها عند الملوك والأمراء والقادة. وليس أدل على اهتمام هؤلاء بها من أنهم كانوا يضعونها من حيث الأهمية الى جانب دمشق وحلب، بل انهم كانوا لا يتورعون عن مقايضة حلب بها إذا طلب منهم ذلك.

---

(١) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج٣، ق١، ص١٩٤ - ويضيف: ولم يتمتع عمر بملكه الذي قطع رحمه (بقتل اخيه) وأراق الدم الحرام لأجله «نفس المصدر».



الفصل الرابع

مدينة سنجار في العهدين الأيوبي واللؤلؤي.
٦١٧ - ٦٦٠ هـ/ ١٢٢٠ - ١٢٦٢ م

أولا - الحكم الأيوبي الدائم في سنجار

ثانياً - سنجار في عهد بدر الدين لؤلؤ وأبنائه

مدينة سنجار خلال العهدين الأيوبي واللؤلؤي
٦١٧ - ٦٦٠هـ/ ١٢٢٠ - ١٢٦٢م

أولا - الحكم الأيوبي الدائم في سنجار.

١ - الملك الأشرف بن العادل الأيوبي يحكم بلاد سنجار:

أ - الأوضاع في سنجار عشية توجه الأشرف اليها: مات قطب الدين محمد بن زنكي في سنة ٦١٦هـ/ ١٢١٩م، واستعر الخلاف بين ولديه عماد الدين شاهنشاه وفروخ شاه عمر او محمود علي الملك. وشارك في هذا الخلاف أكابر الدولة الأتابكية السنجارية، والموصلية من طرف آخر، واتسع ليشمل كافة أفراد المجتمع السنجاري بين مؤيد لهذا ومعارض لذاك. ونتج عن ذلك اضطراب حبل الأمن وتفشي أعمال القتل والسلب فتدهورت أوضاع المدينة وأطرافها وعاشت أسوأ أيامها.

وأشارت الأخبار الى انه عندما استتب الأمر لعماد الدين شاهنشاه، أساء السيرة فبطش بخصومه السياسيين - من مؤيدي أخيه فروخ شاه - وأنزل بهم أشد العواقب، فتخوف من أعماله أكابر دولته فهرب الكثيرون منهم(١). ولاذوا بالبلاد المجاورة مستجيرين بامرائها. وكان من نتيجة تعسفه ان وثب عليه أخوه وذبحه(٢).

ولم يكن عهد فروخ شاه بأحسن من عهد أخيه شاهنشاه. اذ سلك مسلكه وبطش ونكل. هذه الأعمال وغيرها كانت قد تركت آثارها

---

(١) الحميري، الروض المعطار، ص٣٢٦.

(٢) ابن واصل، مفرج الكروب، ٤: ٣١ حوادث سنة ٦١٦هـ.

السيئة في نفوس أبناء الشعب السنجاري فراحوا يترحمون على الآباء والأجداد من الملوك الأتابكيين الزنكيين لما كانوا عليه من عدل وفضل، وينزلون اللعنة على هؤلاء الأبناء لما هم عليه من فجور وفسوق وظلم[١]. فالصراع على السلطة داخل بلاد سنجار قد اشتد أواره بين ابناء قطب الدين محمد وهذا ما شجع الأيوبيين المتربصين بالبلاد على التدخل في شؤون المدينة واغتنام هذه الفرصة السانحة لضمها الى أملاكهم. أما كيف ومتى استطاع الأيوبيون ان يستقروا في بلاد سنجار ويحكموها حكما دائما ولمدة تزيد عن ربع قرن من الزمن فهذا ما سنوضحه فيما يلي:

من المعروف ان الأيوبيين كانوا يطمعون في بلاد سنجار منذ ان وطئوا ارض الجزيرة الفراتية لأهميتها. وقد ساعدت الظروف الناصر صلاح الدين على امتلاكها مدة تقل عن سنتين بسبب الخلافات التي نشبت من قبل بين ابناء البيت الزنكي، حيث تواطأ - كما علمنا - عماد الدين قطب الدين مودود صاحب حلب يومئذ - مع صلاح وتآمر معه على أخيه عزالدين مسعود - صاحب الموصل وسنجار - وبسبب الخيانة التي أبداها الأمير السنجاري الكردي الزرزاري، الذي كان قد انحاز - كما بينا من قبل - الى صلاح الدين، وبسبب ايضا الإهمال والتقاعس بل والتخاذل الذي بدر من صاحب المدينة «سنجار» اميراميران هندو تجاه ردع العسكر الصلاحي ومقاومته وحربه.

---

(١) محمد العمري، منهل الاولياء، ١: ١٢٢ حوادث سنة ٦١٦ هـ. ويضيف العمري فيقول: «..... كانت دولة أبائهم مبنية على العدل والفضل. فلما خالفوا سبيلهم وفاهم الزمن كيل الصاع بالصاع. ويستطرد قائلا:

لو أنصفوا أنصفوا لكن بغوا فبغى   عليهم الدهر بالآلام والمحن
وأصبحوا ولسان الدهر ينشدهم   هذا بذاك ولا عتب على الزمن

(نفس المصدر)

ولما كان صلاح الدين قد وضع في حسابه الاستيلاء على حلب أولا فانه كما نعلم ما لبث ان اجرى المقايضة مع صاحبها عماد الدين وأخذ حلب، وأعطى العوض عنها سنجار وبعض المدن والضياع. فعادت المدينة السنجارية الى حظيرة العهد الزنكي وتخلصت ليومها من قبضة الأيوبيين، ليعودوا اليها من جديد في زمن العادل سيف الدين ابي بكر. إلا ان الظروف شاءت ان يجمع امراء النواحي في الجزيرة أمرهم على صده ورده بمعاونة مساعي الخلافة العباسية[١]. وخلصوا سنجار من الوقوع ثانية في يد بني أيوب. وحدث ان مات العادل الأيوبي وقام أبناؤه بالأمر من بعده، بعد ان كان قد وزع عليهم الولايات والاقطاعات، وكانت بعض بلاد الجزيرة وبخاصة تلك التي كان قد سلخها سنجار الخابور ونصيبين وحران من نصيب ولده الأشرف موسى.

وتفيد النصوص التاريخية القديمة ان الأشرف كان قد أظهر تودداً وتقربا من عامة امراء النواحي في الجزيرة وأكثرهم من آل زنكي. فمالوا اليه وصادقوه وأظهروا له الاخلاص والطاعة. «... والجزيرة كلها وخلاط وأعمالها في طاعته[٢]». وكان من بين هؤلاء صاحب سنجار فروخ شاه عمر[٣]. ففي الوقت الذي أخذ فيه الأشرف يداري امراء الجزيرة كان من طرف آخر يسعى الى الايقاع بهم والاختلاف فيما بينهم، وذلك بقصد بلبلة الأوضاع في ديارهم ليتمكن في النهاية من

(١) رغم التفكك والانحلال والضعف الذي أمست عليه أمور الخلافة العباسية فإن جميع ملوك وأمراء الولايات والاقطاعات والنواحي وخاصة الشرقية والجزيرية كانوا لا يزالون - حتى هذا التاريخ - يعتبرونها القيم الوحيد على الشرعية الاسلامية، والمرجع الأول والأخير في حل مشاكلهم، والسند الاول في الذود عن حياضهم. وكان الخليفة العباسي في نظرهم هو السيد على الجميع الذي يدان له بالطاعة.

(٢) ابن خلدون، تاريخه، مجلد ٥، ق٤، ص٧٥٥.

(٣) ابن الاثير، الكامل، ١٢: ٣٤٢ -.

- ابن واصل، مفرج الكروب، ٤، ٧١.

اضعافهم وضربهم وأخذ البلاد منهم واحداً إثر آخر.

ب - **الأشرف موسى يتسلم مدينة سنجار:** اما فيما يختص ببلاد سنجار فالمؤرخون المعاصرون لهذه الفترة، او التي بعدها بقليل، أدلوا بأحاديث عديدة، أوضحوا فيها الكيفية والوقت الذي تم فيه للأشرف أخذ بلاد سنجار. ولقد تبين من خلال هذه الأحاديث ان هناك أسباباً أدت الى خروج بلاد سنجار من أيدي الزنكيين نورد بعضاً منها فيما يلي:

١ - **حماية صاحب سنجار - فروخ شاه عمر - للأمير عماد الدين بن علي المشطوب:** وملخص ذلك ان هذا الأمير كان من خدام السلاطين الأيوبيين في مصر، فحدث ان تآمر عليهم فألقى القبض عليه وسجن وتحدثت المعلومات على انه فر من سجنه ولاذ ببلاد الجزيرة. وقيل ايضا ان سلاطين بني أيوب المعظم عيسى والأشرف موسى اقنعا ابن المشطوب بالانتقال من مصر الى الشرق حيث بلاد الأشرف، لخدمة هذا الأخير، فأجاب، ولحق بالأشرف فأكرمه وعظم شأنه وأقطعه اقطاعا كبيرا في بلاد رأس العين[١]. ثم ما لبث ابن المشطوب ان أخذ يكيد لسيده فطغى وبغى وكاتب اعداء الأشرف ومنهم صاحب بلاد الروم كيكاوس الذي بعث اليه بالأموال والهدايا وحرضه على الخروج عن طاعة سيده[٢]. فخرج ابن المشطوب على الأشرف وسار بجماعته في البلاد، وتفيد المصادر انه لما وصل مدينة نصيبين تصدى له واليها

(١) ابن العديم، زبدة الحلب، ٣: ١٨٩ حوادث سنة ٦١٦ هـ.
- أبو شامة، ذيل الروضتين، ص١١٦.

(٢) أبو شامة، ذيل الروضتين، ص١١٦ حوادث سنة ٦١٦ هـ. ابن خلدون، تاريخه، مجلد ٥، ق٤، ص٧٥٥ - ٧٥٧ - ويقول ابن خلدون: كانت هناك عداوة مستحكمة بين الاشرف موسى ومظفر الدين كوكبري صاحب اربل بسبب وراثة ملك الموصل. فالحاز كوكبري الى صاحب بلاد الروم كيكاوس الذي كان يسعى جاهداً الى كسب ود امراء الجزيرة ليتقوى بهم على الاشرف. ورأى كيكاوس في كوكبري خير مساعد لاقناع هؤلاء الامراء واستطاع الاخير جذب ابن المشطوب من أمراء الاشرف موسى الى صفه وترك صاحبه والخروج عن طاعته (نفس المصدر).

وكان موافقا للأشرف فهزمه واستباح عسكره، فاجتاز سنجار وبها فروخ شاه عمر بن زنكي - وكان مواليا للأشرف - فبعث هذا الأخير بعساكره فجاؤوا بابن المشطوب اسيرا فحبسه[1]. ولما علم الأشرف بذلك أرسل الى صاحب سنجار بانفاذ ابن المشطوب اليه فقيل ان فروخ شاه امتنع عن تسليمه[2]. بل وزاد في ذلك ان أطلق سراحه بعدما تودد اليه ورجاه[3].

وأفلت ابن المشطوب وعاد من جديد مع جماعته يعبث بالبلاد فساداً فقيل انه قصد الموصل ونهب وسلب ثم عاد ثانية الى سنجار ومنها سار الى تلعفر وكانت لصاحب سنجار ولما كثر فساده سير اليه الأشرف جيشاً، كما شاركه في ذلك مدير صاحب الموصل الأمير بدر الدين لؤلؤ وكان من اتباع الأشرف ومؤيديه، ووصلت جموع الأشرف بقيادة ابن صبره[4] وجموع الموصل بقيادة لؤلؤ. واستطاع الحليفان انزال الهزيمة به والقاء القبض عليه في تلعفر. وانتهت حملة الحليفين الى سلخ تلعفر من صاحب سنجار وضمها الى بلاد الموصل وتسيير ابن المشطوب مقيدا الى الأشرف[5]. وقيل انه سجن بسنجار[6]. هذا بشأن ابن المشطوب ونهايته اما ماذا كان من شأن صاحب سنجار وايوائه لابن المشطوب وامتناعه عن تسليمه للأشرف نقول ان العمل الذي أقدم عليه صاحب سنجار كان له أبلغ الأثر في تعكير صفو العلاقات بينه وبين الأشرف. فحزم هذا الأخير أمره واستعد لتأديب فروخ شاه على موقفه منه. وتفيد المصادر انه ما ان تم للأشرف وضع يده على دنيسر وحران وتمت

---

(١) ابن الاثير، الكامل، ١٢: ٣٤٢ - ابن خلدون، تاريخه، مجلد ٥، ق٤، ص٧٥٥ - ٧٥٧.
(٢) ابن العديم، زبدة الحلب، ٣: ١٨٩ حوادث سنة ٦١٦ هـ.
- ابن واصل، مفرج الكروب، ٤: ٧٢.
(٣) ابن خلدون، تاريخه، مجلد ٥، ق٤، ص٧٥٥ - ٧٥٧.
(٤) ابن العديم، زبدة الحلب، ٣: ١٨٩.
(٥) ابن واصل، مفرج الكروب، ٤: ٧٢.
(٦) ابن العديم، زبدة الحلب، ٣: ١٨٩.

مصالحته مع صاحب ماردين حتى سار نحو نصيبين يريد الموصل. وما ان سمع فروخ شاه بمقدمه حتى إحس بسوء فعلته وندم على ما بدر منه، فراسل الأشرف في الصلح والطاعة، وزاد في ذلك ان اسر إليه تسليم سنجار لقاء التعويض عليه بمدينة الرقة. وقيل ان الأشرف أجابه الى ذلك[١].

٢ - رغبة صاحب سنجار في ضم املاك صاحب الموصل حليف الأشرف موسى:

وأفادت المصادر انه لما مات الملك القاهر عز الدين مسعود الثاني ابن الملك نور الدين ارسلان الأول - صاحب الموصل، وملك اخوه ناصر الدين، تجدد لصاحب سنجار فروخ شاه - ولصاحب اربل - مظفر الدين كوكبري - الطمع في ملك الموصل لصغر سن الناصر. فجمعا العساكر وتجهزا للحركة. ولما بلغ خبرهما بدر الدين لؤلؤ - مدبر الناصر - بعث يستنجد حليفه الأشرف موسى فأنجده بمقدم عسكره في نصيبين عز الدين ايبك. وتقول الأخبار ان الطرفين التقيا على بعد ثلاثة فراسخ من الموصل. وان قتالا جرى وانتهى باستيلاء صاحب سنجار على قلعة كواشي• وهي من قلاع الموصل، واستيلاء بدر الدين لؤلؤ على بلاد تلعفر وهي من أعمال سنجار، في حين استولى جند الأشرف على مدينة سنجار[٢].

---

(١) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج٣، ق١، ص١٩٤.

• الكواشي -: وتعرف اليوم باسم اردمشت.

(٢) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص٢٣٣ - يذهب ابن العبري الى القول ان الاشرف كان قد اخذ سنجار من صاحبها عماد الدين شاهنشاه وهذا خطأ حيث اجمعت المصادر الباقية كابن الاثير وابن العديم وابن واصل وابن خلدون وسواهم على أنه اخذها من فروخ شاه. وتعقبا على قول ابن العبري نقول جوازاً ان الاشرف ربما يكون قد استولى على سنجار في عهد عماد الدين شاهنشاه وان هذا الاخير استطاع مع حليفه مظفر الدين كوكبري استرجاعها بعد تجميع قواتها. ويؤكد ذلك ما ذهبت إليه المراجع الحديثة نقلا عن مخطوط لابي عثمان الذهبي يعرف تحت اسم «تاريخ الاسلام». حاولنا جاهدين الحصول عليه فلم نفلح، وقد أفادت هذه المراجع ما نصه التالي:

٣ - استيحاش فروخ شاه وتخوفه من رجاله وأفراد حاشيته:

ولعل هذا هو السبب الأهم والأقرب الى الواقع. صحيح ان فروخ شاه كان يخاف الأشرف ويرغب في مسالمته. الا ان تخوفه من رجاله وثقاته وأفراد حاشيته كان أكبر وأشد. فهؤلاء راعهم ما أقدم عليه فروخ شاه من أعمال اجرامية فاقت الوصف حين غدر بأخيه وذبحه مع جملة من أفراد حاشيته وخواصه. وهؤلاء كان قد أقضّ مضجعهم التهديد الذي كان يوجهه اليهم باستمرار - وهزّ مشاعرهم فقدان بلاد تلعفر وذهابها من بين املاكهم واستحواذ صاحب الموصل عليها. وهؤلاء أوجسوا خيفة من ان تذهب بلادهم كلها مذهب بلاد تلعفر في يوم ما بعد ان تأكدوا ركوع صاحبهم للأشرف وتلاعب الأخير به كيفما شاء. فتخاذلوا عنه وساءت ظنونهم به[1]. فخافوا على أنفسهم منه كما خاف على نفسه منهم. ويشير ابن واصل الى هذا بقوله: « ... كانوا يطلبون التغدي به قبل ان يتعشى بهم[2] ». ومهما تعددت الأسباب فالأشرف أخذ بلاد سنجار وملكها. أخذها من صاحبها فروخ شاه عمر. وكانت الفرصة سانحة لأخذها. كما كانت سانحة لأخذ المزيد من المدن والضياع الأخرى ولذلك بدأ عملية غزو واسعة استهدفت اخضاع امارات المدن المنتشرة في طول الجزيرة وعرضها. ولما كانت سنجار في مقدمة هذه المدن - كما بدا ذلك لصاحبها - رأى هذا الأخير ان يتفادى خوض حرب مع الأشرف قد تكون غير متكافئة تلحق الأذى والخراب بالمدينة ومن فيها، سيما وان أحداث الحرب التي على أثرها اخذت تلعفر منه لاتزال

= « ... وتم استيلاؤها عليها (سنجار) وذلك بعد طرد نواب الاشرف منها ». الرويشيدي، امارة الموصل في عهد بدرالدين لؤلؤ، ص١٣٤ - الذهبي، تاريخ الاسلام، مخطوط ورقة ١٤٨.

(١) ابن الاثير، الكامل، ١٢: ٣٩٩ حوادث سنة ٦١٧هـ - ابن خلدون، تاريخه، مجلد ٥، ق٤، ص٧٥٨. ومجلد ٥، ق٣، ص٦٠٠.

- **Grousset, R.** Histoire des Croisades..., 2: 282.

(٢) ابن واصل، مفرج الكروب، ٤: ٧٤.

تقض مضجعه وماثلة امام عينيه، وان رجاله واصحابه ينوون – كما بدا له – التخلص منه والايقاع به. لهذا قرر ان يتنازل عن امارته سلماً ودون إراقة دماء وبملء ارادته، فبعث رسله الى الأشرف يخبره بذلك. وأظن ان الأشرف استحسن هذه الفكرة، وأبدى نحو فروخ شاه شعوراً بالعطف عندما نزلت جيوشه في سنجار فمنحه مدينة الرقة – كما ذكرت المصادر – ورحل فروخ شاه اليها مع أهله وأبنائه وحاشيته. وتسلم الأشرف مدينة سنجار[١].

وهكذا وضع الأيوبيون أيديهم على سنجار وألحقوها بحكومتهم فأصبحت جزءاً من دولتهم. وتفيد الأخبار ان الأشرف ما لبث ان أخذ الرقة من فروخ شاه وضمها الى ملكه وبها اجتمعت له بلاد الجزيرة وخلاط وسنجار[٢].

ج – عهد الأشرف موسى في سنجار: ولا نخفي ان مدينة سنجار كانت لسنة خلت قبل اتخاذها من قبل الأشرف عاصمة لدولة ذات شأن وقوة وهيبة بين دول الجزيرة والشام. وانها كانت قد بلغت شأواً بعيداً في مضمار التقدم والعمران والاتساع. وجاء الأشرف وتسلمها وكان مدركا لهذه الأمور كلها. وخلال مدة حكمه والتي استمرت ثماني عشرة سنة تقريباً – من سنة ٦١٧ – ٦٣٥ هـ/ ١٢٢٠ – ١٢٣٨ م، أبدى

---

(١) أحمد ابن الحنبلي، شفاء القلوب، ص٢٩٤.
تسلم الاشرف مدينة سنجار في سنة ٦١٧ هـ في رابع جمادي الاولى «ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٥: ٣٣٠». وليس كما ذهب المقريزي الى ان ذلك تم في سنة ٦١٦ هـ» المقريزي، السلوك، ج١، ق١، ص٢٠٥».
– ويفيد أحمد ابن الحنبلي – في نفس المصدر اعلاه – بان رسل صاحب سنجار ويسميه «محمود بن قطب الدين» اتت الى الاشرف تسأله ان يعطي الرقة عوضاً عن سنجار، وان الاشرف استجاب وتسلم سنجار في مستهل جمادى الاولى وقيل في مستهل صفر من سنة ٦١٧ هـ. ويضيف: وهذا من سعادة الاشرف فإن أباه – العادل سيف الدين ابا بكر – نازلها في جموع عظيمة ولم يملكها، وملكها الاشرف باهون سعي».

(٢) ابن واصل، مفرج الكروب، ٤: ٧٤.

اهتماما ملحوظاً بإدارة شؤونها ورعاية مصالحها، والسهر على حماية حدودها، خصوصاً اذا علمنا انه كان قد نزلها وأقام بها وفضلها على ما عداها صيفاً وشتاءً[١]. وذلك بدافع الموقع الجيد الممتاز. والمعيشة الهنئة الهانئة والأجواء المناخية اللطيفة وأكثر من ذلك لأنه كان محبوباً لدى أهلها لعدله فيهم واعتنائه بأوضاعهم[٢].

وسيان أكان الأشرف قد اتخذ من المدينة مقراً أو أنه أناب بها، فان اهتمامه بها ظل هو هو. فكان دائم التردد عليها، يأمر وينهي، يسوي ويعمر. « ... وسار الأشرف الى سنجار فنظر في مصالحها ثم توجه الى دمشق[٣] ». وكانت جهود الأشرف في سنجار قد شملت عدا المرافق الحيوية والعمرانية، الشؤون الأمنية والدفاعية. فاهتم بتنظيم صفوف العسكر السنجاري وتدريبه وتقويته. فاشركه مع عساكر دولته في المهمات الدفاعية والأمنية، كما أشركه في قمع الفتن والاضطرابات التي كانت تنشب داخل حدود بلاده. وزجّه في الحروب التي اندلعت بينه وبين اخوته وأبناء عمومته من بني أيوب، ملوك وامراء بلاد الشام والجزيرة[٤]. ان هذه الحروب وما نتج عنها كانت قد حملت السناجرة

---

(١) قال ابن واصل في حوادث سنة ٦٢١ هـ: « ...وفي هذه السنة شتى الملك الاشرف بسنجار، مفرج الكروب، ٤ : ١٤١. وابن العديم في حوادث سنة ٦٢٢ هـ قال: « .. وبعد ان سلم اهل خلاط مدينتهم للاشرف، عاد عسكر حلب والملك الاشرف في رمضان وشتى الاشرف بسنجار، زبدة الحلب، ٣: ١٩٦.

ويستنتج مما ذكره السبط ابن الجوزي ان سنجار كانت لعهد الاشرف من المدن الهامة والشهيرة في بلاد الشام والجزيرة حتى ليذكر انها كانت في بعض مزاياها تضاهي حلب أو دمشق لدرجة ان الملك الكامل محمد الايوبي صاحب دمشق كان قد عزم على مقايضة دمشق بسنجار وبعض النواحي الشرقية وان الاشرف كاد ان يوافق على ذلك لولا نصيحة نائبه «الحاجب علي الموصلي» الذي نهاه بقوله التالي نصه: الله، الله، لا تفعل هذا... فاذا كان الماء والبساتين والفرجة فهذه سنجار أصح من دمشق وهي وسط البلاد ». مرآة الزمان، ج٨، ق٢، ص٦٦٤، حوادث سنة ٦٢٧ هـ ».

(٢) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج٣، ق١، ص١٩٩.

(٣) ابن واصل، مفرج الكروب، ٤: ٣٠١ حوادث سنة ٦٢٧ هـ.

(٤) ابن الاثير، الكامل، ١٢: ٤٢٢ حوادث سنة ٦٢١ هـ. وقال ابن الاثير في حوادث هذه السنة: « ... وفيها اشترك عسكر سنجار في الاشتباكات التي وقعت بين الاخوة الايوبيين الاشرف وغازي =

هموماً ومتاعب كثيرة، زاد منها ما كانت تسببه لهم اعتداءات الخوارزمية من جهة والتتر من جهة ثانية.

- غارات الخوارزمية على بلاد سنجار: من المعروف ان دولة الخوارزمية كانت قد قامت في بلاد ما وراء النهر، وانها شملت اجزاء كبيرة من اقليم الافغان وايران، وحلت محل الامبراطورية السلجوقية•. هذه الدولة أخذت مع الأيام تمد نفوذها شطر العراق والجزيرة، عن طريق الاعتداءات والهجمات الشرسة والمتكررة من جانب مجموعاتها المسلحة. وتتحدث المصادر عن مزيد من هذه الهجمات على جهات الجزيرة الفراتية ومدنها ومنها مدينة سنجار. وتقول هذه المصادر ان الخوارزميين وصلوا بلاد سنجار وداسوها واستباحوها فنهبوا وسلبوا وقتلوا. والعلامة ابن خلدون في تاريخه يطلعنا على بعض من أعمال هؤلاء وما سببوه من مآس وما ارتكبوه من معاص أثناء عملياتهم في تلك الجهات قال: « ... ولما رجع التتر المغربة من أتباع خوارزم شاه في سنة ٦١٧ هـ عادوا الى همذان ونسفوا ما مروا عليه، وصانعهم أهل همذان بما طلبوه. ثم ساروا الى سنجار كذلك ثم الى قومس فامتنعوا منهم وحاصروها وملكوها وقتلوا اكثر من أربعين الفا[١] ». وتفيد الأخبار ايضا انه في سنة ٦٢٨ هـ/ ١٢٣١ م وبعد مقتل زعيم الخوارزمية المعروف بجلال الدين خوارزم شاه او بجلال الدين منكبرتي - على ايدي التتر المغول - تفرق اتباعه في البلاد وعاثوا فيها فسادا حيث انساح بعضهم في بلاد الجزيرة واعملوا فيها الفوضى، فآذوا

= وصاحب دمشق المعظم عيسى «نفس المصدر».

• كان الخليفة العباسي الناصر لدين الله قد اتفق مع شاه خوارزم للقضاء على آخر بقايا السلاجقة في ايران والعراق. ونجح هذا الاتفاق عندما انتصر محمد بن تكش سلطان خوارزم على طغرل الثاني في المعركة التي حصلت في عام ٥٩٠ هـ/ ١١٩٤ م. الا ان هذا الاتفاق سرعان ما انتهى بين الخليفة وابن تكش وناصب كل منهما العداء للاخر.

(١) ابن خلدون، تاريخه، مجلد ٥، ق ٥، ص ١١٠٦.

واعتدوا. ويحدثنا ابن الأثير عن بعض ما أتوا عليه من هذه الأعمال فيقول: «... وفي سنة ٦٢٨ هـ تفرق عسكر جلال الدين ابن خوارزم شاه، فقصدت طائفة من عسكره حران، وقصدت طائفة منهم نصيبين والموصل وسنجار واربل وغير ذلك من البلاد فتحفظهم الملوك والرعايا[١]». هذا ولم ينس ابن واصل ما فعل هؤلاء من فظائع وجرائم فذكرهم بقوله: «... وفي سنة ٦٢٨ هـ وصل الخوارزمية الى بلد سنجار ونهبوها.... ثم دخلوا الخابور...[٢]».

- **غارات التتر المغول على بلاد سنجار**: كان التتر المغول قد بدأوا غزو العالم الاسلامي منذ سنة ٦١٦ هـ/ ١٢١٩ م، وذلك عندما أخذت جيوش جنكيزخان تجتاح دولة خوارزم شاه. ويستنتج من المعلومات التاريخية ان هذا الغزو كان آنذاك جزءاً من حركة واسعة استهدفت أول ما استهدفت قيام امبراطورية مغولية عالمية نجحت فعلا في ايام مؤسسها جنكيزخان عندما احتل ما يعرف بامبراطورية الصين الشمالية وأواسط آسيا وايران وجورجيا والقفقاس وروسيا وبولندة واجزاء من أوروبة الشرقية[٣]. وخلال غزو هؤلاء لدولة خوارزم شاه المسلمة ارتكبوا فظائع تقشعر لها الأبدان وتشمئز منها النفوس حتى ان ابن الأثير مؤرخ ذلك العصر كان قد عكس مشاعر أهل زمانه ومخاوفهم لما فعلوه وارتكبوه من فساد وقتل.

وبعد القضاء على دولة الخوارزمية، انفتح امام المغول طريق العراق وغربي آسيا فتقدموا نحو الغرب ووصلوا بلاد الجزيرة وانساحوا فيها. ويحدثنا ابن الأثير في تاريخه عما كان من أمر هؤلاء في تلك الديار فيقول في حوادث سنة ٦٢٨ هـ ما نصه التالي: «... وفيها وصل التتر

(١) ابن الاثير، الكامل، ١٢: ٤٩٨.
(٢) ابن واصل، مفرج الكروب، ٤: ٣٢٦.
(٣) خصباك، العراق في عهد المغول الايلخانيين، ص١.

الى نصيبين الجزيرة ونهبوا اسوارها وقتلوا ومضوا الى بلد سنجار. ووصلوا الى الجبال (والصواب الحيال) من اعمال سنجار ونهبوها ودخلوا الخابور ونهبوا وعادوا[1] ». وابن خلدون في تاريخه قال في حوادث السنة نفسها « ... وفيها انساح التتر في البلاد طولا وعرضاً، ودخلوا ديار بكر واكتسحوا سواد آمد وارزن وميافارقين وحاصروها وملكوها بالأمان ثم استباحوها. ثم ساروا الى ماردين فعاثوا في نواحيها، ثم دخلوا الجزيرة واكتسحوا أعمال نصيبين، ثم مروا الى سنجار فنهبوها[2] ». وأخبار التتر في بلاد الجزيرة وسنجار وردت أيضاً في العديد من المصادر نذكر ما قاله صاحب النجوم الزاهرة عنها في حوادث سنة ٦٣٣ هـ: « ... وفيها قطع التتر دجلة في مائة طلب، كل طلب خمسمائة فارس، ووصلوا الى سنجار فخرج اليهم معين الدين بن كمال الدين بن مهاجر (يظهر انه كان مسؤولا عن الدفاع في المدينة)، فقتلوه على باب سنجار، ثم رجع الى التتر، ثم عادت فامنهم الأشرف للتوجه الى الشرق[3] ».

٢ - مدينة سنجار بعد الأشرف موسى:

أ - سنجار في عهد الملك الصالح نجم الدين أيوب: وكان الملك الأشرف موسى صاحب سنجار قد أوصى قبل موته في سنة ٦٣٥ هـ/ ١٢٣٨ م، بالملك من بعده لأخيه الصالح اسماعيل. وتفيد الأخبار ان الصالح تسلم دمشق وبعلبك وبعث ابنه المنصور محمود الى الشرق ليتسلم سنجار ونصيبين والخابور من نواب الأشرف[4]. إلا ان هذه الأخبار لم

(١) ابن الاثير، الكامل، ١٢: ٥٠٠.

(٢) ابن خلدون، تاريخه، مجلد ٥، ق٣، ص٦٠٧، ومجلد ٥، ق٥، ص١١١٦.
ويقول زامباور في معجم الانساب والاسرات الحاكمة، ان المغول فتحوا سنجار وميافارقين مؤقتا في سنة ٦٢٨ هـ» «١: ١٥٢».

(٣) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٦: ٢٩٣ - الرويشيدي، امارة الموصل في عهد بدرالدين لؤلؤ، ص٩٢.

(٤) المقريزي، السلوك، ج١، ق١، ص٢٥٦.

تؤكد ما اذا كان المنصور قد تسلمها ام لا، وان كل ما تفيده هو ان الملك الكامل محمد الأيوبي سلطان مصر استطاع في هذه السنة «اي سنة ٦٣٥ هـ» انتزاع املاك الأشرف من اخيه الصالح اسماعيل وابنه ووزعها مع أملاكه الأخرى على ولديه بحيث تكون الديار المصرية والدمشقية لولده الأصغر العادل الثاني، والبلاد الشرقية بما فيها سنجار لولده الأكبر الصالح نجم الدين أيوب، وتضيف هذه الأخبار بانه بعد أشهر من وفاة الأشرف، مات اخوه الكامل محمد، وبموته ظهر الخلاف على السلطنة في الدولة الأيوبية بين ولديه المذكورين، فساءت العلاقات بينهما، ووقعت حروب واصطدامات اشترك فيها اكثر أبناء البيت الأيوبي(١). وفي غمار هذه الأحداث كان سائر امراء النواحي يسعون لاقتناص الفرص وتحقيق مكاسب لهم فنتج عن ذلك كله امور منها:

- بالنسبة الى ممتلكات العادل الصغير فقد سلخت منه مدينة دمشق واعطيت بموافقة اكثر الأمراء الى الملك الجواد يونس بن مودود حيث انتظم أمره فيها(٢).

- وبالنسبة الى ممتلكات الصالح نجم الدين في البلاد الشرقية، والتي يعنينا منها بلاد سنجار، فقد أكدت المصادر على ان الهموم التي واجهت صاحبها نجم الدين كانت كثيرة وكبيرة اتته من جهات عدة نذكر منها:

- **من جانب الخوارزمية**: كنا قد ألمحنا من قبل الى أن الخوارزمية بعد مقتل زعيمهم خوارزم شاه في سنة ٦٢٨ هـ/١٢٣١ م، انتشر أكثرهم في بلاد الجزيرة فعبثوا بأمنها واستقرارها، واستمروا في فوضويتهم الى

(١) انتهت هذه الحروب بفوز الصالح نجم الدين على اخيه العادل الصغير، وبسط نفوذه على كافة ارجاء الدولة في مصر والشام والجزيرة، وتفيد الاخبار بان الصالح اعاد الى الدولة وحدتها وهيبتها التي كانت عليها ايام صلاح الدين. وتم له ذلك في حدود سنة ٦٤٣ هـ/١٢٤٥ م.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ١٣ - ١٤٩ حوادث سنة ٦٣٥ هـ.

أن كان عهد الصالح نجم الدين ورأى هذا الأخير انه من المفيد له ولبلاده وشعبها ان يعمل على استمالتهم واصطناعهم لمنع ضررهم ويستفيد من جهودهم وقوتهم في مواجهة خصومه. وفي هذا يقول ابن خلدون ما نصه: « ... وبعد ان قبض صاحب بلاد الروم - كيخسرو بن علاء الدين كيقباد - على بعض أمراء الخوارزمية انفض الباقون عنه وعاثوا في الجهات، فاستأذن الصالح أيوب صاحب سنجار وما إليها أباه الكامل صاحب مصر في استخدامهم ليحسم عن البلاد ضررهم فاجتمعوا عنده وأفاض فيهم الأرزاق[1] ».

ويظهر ان الخوارزمية كانوا قد شعروا بضعف موقف الصالح بعد موت ابيه من جهة وبعد الخلافات التي ظهرت بينه وبين اخيه العادل من جهة ثانية. فطمعوا فيه وطالبوه بالمزيد من الأرزاق والضياع، ولما لم يستجب لطلبهم خرجوا عليه وعاثوا في بلاده[2]. وتفيد المصادر انهم حاولوا القاء القبض عليه وطاردوه من بلد الى أخرى وان الصالح لم يجد بداً من الالتجاء الى حصن يحتمي فيها منهم فقصد بلاد سنجار وامتنع فيها مدة[3]. بينما راح الخوارزميون ينهبون خزانته وأثقاله وبالتالي يتحكمون ببلاده وشعبه[4]. كما أفادت هذه المصادر بان بعض امراء النواحي في ديار الجزيرة كان يشجع الخوارزميين على قتال الصالح ونهب دياره والتنكيل بشعبه ومن بين الذين ذكرتهم هذه المصادر كان صاحب ماردين مثلاً[5].

ولم يكتف الخوارزميون بمطاردة الملك الصالح والعبث بأملاكه بل انهم زادوا في ذلك فقصدوا ديار نوابه وأتباعه، وتفيد المعلومات انهم

(١) ابن خلدون، تاريخه، مجلده، ق٤، ص٧٧٢.
(٢) ابن خلدون تاريخه، مجلده، ق٤، ص٧٧٢.
(٣) المقريزي، السلوك، ج١، ق٢، ص٢٧.
(٤) ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، ٦: ٢٩٩.
(٥) اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ٢: ٣٣٣.

نازلوا مدينة حران حيث الملك المغيث فتح الدين عمر ابن الصالح ايوب. فاضطر الأخير أمام جموعهم الهائلة الى الفرار بأهله متخفياً وملتجئاً الى قلعة جعبر. وتضيف هذه المعلومات، انهم قصدوه وكبسوه ونهبوه ومن معه وحاولوا قتله لكنه لجأ الى الحيلة وأفلت منهم[1]. وبلغت الصالح وهو في ملجئه بسنجار ما حلّ بدياره وديار ولده الملك المغيث. ولما كان يعاني هو نفسه من مضايقات قاسية من قبل جيرانه ملوك النواحي، راسل ولده بموافقته الخوارزمية وارضائهم لاحلال السلام والأمن في ربوع بلاده من جهة وليتفرغ لمقارعة الجيران والحد من طغيانهم من جهة أخرى.

- من جانب جيرانه ملوك وامراء النواحي: ومن بين هؤلاء نذكر:

١ - صاحب بلاد الروم السلطان غياث الدين كيخسرو بن كيقباد:

كان السلطان غياث الدين يسعى الى ازالة ملك الصالح والتخلص منه، ويرغب في امتلاك أعماله والاستحواذ على أثقاله. فما ان علم بوفاة سلطان مصر، الكامل محمد والد الصالح نجم الدين حتى سارع الى مكاتبة الملوك والأمراء في سائر النواحي وراح يحرضهم على الصالح ويطمعهم بأخذ ملكه وتوزيعه عليهم. وتفيد الأخبار انه كان قد بعث الى صاحب حلب - الناصر صلاح الدين ابي المظفر يوسف الأيوبي - توقيعا بالرها وسروج كما وعد صاحب ماردين - الملك المنصور ناصر الدين الارتقي - باقطاعه مدينة سنجار ونصيبين وكانت جميعها من بلاد الصالح[2]. وراسل صاحب حمص - أسد الدين شيركوه

(١) اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ٢: ٣٣٣.
(٢) ابن العديم، زبدة الحلب، ٣: ٢٤١ حوادث سنة ٦٣٥ هـ.
- المقريزي، السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٢٧٠.

وأطمعه في بلدة عانة وبعض بلاد الخابور، وعزم هو ان يأخذ لنفسه آمد وسميساط[١].

وتفيد المصادر ان توزيع مملكة الصالح نجم الدين بالشكل الذي ارتآه صاحب بلاد الروم قد تم وان الملوك والأمراء تسلموا مدنهم وقراهم الجديدة باستثناء مدينة سنجار حيث كان الصالح متحصنا بها ومحاصرا[٢]. ولا يخفى ما لهذا التحصن وذلك الحصار من نتائج وخيمة على المدينة وشعبها، حيث أصيب عمرانها ونهبت ديارها، وجوّع أهلها...

٢ - صاحب بلاد الموصل - بدر الدين لؤلؤ:

وبدر الدين لؤلؤ الذي كان في الأصل مدبرا لملوك الموصل، غدا في زمن الصالح ايوب الحاكم والآمر حيث استبد بابناء أسياده وراح يعمل على التصرف بأمور المملكة حسب ما يريد. وكان عند بدر الدين نزعة التسلط والسيطرة، بل والرغبة في الملك والتوسع فيه، لهذا أخذ يعمل جاهداً للاستيلاء على كل ما جاور الموصل من مدن وضياع وكانت مدينة سنجار في مقدمة أطماعه. فما ان علم بلجوء الصالح اليها وبالأمور التي جرت عليه من جانب الخوارزمية وملوك النواحي حتى تجدد الطمع عنده ووجد ان الوقت حان لأخذ بلاد سنجار منه. اما لماذا وقف الجميع بما فيهم الخليفة العباسي المستنصر بالله هذا الموقف العدائي من الصالح. فالمصادر أطلعتنا ان هؤلاء جميعا كانوا مستائين من تصرفات الصالح العابثة ومن ظلمه وجبروته... وكان لؤلؤ والمشارقة يكرهونه وينسبونه الى التكبر والظلم[٣].

---

(١) المقريزي، السلوك، ج١، ق٢، ص ٢٧٠.
(٢) المقريزي، السلوك، ج١، ق٢، ص ٢٧٠.
(٣) ابن تغري بردى النجوم الزاهرة ٦: ٣٠ حوادث سنة ٦٣٥ هـ.

وقاد لؤلؤ جيشه بنفسه وسار قاصدا بلاد سنجار فوصلها وحاصر الصالح بها[١]. وجرت بين الطرفين اشتباكات دامية داخل سور المدينة وخارجه، قاتل فيها السناجرة الى جانب عساكر الصالح. ومع إطالة أمد الحصار واشتداد ضراوة القتال واتساع رقعته تضايق أهل سنجار وكانوا وممتلكاتهم ضحية تلك الاشتباكات والمعارك. وتأزم وضع الصالح فقرر مراسلة لؤلؤ سائلا الصلح معه[٢]. وأفادت الأخبار بأن لؤلؤاً رفض الصلح وأصرّ على أخذ سنجار منه واعتقاله وحمله الى بغداد الى دار الخلافة «... وأراد بدر الدين لؤلؤ حمله الى بغداد وفي قفص كراهة منه لما كان عنده من التكبر والظلم[٣]». وإزاء اصرار لؤلؤ عظم الأمر على الصالح، فراسل ولده الملك المغيث فتح الدين عمر - كما أسلفنا من قبل - بموافقة الخوارزمية أعداء لؤلؤ واصطناعهم وتوجيههم الى بلاد الموصل لانقاذه من الحصار الذي فرضه الموصليون عليه، كما أوعز في الوقت نفسه الى قاضي سنجار من قبله المدعو بدر الدين يوسف بن الحسن الزرزاري السنجاري بالاشتراك مع ولده في اجراءات المفاوضات مع الخوارزمية لما كان لهذا الأخير من مكانة مرموقة وكلمة مسموعة في عصره.

وأفادت المصادر ان القاضي بدر الدين خرج من سنجار سراً ومضى الى الخوارزمية في حران، وانضم اليه في الطريق الملك المغيث واجتمع الاثنان مع قادة الخوارزمية وأجريا المفاوضات التي انتهت الى اتفاق نص على ما يلي:

---

(١) المقريزي، السلوك، ج١، ق٢، ص٢٧٠.
- ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، ٦: ٢٩٩.
(٢) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٨، ق٢، ص٧٠٤.
- ابن كثير، البداية والنهاية، ١٣: ١٥٠.
(٣) المقريزي، السلوك، ج١، ق٢، ص٢٧٠.

- ان يقطع الصالح للخوارزمية مدن سنجار وحران والرها[١]. وقيل حران والرها فقط[٢].
- ان يتعهد الخوارزميون بموالاة الصالح ونصرته على اعدائه. وحلفوا له بذلك[٣].

وصلت بنود الاتفاق الى مسامع لؤلؤ المحاصر لسنجار فتخوف لأنه رأى ان استرضاء الصالح للخوارزمية باعطائهم - الضياع والمدن ما هو إلا اجراء خطير قد يؤدي الى قيام حلف عسكري بينهما يهدد سلامة بلاده في نهاية الأمر، أو قد يؤدي الى التحرش ببعض ممتلكاته المجاورة للمدن الثلاث التي نص عليها الاتفاق. لهذا بدأ لؤلؤ يبحث عن حليف يشد ازره وينصره على حلف الصالح والخوارزمية. فالتجأ الى الخلافة نفسها حيث امست علاقات الصالح بالخليفة المستنصر بالله العباسي تسير من سيء الى أسوأ، مغتنما فرصة ذلك وساعياً الى توسيع شقة الخلاف بينهما. فراسل الخليفة وزين له بان حصاره لسنجار ما هو الا خدمة للخلافة في القضاء على عدوها الصالح والتخلص من شره وطغيانه وانه لم يفك هذا الحصار الا باستسلام الصالح ومن ثم حمله وارساله أسيراً طائعاً الى حضرة الخلافة في بغداد[٤]. واذا كان لؤلؤ قد أعلم الخلافة بالغاية من حصاره للصالح في سنجار فانه لم يبين لها ما كان يضمره من نوايا عدوانية نحو بلاد الصالح وأعماله حيث كان يسعى جاهداً لضمها

---

(١) المقريزي، السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٢٧١.

(٢) ابن خلدون، تاريخه، مجلد ٥، ق ٤، ص ٧٧٢.
- الرويشيدي، امارة الموصل، ص ١٣٥.

(٣) يقول الذهبي في تاريخه، ان الصالح ارسل قاضي سنجار بعد ان حلق له لحيته ودلاه من السور - الى الخوارزمية فاجتمع بهم ووعدهم بتلبية مطالبهم اذا احرزوا النصر على اعدائه. دول الاسلام، ٢: ١٠٥، حوادث سنة ٦٣٥ هـ. وافاد اليونيني ان بدر الدين قاضي سنجار خاطر بنفسه وركب الاهوال ومضى الى الخوارزمية واستالهم وطيب قلوبهم ووعدهم بالوعود الجميلة، «ذيل مرآة الزمان، ٢: ٣٣٢.

(٤) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ٨، ق ٢، ص ٧٠٤.

الى امارة الموصل متى سنحت له الظروف بذلك.

وقام الخوارزميون بتنفيذ الاتفاق، فساروا مع المغيث الى سنجار وكان عليهم المقدم الأمير حسام الدين بركة خان[١]. فوصلوها وصوبوا حرابهم نحو عساكر لؤلؤ وبعد كر وفر أنزلوا الهزيمة بها وأزالوا الخطر الذي كان جاثما على صدر الصالح. وبهذه المناسبة أفاد السبط ابن الجوزي بما نصه التالي: « .. وساق الخوارزمية جرائد من حران وكبسوا لؤلؤاً على سنجار، فنجا وحده على فرس سابق، فنهبوا أمواله وخزائنه والخيام والخيل وجميع ما كان معه في عسكره[٢]. وتحدث المقريزي عن هزيمة لؤلؤ في سنجار فأفاد: « ... ولما سار (الخوارزمية) الى سنجار خرج منها عسكر الموصل يريدون بلادهم وأدركهم الخوارزمية وأوقعوا بهم وقعة عظيمة. وفر بدر الدين بمفرده على فرس تلاحق به عسكره[٣] ».

وترك لؤلؤ سنجار مهزوما مكرها ليعود اليها بعد مدة غازيا منتصرا ويضمها الى دولته. وفي هذا المجال يمكن ان نعزو سبب فشل محاولة لؤلؤ في اخذ سنجار قبل وصول كتائب الخوارزمية لنجدة الصالح الى امرين اثنين: الأول هو تحالف الشعب السنجاري وتلاحمه مع ابن ايوب وقدرة هذا الشعب على الصمود والمواجهة بسبب موقع المدينة الحصين من جهة وبسبب المؤن الوافرة التي يختزنها السناجرة والتي كانت تجود بها عليهم طبيعة أرضهم المعطاء من جهة أخرى، والثاني هو بقاء بدر الدين وحيدا في الميدان وتخلي دار الخلافة عن نجدته حيث لم

---

(١) اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ٢: ٣٣٣.
(٢) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٨، ق٢، ص٧٠٤.
- محمد العمري، منهل الاولياء، ١: ١٢٤.
- الجلبي، زبدة الاثار الجلية، ص٤٣.
(٣) المقريزي، السلوك، ج١، ق٢، ص٢٧١.

تأت الأخبار على ذكر أية مساعدة له من جانب الخليفة. ومن طرف آخر نلاحظ ان الدور الذي لعبه القاضي الزرزاري السنجاري الكردي في جلب الخوارزمية الى صف الصالح وفك الحصار عنه وبقاء سنجار على ابن ايوب هو دور مشابه لما قام به من قبل الأمير الزرزاري، الذي كان قد تواطأ مع صلاح الدين ومكنه من أخذ المدينة. ووجه الشبه في هذا هو التعاطف الذي اظهره كل من الرجلين الزرزاريين الكرديين نحو الملوك الأيوبيين ورغبتها في حفظ البلاد عليهم ومساعدتهم على ذلك.

ب - **الملك الجواد يونس الأيوبي يحكم سنجار**: مر بنا ان مدينة دمشق كان قد سلخت من أملاك العادل الصغير - أخي الصالح نجم الدين أيوب - وأعطيت بموافقة الأمراء الى الملك الجواد يونس الذي استقر بها نائبا للعادل[1]. وذكر ان الجواد أظهر عجزا في القيام بمملكة الشام لضعف همته وسوء سيرته وميله الى اللهو وطلب الملذات. وهذا ما نوه به السبط ابن الجوزي في مرآته وكان معاصرا للجواد ومقربا اليه حيث قال: « ... وكان يقول لي ايش اعمل بملك؟ باز وكلب عندي احب الي من الملك[2]! ». ومع استقرار الجواد بدمشق وظهوره بمظهر النائب عن العادل، إلا انه كان يخافه ويحذر منه. وكان يعتقد انه ربما سيأتي اليوم الذي يقوم فيه العادل على اخذ دمشق منه[3]. هذا التخوف وذلك الاعتقاد دفع - كما يقول السبط - بالجواد الى مكاتبة الصالح نجم الدين - صاحب سنجار والبلاد الشرقية - والاتفاق معه على

---

(١) ابن تغري بردى، **النجوم الزاهرة**، ٦: ٣٠٥ حوادث سنة ٦٣٦ هـ.

(٢) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٨، ق٢، ص٧١٨، حوادث سنة ٦٣٦ هـ.

(٣) اشار السبط الى هذا بقوله: « ...لما قتل اسد الدين شيركوه صاحب حمص ابن الشيخ عماد الدين في قلعة دمشق واقام فيها، خاف الجواد من صاحب مصر فظن ان صاحب حمص سوف يأخذ منه دمشق وذلك بامر من العادل، مرآة الزمان، ج٨، ق٢، ص٧١٨.

مقايضة دمشق بسنجار وعانة[١]. وقبل بسنجار وعانة والرقة أيضاً[٢].

اما لماذا كاتب الجواد الصالح دون غيره من ملوك وامراء النواحي الأيوبيين، فالجواب هو انه كان يعتقد - من خلال نظرته الى العلاقات بين الزعماء الأيوبيين ومعرفته بهم - ان الصالح سوف يخرج في وقت ما على اخيه العادل ويأخذ البلاد منه وتكون له السيادة في طول الدولة الأيوبية وعرضها. وانه اذا قايض دمشق بسنجار فربما قد يضمن لنفسه ملكا مستقلا دائما يقيم فيه من جهة ويحظى بمسالمة وصداقة الصالح من جهة ثانية.

اذا صح هذا الاعتقاد يكون قد رمى عصفورين بحجر واحد. ومرت الأيام وتحقق ظن الجواد فيما رمى اليه من مكاتبة الصالح ايوب. فلقد كان من نتائج الهموم التي واجهت الصالح في سنجار والبلاد الشرقية الأخرى - مع الخوارزمية وسلوك النواحي وصاحب الموصل - ان عقد العزم على الانفلات من دائرته الضيقة في سنجار والخروج على أخيه العادل والاستيلاء على ملكه، خاصة وان اخبار الجواد ورسائله قد وصلت اليه. فسارع بعساكر الشرق والخوارزمية في صحبته[٣]. ووافى الصالح دمشق ودخلها في سنة ٦٣٦ هـ ١٢٣٩ م. وقيل ان الجواد خرج اليه والتقاه واستأنس به ومشى بين يديه[٤]. ويشير ابو الفدا في تاريخه الى هذا الحدث فيقول في حوادث سنة ٦٣٦ هـ/ ١٢٣٩ م: «.. وفيها استولى الصالح ايوب على دمشق

(١) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٨، ق٢، ص٧١٩.
- ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، ٦: ٣٠٥.
(٢) ابن العديم، زبدة الحلب، ٣: ٢٤٤.
(٣) ابن العديم، زبدة الحلب، ٣: ٢٤٤.
يونس بن مودود بن محمد بن ايوب، هو السلطان الملك الجواد مظفر الدين ابن الامير مظفر الدين ابن العادل ابي بكر بن شاكر الكتبي، فوات الوفيات والذيل عليها، ٤: ٣٩٦، وقيل: الجواد يونس وابوه مودود ابن العادل، الذهبي، دول الاسلام ٢: ١٠٦.
(٤) ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة ٦: ٣٠٦ حوادث سنة ٦٣٦. ص٦٥.

واعمالها بتسليم الجواد وأخذ العوض عنها سنجار والرقة وعانة[١] ».

وبعد ان تسلم الصالح دمشق سار الجواد الى الرقة - وقيل ان الخوارزمية اخرجوه منها - ثم سار الى سنجار فأقام بها[٢].

ولم يكن عهد الجواد في سنجار بأحسن مما كان عليه في دمشق، فصفاته وعاداته بقيت هي هي دون تغير، عسف بالأهالي وظلم. فصادر الممتلكات وأخذ الأموال واستهان بالكرامات. فناصبه الأهالي العداء ثم ثاروا عليه وتآمروا. وذكر انهم اتصلوا بصاحب الموصل - لؤلؤ• - ووعدوه بالمساعدة ان هو أتى لأخذ بلادهم منه. « ... وأما الجواد فأساء السيرة بسنجار فكاتب أهلها صاحب الموصل فتهيأ[٣] ».

---

(١) ابو الفدا، المختصر في اخبار البشر، مجلد ٢، ج٦ ص٧١
- محمد العمري، منهل الاولياء ١ : ١٢٤. وقيل ان الجواد اخذ العوض عنها سنجار والرقة فقط. «ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات والذيل عليها ٤:٣٩٦.

(٢) ابن العديم، زبدة الحلب، ٣ : ٢٤٥ حوادث سنة ٦٣٧ هـ.

(٣) الذهبي، دول الاسلام، ٢ : ١٠٨ حوادث سنة ٦٣٧ هـ.
- سبط ابن الجوزي مرآة الزمان، ج٨، ق٢، ص٧٢٩ - حوادث سنة ٦٣٧ هـ.

• ابو الفضائل بدر الدين لؤلؤ عبد الله، هو مملوك ارمني اشتراه ارسلان شاه بن عز الدين مسعود واتخذه مربيا لاولاده ثم وصيا بعد موته على ولده. وبموت بدر الدين في سنة ٦١٥ هـ/١٢١٨م بدأ حكم بدر الدين في الموصل. وفي سنة ٦١٩ هـ/١١٢٣م استقل بالسلطنة وتسمى بالملك الرحيم. قال ابن كثير: كان لؤلؤ ذا عقل ودهاء، حسن السيرة، ذا همة عالية، بلغ من العمر التسعين، كانت العامة تلقبه بقضيب الذهب لنضارة وجهه وحسن شكله، البداية والنهاية، ١٣ : ٢١٤. «وقال الذهبي»... كان شجاعا خبيرا بالامور على ظلم فيه، وقلة دين. دول الاسلام، ٢ : ١٢٤ حوادث سنة ٦٥٧ هـ. قيل انه قاوم الحركة العدوية التي اخذ ينشرها الشيخ حسن شمس الدين بن عدي بن صخر الاموي ٥٩١ - ٦٦٢ هـ/١١٩٤ - ١٢٥٤م. وهو الذي جمع له الشيخ عز الدين ابن الاثير كتابه المسمى بالكامل في التاريخ فاجازه عليه واحسن اليه. - ابن الاثير، البداية والنهاية، ١٣: ٢١٤.

ثانياً - سنجار في عهد بدر الدين لؤلؤ وأبنائه.

١ - بدر الدين لؤلؤ يستولي على سنجار: كان هناك نوع من التكامل الجغرافي والاقتصادي بين سنجار والموصل. فلقد كانت مدينة سنجار تعد من أهم أجزاء مملكة الموصل حتى سنة ٥٦٦ هـ/ ١١٧١ م. حين انفصلت عنها ونشأت فيها امارة اتابكية مستقلة. وهذا الانفصال ترك أثره السيء في نفوس حكام الموصل اتابكيين زنكيين كانوا ام أيوبيين أو غيرهم. ولقد بذل هؤلاء منذ انفصال سنجار عن دولتهم جهودا كبيرة لعودتها الى سابق عهدها، الا ان الظروف السياسية التي سادت بلاد الجزيرة والشام حالت دون ذلك الى ان ظهر بدر الدين لؤلؤ في الموصل مربيا ووصيا لأولاد الاتابك نور الدين ارسلان شاه - صاحب بلاد الموصل - وتفيد النصوص التاريخية ان بدر الدين هذا كان قد طمع في الملك وراح يكيد لأولاد سيده وولي نعمته واحدا بعد الآخر حتى ابادهم واستقل بحكم البلاد ابتداء من سنة ٦١٩ هـ/ ١٢٢٣ م. واتسم عهده في البداية بالعسف والظلم الى ان صفا له الجو. وبعد ذلك اخذ يتطلع الى ما حوله من أعمال وممتلكات فطابت نفسه الى سنجار فمال اليها ساعيا الى إعادة تحقيق التكامل والوحدة التي سبق ان كانت عليها مع بلاد الموصل. ومن حسن حظه ان الظروف ساقت الى سنجار في هذا الوقت ملكا فاجرا لاهيا أساء معاملة اهلها وصادر ارزاقهم، وأخذ أموالهم، ونكل بهم الى ان دفعهم دفعا الى اعلان الثورة عليه والاتصال بخصومة فيما وراء حدود سنجار فكان بدرالدين اول هؤلاء فدعوه لأخذ مدينتهم ووعدوه بالمساعدة على ذلك. وتفيد المصادر ان لؤلؤاً كان على علم تام بأحوال الجواد في سنجار، كما كان على معرفة

أكيدة من اين يؤخذ. قيل فبدأ باجراء مفاوضات معه ترمي إلى اعطائه مبالغ من المال يجددها هو بنفسه مقابل تخليه عن المدينة - سنجار - من غير حرب.

وذكر ان الجواد وافق على ذلك وقبض المال بواسطة ركن الدين الصالح اسماعيل ابن لؤلؤ الأكبر. لكنه لم يتنازل عن امارته لأنه كان يخشى مغبة عمله. ولكي يتحاشى خطر صاحب الموصل ومطالبته له بالأموال عمد الى كسب عطف الخلافة عليه - في الوقت الذي كان فيه لؤلؤ يتأهب للسير الى سنجار - فقام للتو بزيارة الى بغداد كان قد أشار اليها صاحب الكتاب الموسوم بالحوادث الجامعة بقوله: « ...أن سنجار كانت في سنة ٦٣٧ هـ في يد الملك الجواد، وان هذا الأخير قام بزيارة ودية الى بغداد واستقبله موكب الديوان، وخلع عليه وعلى حاشيته[١] ». خاف لؤلؤ من التقارب الذي تم بين الجواد والخلافة. وحتى لا توضع نتائج هذا اللقاء موضع التنفيذ، واستجابة لاستغاثة أهل سنجار ودعوتهم لترؤسهم سار الى الجواد بعملية عسكرية واسعة أشار اليها ابن العديم بقوله: « .. وسار لؤلؤ الى سنجار بعملية كانت له فيها فاستولى عليها في سنة ٦٣٧ هـ/ ١٣٤٠ م في شهر ربيع الأول[٢] ».

وهناك رواية أوردها ابن شداد، يوضح فيها كيفية استيلاء لؤلؤ على المدينة وهاك ما جاء فيها. قال: « ... ان الملك الجواد لما ملك سنجار شرع في مكاتبة الخوارزمية والتجأ اليهم، وتقوى بهم، فخاف بدر الدين لؤلؤ - صاحب الموصل - من ان يتفق الجواد مع الخوارزمية ويقصده. فراسله وهاداه حتى امن جانبه. ثم استأذن الإمام المستنصر - الخليفة العباسي - في أخذ سنجار منه. ثم ان الجواد شرع

---

(١) ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص١٢١ - الرويشيدي، امارة الموصل، ص١٣٦ - ١٣٨.
(٢) ابن العديم، زبدة الحلب، ٣: ٢٤٥ - محمد العمري منهل الاولياء، ١: ١٢٤.
-- ابن خلدون، تاريخه، مجلد ٥، ق٣، ص ٦٠٠.

من جانبه في الاحتيال على لؤلؤ فراسله وهاداه وأظهر ان له بنتا يسأل تزويجها من احد ابنائه لتصير بينهم لحمة نسب واتفاق - ولم يكن للجواد بنتا في الواقع - ولما تحقق لؤلؤ من ذلك شرع هو الآخر في اصطناع الحيلة على الجواد. فأجابه الى ما سأل.

وخطب اليه وحمل مهرا كبيرا، وسير ولده في جماعة من عسكره لمباغتته في الهجوم على سنجار وانتزاعها منه، ويضيف ان لؤلؤاً كان قد راسل نائب الجواد في سنجار وكان يدعى جنقر وأطمعه بالمال واستماله اليه. في حين كان الجواد قد أصدر أمره الى نوابه بالقبض على ابن لؤلؤ فور دخوله المدينة. وينهي ابن شداد هذه الحادثة بنجاح لؤلؤ في مهمته واستيلائه على سنجار وتملكها[1] ». ومهما كانت الأسباب التي ساقت لؤلؤاً الى سنجار فان السبب الذي أورده السبط في مرآته يبقى الأهم والأقوى ومفاده: ان بدر الدين لم يقدم على ضم سنجار الا بعد موافقة أهلها، لأن الجواد كان قد أساء اليهم ونكل بهم. فرحبوا بلؤلؤ وفتحوا له أبواب مدينتهم لتدخل منها عساكر الموصليين وتحتلها[2].

ويحدثنا الذهبي في تاريخه بهذا الخصوص فيقول: « ... وكاتب أهلها « أي اهل سنجار » صاحب الموصل فأسرع ففتحوا له البلد فتملكها[3] ».

وبعد ان ملك بدر الدين المدينة سار الجواد الى عانة حيث بقي فيها مدة، قيل: ثم باعها الخليفة المستنصر بالله العباسي بمال تسلمه منه، ولم يبق في يده من البلاد شيء، بعدها سار الى البرية ومنها كاتب

---

(١) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج٣، ق١، ص٢٠٤ - ٢٠٥.
- الرويشيدي امارة الموصل في عهد بدرالدين لؤلؤ، حاشية ص١٣٨.
(٢) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٨، ق٢، ص٧٢٩.
- الرويشيدي، امارة الموصل، ص١٣٨.
(٣) الذهبي، دول الاسلام، ٢: ١٠٨ حوادث سنة ٦٣٧ هـ.

الصالح نجم الدين أيوب - صاحب دمشق - يسأله السير اليه[١].

٢ - أولاد لؤلؤ يحكمون سنجار: واستتب الأمر لبدر الدين في بلاد سنجار. وتمشياً مع ما كان يأمله سكانها فيه من عدل وبر وفضل وشدة بأس، رغب في رد الجميل اليهم، وتحقيق ما كانوا يأملون. فعهد بادارة شؤون المدينة الى أقرب الناس اليه، الى ولده الأكبر الصالح اسماعيل. وقام الصالح وباشراف ابيه بمهامه خير قيام. فرعى الشؤون الاجتماعية والاقتصادية والعمرانية والدفاعية. فأدّى ذلك الى تطوير مرافق الحياة، فنمت موارد سنجار وزاد عمرانها، وتقوى دفاعها، وترفه شعبها، وعمها الأمن والاستقرار. وكأن المدينة عادت الى سابق مجدها أيام كانت عليه في زمن الزنكيين الأوائل، لأن بدر الدين كان - كما قيل فيه - قد سار على خطاهم ونهج نهجهم السليم. ورجعت بلاد سنجار لتحكم من جديد من قبل حكام الموصل تماماً كما كانت عليه طوال تاريخها الغابر. وإذا كانت بلاد الموصل قد أصبحت في ايام لؤلؤ - كما ذكرت المصادر - ام البلاد ونزهة العباد، ومحط العدل والفضل[٢]، فان سنجار لا بد ان يكون قد أصابها بعض من هذا وذاك ان لم يكن كله.

واستمر الصالح في تولي سنجار نيابة عن ابيه الى وفاة الأخير وذلك في حدود سنة ٦٥٧ هـ/ ١٢٥٩ م بعدها استقل بحكم الموصل وسنجار فترة[٣]. ويستدل على وجود الصالح في حكم سنجار - من بعض المعلومات التي أوردها ابن الفوطي، حيث ذكر ان بلاد سنجار كانت في سنة ٦٤٠ هـ/ ١٢٣٢ م وسنة ٦٤٧ هـ/ ١٢٤٩ م في يد ركن الدين الصالح اسماعيل بن لؤلؤ[٤].

---

(١) ابو الفدا، المختصر في اخبار البشر، مجلد ٢، ج٦، ص٧١.

(٢) ياسين العمري، منية الادباء، ص٦٦.

(٣) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج٣، ق١، ص٢٠٦.

(٤) ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص١٥١.

قلت ان الصالح استقل بعد وفاة ابيه بحكم الموصل وسنجار، ثم ما لبث ان تخلى عن سنجار لأخيه الأوسط بناء لوصية ابيه. وتفيد الأخبار ان مملكة لؤلؤ كانت قد توزعت بعد موته وبناء على وصيته بين أولاده على الشكل التالي: الصالح اسماعيل على الموصل، والمظفر علاء الدين (الأوسط) على سنجار، والمجاهد سيف الدين اسحق (الأصغر) على جزيرة ابن عمر(١).

اذن انتقل حكم سنجار الى علاء الدين بن لؤلؤ وقد أشار الى ذلك عدد من المؤرخين القدامى وعلى رأسهم ابن العبري، وابو الفدا والمقريزي وابن خلدون وغيرهم(٢). وبقيت سنجار على علاء الدين الى شهر شعبان من سنة سبع وخمسين وستمائة هجرية حيث تركها وقصد

(١) ابن العبري، تاريخ الدول السرياني، مجلة المشرق، مجلد ٥٠ سنة ١٩٥٦ آذار ونيسان، ص١٣٦. بقلم اسحق ارملة السرياني.
- لين، طبقات سلاطين الاسلام، ص١٥٤ ويضيف لين ان بلاد حلب كانت من نصيب ابن لؤلؤ الرابع وكان يدعى محمد علي (نفس المصدر). هذا وكانت مملكة بدر الدين قد انحصرت في النهاية في الموصل وسنجار وجزيرة ابن عمر وجبال الهكارية، «سومر مجلد ٢، ج١، سنة ١٩٤٦، ص٢٧، مقال بقلم: داود الجلبي، بعنوان: بدر الدين لؤلؤ والاثار الاسلامية القديمة.
- في حين كانت مدن الجزيرة الاخرى بيد الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن محمد صاحب حلب. فمن ديار ربيعة كانت له: نصيبين ورأس عين ودارا والخابور بكامله وقرقيسيا. كما كانت له حران والرها وسروج والرقة وقلعة جعبر والبيرة وجملين والموزر، «ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج٣، ق١، ص ٢٤٥».

(٢) فابن العبري ذكر في تاريخه في حوادث سنة ٦٥٧ هـ ما يلي: «... وفيها توفى الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ - صاحب الموصل في عشرين يوماً مضت من شهر تموز وتولى ولده الصالح الموصل، وعلاء الدين سنجار، وسيف الدين الجزيرة». تاريخ مختصر الدول، ص٢٧٩.
- تاريخ الدول السرياني، مجلة المشرق، مجلد ٥٠، سنة ١٩٥٦، ص١٣٦
- وابو الفدا. افاد في المختصر في حوادث نفس السنة ما اورده ابن العبري المختصر، مجلد ٢، ج٦، ص١٠٤.
- والمقريزي اوضح ان علاء الدين الملقب بالملك السعيد علي كان على سنجار في سنة ٦٥٩ هـ. «السلوك ج١ ق٢ ص٤٦١ حوادث سنة ٦٥٩».
- انظر ابن خلدون تاريخه، مجلد ٥، ق٤، ص٨٢٦ - العزاوي، العراق بين احتلالين. ١: ٢٢٧.
- ويضيف ابن شداد بأن المظفر علاء الدين كان قد ولي الى جانب سنجار: بلد تلعفر وذلك بعد وفاة ابيه «الاعلاق الخطيرة، ج٣، ق١، ص٢٠٦»

الملك الناصر صلاح الدين يوسف الأيوبي• في دمشق. وبعد خروج المظفر منها وضع أخوه الصالح اسماعيل يده عليها وولى فيها ابنه الملك العادل نور الدين. ولم تزل في يد ابن الصالح الى ان عاد اليها المظفر علاء الدين في غضون سنة ٦٥٩ هـ/ ١٢٦١ م. وأقام العلاء فيها مع اخيه المجاهد سيف الدين اسحق - صاحب جزيرة ابن عمر - الى ان بلغهم مقتل الخليفة العباسي المستنصر• بالله في بغداد على ايدي التتار. عندها خرجا منها في المحرم من سنة ٦٦٠ هـ/ ١٢٦٢ م وطلبا الديار المصرية[١].

قلت ان بلاد مملكة لؤلؤ تمتعت بالهدوء والاستقرار طوال حياة مؤسسها، اذ لم يحدث فيها ما يعكر صفو الحياة ويزعج المواطنين. وكان هذا مرده الى السياسة المرنة التي أظهرها الملك الرحيم في علاقاته مع جيرانه امراء وملوك النواحي من جهة ومع دار الخلافة في بغداد من جهة ثانية. لذا انعكست نتائج هذه السياسة على اوضاع البلاد، واذا كانت المصادر قد أفادت بحدوث بعض الاضطرابات هنا او هناك في بعض جهات المملكة فان سبب ذلك كان يعود الى وجود الخوارزمية في المنطقة، هؤلاء كانوا قد ناصبوا لؤلؤاً العداء السافر منذ ان اصطنعهم الصالح ايوب واقطعهم الضياع والمدن ودفعهم الى قتال صاحب الموصل والاستيلاء على دياره. ولإخماد اضطرابات الخوارزمية كان لؤلؤ يلجأ الى تعبئة كافة جند المملكة ويناشد سائر امراء النواحي على الاشتراك معه في قتالهم للتخلص من شرهم، تماما كما حدث في سنة

• الملك الناصر صلاح الدين بن يوسف ابن الملك العزيز محمد بن الظاهر غازي ابن الملك الناصر صلاح بن يوسف بن ايوب فاتح بيت المقدس.

• المستنصر بالله هو أبو القاسم أحمد بن الظاهر بأمر الله أبي نصر بن الناصر لدين الله أبي العباس أحمد. وكان المستنصر قد ترك بغداد ولحق بالديار المصرية هرباً من فتك التتار به. وفي مصر بويع بالخلافة من قبل الظاهر بيبرس ثم رجع الى دمشق وتوجه بصحبة اولاد لؤلؤ الى العراق وذلك في حدود سنة ٦٥٩ هـ وقتل هناك. «ابن شداد، الاعلاق الخطيرة ج٣، ق١، ص٢٠٩».

(١) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج٣، ق١، ص٢٠٩.

٦٤٠ هـ/ ١٢٤٢ م عندما اشترك صاحب سنجار الصالح اسماعيل مع ابيه واخوته في حرب الخوارزمية وأتباعهم من التركمان عندما قصدوا بلاد حلب[١].

فتجهيز العساكر السناجرة واعدادهم للقتال وما يترتب على ذلك من اعباء مالية وبشرية كل ذلك كان يعود على سكان المدينة سنجار وأطرافها بالضرر والخسارة لأن هؤلاء مع سكان المدن الأخرى كانوا في مثل هذه الحالات يعتبرون حطب الحرب ومادتها وان كان النصر حليفهم في كثير من الأحيان.

واذا كنا نتحدث عن علاقات لؤلؤ بالعالم فاننا نشير في الوقت نفسه الى علاقات ابنائه أصحاب الاقطاعات، لأن سياستهم كانت نابعة من سياسته. فبدر الدين نفسه كان - كما تشير المصادر - قد امتاز بالمكر والدهاء وهذا ما جعل علاقاته بجيرانه في الجزيرة والشام علاقات حسنة ومتينة في أغلب الأوقات. كما استطاع بهذه الصفات ان يستوعب الغزو التتري المغولي ويعمل على تلافي شره منذ البداية. فصانع هولاكو وتودد اليه، بعدما علم من بطشه وغدره وجبروته، ابان احتلاله لأرمينيا في سنة ٦٤١ هـ/ ١٢٤٣ م. وفي سنة ٦٥٦ هـ/ ١٢٥٨ م وعندما وجد لؤلؤ وأبناؤه أنفسهم في موقف حرج نتيجة الزحف المغولي نحو بغداد حيث كان أمامه أحد أمرين، اما الاسراع بعساكره للدفاع عن بغداد ونجدة الخلافة واما الوقوف الى جانب الغزاة ومساعدتهم في القضاء على السلطة الاسلامية العليا آنذاك قرر بعد ان تبين له اقدام سائر امراء النواحي على الوقوف الى جانب هولاكو والسير في ركابه وبعد ان تبين له أيضاً ان بقاءه الى جانب الخلافة وحيدا لن يجديه فتيلاً، قرر مواصلة اعلان الطاعة للغازي الجبار وارسال بعض مجموعات من جنده لتقاتل الى

(١) ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص ١٥.

جانب الجحافل المغولية.

وتفيد المصادر ان مجموعات لؤلؤ العسكرية كانت قد وصلت متأخرة عن موعدها وبعد ان كانت الجيوش المغولية قد اقتحمت بغداد وفتحتها واستباحتها وتضيف هذه المصادر ان المغول وجدوا في تأخر وصول قوات لؤلؤ ان في الأمر ما فيه. فشككوا بنوايا بدر الدين واعتبروا ذلك امرا مقصودا. ونعتقد ان يكون ذلك. اذ ليس من المعقول ان يقدم رجل كبدر الدين لؤلؤ - وهو السياسي المحنك المرن على عمل كهذا وهو يعلم ابعاده في الداخل والخارج وان أظهر تأييده للمغول وأعلن طاعته لهم. ولكي يخفي نواياه ويزيل تشكك الغزاة به هرع لتوه الى اذربيجان حيث كان يقيم هولاكو. وهناك أبدى تأسفه واعتذاره لتباطؤ قواته مجدداً إعلان ولائه وطاعته ومقدما الهدايا والأموال والتحف. وتفيد المصادر ان هولاكو قبل منه ذلك ورده الى بلاده[1].

ويتحدث العمري عن موقف لؤلؤ من المغول فيقول: « ... وصانع لؤلؤ هولاكو وحمل اليه الأموال ووصل الى خدمته بعد ان أخذ بغداد[2] ».

---

(١) ابو الفدا، المختصر في اخبار البشر، مجلد ٢، ج٦، ص١٠٤، حوادث سنة ٦٥٧ هـ.
- ابن كثير، البداية والنهاية، ١٣: ٢١٤ حوادث سنة ٦٥٧ هـ.
- ابن خلدون تاريخه، مجلد ٥، ق٤، ص٧٩١ يقول داود الحلبي في مقال له عن لؤلؤ في سنة ٦٥٦ هـ/ ١٢٥٨ م أرسل بدر الدين ابنه الصالح اسماعيل نائباً عنه الى صاحب التتار لتقديم الطاعة فقابله هولاكو بقوله: « ... أنتم بعد في شك من أمرنا، وما طلتم الى اليوم الا لتنظروا من الظافر بصاحبه فلو انتصر الخليفة وخذلنا لكان مجيئكم إليه لا إلينا... قل لابيك لقد عجبنا منك كيف ذهب عنك الصواب، وعدل بك ذهنك عن سواء السبيل، واتخذت اليقين ظناً، وقد لاح لك الصبح فلم تستصبح. فلما عاد اسماعيل، وبلغ اباه خاف، وراح يفرغ خزانته من الأموال والجواهر، وصادر ذوي الثروة من رعاياه، وأخذ حتى حلى نسائه وسار الى هولاكو لعرض الطاعة. فتلقاه بالقبول واحترمه لكبر سنه. وعاد لؤلؤ الى الموصل مذعوراً مما شاهده من قوة المغول. » سومر مجلد ٢: ج١، سنة ١٩٤٦ كانون الثاني، ص٢٧ - ٢٨، داود الحلبي: الملك بدر الدين لؤلؤ والآثار القديمة الاسلامية في الموصل.

(٢) محمد العمري، منهل الاولياء، ١: ١٢٥ حوادث سنة ٦٥٧ هـ.

وبعد وفاة لؤلؤ أبقى ابناؤه على العلاقة الطيبة مع هولاكو تخوفا منه فقيل انه احترمهم وأقرهم على أعمالهم[١].

ولما تبين لأولاد لؤلؤ ان نوايا المغول أخذت تسوء نحوهم، فترت علاقاتهم بهم وزادها فتورا وشوشات حكام دمشق ومراسلاتهم لهم بقصد الإثارة والتحريض بين الطرفين، مستغلين فيهم حماسهم الديني الزائد خلافاً لما كان عليه أبوهم من عدم اهتمام بشؤون الدين اللهم إلا لأغراضه السياسية والعسكرية. لأنه كان أرمنيا وحديث العهد بالاسلام. ووعد الدمشقيون والحلبيون أولاد لؤلؤ بالمساعدة والمساندة، فاستجابوا لنداءاتهم وأعلنوا الثورة على المغول في الوقت الذي سار فيه هؤلاء باتجاه ديارهم. وراح الشاميون يغذون ثورة ابناء لؤلؤ ويمدونها بالمال والرجال. وتفيد الأخبار ان صاحب سنجار - علاء الدين علي - ما ان سمع بتقدم العساكر المغولية نحو ديار ملكه - وكان قد تسامع بفظائعهم - حتى ترك البلاد ولجأ هارباً إلى دمشق مع عياله وأمواله وصحبه[٢]. وبعدها طلب الديار المصرية ونزل في ضيافة الملك الظاهر بيبرس[٣].

وبعد هروب المظفر علاء الدين اجمع أهل سنجار على ان يفوضوا أمرهم الى قاضي المدينة المدعو آنذاك فخر الدين[٤].

---

(١) ابن خلدون، تاريخه، مجلد ٥، ق ٤، ص٨٢٦.
- مجلة سومر، مجلد ٢، ج١، سنة ١٩٤٦ كانون الثاني، ص٢٨.
(٢) اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ١: ٤٩٥.
- ابن خلدون، تاريخه، مجلد ٥، ق٤، ص٨٢٦.
- الرويشيدي، امارة الموصل في عهد بدر الدين لؤلؤ، ص٧٨.
(٣) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج٣، ق١، ص٢٠٩.
(٤) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج٣، ق١، ص٢٠٩.



الفصل الخامس

مدينة سنجار من العهد المغولي الايلخاني الى العهد العثماني ٦٦٠ - ٩٢١هـ/١٢٦٢ - ١٥١٥م

اولاً - بلاد سنجار في ايدي المغول الايلخانيين ٦٦٠ - ٧٣٦هـ/١٢٦٢ - ١٣٣٥م.

ثانياً - سنجار خلال حكم المتغلبين على الدولة الايلخانية.

ثالثا - مدينة سنجار في أيدي العثمانيين الأتراك.



مدينة سنجار من العهد المغولي الايلخاني الى العهد العثماني

٦٦٠ - ٩٢١ هـ/١٢٦٢ - ١٥١٥ م

اولاً - بلاد سنجار في أيدي المغول الايلخانيين ٦٦٠ - ٧٣٦ هـ/١٢٦٢ - ١٣٣٥ م.

١ - ملامح عامة: وبترك علاء الدين بن لؤلؤ لبلاد سنجار، بدأت مرحلة جديدة في تاريخ هذه البلاد وهي مرحلة الحكم المغولي الايلخاني المباشر. امتدت من سنة ٦٦٠ هـ/١٢٦٢م الى سنة ٧٣٦ هـ/١٣٣٥ م. اما كيف ومتى تم ذلك، وما هي الأحداث التي رافقت عهدهم في بلاد سنجار ومن هم ابرز القادة منهم الذين نزلوا هذه البلاد وتركوا فيها بعضاً من آثارهم، فهذا ما سنلحظه فيما يلي.

من الشائع بل من المتداول انه اذا ذكر تاريخ المغول في بلاد المشرق العربي فانما يذكر معه الخراب والدمار والقتل والتشريد، الا ان مجموعة من الباحثين المعاصرين لنا ومنهم بين العرب المحامي عباس العزاوي والدكتور جعفر خصباك، حاولوا ان يميزوا بين الروايات الشعبية التي روج لها الكتاب التقليديون ترويجا واسعاً بهذا الخصوص. وبين الحقائق التاريخية المجردة من العواطف المنفعلة والعرض المبسط والتي تخفف وتشذب من اقوال تلك الروايات.

والحقيقة ان المغول كانوا قد تعمدوا القساوة والتخويف مع بداية تحركهم في بلاد المشرق العربي بقصد ردع الشعوب عن المقاومة ليس الا.

ولهذا تميزت الغزوات الأولى التي قاموا بها - بداعي الاستكشاف - بالعنف: هذا العنف بل وهذا الإرهاب المخطط من قبلهم كان يماشي بعض الخطوات التي من شأنها ان تبرهن على مدى تمسك هؤلاء ببعض القيم وحتى العلمية منها. فمثلاً كان الفقيه الجويني قد رافق - كما ذكر - الحملة المغولية التي قضت على وكر الحشاشين في قلعة الموت بداعي وضع اليد على مجموعات الكتب القيمة التي كان يمتلكها الحشاشون هناك، وبداعي ان يختار من هذه الكتب ما يستحق الحفظ منها. ان ما اتى به المغول من ارهاب واضطهاد في البداية وبخاصة في بلاد العراق والجزيرة قد نال مناله فاحدث اضطرابا في الاوضاع، واختلالا في القوى، وبدلا من ان يواجه ملوك الجزيرة وامراؤها هذه الموجة بموقف موحد، لجأ بعضهم - إن لم نقل كلهم - الى اتخاذ موقف المصانعة والتزلف، وتقديم آيات الولاء والطاعة للغزاة الجدد. فتسابقوا في ذلك، اما لحماية انفسهم والابقاء على ما بإيديهم، واما لرغبة بعضهم في الحصول على مكاسب ومنافع أكثر في الدولة الجديدة. تماما كما كان عليه الحال عندما قدم بدر الدين لؤلؤ - اقوى رجال الجزيرة - وابناؤه الطاعة والخدمة لمثل هولاكو فور سماعهم بنبأ قدومه المنتصر نحو بلادهم.

ان هذا الموقف المتخاذل والضعيف الذي وقفه ملوك الجزيرة من الغزاة ليس وحده فقط الذي كان سبباً في دخول هؤلاء بلاد الجزيرة، فإضافة الى قوة المغول، كانت هناك أمور أخرى ساعدت على أخذهم وتمركزهم في تلك الديار. واعني بذلك مواقف بعض الطوائف التي كانت تشتكي من وضعها ضمن مجتمعاتها وعلى الأخص النصارى واليهود.

فالمصادر قد افادت بأن النصارى ما ان تسامعوا بوصول القوات المغولية حتى لاحت عليهم بوادر الارتياح. فقاموا ببعض التصرفات السلبية تجاه المسلمين. ونتيجة لموقفهم هذا اضطر صاحب الموصل

واصحابه الى الانتقام منهم، فسلبوا ونهبوا وقتلوا، وكان ذلك قد حصل ابان محاصرة المغول لمدينة الموصل في خريف سنة ٦٥٦ هـ/١٢٥٨ م[١].

واذا كان النصارى قد وقفوا هذا الموقف وهللوا لمقدم المغول، فان هؤلاء الغزاة - كما اوضحت الأخبار - لم يتورعوا في وقت من الأوقات عن الحاق الأذى بهم، بل وعاملوهم كغيرهم من سائر طوائف المدن في الجزيرة وان كان هناك نوع من التمييز والتخفيف في بعض الأحيان.

وأخبار المغول وغزواتهم ومعاملتهم كانت قد وردت في كتابات الرهاوي المجهول. فمثلا يذكر في أمور سنة ٦٣٠ هـ/١٢٣٣م ولأول مرة ظهور شعب من الشمال اتراك (الذين يسمون أنفسهم بغالبيتهم تتر، وبالسريانية الهون)، فهؤلاء (الوثنيون والقتلة الذين اهلكوا مملكة الفرس)، تقدموا بغزوة حتى مدينة ديار بكر.

ثم يسجل الرهاوي في سنة ٦٣١ هـ/١٢٣٢م غزوة جديدة لهؤلاء (الملعونين الذين لا يعرفون وجود الإله ولا يهتمون لا بالصلاة ولا بالصوم). لكنه في نفس الوقت يضيف ملاحظة مهمة كنا قد نوهنا بها تقول: انهم يهلكون (الاتراك اكثر من النصارى، والمسلمين أكثر من اليهود)[٢].

هذا وتصمت المصادر عن ذكر سنجار خلال المرحلة التمهيدية للغزوات المغولية، ولربما شاركت سنجار مدينة الموصل واتابكها لؤلؤ عندما قدم الطاعة للمغول في سنة ٦٤٠ - ٦٤٢ هـ/١٢٤٢ - ١٢٤٤ م، لكون المدينة في يد ولدة الصالح اسماعيل في هذا الوقت. وكذلك فان سقوط بغداد الذي تم بأيدي المغول في حدود سنة

---

(١) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص٢٨٤.

(٢) J. M. Fiey, Chrétiens Syriaques, entre Croisés et Mongols, Symposium Syriacum, Revue 1972, P. 335.

٦٥٦ هـ/١٢٥٨م فلا يذكر له أي أثر على وضع المنطقة الشمالية التي منها مدينة سنجار وبلادها. الا إنه وبعد وفاة لؤلؤ واتضاح نوايا المغول في الاستيلاء على ملكه، تمرد الصالح اسماعيل واعلن الثورة عليهم خاصة بعد أن تقدموا من جديد لحصار مدينة الموصل مقر اقامته.

واذا كان الصالح قد تمرد وثار وتهيأ للدفاع عن ملكه وحشد قواته فأن اخويه - المظفر علاء الدين صاحب سنجار والمجاهد سيف الدين صاحب جزيرة ابن عمر - قد اصابها الهلع والفزع فقررا ترك البلاد والالتجاء بعيالها وصحبها الى دمشق ثم الى الديار المصرية، سيما وان انتصار قطز المملوكي على الجحافل المغولية في عين جالوت، واستيلاء الملك الظاهر بيبرس على الشام، جعل المسلمين في الجزيرة وغيرها يشخصون بأبصارهم الى مصر للخلاص.

قلت إن أهل سنجار فوضوا أمرهم - بعد هرب علاء الدين - الى القاضي فخر الدين - وكان قد ساد البلاد جو من الخوف والحذر، وراح الناس يبحثون عن اماكن يلتجئون اليها لحماية انفسهم وعيالهم وممتلكاتهم. وانشغل القاضي ومعاونوه بتدبير أمور المدينة ورعاية مصالحها وتهدئة نفوس مواطنيها، خاصة وان التتار لم يصلوا المدينة بعد ولم يعارضوها حتى تلك الساعة[١].

وفي مصر ذهب الملكان الفاران الى الظاهر بيبرس•، واطلعاه على مجريات الأمور في بلاد العراق والجزيرة ومن هناك راسلا اخاهما الصالح - صاحب الموصل - واخبراه ما كان من أمرهما مع بيبرس. وطالباه باللحاق بهما والعمل في خدمة صاحب مصر. كما اعلماه بان

---

(١) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج٣، ق١، ص٢٠٩.

• الظاهر بيبرس البندقداري اقوى سلاطين المماليك - كان من بين الذين اطاحوا بالدولة الايوبية في مصر والشام، واقاموا على انقاضها دولة المماليك التي استمرت الى سنة ١٥١٦م عندما اطاح بها العثمانيون في معركة مرج دابق وقضوا على آخر سلاطينها المدعو قانصوه الغوري.

الظاهر سوف يتصدى للتتار ويقصد مواقعهم ويزيل شرهم، ونصحاه بتقديم الطاعة والولاء له، ومتى فعل ذلك فسوف يحظى بعطفه ومساعدته فيضمن ليس فقط ملك الموصل بل وبلاد المشرق كلها[١].

ويؤخذ مما اتت به المصادر أن رسالة علاء الدين الى أخيه الصالح كانت قد وقعت بيد شمس الدين محمد بن يونس الباعشيقي - احد جلساء الصالح - وكان يومئذ بحضرته فغافله وخطفها وذهب بها الى هولاكو[٢]. ولما علم الصالح خاف ورحل الى الشام ثم الى مصر. وعندها اضطربت احوال الموصل، كما اضطربت احوال سنجار من قبل. وفي مصر اعد بيبرس جيشاً وارسله مع رجل ادعى انه من أولاد الخلفاء العباسيين ليكشف التتر عن بغداد والجزيرة، وانفذ اولاد لؤلؤ معه. قيل: انهم لما قاربوا بغداد خرج عليهم جيش التتر فقتل ابن الخليفة بينما لاذ اولاد لؤلؤ بالفرار والتوجه الى بعض الديار. فقصد الصالح الى الموصل متخفياً، بينما وصل علاء الدين مدينة حلب حيث كان بيبرس قد عهد اليه فيها نائباً عليها[٣].

٢ - دخول المغول الى سنجار واستيلاؤهم عليها - موقعة سنجار: ما ان علم المغول بوجود الصالح في بلده حتى جدوا في إرسال العساكر نحوه، واحاطوا بمدينة الموصل وحاصروها. وازاء هذا الوضع الخطير لم يجد الصالح امامه سوى مكاتبة امراء الشام وحلب والطلب اليهم بالمساعدة - كما كانوا يمنونه من قبل - فاتصل بصاحب حلب وكان لا يزال الأمير شمس الدين أقوش البرلي• - حيث ان علاء الدين

---

(١) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص٢٨٢ حوادث سنة ٦٥٩هـ.
- ابن العبري، تاريخ الدول السرياني، مجلة المشرق، مجلد ٥، سنة ١٩٥٦. اذار ونيسان، ص١٤٠.

(٢) ابن العبري، تاريخ الدول السرياني،مجلة المشرق، مجلد ٥ سنة ١٩٥٦ اذار ونيسان، ص١٤٠، بقلم اسحق ارملة السرياني.

(٣) داود الجلبي، الملك بدر الدين لؤلؤ والاثار القديمة الاسلامية في الموصل، مجلة سومر، مجلد ٢، ج١، ص٢٨ سنة ١٩٤٦.

• ورد باسم برلو «ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص٢٨٤». وباسم ازيرلوا «رشيد الدين فضل الله =

ابن لؤلؤ لم يكن قد تسلم مهامه فيها بعد - واستحثه على الوصول اليه ليرحل التتر عن بلاده، فاستأذن البرلي مولاه الظاهر بيبرس فأذن له ورضي عنه.

وخرج البرلي من حلب وسار الى ان وصل بلاد سنجار - فاستولى عليها واعتقل قاضيها - فخر الدين - بعد ان صادره[1]. واتفق أن اكتشف أمر صاحب حلب لدى التتار الذين كانوا على حصار الموصل، وابلغوا بعدد عساكره وبمكان نزوله، فسارعوا للقائه. وذكر ان الطرفين التقيا في سهل سنجار، وجرت بينهما معركة دامية عرفت باسم موقعة سنجار، كانت فيها الكسرة على البرلي: قيل انه انهزم جريحاً وقتل أكثر من كان معه وفر لاجئاً الى البيرة. وبعد ذلك توجه التتار الى مدينة سنجار للانتقام من أهلها الذين ساندوا البرلي في المعركة. ويفيد ابن شداد المؤرخ المعاصر للاحداث انه: «... بعد ان تم النصر للتتار دخلوا سنجار واستولوا عليها واخربوا قلعتها وهدموا شراريفها ورتبوا فيها الأمير علم الدين قيصر الموصلي نائباً بها[2].

وافاضت المصادر في التحدث عن هذه الموقعة وعن الالآم التي تركتها في نفوس السنجاريين والموصليين والشاميين على السواء، وعن الخسائر التي تسبب بها المغول في الأرواح والممتلكات. والذي اتضح من

= الهمداني، جامع التواريخ، مجلد ٢، ج١، ص٣٢٨». وباسم ايلبرك، العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، ١: ٢٤٣».

تذكر المصادر ان سبب تعيين علاء الدين على حلب بدلا من البرلي لكون الاخير قد خرج عن طاعة سيده بيبرس واستولى على بعض اعماله في حلب وحران وما يليها «ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج٣، ق١، ص٢١٠». ويلاحظ ان البرلي لم يسلم حلب الى علاء الدين وانه عصي بها فاضطر بيبرس الى السكوت عن عمله والتظاهر بالرضا عنه ريثما تنجلي الاوضاع في الجزيرة.

(١) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج٣، ق١، ص٢١٠.

(٢) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج٣، ق١، ص٢١١ - ٢١٢.

خلال هذه المصادر ان ذلك كان قد حصل على مرأى ومسمع من أمراء الجزيرة الآخرين، بل وان بعض هؤلاء كان قد اشترك مع المغول في إقتحام سنجار والموصل، واقتسم معهم ما سلبوه وما نهبوه من خيرات تلك الديار.

واذا كان السناجرة قد هبوا لنجدة البرلي وصاحبه الصالح اسماعيل فإنهم انما فعلوا ذلك لإنهم كانوا يدركون حق الإدراك من ان المغول بعد ان يتمكنوا من المواصلة ومدينتهم سوف يلتفتون لا محال صوب سنجار وان نجدتهم هذه لا بد وان تبعد الخطر عنهم سيما وان سنجار كانت - كما قلنا من قبل - كالتوأم بالنسبة الى الموصل وتربط بين شعبي المدينتين روابط عديدة منها: رابطة الجوار، ووحدة المصير الذي اتضح عبر تاريخ البلدين المشترك. ونظراً لإهمية هذه الموقعة كان لا بد من الإتيان على بعض تفاصيلها، كما اوردتها مؤلفات المؤرخين المعاصرين لها وسواهم.

كان ذلك في اوائل المحرم من سنة ستين وستمائة للهجرة الموافق لسنة اثنتين وستين ومائتين وألف للميلاد على ما ذكره اليونيني في ذيل المرآة، عندما قصدت الجموع المغولية الايلخانية بقيادة المقدم صندغو* مدينة الموصل، وكان يشاركها في زحفها كل من صاحب ماردين وشمس الدين بيبرس - امير شكار البدري - وشمس الدين يونس المشد، يقودون عساكر أعمالهم. ونصب الجميع على الموصل المجانيق وشددوا عليها الحصار حتى ضايقوها، في الوقت الذي كان فيه صاحبها - الصالح اسماعيل - يعاني من قلة الرجال والسلاح والاقوات. اذ لم يكن لديه - كما قال اليونيني - أكثر من مائة فارس. وازاء هذا الوضع

* صندغو هو نصراني نسطوري، احد قادة المغول التابعين لهولاكو ورد عند ابن العبري باسم سمدغو (تاريخ مختصر الدول، ص٢٨٤). وعند رشيد الدين فضل الله الهمداني - مؤرخ المغول باسم سندا غونوبان (جامع التواريخ مجلد ٢ ج١، ص٣٢٩) ولفظة نويان او نوين وردت عند ابن كثير بمعنى امير عشره الاف رجل (البداية والنهاية، ١٣: ٢٢٦ حوادث سنة ٦٥٨ هـ). كما ورد اسم صندغو عند المؤرخين والباحثين المعاصرين باسم سمداغو (العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين ١: ٢٤٣).

الخطير والحرج استصرخ الصالح جيرانه - كما سبق القول - فأنجده صاحب حلب السالف الذكر - وكان من جهة ركن الدين بيبرس صاحب الديار المصرية والشامية[١]. وقيل ان بيبرس كان قد علم بحرج موقف الصالح فارسل اليه آقوش على رأس جيش لامداده[٢].

وتقول المصادر الأخرى ان البرلي خرج من حلب ومعه ألف واربعمائة فارس[٣]. وفي قول آخر بسبعمائة فارس من الغز، واربعمائة فارس من التركمان ومائة من العرب[٤]. وعندما بلغ سنجار كتب رسالة الى الصالح يخبره وصوله وربط الرسالة في جناح حمامة - على ذمة الهمذاني - واتفق ان حطت الحمامة على منجنيق المغول فامسكها المنجنيقي وحملها الى صندغو. فسار هذا الأخير قاصدا بلاد سنجار حيث جيش البرلي. وكان يصحبه عشرة آلاف فارس[٥]. خص كل فرد منهم ثلاثة من الجياد. وبالقرب من سنجار انقسموا الى ثلاث فرق وكمنوا هناك للعسكر الشامي[٦]. ويفيد اليونيني ان المغول الذين كانوا على حصار الموصل، لما اتصل بهم خبر وصول النجدة الشامية لصاحب الموصل خافوا وعزموا على الهرب[٧]. الا ان رسول هولاكو - الزين الحافظي - الذي كان قد وصل ماردين كتب اليهم يحثهم على الثبات والاستمرار في الحصار بعد ان عرّفهم بقلة عدد الفرسان المرافقين للبرلي، واشار عليهم بقصده وقتاله وقوى فيهم الشعور بالنصر فاستجابوا لقوله[٨].

---

(١) اليونيني، ذيل مراة الزمان، ١: ٤٩٢ حوادث سنة ٦٦٠ هـ.
(٢) رشيد الدين فضل الله الهمداني، جامع التواريخ، مجلد٢، ج١، ص٣٢٨.
(٣) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج٣، ق١، ص٢١١.
(٤) اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ١: ٤٩٣.
(٥) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج٣، ق١، ص٢١١.
(٦) رشيد الدين فضل الله الهمداني، جامع التواريخ، مجلد ٢، ج١، ص٣٢٨ - ٣٢٩.
(٧) اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ١: ٤٩٣.
(٨) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج٣، ق١، ص٢١١.

وفوجىء العسكر الشامي اثناء تقدمه بالكمائن المغولية، فتردد البرلي في دخول المعركة لعدم التكافؤ في العدد والعدة. الا ان المغول فرضوها عليه فرضا واشتبكوا معه. ولما تسامع السناجرة بالخبر هموا على الفور لمساعدة عساكر البرلي. كما همَّ غيرهم من أهالي المدن والضياع المجاورة ممن تمكن من الوصول الى أرض المعركة. ورغم ما ابداه العسكر الإسلامي من شجاعة واقدام فانه لم يقو على الصمود. فانهزم البرلي - كما اسلفنا من قبل - وجرح وفر في جماعة يسيرة من صحبه ولحق بالبيرة[1]. ثم دخل مصر فاستقبله وجماعته الظاهر بيبرس وقيل انه سر من اقدامهم على مقارعة المغول والوقوف في وجههم فانعم عليهم بالمال والخلع[2].

اما نتائج هذه الموقعة بالنسبة الى السناجرة ومدينتهم فقد ذكر انها كانت قاسية جدا. اذ ما ان فرغ المغول من سحق النجدة الشامية حتى مالوا الى سنجار، يدمرون ويخربون، فقتلوا وسلبوا وهدموا. ويفيد صاحب كتاب جامع التواريخ فيقول: «... وبعد ان دهم المغول العسكر الشامي وقتلوا اكثره، وفر الباقون، قتلوا كثيراً من أهل سنجار واسروا النساء والاطفال[3] ».

وذكر انه قبل ان يترك المقدم المغولي صندغو المدينة، وانطلاقا من سياسة المغول ازاء البلاد المفتوحة - والرامية الى ترك السلطة المدنية في البلاد بإيدي الامراء المحليين الموالين لهم، على ان يخضع هؤلاء للسلطة العسكرية التي كان المغول يحتفظون بها لإنفسهم - رتب على

---

(١) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج٣، ق١، ص٢١١.
.. المقريزي، السلوك، ج١ ق٢، ص٤٧٥ حوادث سنة ٦٦٠ هـ.

(٢) اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ١: ٤٩٣ - ويضيف اليونيني بان هولاكو ارسل الى البرلي وهو في البيرة يطلبه ويبذل له البلاد اقطاعا فرفض ولجأ الى الشام فمصر، ثم يذكر اليونيني اسماء الامراء المسلمين الذين قتلوا في المعركة ممن رافق البرلي وانجده ومن هؤلاء كان الامير علم الدين الوباش، والامير عز الدين ايبك السلياني، والامير بهاء الدين يوسف بن حسام الدين طرمطاي، والامير علم الدين سنجر الناصر «نفس المصدر».

(٣) رشيد الدين فضل الله الهمداني، جامع التواريخ، مجلد ٢ ج١، ص٣٢٩.

المدينة - كما أشرنا من قبل - الأمير علم الدين قيصر الموصلي نائباً بها وأوكل الى القائد بايجونين أمر شحنتها[1]، منهيا بذلك عهود سنجار المستقلة التي تمتعت بها أيام الزنكيين واللؤلؤيين . ويفيد ابن العبري أن صندغو عاد بعد ذلك الى الموصل بأسرى سنجار وادخلهم على صاحبها الصالح ليعرفه بما حدث ويشير عليه بالدخول في طاعته. واخذ يخاطبه ويطايبه حتى الخدع، وفتح ابواب المدينة. قيل فدخلها المغول واعملوا السيف بأهلها واجروا السلب والنهب واسروا الصالح واقتادوه الى هولاكو وقتل هناك[2]. وهكذا تحقق للمغول ما كانوا يريدون، فانساحوا

---

(١) ابن العبري، تاريخ الدول السرياني مجلة المشرق، مجلد ٥٠ سنة ١٩٥٦، اذار ونيسان، ص١٤٣، بقلم اسحق ارملة السرياني.

والشحنة هي من الوظائف المستخدمة من قبل السلاجقة، يعين صاحبها من قبل السلطان، وهي اشبه ما تكون بوظيفة الحكمدار في عصرنا الحاضر، يتمتع صاحبها بسلطات بوليسية وادارية، وهو مسؤول عن ادارة المدينة والمحافظة على أمنها واستقرارها، وملاحظة الخارجين على النظام، ومعاقبة المشاغبين. وقد يتعدى صلاحياته ويقوم باعمال عسكرية واسعة قد لا ترضي السلطان في بعض الاحيان. «مجلة سومر، مجلد ٢٠، ج١ و٢، ص٢٢٠، سنة ١٩٦٤. من مقال بقلم حسين امين بعنوان: نظام الحكم في العصر السلجوقي.

(٢) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص٢٨٤.

- اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ١: ٤٩٤ حوادث سنة ٦٦٠هـ.
- ويفيد صاحب كتاب جامع التواريخ انه عندما اقترب المغول من الموصل خرج سكان المدينة لاستقبالهم ظانين انهم شاميون جاؤوا لامدادهم واقاموا الافراح فاحدق بهم جند المغول، ولم يتركوا واحدا منهم حيا، بعد ان ظلوا يحاربون مدة ستة اشهر «رشيد الدين فضل الله الهمداني، جامع التواريخ، مجلد ٢، ج١، ص٣٢٩».
- ويضيف ابن العبري بان المغول القوا القبض على علاء الدين ابن الصالح اسماعيل واسكروه واوثقوا فخذيه بوتر القوس وثقا شديدا حتى تفجر بطنه وقطعوا حقويه قطعتين وعلقوهما على عتبتي باب المدينة، «تاريخ الدول السرياني، مجلة المشرق، مجلد ٥٠ سنة ١٩٥٦، آذار ونيسان، ص١٤٣، بقلم اسحق ارملة السرياني».

وتجدر الاشارة هنا الى ان الموصل كانت قد حوصرت من قبل المغول في حدود سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨هـ - الا ان الضرر الذي لحقها انذاك كان اقل بكثير مما لحق سنجار وجزيرة ابن عمر واربل. والسبب في ذلك كان - كما ذكر ابن العبري - هو ان لؤلؤاً صاحب تلك الديار كان قد بعث ابنه في هذه السنة الى هولاكو ليؤكد له الاستمرار في بذل الطاعة وتبديد الشكوك التي اثيرت حول ابيه ويعيد توثيق العلاقات، وحتى يأمر هولاكو جنده بالتوقف عن ضرب البلاد الجزيرية وعدم التعرض لبلاد الموصل فاجيب الى ذلك. «تاريخ الدول السرياني بمجلة المشرق، مجلد ٥٠ سنة ١٩٥٦، ص١٢٩، آذار ونيسان، بقلم اسحق ارملة السرياني».

في مدن الجزيرة واسقطوها واحدة اثر أخرى فاستولوا على سنجار والموصل وجزيرة ابن عمر وحران وتل اعفر فملكوها واستباحوها وعاثوا فيها[١].

٣ - السلاطين الايلخانيون الذين امتد نفوذهم الى سنجار: واخمد المغول ثورة السناجرة، واستتب لهم الأمر في المدينة. فنظموها اداريا وعسكريا تبعا لما تقتضيه مصلحتهم العليا، ووفقاً للمستجدات السياسية التي كانت تطرأ بين الحين والآخر في بلاد العراق والشام والجزيرة.

وعلى العموم، وبعد الكارثة التي تعرضت لها بلاد سنجار من جراء الحرب، فان المدينة ما لبثت ان تعافت بعودة الأمن والاستقرار الى ربوعها، فالسلاطين اولوها بعضا من اهتماماتهم اسوة بغيرها من المدن التي كانت تعتبر ذات اهمية انذاك كبغداد والموصل واربل فجعلوها دارا لضرب نقودهم، ومقرا لسلطانهم في احيان كثيرة، وابقوها تابعة اداريا لولاية الجزيرة التي كانت تضم بالاضافة اليها كلا من الموصل والعمادية واربل وذلك وفق التقسيم الذي اجروه لتلك المنطقة[٢]

واذا تتبعنا اسماء السلاطين المغول الايلخانيين الذين وصل نفوذهم الى بلاد العراق والجزيرة، لرأينا ان معظمهم كان قد امتد سلطانه الى بلاد سنجار. فحكموها، اما بأنفسهم، واما من قبل نواب عنهم من أبنائهم وأخوتهم وقادتهم.

ولقد امدتنا المصادر وعلى الأخص المسكوكات منها بطائفة من اسماء هؤلاء السلاطين والقادة نذكر منهم:

---

(١) ابن العبري، تاريخ الدول السرياني، مجلة المشرق، مجلد ٥٠، ص١٤٣. سنة ١٩٥٦، اذار ونيسان، بقلم اسحق ارملة السرياني.
- محمد العمري، منهل الاولياء، ١: ١٢٥.

(٢) جعفر خصباك، العراق في عهد المغول الايلخانيين ص٧٩.

- هولاكو خان بن تولوي بن جنكيزخان• وكان يلقب - كما تذكر مصادر المسكوكات - بقاءآن• الاعظم ايلخان، حكم في تلك الديار الى سنة ٦٦٣ هـ/١٢٦٤م

- ارغون خان بن اباقا «ابغا» بن هولاكو، وكان يلقب بقاءآن اعظم امتدت ولايته من سنة ٦٨٣ - ٦٩٠هـ/١٢٨٤ - ١٢٩١[١].

- الايلخان غازان محمود بن ارغون، وكان يلقب بسلطان اسلام ٦٩٤ - ٧٠٣ هـ/١٢٩٤ - ١٣٠٣م[٢]. وتفيد الأخبار ان غازان كان يتردد على مدينة سنجار ويقيم فيها، اما للاشراف على شؤونها وتفقد احوالها والتأكد من حسن معاملة المسؤولين فيها لاهلها كما حدث في حدود سنة ٧٠٠ هـ/١٣٠٠م[٣]. واما اخلادا للراحة وطلبا للاستجمام كما حصل في سنة ٧٠٢ هـ/١٣٠٢م[٤].

- الايلخان أولجايتو «محمد خدابنده» بن ارغون الملقب بغياث الدين، ٧٠٣ - ٧١٦هـ/١٣٠٣ - ١٣٠٦م. وجاء في الأخبار ان اولجايتو كان قد تملك بعد وفاة اخيه القاءآن محمود غازان، وكان ساعة

---

(١) بعد هولاكو ولي السلطنة ابنه الاول اباقا«ابغا» خان ٦٦٣ - ٦٨٠هـ/١٢٦٤/١٢٨١م ثم ابنه الثاني احمد تكودار ٦٨٠ - ٦٨٣هـ/١٢٨١ - ١٢٨٤م. «رشيد الدين فضل الله الممداني، جامع التواريخ، مجلد ٢، ج١، ص٣٧٧». وبعد تكودار جاء الى السلطنة ارغون خان بن اباقا، ٦٨٣ - ٦٩٠هـ/١٢٨٤ - ١٢٩١م.

• الخان: لقب يراد به امير قطر، او سلطان مملكة.

• قاءآن: لقب اكبر من لقب الخان ويعني ملك الملوك، «العزاوي، تاريخ النقود العراقية ص٤٤».

(٢) مهاب درويش لطفي، الالقاب على المسكوكات الايلخانية، مجلة سومر، مجلد ٢١، ج١ و٢، ص١٦٢ سنة ١٩٦٥. ونفيذ انه بعد ارعون خان بن اباقا ولي السلطنة المغولية الايلخانية، كيخاتو خان بن اباقا، ٦٩٠ - ٦٩٤هـ/١٢٩١ - ١٢٩٤م. ثم بايدوخان بن طرطاي بن هولاكو ٦٩٤ - ٦٩٤هـ/١٢٩٤ - ١٢٩٤م. ومن بعده كان الايلخان غازان محمود بن ارغون.

(٣) العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، ١:٣٨٧ حوادث سنة ٧٠٠هـ.

(٤) فؤاد عبد المعطي الصياد، مؤرخ المغول الكبير رشيد الدين فضل الله الهمداني، ص١٣٤.

تسلمه الملك مقيماً بسنجار[١]. وتضيف المصادر انه كان قد دخل الاسلام وسمى نفسه محمد خربنده ولقب بغياث الدين[٢]. وقبل ان يغادر اولجايتو سنجار لتسلم البلاد اناب عنه فيها الامير يحيى بن جلال الدين[٣].

- ابو سعيد بهادر خان بن خربنده، ٧١٦ - ٧٣٦ هـ/١٣١٦ - ١٣٣٥ م لقب السلطان العالم العادل واحيانا بالسلطان الأعظم[٤].

وبعد وفاة ابي سعيد بهادرخان بلا عقب، ظهر التغلب من كل صوب. وصار رجال الدولة الايلخانية كل واحد منهم يدعو لنفسه، ويناضل باسمه. وسمي عهد هؤلاء بعهد المتغلبة[٥]. ومن بين هؤلاء ممن حكموا بلاد سنجار وانابوا فيها نذكر - استنادا الى مصادر المسكوكات والمصادر الأخرى - السلاطين التالية اسماؤهم.

- ساتي «صاتي» بك خاتون، السلطان العادل، ٧٣٩ - ٧٤١ هـ/١٣٣٨ - ١٣٤٠ م[٦].

- سليمان خان بن محمد بن سينكة - السلطان العادل والأعظم -

(١) (٢) - ابن العماد - شذرات الذهب، ٦: ٩ حوادث سنة ٧٠٣ هـ.

(٣) ابن الفوطي، مجمع الاداب في معجم الالقاب، ج٤، ق٣، حاشية ص٤٣٧، ويفيد ابن الفوطي ان الامير يحيى بن جلال الدين استمر في سنجار مدة ثم لقي مصرعه مع جماعة من اعيان السلطان (خربنده) ابان الفتنة التي وقعت عند هذا الاخير «نفس المصدر».

(٤) رشيد الدين فضل الله الهمداني، جامع التواريخ، مجلد ٢ ج١، ص٣٧٨.
مهاب درويش لطفي، الالقاب على المسكوكات الايلخانية، مجلة سومر، مجلد ٢١، ج١ و٢، ص١٦٢ - سنة ١٩٦٥.

(٥) سلاطين المتغلبة بعد انو شروان هم: - ارخان بن ارتوبوكا بن تولوى في سنة ٧٣٦ هـ/١٣٣٥ م - موسى خان بن علي بن بايدو، في سنة ٧٣٦ هـ/١٣٣٥ م - طغاتيمورخان، ٧٣٧ - ٧٣٩ هـ/١٣٣٦ - ١٣٣٨ م. - عز الدين جهان تيمور، ٧٣٩ - ٧٣٩ هـ/٣٣٨/ - ١٣٣٨ م. - ساتي بك خاتون - سليمان خان بن سينكه .. انو شروان خان وكان هذا الاخير من الايرانيين القدامى. «رشيد الدين فصل الله الهمداني، جامع التواريخ، مجلد ٢، ج١، ص٣٧٨. الغزاوي، تاريخ النقود العراقية، ص٥٥ - ٥٧».

(٦) مهاب درويش لطفي، الالقاب على المسكوكات الايلخانية، مجلة سومر، مجلد ٢١، ج١ و٢، ص١٦٦ سنة ١٩٦٥.

٧٤١ - ٧٤٥ هـ/١٣٤٠ - ١٣٤٤ م[(١)].

- انو شروان خــــان العـــــادل، ٧٤٥ - ٧٥٦ هـ/١٣٤٤ - ١٣٥٥ م[(٢)].

وبعد انو شروان توالى على السلطنة المغولية الاقوى فالاقوى من الرجال الى ان كان عهد الدول التركمانية وأولها القرة قوينلو التي مدت نفوذها وبسطت سلطانها على اكثر مدن الجزيرة بما فيها مدينة سنجار.

٤ - **ابرز ما حدث في سنجار في العهد الايلخاني:** اضافة الى المحنة التي اصابت بلاد سنجار وشعبها اثناء دخول المغول اليها واستيلائهم عليها، فان هذه البلاد كانت قد تعرضت طيلة العهد الايلخاني لأزمات عدة تسببت في الحاق الأذى بعمرانها، وجلب الهموم لابنائها ومن ابرز تلك الازمات:

- **غارات الشاميين وهجماتهم:** من المعروف ان بلاد سنجار كانت من بين ديار الجزيرة التي وصفت بيسر الحال. وهذا ما اسال لعاب ليس فقط الغزاة القادمين من اقاصي البلاد البعيدة وحسب وانما ايضاً لعاب الاهل والجيران فيما وراء الحدود. خاصة اذا اصاب الجدب اراضيهم، والجوع بطونهم، والطمع نفوسهم، وكانوا قبل كل شيء من هواة الغزو والقتل والأثارة.

فالأخبار افادت انه في سنة ٦٨٨ هـ/١٢٨٩ م اقدمت جماعات من

---

(١) (٢) - مهاب درويش البكري، العملة الاسلامية في العهد الايلخاني، مجلة سومر، مجلد ٢٧، ج١ و٢، ص٢٤٩ و٢٥٣ و٢٥٤و٢٥٥ و٢٥٨ سنة ١٩٧١.
ويلاحظ من خلال ما اتت به المصادر ان نفوذ انو شروان في بلاد الجزيرة كان ضعيفاً وان النفوذ المملوكي كان متغلباً احيان وعلى الاخص في بلاد سنجار انظر: المقريزي، السلوك ج٢، ق٣، ص٩٠٧، - ابن تغري بردى النجوم الزاهرة، ١٠. ٢٩٥ حوادث سنة ٧٥٤ هـ يذكر ان الشيخ حسن الكبير - وكان من اتباع السلاطين الايلخانيين - عندما ادرك ضعف انو شروان استقل بنفسه واقام الدولة الجلايرية في بعض ديار الجزيرة. «العزاوي، تاريخ النقود العراقية، ص٥٨.

السوريين على غزو بلاد سنجار وما والاها من المدن والقرى - قيل ان عددهم كان قرابة الألفي رجل وحال دخولهم الى المدينة وضياعها عاثوا فيها سلباً ونهباً، وامعنوا بسكانها قتلا وتشريدا، فاضطربت اوضاعها وساءت احوالها وعجز المسؤولون عن ادارتها عن مواجهة هذه الجماعات الغوغائية، فقيل انهم استصرخوا جيرانهم فاستجاب لهم صاحب الموصل وكان يدعى بيتمش لجهة السلطان ارغون خان. فانجدهم وسير عساكره لتقاتل في صفوفهم وقيل انه قاد هذه العساكر بنفسه، ويفيد ابن العبري ان تلك الجماعات ما ان احست بالخبر حتى لملمت اذيالها وفارقت المدينة حاملة معها الغنائم والاسرى.

ويضيف ان صاحب الموصل بيتمش تعقبهم الى ان ادركهم عند مكان ما يدعى فش خابور حيث مكثوا هناك باحمالهم واسراهم، وكان على هذا المكان جسر ضيق حال دون افلات هؤلاء من قبضته. فاقتص منهم، وشتت جمعهم واسترجع بعض المنهوبات ونحوا من ثلاثمائة من الاسرى[1].

- مشاكل الزعماء الايلخانيين فيما بينهم: جاء في الأخبار انه في سنة ٦٩٨هـ/١٢٩٩م. حدث ان خرج عن طاعة السلطان غازان محمود، احد ابناء عمومته المدعو سلامش بن ابا جو بن هولاكو، وانشق

---

(١) ابن العبري، تاريخ الدول السرياني. مجلة المشرق، مجلد ٥٠، ص٣٩٣، سنة ١٩٥٦. بقلم الاب اسحق ارملة السرياني. Chronography, Tome I, p, 483. –

الصايغ، تاريخ الموصل، ١: ٢٤٣. - العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، ١: ٣٤٦. ويتحدث ابن العبري عن هذه الجماعات فيفيد ان هؤلاء بعد ان سلبوا سنجار وصلوا الى قرية بشابور - فش خابور - وهي من قرى جزيرة ابن عمر فقطعوا دجلة الى قرية عامرة يسكنها قوم من الكلدان - وهي قرية نسطورية كبيرة تعرف باسم واسطو (واسط اليوم) فباغتوها ولم يستطع اهلها الدفاع عن انفسهم، فهربوا واحتموا بالجبال والبساتين. فدخلت تلك الجماعات (الذين يسميهم باللصوص) القرية فنهبوا وقتلوا ثم انتشروا في القرى السبع المجاورة وعاثوا فيها وانهم اجهزوا على اكثر من خمسمائة رجل واعتقلوا الفا من النساء والاطفال واستحوذوا على منهوبات كثيرة، ورجعوا مسرورين حتى بلغوا الخابور وعليه ادركهم امير المغول في الموصل (بيتمش) وبادر اليهم بعساكره (نفس المصدر).

عليه، ودعا لنفسه، مؤيداً من قبل السلطان المملوكي - الناصر محمد بن قلاوون - الذي انجده بامراء وعساكر حلب وحماه وحمص[1]. وبهذه المساعدة استطاع سلامش ان يتمكن من الاستيلاء على بعض مدن وقرى الجزيرة ومنها سنجار. وتضيف الأخبار ان السلطان غازان تجهز لقتاله فاسند امره الى بعض من قواده ومنهم الأمير سوتاي والأمير بولاي. وافادت المصادر ان بولاي جد بعساكره في مطاردة سلامش وحلفائه حتى وافى بلاد سنجار وكانت قد وقعت في قبضة سلامش واعلنت ولاءها له، فنازلها وضرب عليها الحصار. ولم يرحل عنها الا بعد تأديبها واعادتها الى طاعة مولاه غازان من جهة وبعد القضاء على آخر معاقل سلامش فيها.

وترك بولاي سنجار وهي تنوء بحملها وتئن من جراحاتها وتستغيث لمواساتها[2].

---

(١) ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، ٨: ١١٨ - ١١٩ - ويفيد صاحب النجوم بان غازان قد استخدم الاميرين المذكورين اعلاه في حروبه وهجماته على بلاد الشام والجزيرة «نفس المصدر، ص ١٤٦».

(٢) المقريزي، السلوك، ج ١، ق ٣، ص ٨٧٧ حوادث سنة ٦٩٨ هـ ويضيف المقريزي فيقول: «... وبعد ان فك بولاي حصاره عن سنجار تركها ونزل رأس عين ثم توجه الى آمد (نفس المصدر).

ثانياً - سنجار خلال حكم المتغلبين على الدولة الايلخانية:

١ - النفوذ المملوكي يمتد الى سنجار: بعد وفاة الخان ابي سعيد بهادر في سنة ٧٣٦ هـ/١٣٣٥م. صار كل رجل من رجال الدولة الايلخانية يدعو لنفسه ويعمل على قيام حكومة خاصة بعشيرته فظهرت على اثر ذلك دول عدة سادت مناطق الجزيرة وغيرها ومن هذه الدول نذكر: الدولة الجلايرية، والدولة التيمورية، والدول التركمانية (القره قوينلو، وآلاق قونيلو) والصفوية. تداخلت سنوات حكم كل منها في الأخرى لدرجة يستصعب معها تحديد بداية ونهاية سني كل منها، كما يستصعب ايضا تعيين نطاق البلاد التي اختصت بها كل دولة وفرضت سلطانها عليها.

والمصادر التي ارخت للفترة الممتدة من سنة ٧٥٦ هـ/١٣٥٥م الى سنة ٨١٣ هـ/١٤١٠م أي من زوال نفوذ الايلخانيين في ديار الجزيرة وسنجار الى قيام الدول التركمانية، وهي الفترة التي واكبت ظهور دولة الجلايريين في بعض بلاد العراق (الحلة)، لم تشر هذه المصادر لا من قريب او بعيد الى ما اذا كان الجلايريون قد وصلوا بنفوذهم الى بلاد سنجار وانما المحت الى ان هذه المدينة كانت تدار خلال ذلك من قبل حكام دانوا بالطاعة والولاء للسلطان المملوكي صاحب بلاد مصر والشام ولا نستغرب ذلك فالمماليك تطلعوا منذ البداية أن تمتد دولتهم الى ديار الجزيرة، ورغبوا في ضمها لكونها من بقايا تركة الايوبيين ولأنهم - كما كانوا يدعون - هم ورثة آل أيوب الشرعيين، ولأجل ذلك قاموا بمحاولات عديدة اتخذت اتجاهات مختلفة. فمنها ما كان على شكل

• عرفت بالجلايرية نسبة الى قبيلة الجلاير التي منها كان الشيخ حسن الكبير مؤسس هذه الدولة التي :

ارسال جماعات بقصد السلب والنهب والتخريب - كما ذكرنا من قبل في حوادث سنة ٦٩٨ هـ/١٢٩٨ م - ومنها ما كان على شكل ارسال دعاة الى تلك الأطراف لإستمالة حكامها وترغيب شعوبها بقصد أن تعلن هذه الجهات العصيان على السلاطين المغول ونوابهم سيما وان جلّ هؤلاء الحكام أو النواب كانوا من المسلمين، وما زال الحنين الى السيادة الاسلامية يراودهم؛ ومنها أيضاً على شكل زرع الشقاق بين السلاطين والأمراء المغول ومساعدة الخارجين عليهم بالمال والرجال والعتاد، تماماً كما حدث عند خروج سلامش.

واظهر السلاطين المماليك كل حب وتودد نحو امراء الجزيرة، فاستطاعوا ان ينجحوا على فترات متقطعة في بسط نفوذهم على عدة مدن جزيرية ومن بينها سنجار. ويستدل على الوجود المملوكي في سنجار - عدا ما ذكرناه آنفاً - من المعلومات التالية:

- في سنة ٧٥١ هـ/١٣٥٠ م - وخلال سلطنة انو شروان خان - كانت سنجار تحت السيادة المملوكية وان اميرها المدعو بدر الدين حسن بن هندو (هند) كان قد اقام الخطبة للسلطان المملوكي، وانه استمر في ولائه للمماليك الى سنة ٧٥٤ هـ/١٣٥٣ م[(١)].

= تعرف ايضا بالدولة الايلكانية. وكان الشيخ حسن من بين من تغلب على الدولة الايلخانية وقضى على حكومتها واستولى على بغداد، وقيل انه اتخذ من مدينة الحلة قاعدة لملكه، واستمر الشيخ حسن في الملك الى سنة ٧٥٧ هـ/ ١٣٥٦ م. عندها خلفه ولده الشيخ اويس بهادر خان الى سنة ٧٧٦ هـ/ ١٣٧٤ م؛ ثم جلال الدين حسين بهادر خان، ثم احمد بهادر خان. «العزاوي، تاريخ النقود العراقية، ص٥٩ - ٦٠». وكان آخر سلاطين هذه الدولة هو السلطان حسين بن علاء الدين الذي قضت عليه الدولة التركمانية (القره قونيلو) بأميرها اسبهان او «اسبان» وذلك في سنة ٨٣٥ هـ/١٤٣٢ م «العزاوي، العراق بين احتلالين، ٣:٨١ - مهاب درويش البكري، نقود الدولة الجلايرية، مجلة سومر، مجلد ٢٩، ج١، و ٢، ص٢٢٩، سنة ١٩٧٣». ويفيد العزاوي ان الجلايريين كانوا شعباً كثيرة ولكل شعبة منهم امير وقائد يتولى امورهم ويدبر احوالهم. «العراق بين احتلالين، ٣:٨٢».

(١) المقريزي، السلوك، ج٢، ق٣، ص٩٠٧ حوادث سنة ٧٥١ هـ.

- ذكر ابن قاضي شهبة في تاريخه في حوادث سنة ٧٨٥ هـ/١٣٨٣ م قال: « ... وفي هذه السنة ارسل صاحب سنجار، (تكريت وقيسارية) من بلاد الروم يسألون الملك الظاهر برقوق ان تكون البلاد تحت يده[١] ».

- وافاد ابن قاضي شهبة في تاريخه في حوادث سنة ٧٨٧ هـ/١٢٨٥ م ان الأمير سيف الدين طقتمر الكلتاوي - من امراء الدولة المملوكية - كان قد ولى نيابة سنجار بالاضافة الى البيرة وقلعة الروم كما اسندت اليه حجوبية الحجاب بحلب وطرابلس[٢].

- ذكر القلقشندي فقال: « ... وبسنجار حاكم يكاتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية[٣] ».

- وكتب ابن تغرى بردى في النجوم في حوادث سنة ٧٩٢ هـ/١٣٩٠ م بهذا الخصوص فافاد: « ... وخطب لبرقوق على منابر الموصل من العراق وعلى منابر ماردين بديار بكر ومنابر سنجار[٤] ».

• الظاهر برقوق هو ابو سعيد برقوق بن انس بن عبد الله الجهاركسي الاصل. وهو اول دولة الجهاركسة ومن مماليك يلبغا العمري الناصري الكبير حسن ابن الناصر محمد بن قلاوون، ثم الاشرف شعبان، الى ان انفرد بالسلطنة في رمضان من سنة اربع وثمانين وسبعماية للهجرة في عهد الخليفة المتوكل على الله ابو عبد الله محمد بن المعتضد. وخلع سنة احدى وتسعين وسبعمائة، وتولى مكانه الملك المنصور حاجي ابن الاشرف شعبان وما لبث ان خلع واعيد برقوق في سنة ٧٩٢ هـ، وفي خلافة المتوكل ايضا قام برقوق بالعديد من الأعمال العمرانية، وابطل الكثير من المظالم والرسوم والمكوس، وله حسنات عديدة، توفى في قلعة القاهرة في خامس عشر شوال سنة احدى وثمانمائة عن ستين سنة. وولى مكانه ابنه الملك الناصر فرج. وصف برقوق بالشجاعة والفروسية واتسع ملكه وشمل انحاء مختلفة، « العليمي، الانس الجليل، ٢: ٩٤ - ٩٥ ». ومن بين المدن التي اقيمت فيها الخطبة للظاهر برقوق نذكر - ماردين والموصل وسنجار وغيرها. « حسن عبد الوهاب، تاريخ المساجد الاثرية، ١: ١٩٢ ».

(١) ابن قاضي شهبة، تاريخه، مجلد ١، ج٣ ص١١١، حوادث سنة ٧٨٥ هـ.

(٢) ابن قاضي شهبة، تاريخه، مجلد ١، ج٣ ص١٧١، حوادث سنة ٧٨٧ هـ.
ولما كانت نيابتا حلب وطرابلس انذاك من ممتلكات السلطنة المملوكية، فتولية الامير سيف الدين الكلتاوي كانت قد جرت من قبل السلطان الظاهر برقوق.

(٣) القلقشندي، صبح الاعشى، ٤: ٣٢٢. والجدير بالذكر ان وفاة القلقشندي كانت في سنة ٨٢١ هـ/١٤١٨ م.

(٤) ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، ١٢: ١١٥.

- يستنتج من خلال النص الذي ذكره كل من ابن الفرات وابن قاضي شهبة في تاريخهما في حوادث سنة ٧٩٣ هـ/١٣٩١م، والمتضمن خروج تمربغا الافضلي المدعو منطاش مع اصحابه على مولاه الظاهر برقوق، وفرار هذه الجماعة بعد انكشاف امرها، الى بعض الديار الجزيرية ومنها ماردين وسنجار، واستعداد صاحبي هذين البلدين في مساعدة السلطان في القاء القبض عليها - يستنتج مدى تبعية هؤلاء الحكام للسلطنة والسيادة المملوكية(١).
- افاد ابن حجر ان السيادة المملوكية في بلاد سنجار كانت لا تزال باقية وقائمة الى سنة ٨٠٠ هـ وقال بهذا الصدد ان حاكم ماردين المدعو الظاهر عيسى، والذي كان قد اعتقل من قبل تيمورلنك خلال حملته ثم اطلق سراحه - عاد واعلن استمرار طاعته للظاهر برقوق، وانه اعتذر له عما بدر منه خلال وجوده في اسر تيمورلنك. ويضيف ان برقوق قبل منه ذلك وخلع عليه فاغتنم الظاهر فرصة رضى برقوق عليه واستولى على الموصل وسنجار وضمها اليه وكان ذلك في حدود سنة ٨٠٠ هـ/١٣٩٨م(٢).

(١) ابن الفرات، تاريخه، مجلد ٩، ج٢، ص٢٦٩ - ٢٧١ حوادث سنة ٧٩٣ هـ.
ابن قاضي شهبة، تاريخه، مجلد ١، ج٣، ص٣٨٦ حوادث سنة ٧٩٣ هـ. وخلاصة ما كتبه المؤرخان الكبيران هي ان مملوك السلطان الظاهر برقوق المسمى تمربغا كان قد اعلن عصيانه على مولاه واستولى على البلاد ومنها بعلبك وحاصر حلب واغار على دمشق. فخرج اليه برقوق ففر الى بلاد الجزيرة واحتمى بامير بلاد العربان سالم الدوكاري وقيل نصير بن جبار «كرد علي، خطط الشام، ٢: ١٦٨». ولما علم برقوق بذلك عاد الى مصر وعندما اطمأن تمربغا «منطاش» الى رجوع السلطان، عاود الاغارة فاوكل الظاهر امره الى نوابه في دمشق (يلبغا الناصري) وفي حلب (قراد مرداش). وتفيد الاخبار بان صاحب حلب اغار على املاك امير العربان حيث يوجد منطاش وجماعته فلاذ هؤلاء بالفرار وتحصنوا في جرود سنجار. ولجا البعض منهم الى ماردين وغيرها. ونهبت ديار الدوكاري واسرت نساؤه واطفاله وسيقوا الى حلب. ولما اخبر بذلك اضطر الى استعطاف السلطان ونوابه لاطلاق سراح اسراه. قيل ان السلطان رفض الا بتسليم المتمردين «كرد علي، خطط الشام، ٢: ١٦٧ - ١٦٨». وتوضح الاخبار ان منطاش والدوكاري وصحبها تخوفوا من صاحب سنجار من ان يلقي القبض عليهم وسارعوا الى اعلام السلطان بحقيقة الامر واسروا اليه بعض ما كان خافيا عليه من امورهم والصقوا التهم بالحاقدين والوشاة. ويفيد ابن قاضي شهبة بان السلطان استجاب لطلبهم وعفا عنهم بعد ان تبين له صدق ما قالوه. «ابن قاضي شهبة، تاريخه، مجلد ١، ج٣، ص٣٨٦ حوادث سنة ٧٩٣».
(٢) ابن حجر العسقلاني، انباء الغمر بابناء العمر، ٣: ٣٨١، حوادث سنة ٨٠٠ هـ.

اذن وصل المد المملوكي الى بلاد سنجار والجزيرة ودان اصحابها بالتبعية للسلطان وقدموا له الطاعة - مع وجود السيادة المغولية فيها وكانت سيادة اسمية ليس الا -. والذي نود التذكير به هنا ان وصول المماليك الى هناك، وما رافقه من كر وفر بين جيوش وتجمعات الدولتين - المغولية والمملوكية - كان قد تم على حساب امن واستقرار سكان تلك المناطق. فدفعوا الثمن غالياً من دمائهم وارواحهم وممتلكاتهم. ومن طرف آخر فان تدخل المماليك في اوضاع اقليم الجزيرة كان قد خلق جوا من عدم الاستقرار دفع ببعض الطموحين - بتأييد من المماليك في كثير من الاحيان - الى اعلان العصيان والخروج على السلطات القائمة هناك، وتنصيب انفسهم عليها. هذه الأعمال والرد عليها كانت قد تركت ولا شك اثارها السلبية في المناطق التي خرجت منها. وسنجار كانت من بين تلك المناطق فشهدت المزيد من هذه الأعمال وتلك. ويكفي ان ننوه بالحادثة التّي وقعت في حدود سنة ٧٥١ هـ/١٣٥٠م حيث كانت المدينة تدور في هذا التاريخ في فلك السيادة المملوكية. ففي هذه السنة نقلت الأخبار ان الأمير بدر الدين حسن بن هندو - من اعيان الأمراء - كان قد خرج على طاعة السلطان المملوكي، واستولى على الموصل، وجمع حوله العساكر، والتحق به بعض القادة ومنهم نجمة التركماني فاستنابه على الموصل وسار بجموعه قاطعا الطريق الى ان وصل الى سنجار فجعلها مقراً لقيادته وتحصن بها وتقوى باهلها. وبعد ان اعد نفسه راح يغير على المدن والقرى المجاورة فأكثر رجاله من اعمال السلب والنهب، الى ان لحق ضرره صاحب ماردين، فقاتله، ولما لم يفلح في اسكاته، شكا امره الى السلطات المملوكية في الشام. قيل فتدبرت امرها لقتاله وجهزت عساكرها وسيرتها اليه. واجتمعت عساكر ماردين والعساكر الشامية وحصروه بسنجار ونصبوا على المدينة المجانيق وراحوا يضربونها،

فخربوا وقتلوا. وطال حصار الماردينيين والشاميين للمدينة لمدة تزيد عن الشهر فتضايق بدر الدين واصحابه وقيل انهم طلبوا الأمان، وبعث بدر الدين بأخيه ومساعده - نجمة التركماني - للتفاوض في عقد الصلح. وعلم ان القيادة الشامية اشترطت على بدر الدين بعد ان اعترفت له بما لديه من بلاد، ان يقيم الخطبة في بلاده للسلطان، ثم يقطع قطيعة كل سنة (ضريبة سنوية). فأجاب الوفد الى ذلك فأمنه العسكر وساروا عنه مصطحبين معهم المفاوضين الاثنين كرهينة الى حلب ومنها ارسلا الى مصر. وبقي بدر الدين بعد ذلك حاكما على سنجار والموصل، قيل انه استمر فيهما الى وفاته في سنة ٧٥٤ هـ/١٣٥٣ م[١].

وخلال فترة حكم بدر الدين ٧٥١ - ٧٥٤هـ/ ١٣٥٠ - ١٣٥٣ م. شهدت بلاد سنجار سلسلة من الحروب سببتها اطماعه في امتلاك اجزاء من بلاد جيرانه. وعلم عنه انه كان قائداً مغامراً قاد عساكره في كل مرة بنفسه وكانت اكثر حروبه مع صاحب ماردين الذي استطاع في نهاية الأمر التغلب عليه ثم اسره وقتله[٢].

٢ - **مدينة سنجار وتيمورلنك**: وتيمورلنك الذي ظهر في العراق فاتحا في سنة ٧٩٥هـ/١٣٩٣م، كان قد وطىء ارض الرافدين بمذابح اعادت الى الاذهان حوادث جنكيزخان وورثته. فهجماته وغزواته المتلاحقة، كانت قد جنت على مدن الجزيرة وسنجار اكثر بكثير مما جناه عليها المغول «مع قصر مدة حكمه وولايته فيها». لهذا فلا تعجب اذا ورد اسمه في اكثر المصادر مصحوبا بكلمات القتل والذبح والدمار. ويذكر ان هذا الغازي لم تحل له مغادرة بلاد العراق والجزيرة الا بعد ان ترك ديارها خراباً يباباً حيث جعل عاليها سافلها. وكان نصيب

---

(١) المقريزي، السلوك، ج٢، ق٣، ص٩٠٧،

(٢) المقريزي، السلوك، ج٢، ق٣، ص٩٠٧.

- ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، ١٠: ٢٩٥ حوادث سنة ٧٥٤ هـ.

بلاد سنجار من جرائمه كبيراً جداً. ويفيد الدملوجي، نقلاً عما حققه توفيق فكرت في مؤلفه المعروف بتقويم الموصل لسنة ١٣١١ هـ/١٨٩٣ م بان تيمورلنك لم يبق في سنجار بيتا واحدا بعد ان كانت تحتوي على اكثر من خمسة وثلاثين الف بيت[١].

وتجدر الملاحظة الى ان المصادر - التي ارخت لهذه الفترة او التي بعدها - لم تشر الى من كان يتولى امر مدينة سنجار ساعة دخول تيمورلنك وجحافله اليها، وان كل ما استطعنا معرفته في هذا السبيل هو انها كانت في سنة ٨٠٠ هـ/١٣٩٨ م مع الموصل بيد صاحب ماردين على ما اكده ابن قاضي شهبة في تاريخه حيث قال التالي نصه: «... وفي هذه السنة (٨٠٠ هـ) جاء الخبر ان صاحب ماردين استولى على الموصل وسنجار[٢]». وكانت سنة ٨٠٠ هـ هي من ضمن الفترة التي حكم فيها تيمورلنك بلاد الجزيرة والتي امتدت الى وفاته في سنة ٨٠٧ هـ/١٤٠٥ م[٣]. وكذلك فان المصادر لم تشر ايضا الى الجهود التي بذلها السناجرة في رد الغزوات، لكن يستنتج من أخبار الدملوجي عن المذابح التي ارتكبت انذاك بحق سكان المدينة على ان المقاومة كانت

---

(١) الدملوجي، اليزيدية، ص ٤٨٢. ويفيد داود الجلبي في زبدة الاثار الجلية مشيرا الى المذابح التي ارتكبها تيمورلنك ورجاله في شعب اقليم الجزيرة فيقول في حوادث سنة ٧٩٦ هـ/١٣٩٤ م «... وفي هذه السنة حاصر تيمورلنك (الخبيث) مدينة الموصل وفتحها عنوة بالسيف وقتل رجالها ونهب، ثم ارتحل عنها الى رأس عين، ثم الى الرها، ثم الى ماردين، وفعل بكل منها اكثر مما فعل بالموصل.» ص ٥٣، حوادث سنة ٧٩٦ ». وهذا ما يشجعنا على قبول المعلومات التي اوردها الدملوجي بخصوص سنجار، ولا يستبعد ان يكون تيمورلنك قد دخل سنجار في نفس الوقت الذي دخل فيه هذه المدن وهي سنة ٧٩٦ هـ/١٣٩٤ م.. ،

(٢) ابن قاضي شهبة، تاريخه، مجلد ١، ج٣، ص٦٦٣ حوادث سنة ٨٠٠ هـ.

(٣) العزاوي، تاريخ النقود العراقية، ص ٦١.

- ولد تيمورلنك في مدينة كش من بلاد ما وراء النهر في شعبان من سنة ٧٣٦ هـ/١٣٣٥ م. ويقال له آق ساق تيمور، وتيمورلنك، لعرج كان فيه، ويدعى تيمور كوركان، نصب في سنة ٧٦١ هـ والياً على ما وراء النهر، ثم استقل بحكم البلاد في حوالي سنة ٨٠٠ هـ ١٣٩٨م. وخلال حكمه استولى على ممالك كثيرة وهزم سلاطين كثيرين. اكتسح بغداد في سنة ٧٩٥ هـ/١٣٩٣ م، استولى على الجزيرة وخرب اكثر مدنها كما استولى على اقسام من بلاد الاناضول. «العزاوي، تاريخ النقود العراقية، ص ٦١ ».

صلبة لدرجة انها اثارت شعور تيمورلنك فدفعته دفعاً الى صب جام غضبه على المدينة واهلها فدمرها بالكامل واستباحها وقتل معظم اهلها.

٣ - مدينة سنجار والدول التركمانية، ٨١٤ - ٩٢١ هـ/ ١٤١١ - ١٥١٥م: ومن الدول التركمانية التي شمل نفوذها مدينة سنجار وأطرافها، كانت دولة القرة قونيلو* (البارانية)، ٨١٤ - ٨٧٤ هـ/ ١٤١١ - ١٤٧٠ م، حيث ان المعلومات كانت قد أوضحت ان رئيس هذه الدولة المدعو بيرام خواجا بن تورمش، كان قد استولى على سنجار والموصل وبلاد أخرى في حدود سنة ٧٧٥ هـ/ ١٣٧٣ م(١). واستمرت بلاد سنجار - بعد هذا التاريخ - تدور في فلك النفوذ التركماني للقرة قونيلو الى ان انتزعت منها في أيام صولة وجولة تيمورلنك. وظلت القره قونيلو والمسؤولون يترقبون الفرص الملائمة لاستعادة السلطان والنفوذ. وتفيد المصادر الى انها تمكنت من ذلك على يد اميرها المدعو قرا يوسف - كان من ذرية بيرام خواجا - الذي سيطر على بعض مدن الجزيرة وسنجار. ثم توارثها ابناؤه من بعده ومنهم جهان شاه(٢).

---

(١) العزاوي، العراق بين احتلالين، ٣: ٢٦.

(٢) يفيد العزاوي ان مدينة سنجار والموصل واربل كانت تابعة لحكم جهان شاه بن قرا يوسف. وان هذا الاخير وعد باعطائها الى حسن الطويل، امير الاق قونيلو، ان هو ساعده في القاء القبض على ولده - بير بوداق ابن جهان شاه - الذي خرج عليه واعلن العصيان في سنة ٨٦٩ هـ/١٤٦٥ م «العزاوي، العراق بين احتلالين، ٣: ٢٢٧».

★ القرة قونيلو، وتعرف ايضا بالبارانية. كانت في الاصل قبيلة من قبائل التركمان الاوغوزية، خطت نحو الاستقلال ايام رئيسها بيرام خواجا الذي خدم الجلايريين وانتسب اليهم في سنة ٧٧٥ هـ/١٣٧٣ م. ومن امرائها بعد بيرام خواجا نذكر: قرا يوسف - استبهان (اصبهان) او اسبان - كانت عاصمتها مدينة الحلة ومن املاكها الموصل واربل وسنجار. «العزاوي، العراق بين احتلالين، ٣:٢٦».

واذا كانت الدولتان اللتان اعقبتا القرة قونيلو في حكم المنطقة، واعني دولة الآق قونيلو**، ودولة الصفويين*** لم يبلغ نفوذهما حدود بلاد سنجار او المدينة نفسها - حيث لم تشر المصادر الى اي نفوذ لهما فيها - فان تأثيرها في مجرى الأحداث التي حصلت في اقليم الجزيرة، لا بد وان يكون قد بلغ تلك الحدود والمدينة لا محال. واذا كانت المعلومات الخاصة بسنجار في فترة حكم الدول التركمانية تكاد تكون معدومة لدينا فان ما أورده العزاوي في بعض مؤلفاته يلقي بعض الضوء على ما جرى في هذه المدينة خلال تلك المدة. ومن خلال دراسة بعض ما كتبه العزاوي بهذا الخصوص يتبين لنا ان الذي حدث هناك كان نتيجة للصراع بين هذه الدول بداعي السيطرة والتحكم.

أ - **قرا عثمان - امير الآق قونيلو يغزو مدينة سنجار:** ومنذ ان ظهرت الدولتان التركمانيتان على ارض الجزيرة، والتوتر يسود العلاقات بينهما بسبب أطماع كل منهما في أملاك الأخرى. وهذا ما أدى الى قيام حروب مسلحة بينهما بين الحين والآخر. وتفيد المعلومات انه في سنة ٨١٤ هـ/ ١٤١١ م وعندما انشغل الأمير قرا يوسف - امير القراقونيلو - في صد هجمات شاهرخ ابن تيمورلنك عن أرض ملكه اغتنم قرا عثمان - امير الآق قونيلو - الفرصة وقصد املاكه في الحلة والموصل وسنجار واربل. فوقع بين الطرفين قتال غلب فيه الامير قرا يوسف. واعمل قرا عثمان وجماعاته السلب والنهب والخراب في دياره وممتلكاته. ولما طلب قرا يوسف الصلح من قرا عثمان رفض وتابع زحفه حتى وصل مدينة سنجار فأخذها واستباحها وقتل من أهلها ونهب

** الاق قونيلو وتعرف ايضا بالبايندرية، ٨٧٤ - ٩١٤ هـ/١٤٧٠ - ١٥٠٨م وهي من القبائل التركمانية مالت ايام المغول الى ديار بكر والانحاء المجاورة، وهي من ذرية او غوز وتمت الى احفاد (بايندر) بن كون بن اوغوز - نزعت الى السيادة والاستقلال، وظهر منها رجال مشاهير منهم - قرا عثمان - حسن الطويل - كانت معروفة بالقسوة لان زعماءها الاوائل تدربوا على يد تيمورلنك ونهجوا طريقته. كانت عاصمتها في امد. وامتدت حدودها من ديار بكر العليا الى حدود الخاتونيه شمال غرب سنجار (انظر خارطة ديلمان). «العزاوي، العراق بين احتلالين، ٣: ٢٠٤ - ٢١٠».

*** دولة الصفويين ٩١٤ - ٩٤١ هـ/١٥٠٨ - ١٥٣٥م اسسها الشاه اسماعيل الصفوي، عندما استولى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

خيراتها، وبعد ان تمكن منها وجنى عليها قصد بلاد الموصل واستطاع كما تذكر الأخبار أخذ قفل الموصل وأوقع بالأكراد في تلك الجهات[1].

ب - **خلافات ابناء قرا يوسف وأثرها على سنجار**: ومات قرا يوسف امير القرا قونيلو - ومن اولاده عدا جهان شاه، كان الأمير شاه محمد والأمير اسبان* وككل ورثة ملك فقد دب الخلاف فيما بينهم. ومنعا للإطالة فان اسبان كان قد اقتطع اكثر بلاد أبيه ومنها سنجار. ورغبة منه في بسط النفوذ وضم المزيد من البلاد فقد رأى ان يسير في بلاد جيرانه. ويتبين من المعلومات الخاصة بهذه الفترة بان الأمير اسبان قصد املاك دولة الآق قونيلو وأخذ بعضا من ضياعها ومنها الخاتونية، وخرب ونهب البعض الآخر. قيل تصدى له عسكر سلطان حمزة - وكان قد خلف اباه قراعثمان - وأخذه على حين غرة وأوقع به وبعساكره. وتفيد الأخبار انه لما تبين لاسبان عجزه عن مواصلة القتال تراجع وعساكر سلطان حمزة في اثره الى ان وصل بلاد سنجار واحتمى بها.

ويشير العزاوي الى هذه الحادثة فيقول: « ... ورجع اسبان متنكرا الى الخاتونية بشرذمة قليلة، فاقتدى البايندرية (الآق قونيلو) اثره، ففارقها الى سنجار والجبال، فرجعوا عنه من الخاتونية[2] ».

على تبريز وتسلطن فيها، ثم صفى املاك الاق قونيلو واستولى عليها بعد ان هزم آخر ملوكها المدعو مراد في سنة ٩٠٧ هـ/١٥٠١م ثم فتح بغداد في جمادى الآخرة من سنة ٩١٤ هـ/١٥٠٨م. «الجلبي، زبدة الاثار الجلية، ص ٥٨ (. وقيل ان الصفويين استمروا في العراق الى جمادى الاولى من سنة ٩٤١ هـ/١٥٣٥م ولم يكن حكمهم لها متواصلا. «العزاوي، تاريخ النقود العراقية، ص ٨٨ ».

(١) العزاوي، العراق بين احتلالين، ٣:٣٢.

* يقول العزاوي ان اسم اسبان مخفف من اسم اسبهان، وان بعضهم قد سماه اصفهان وآخرون اسبند «العراق بين احتلالين، ٣: ٧٢». ويضيف العزاوي ان هذا الامير كان قد قصد بغداد في سنة ٨٣٦ هـ/١٤٣٢ م واستولى عليها واحدث فيها الخراب وشتت اهلها. وكان من قبل قد اخرب الموصل. «نفس المصدر، ٣: ٨٤».

(٢) العزاوي، العراق بين احتلالين، ٣: ١٠٦.

فمدينة سنجار، وان لم يصبها أذى الآق قونيلو هذه المرة، فانها لا بد وان تكون قد عاشت - منذ لجوء اسبان اليها منهزماً - أياماً حرجة للغاية. فقد كانت تتوقع بين الحين والآخر دخول العساكر البايندرية اليها. كما كانت تتوقع ان يجري فيها من أعمال الاجرام اللاانسانية كما جرى لها في السابق وأشد. لذلك يفترض ان تكون هذه المدينة قد أخذت تعد العدة لمواجهة الأحداث وان اسبان وعساكره والسناجرة انشغلوا في إقامة التحصينات، وتهيئة وسائل الدفاع وما يتطلب ذلك من جمع للأموال وتحضير للمؤن والعلوفات. فالأزمة النفسية التي عاناها الشعب السنجاري من جراء انتظار ما سيحدث، كانت قاسية وشديدة.

ومن الملاحظ ان التجاء اسبان الى سنجار واحتماءه بها، لم يكن بالحدث الجديد على المدينة. فسنجار كانت ومنذ القدم ملجأً ومأمناً وحصناً بل وموئلاً لكل من يطلب منها ذلك.

ثالثاً - مدينة سنجار في أيدي العثمانيين: اطلعتنا المصادر ان مدينة سنجار ظلت طوال العهد الايلخاني، والعهود التركمانية التي تلته، تعطي وتنمو وتزدهر رغم ما ألمّ بها من أحداث ونكبات. واذا كان الخراب والدمار قد شملها حينا، فان العمران والازدهار قد لفها احيانا. ويكفي هذه المدينة فخراً انها كانت قد استوعبت اكثر الشعوب الدخيلة والغازية وأثرت فيها أكثر مما تأثرت هي بها. فخرجت في كل مرة اكثر صلابة وأشد مناعة. كما انه يكفي هذه المدينة اعتزازاً انها كانت دائما وأبداً مقصد الملوك والأمراء والقادة سيان في ايام السلم أو الحرب، استقبلتهم ورحبت بمقدمهم وعاشت ايامهم متناسية احقادهم التي كانوا قد صبوها عليها بالأمس منذ ان وطئوا ارضها. عايشتهم واعطتهم، اعطتهم الأرض لتكون مساحة لحروبهم وحصنا لحمايتهم، اعطتهم الشعب ليكون سلاحاً بين أيديهم، اعطتهم خيراتها وغلاتها واموالها لتكون عتادا ومؤنا وما شابه ذلك.

هذا واذا كان موضوع الرسالة قد حتم علينا الا نتناول وضع هذه المدينة في أيام العثمانيين، فاننا وجدنا من الأنسب بل ومن الأكمل ان نلمح بسطور معدودة الى كيفية وصول العثمانيين الأتراك اليها وبسط سلطانهم عليها.

فالمصادر التي تتحدث عن هذه الفترة أفادت انه بعد واقعة جالديران سنة ٩٢١ هـ/ ١٥١٥ م وانتصار العثمانيين على الصفويين فيها. قرر السلطان العثماني سليم الأول ان يصفي املاك الصفويين لحسابه. وان يعمل على ضم ممتلكات التركمانيين في بلاد العراق والجزيرة لدولته الناشئة. فأرسل لهذا الغرض وفي سنة ٩٢١ هـ/ ١٥١٥ م أحد أبرز قادته المدعو محمد باشا*. وتوضح هذه المصادر ان هذا القائد

* محمد باشا (بكلربكي)، هو بيقلو محمد بيك الامدي الذي جعله السلطان سليم امير الامراء وارسله الى آمد بناء لطلب اهلها لطرد الصفويين من ديارهم. قبل وصل آمد وقاتل واليها - قره خان الصفوي - وقضى عليه. ثم حاصر ماردين وافتتحها كما افتتح باقي مدن الجزيرة «العزاوي، العراق

استطاع فتح سائر مدن الجزيرة ومنها سنجار[١] وان ذلك الفتح تم بسهولة ويسر لما كان عليه وضع تلك البلاد من اضطراب وتشويش من جهة، ولما أظهره العثمانيون من مقدرة وحنكة سياسية في كسب ود بعض الطوائف هناك للوقوف الى جانبهم من جهة ثانية[٢].

وبعد ان تم وضع يد العثمانيين على ديار الجزيرة، نصبوا على سنجار القائد محمد باشا بكلربكي. قيل حكمها مع الموصل مدة. وتأكيدا لما ورد نشير الى العمري بهذا الخصوص حيث قال: «... ولي الموصل من العثمانيين بكلربكي محمد باشا، واضيفت اليه سنجار، فأقام فيها سنة وخمسة أشهر[٣]».

وتجمع الأخبار على ان أحوال سنجار تردت منذ وصول العثمانيين إليها وذلك بسبب التباين المذهبي بين الطرفين. فمن المعروف ان جل أهل سنجار كانوا - وما زالوا - على المذهب اليزيدي وهو مذهب لم

بين احتلالين، ٣: ٣٥٦».

(١) يقول فون بنهمر ان مدينة سنجار اصبحت في سنة ١٥١٥م عثمانية **Andreas Birken**- Die Provinzen des Osmanischen Reiches, P. 194

(٢) يقول الاستاذ محمد زكي في كتابه «خلاصة تاريخ الكرد وكردستان» ان العثمانيين استغلوا عامل الدين في حروبهم ضد الصفويين والتركمان. فاستمالوا الاكراد السنة بوضع انظمة ادارية تتفق ورغبة الأهالي فاثاروهم على الصفويين والتركمان الذين كانوا من غلاة الشيعة والرافضة «١: ١٦٨». ويؤكد ما ذهب اليه محمد زكي ما ذكره السيد خالد العاني في «موسوعه العراق الحديث» حيث افاد ان السلطان سليم بعد ان قهر الشاه الصفوي، مضى الى كسب ود الاكراد فاعطى لزعمائهم حرية تشكيل حكومة كردية، فتشكلت فعلا في كل من اربل وكركوك والسليمانية وجزيرة ابن عمر والعمادية وغيرها، على ان يدفعوا الجزية للدولة العثمانية مع تعزيز الجيش العثماني بالشباب الكردي. وبعد ان قويت شوكة العثمانيين اخذوا يقلصون من هذه الحكومات بالقوة ولم يبق منها في القرن السابع عشر الميلادي الا حكومة اليزيدية في سنجار و المليين في ديار بكر، والبهدينان في درسيم، وذكر العاني ايضا ان اكثر القبائل الكردية لم تخضع للاتراك الا اسميا وخاصة في المناطق الكردية العراقية «٢: ٩١٦».

(٣) ياسين العمري، منية الادباء، ص ٧٢ - ويفيد فون بنهمر ان مدينة سنجار كانت بين سنة ١٥٢٠ - ١٥٣٥م من ضمن سنجق ديار بكر. وان هذا السنجق استمر الى سنة ١٨٣٠م عندما اندمج في سنجق الموصل.

- **Andreas Birken,** Die Provinzen des Osmanischen Reiches,P. :194.

ولهذا قال كوينيه ان مدينة سنجار تبعت في العهد العثماني لمتصرفية الموصل - التي كانت تتبع

تعترف به الدولة العثمانية، لذا دخلت في صراع دائم مع اليزيديين، وسعت الى إبادتهم واجبارهم على اعتناق الاسلام[1].

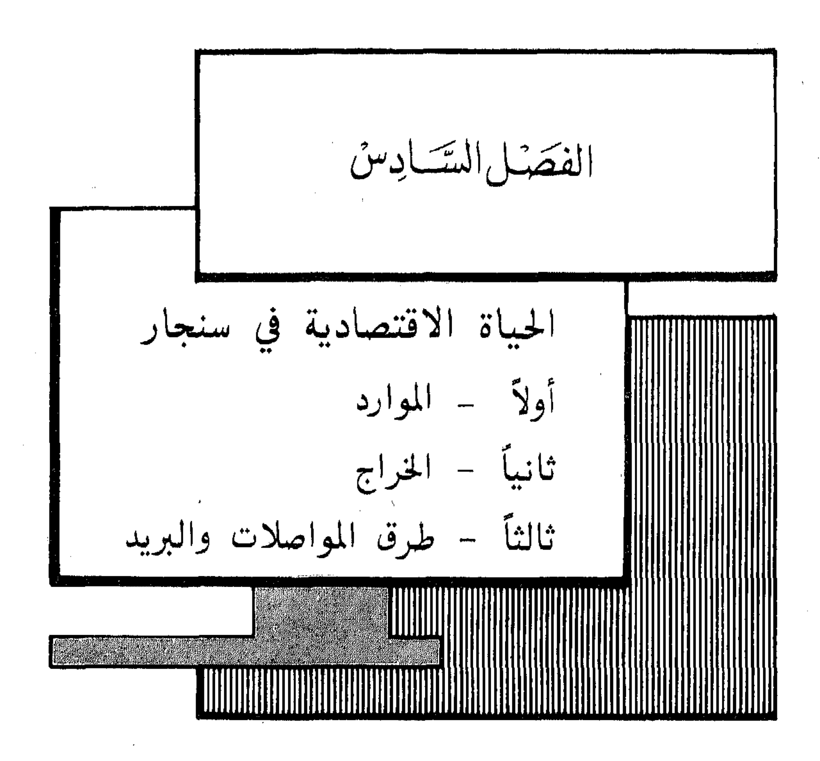
ونتيجة لما قامت به الدولة العثمانية من أعمال الإبادة والاضطهاد نحو هؤلاء، فقد دفعتهم دفعا الى الخروج على طاعتها. وعدم التقيد بقوانينها وانظمتها. فقطعوا الطرق، وقاموا بأعمال السطو والغزو على المراكز العسكرية التابعة لها وعلى القوافل التجارية المارة بديارهم. وتعاملوا معها بحرب العصابات، فوقعت من جراء ذلك اشتباكات مسلحة قتل فيها الكثيرون من الطرفين والمصادر التي ارخت لهذه الفترة غنية بأخبار الصراع بين يزيدي سنجار والولاة العثمانيين.

بدورها لولاية بغداد:

– **Guinet, V.**, La Turquie d'Asie, 2:841.

(١) محمد رضا الشبيبي، مباحث عراقية، ١: ٦١.

– بدج، رحلات الى العراق، ٢: ١٠٨



الفصل السادس

الحياة الاقتصادية في سنجار

أولاً - الموارد

ثانياً - الخراج

ثالثاً - طرق المواصلات والبريد

الحياة الاقتصادية في سنجار

اولاً - الموارد: كان لوقوع بلاد سنجار على طرق المواصلات، في لحف جبل وفي وسط برية واسعة وعلى مقربة من واد غني بالخيرات، وما يحيط بها من اراض زراعية رعوية فسيحة، وما تمتعت به من ثروة حيوانية كبيرة، أبلغ الأثر في نمائها الاقتصادي والعمراني على مر العصور سواء قبل الاسلام ام بعده.

ولدينا وصف اورده القزويني - من جغرافيي القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي - عن رفاه سنجار وغناها في ذلك العصر حيث قال:

«...وعماراتها حسنة كأنها مختصر دمشق.. ما رأيت احسن من حماماتها، بيوتها واسعة جدا وفرشها فصوص، وكذلك تأزيرها. وتحت كل انبوبة حوض حجرية مثمنة في غاية الحسن، وفي سقفها جامات ملونة الأحمر والأصفر والأخضر والأبيض على وضع النقوش، فالقاعد في الحمام كأنه في بيت مدبج[1]».

وايد هذا الغنى والرفاه الذي كانت عليه مدينة سنجار وخزائنها كل من ابن الاثير وابن العديم في النص الذي ورد عند كل منهما حين تحدث عن الأموال والأقمشة والجواهر التي اخذها نور الدين محمود بن زنكي - صاحب حلب والشام - من خزائن سنجار ابان حصاره لها وعودته عنها[2].

---

(١) القزويني، اثار البلاد واخبار العباد ص٣٩٣، واشار الى مثل هذا القرماني حين تحدث عن سنجار في بعض مؤلفاته ومن جملة ما قاله: «... وسنجار مشهورة بالعمارات الحسنة». اخبار الدول واثار الاول، ص٤٥٣.

(٢) ابن الاثير، التاريخ الباهر، ص٩٧ - ٩٨.

فصرف الأموال على اقامة العمارات وزخرفتها بكل ما يثير اعجاب الناظر اليها، لدليل على وفرتها بين ايدي السكان من عامة وخاصة. واذا تساءلنا عن الأبواب التي كانت تأتي منها هذه الأموال اجابتنا المصادر والمراجع التي بين ايدينا بانها كانت تعود من مصادر عدة ومنها:

- الحاصلات الزراعية والثروة الحيوانية.
- الصناعات المحلية.
- الأعمال التجارية.

هذه المصادر الثلاثة كانت متوفرة عند السناجرة. ولم يقتصر توفرها على عهد دون غيره. وانما شملت كل العهود وان بدت واضحة وجلية في العهد الاتابكي الذي يمثل ذروة العهود من حيث المجد والسؤدد والعظمة لهذه المدينة.

١ - **الحاصلات الزراعية والثروة الحيوانية**: وسنجار قبل كل شيء بلد زراعي بشهادة اقدم الجغرافيين والمؤرخين وقد وهبتها الطبيعة موقعا فريداً، حيث حظيت بمساحات واسعة من السهول والمدرجات الجبلية - الجلول - الخصبة، وهذا الخصب الذي تحدثوا عنه - كما اسلفنا من قبل - كان مرده الى وفرة الثروة المائية التي تمتلكها او تلك التي تجلب اليها عبر القنى من جهة، والى الجهد الذي كان يبذله اهلها في تسوية الأرض والعناية بالتربة من جهة ثانية. هذا الى جانب المناخ المعتدل الذي كانت تعيشه أرض الجزيرة وبلاد سنجار معا حيث كانت تلك النواحي من ضمن منطقة البحر الأبيض المتوسط. لهذا كله كانت ارض سنجار ملائمة لجميع انواع الزروع. فانتجت المحاصيل المتنوعة الوافرة، التي غلب عليها في كثير من العهود طابع البستنة المتمثل في تكثيف زراعة الاشجار المثمرة من فواكه وحمضيات وما شابه

ذلك. وهاك بعض ما ذكره الجغرافيون والمؤرخون القدامى والحدّاث بهذا الخصوص.

« ... وبها انهار جارية وعيون مطردة، واسقاء ومباخس*. وبها مع رخص اسعارها، وكثرة خيرها وفواكهها الصيفية، فواكه شتوية مما يكون اختصاصه في بلاد الصرود، كالسماق والجوز واللوز والزيتون والاترنج والسمسم والرمان الكبير[١] ».

« ... ومن زراعاتها (سنجار): فرك اللوز وحب الرمان والقصب والسماق[٢] ».

« ... وهي (أي سنجار) كثيرة البساتين الآشبة[٣] ».

« ... ولها (لسنجار) بساتين ومياه كثيرة من القنى[٤] ».

« ... وهي مدينة كبيرة، كثيرة الفواكه والاشجار والعيون المطردة والانهار تشبه بدمشق في كثرة أنهارها وبساتينها[٥] ».

« ... وسنجار في ذيل جبل تخرقة المياه، كثير الاشجار والفواكه[٦] ».

وتكاد تنفرد سنجار بميزة زراعية عما جاورها من أكثر بلاد الجزيرة

- ابن العديم زبدة الحلب، ٢: ٢٩٦.

(١) ابن حوقل، صورة الارض، ص١٩٩ - فيما يختص بالثروة المائية في بلاد سنجار، انظر ما جاء في مقدمة البحث.

* مباخس: اراض تعتمد في ريها على الامطار الموسمية.

(٢) المقدسي، احسن التقاسيم، ص٤٥ - ولعل الظروف المناخية قد تبدلت قليلا عما كانت عليه في زمن المقدسي، اذ من المعروف ان قصب السكر لا يزرع في الوقت الحاضر قرب سنجار وانما تجود زراعته في مناطق اخرى، وخاصة في القسم الجنوبي من العراق - كما ذكر المقدسي ايضاً - «عدى يوسف مخلص، المقدسي البشاري، حياته ومنهجه، ص٢٥٨».

(٣) إبن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج٣، ق١ ص١٥٦ - القرماني، اخبار الدول ص٤٥٣.

(٤) ابو الفدا، تقويم البلدان، ص٢٨٣.

(٥) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة ١: ١٥٩.

(٦) ابن فضل الله العمري، مسالك الابصار، ص٦.

الا وهي زراعة النخيل، فيذكر ان هذه الزراعة كانت قد غطت مساحات واسعة من نواحي سنجار. وهذه الظاهرة اثارت اهتمام الجغرافيين والمؤرخين والرحالة فأشاروا اليها وذكروا ما يلي:

« .. وبها (بسنجار) نخيل وليس بالجزيرة بلد به نخل سوى سنجار، الا أن يكون على الفرات وبهيت والأنبار[1] ».

« ... وليس بالجزيرة مدينة ذات نخل في وقتنا أكثر من سنجار، الا أن يكون على الفرات ونواحي هيت والانبار[2] ».

« ... قدامها واد فيه بساتين ذات اشجار وترنج ونارنج[3] ».

« ... وبسنجار بساتين وشربها من القنى[4] ».

وذكرت مصادر الرحالة والباحثين، العرب منهم والأجانب، من الذين زاروا العراق والجزيرة وسنجار ان المدينة وأطرافها كانت نطاقاً لزراعات اخرى لا تزال قائمة الى زمن الزيارة كالتين والبرتقال، والليمون والكرمة وسواها، وقد أرجع بعضهم زراعة أشجار التين الى زمن متقدم جداً وربما أرجعوه الى العهود البابلية[5].

واذا كانت معظم الزراعات قد عاصرت تاريخ المدينة، فإن زراعة النخيل التي كثر وجودها في العصور الوسطى، يلاحظ انها انقرضت تماما في مطلع القرن العشرين، بدليل أن الرحالين زاره وهرتسفلد* -

---

(١) الاصطخري، المسالك والممالك، ص٥٣، وكتاب الاقاليم، ص٤١. ويضيف الاصطخري بلداً آخر كان يزرع فيه النخيل الا وهو بلد تل اعفر (نفس المصدر).

(٢) ابن حوقل، صورة الارض، ص١٩٩ - ابو الفدا، تقويم البلدان، ص٢٨٣.

(٣) ياقوت، معجم البلدان، ص٢٦٢ - والوادي هنا هوواد الجبال الى الشمال والغرب من سنجار.

(٤) القلقشندي، صبح الاعشى، ٤: ٣٢٢.

(٥) **I. Niebuhr**, Voyoge en Arabie et en autres pays circonvoisins 2, : 315.

- **Sarré- Herzfeld-** Archeologische Reise in Euphrat und Tigrit- Gebiet, I:203.

Guy Le Strange, The Lands Of The Eastern Caliphate, P: 98.

- **Canard, M**, Histoire de la dynastie des Hamdanides, I: 107.

* كانت زيارة زاره وهرتسفلد لمدينة سنجار في حدود سنة ١٩١١ م.

اللذين زارا المدينة - لم يعثرا على شجرة نخل واحدة لا في المدينة ولا في أطرافها وقد أرجعا السبب في ذلك الى تبدل الاحوال المناخية التي طرأت على تلك المنطقة[1].

الا أن تبدل الاحوال المناخية لا يؤدي الى انقراض زراعة النخيل لأن النخيل يعيش في أقسى الظروف المناخية كما يعيش في أحسنها، وما دامت تلك الارض صالحة لزراعة الحمضيات فهي صالحة اذن لزراعة النخيل ايضاً.

أما السبب الحقيقي للاقلاع عن زراعة النخيل فسبب اقتصادي يعود الى قلة مردود النخيل بالنسبة الى الحمضيات وسواها.

والى جانب زراعة الفواكه والحمضيات فقد انتشرت في أراض سنجار زراعات أخرى متعددة كزراعة القمح والشعير والقطن والكتان وما شابه ذلك من أنواع الحبوب التي وجدت طريقها هناك. وتفيد المعلومات انه كان يعتمد في ارواء هذه الزروع إما على الامطار الموسمية، وإما عن طريق استعمال الري الاصطناعي. وكان ابن حوقل قد أشار الى هذين النوعين معا فقال: «... ولها انهار جارية وعيون مطردة واسقاء ومباخس[2]...». والاعتماد على الري بالوسائل الاصطناعية لم يكن حديث الاستعمال في عهد ابن حوقل. وانما كان مستعملا قبل عصره بزمن بعيد جداً ويكاد يرجع الى ما قبل العصور الاسلامية الاولى، الى أيام دولة أشور. وهذا ما أفاد به أدي شير حين قال: «... وكانت بلاد أشور (ومنها سنجار) مخصبة التربة، عامرة بمدن كثيرة زاهرة، جلبوا إليها مياه الدجلة والفرات والزابين بالقنوات

---

(١) I- Sarré- Herzfeld, Archeologische Reise in Euphrat- und Tigris-Gebiet, I:203.
- دائرة المعارف الاسلامية، مجلد ١٢، حرف السين، ص ٢٤٥.

(٢) ابن حوقل، صورة الارض، ص١٩٩.

والسواقي، حتى صارت أراضيهم تأتي بأنواع الحبوب الكثيرة، وصار الواحد يأتي بمائة ضعف، وربما بمائتين أو ثلاثة[١] ...».

ويلاحظ من خلال ما ذكره ادي شير أن المياه المتمثلة بالانهار والعيون والينابيع التي تمتلكها بلاد سنجار لم تف انذاك بالحاجة الضرورية لارواء كافة المحاصيل. الأمر الذي دفع بالأهالي المزارعين الى جلب المياه من الانهار الجارية وعلى الأخص الكبيرة منها بواسطة القنوات والسواقي وذلك في فترات الجفاف. أما الزراعات الشتوية فيلاحظ انها كانت نشطة ومعطاء بفضل ما كانت تجود به السماء من كميات وافرة من الامطار الهاطلة قد تبلغ احياناً حد الفيضانات الجزيلة[٢]. ومن وسائل الري الاصطناعية عدا العمل بالسواقي نذكر:

- القنوات والكهاريز:

تتوقف وفرة الانتاج في المحاصيل الزراعية على العناية بالأرض وتوفير الماء اللازم لاروائها فمتى نضبت مصادر المياه المحلية وقلت، او ندر سقوط الامطار الموسمية، فإن المسؤولين والأهالي كانوا يعمدون الى جلب المياه بواسطة القنوات او الكهاريز التي كثر الحديث عنها في المصادر والمراجع التي بين ايدينا وقد جاء في تقويم البلدان «... وبها (بسنجار) بساتين ومياه كثيرة من القنى[٣]».

---

(١) ادى شير، تاريخ كلدو واثور ي ١: ٣، ويضيف ادى شير ان مدينة سنجار ونينوى وكالاح (المسماة اليوم نمرود) كانت جميعا من بلاد اشور «نفس المصدر ١: ٥». ويقول الدملوجي ان الاشوريين جلبوا بذور القطن من الهند وكانوا يسمونه شجرة تحمل الصوف، واتخذوا منه ومن الكتان اجمل الثياب» الموصل في العهد الاتابكي ص٤١ و٤٥».

(٢) الدملوجي، اليزيدية، ص٤٧٩. يذكر الدملوجي نقلا عن تقرير لبعثة نلسون للشرق الادنى الخاص باعمال المسح والتحري لمنطقة سنجار ان سهول سنجار التي كانت تمثل جزءا من اراضي الامبراطوريات المتعاقبة من اشورية وحثية وميتانية وفارسية ورومانية، كانت تسقى بواسطة الري الاصطناعي «نفس المصدر، ص٤٧٣».

(٣) أبو الفدا، تقويم البلدان، ص٢٨٣.

وفي صبح الاعشى « .. وبها بساتين وشربها من القنى[١] ». وقد توسع في استعمال هذه القنوات التي يطلق عليها احياناً اسم الكهاريز - في العهد الاتابكي، حيث أوجد امراء هذا العهد الكثير منها في طول صحراء سنجار الواسعة وعرضها. وعن طريق الري بهذه الوسيلة امكن لهم ان يصلحوا ما كان قد اندثر وان يحولوه الى حدائق غناء لم يعهد لها نظير من قبل مما أسهم اسهاماً فعالا في توسيع رقعة العمران في تلك الديار.

ويبدو أن عمل الكهاريز لم يتوقف بعد زوال الاتابكيين، بل استمر الى ما بعد عصرهم بكثير وحتى يومنا هذا، ويحدثنا السيد عبد الرزاق الحسني عن كهاريز سنجار الحالية، فيذكر انها كثيرة وتمتد من جبل سنجار - حيث العيون والينابيع - الى المدينة والقرى والضياع الملحقة بها[٢].

والكهاريز اسم آخر للقنوات التي عرفها ياقوت بقوله: « .... والقناة آبار تحفر تحت الأرض، ويخرق بعضها الى بعض حتى تظهر على وجه الارض كالنهر[٣] ». ويضيف الدكتور أحمد سوسة « ... والكهريز تسمية محلية ولعلها عجمية، اطلقت في العراق على المجرى الجوفي. أما العرب فقد أطلقوا عليه اسم قناة، وأطلقوا على الابار التي على طول القناة فقر ومفردها فقير[٤] ».

وهناك تعريف آخر يكاد يكون مماثلاً اورده الجلبي واوضح فيه: « ... والكهريز كلمة فارسية - كاريز - وتعني مجرى تحت الأرض، ونريد به آباراً يفتح بعضها على بعض بأقنية تحت الأرض، فتتجمع

---

(١) القلقشندي، صبح الاعشى، ٤: ٣٢٢.
(٢) عبد الرزاق الحسني، موجز تاريخ البلدان العراقية، ص١٤٢.
(٣) ياقوت، معجم البلدان، ٤: ٤٠١.
(٤) أحمد سوسة، ري سامراء، ١: ٢٧٣.

مياهها وتخرج على وجه الارض، وذلك في الاراضي المنحدرة[1] ».

وسواء أكانت القناة على شكل كهريز ام كانت على شكل آخر فإنها أفادت وتفيد في انعاش الانسان والحيوان والنبات سواء في بلاد سنجار والجزيرة او في البلدان الاخرى. والحقيقة ان الزراعة في منطقة سنجار كانت وما زالت تمثل عماد اقتصاد الاهالي هناك، وقد تكون الممول الاول والأهم في مشاريع العمران، اذ أن الدخل الناتج عنها كان كبيراً كما يستنتج من قول ابن حوقل حينما تحدث عن دخل بلاد الموصل وكورها ورساتيقها ومنها رستاق سنجار « ... وللجميع من الدخل الكثير عن سائر وجوه الغلات والفواكه اليابسة والرطبة[2] ».

وقبل ان نختم حديثنا عن الزراعة في سنجار لا بد من أن نتساءل عما اذا كان قد وجد او يوجد في تلك البقعة طواحين (عروب) لطحن الغلال اسوة بما كان في غيرها من بقاع الجزيرة الاخرى. فالمصادر او المراجع لم تأت على ذكر مثل هذه الطواحين لا في المدينة ولا في أطرافها وذلك لعدم وجودها بالطبع، فوجودها كان يتطلب انهاراً غزيرة المياه سريعة الجريان كالفرات ودجلة والخابور وغيرها[3]. ولما

---

(١) داود الحلبي، كلمات فارسية مستعملة في عامية الموصل، ص١٦٩. وجاء في موسوعة العراق الحديث للسيد خالد العاني تعريف آخر للكهريز يقول: « .. والكهريز عبارة عن قناة تشق باتجاه المصدر المائي فيتكون من قناتين أو أكثر ليضاعف المساحة التي تتجمع فيها المياه. وقد يبلغ طول الكهريز العشرة كيلومترات، وتستعمل مياهه للشرب والري وادارة الطواحين اذا أمكن، ١: ٥٢.

(٢) ابن حوقل، صورة الأرض، ص١٩٩. وكان ابن حوقل قد أشار الى ما أصاب الزراعة في سنجار ونصيبين والموصل وغيرها من مدن اقليم الجزيرة من خسارة فادحة وضرر كبير على أيدي الامراء الحمدانيين.

« انظر نفس المصدر، ص١٩١ و١٩٣ و١٩٩ ».

(٣) قال ياقوت في تعريفه للطاحونة المسماة بالعربة: « ... والعربة بلغة أهل الجزيرة السفينة تعمل منها رحى وسط الماء الجاري مثل دجلة والفرات والخابور، يديرها جريه وهي مولده فيما أحسب ». معجم البلدان، ٣: ٦٣٢ (طبعة ليبزك - وستفلد، ١٨٦٦).

وقال الخوارزمي: « ...العروب مفردها عربة، وهي طاحونة تنصب في سفينة وجمعها عرب ». مفاتيح العلوم، ص٤٦.

كانت بلاد سنجار على مسافة من هذه الانهار امكن القول اذن أنها خلت من ذلك. لذا كان الاهالي يحملّون غلالهم ويتوجهون بها الى البلاد التي توجد فيها الطواحين، وأشهر هذه البلاد كانت الموصل وبلد على دجلة[1].

- الثروة الحيوانية:

ومتى وجدت الأرض المراعة الغنية بالاعشاب الكثيفة، ومتى تيسر وجود الاشجار المثمرة والغابات الحرجية الواسعة امكن القول بأن الثروة الحيوانية بمنتوجاتها المتعددة كانت موجودة في بلاد سنجار ومتوفرة، وانها احتلت من الدخل نسبة ساعدت بدورها في انعاش اقتصاد السكان، ويستدل على وجود مثل هذه الثروة من خلال النصوص التالية:

- وبالجزيرة مفاوز•، تسكنها قبائل من ربيعة ومضر، أهل خيل وغنم وابل عندهم اقل منها في البادية[2]...»

- «... وللموصل نواح عريضة، ورساتيق عظيمة، وكور كثيرة، غزيرة الاهل والقرى والقصور والمواشي، الى غير ذلك من أسباب النتاج، فمن ذلك رستاق نينوى، ورستاق الخابور الذي يجاور رستاق سنجار، وللجميع من الدخل الكثير عن سائر وجوه الغلات[3]»....

- «... وبقرب جبل سنجار الحوالي «الحيال» وهو واد تسكنه عربان من ربيعة لهم ضياع وماشية[4]»....

---

(١) ابن حوقل، صورة الارض، ص١٩٨. وبعد ان يتحدث ابن حوقل عن عروب الموصل ويعرفها ينحي باللائمة على آل حمدان وامرائهم في تخريب هذه العروب وتدميرها وبمثل ذلك افاد ابن الاثير في الكامل «٨: ٦٣٢» والصابي في المختار من رسائله «١٠: ٨٦».

• مفاوز: جمع مفازة أي برية. وسنجار هي في مفازة.
المقدسي، أحسن التقاسيم، ص١٤١.

(٢) الاصطخري، كتاب الاقاليم، ص٤٣.

(٣) ابن حوقل، صورة الارض، ص١٩٦.

(٤) ابن فضل الله العمري، مسالك الابصار، ص٦. والحيال او الحوال هو من اعمال سنجار. «ابن=

٢ - **الصناعات المحلية:** اقتصرت الحياة الصناعية في منطقة سنجار - كما في غيرها من مناطق اقليم الجزيرة - على الصناعات المحلية البسيطة التي كانت سائدة في كل عصر. والتي كانت تقوم على تصنيع المنتوجات الزراعية، وعلى بعض الصناعات الحرفية الاخرى.

ان كثرة اشجار الفاكهة والحمضيات وما تنتجه من ثمار دفعت بالمواطنين الى تصنيع الفائض وتصديره، فكانت من ذلك صناعة التمور والزيوت والشحوم والزبيب والسكر والحلويات، والمربيات. كما انتشرت صناعات المنتوجات الحيوانية من أجبان والبان. وكذلك ساعدت زراعة بعض اصناف الحبوب والبذور على ايجاد صناعات نسيجية كتانية قطنية[١].

الى جانب ذلك كانت صناعات فنية كالنقش والحفر والتطريز. وفي هذا المجال يقول ادي شير: « .. ان هذه الصناعات كانت قد انتشرت في بلاد كلدو واثور واستمرت بعد ذلك في العهود التالية، وان صناعاتها جعلت لأصحابها شهرة تغني عن وصفهم في كل جهات العالم[٢] ».

ومن بين الصناعات الحرفية التي وجدت طريقها الى سنجار وغيرها من مدن منطقة الجزيرة نذكر صناعة الاحذية، الحدادة، النجارة، وكانت هذه الحرف قد لازمت الشعب السنجاري طوال عهوده[٣]. وقد

= حوقل، صورة الارض، ص ١٩٩.
- ابن الاثير، الكامل، ١٢: ٥٠٠.

(١) الدملوجي، الموصل في العهد الاتابكي، ص٤١ و ٤٥، ويضيف ان تاريخ هذه الصناعات يرجع الى العصور الآشورية. وقد ازدهرت في العهود العباسية حيث اتخذت منها اجل الملابس. «نفس المصدر».

(٢) ادي شير، تاريخ كلدو واثور، ١: ١١.

(٣) اشار كانار في كتاباته الى وجود شارع خاص بصناع الاحذية في قلب مدينة سنجار.

Canard, M, Histoire de la dynastie des Hamdanides, I: 107.

وكذلك يشير ليسترانج الى أن مدينة سنجار كانت مشهورة بالنجارين.

Guy Le Strange, The Lands of the Eastern Caliphate, P: 98.

وصناعة النجارة في بلاد سنجار خاصة وفي عموم بلاد كلدو وآثور كانت قد استحوذت على اهتمامات =

امتازت هذه الصناعات بالجودة والإتقان ولا تزال بقايا الصناعات الخشبية المتمثلة بالابواب والنوافذ والافاريز تثير اعجاب الناظر وتثني على صناعها.

وازدهرت في جهات سنجار صناعة البناء المتقنة وتدل بقايا الابنية والاضرحة التي عثر عليها في تلك الجهات والتي حفظ بعضها في دور الاثار، على أن تلك البقعة كانت غنية بمواد البناء كمقالع الحجارة بأنواعها المتعددة والمشهور منها حجر الحلان - الرخام الاسمر -. كما يلاحظ كثرة استعمال مواد الرخام والجص بدليل توفرها هناك أو في المناطق القريبة منها. هذا وتطلعنا المصادر على مدى الذوق الرفيع الذي كان يتحلى به البناؤون في هذه المنطقة، وان هؤلاء كانوا قد تفننوا في اقامة الابنية الدينية والمدنية وزودوها باشكال من العقود والمقرنصات، كما زينوها بالزخارف والرسوم المتنوعة من نباتية وحيوانية وآدمية الى غير ذلك مما سنلحظه في حديثنا عن الاثار.

٣ - **الأعمال التجارية**: تبين لنا من خلال مصادر البحث ان التجارة والأعمال التجارية في منطقة سنجار كانت قد عرفت منذ قديم الزمان[(١)]. وساعد على وجودها عوامل عدة ومنها:

:: ادي شير فخصص لها حيزاً من كتاباته فعددأهم منتوجاتها واثنى عليها وذكر ان بعض هذه الصناعات كالاقواس والرسوم والتماثيل والتي لا تزال تحفظ في المتاحف ودور الاثار القديمة. كان قسم منها يرصع بالعاج والحجارة الكريمة. وأفاد أيضاً بأن الاشوريين كانوا يجلبون الخشب من أعالي كردستان وأرمينيا كما جلبوه من أرز لبنان واستعملوه أيضاً مع غيره في صناعة الابنية ومستلزماتها «تاريخ كلدوواثور ١: ١٢».

(١) يستفاد مما ذكره الرحالة بدج ان مدينة سنجار كانت قد تمتعت بتجارة مزدهرة شاركت فيها تجارة مدينة الحضر وتكريت ونافستها: «رحلات الى العراق، ٢: ١١٤». ومدينة الحضر هذه كانت قد اشتهرت في القرن الثاني بعد الميلاد، وكان ملوكها في وقت من الاوقات من أصل عربي دفعوا الجزية للفرثيين كانت أكثر المدن حصانة ومناعة، جرت عليها حصارات عدة ولم تنل منها «دروثي مكاي، مدن العراق القديمة، ص١٠٨». ويفيد ابن الفقيه ان هذه المدينة (الحضر) هي على برية سنجار وان تكريت قريبة منها. «مختصر كتاب البلدان، ص١٢٩».

- كون سنجار مدينة الطرق والقوافل التجارية، حيث سيطرت على الطريق بين العراق وسوريا وان مواصلاتها داخل الجزيرة مع جاراتها كانت ميسورة.

- صناعاتها المحلية البسيطة والمتنوعة.

- كونها في بعض ادوارها التاريخية - قبل الاسلام وبعده - مدينة أو كورة او رستاقا وما يتبع هذه التسمية من مزارع وقرى وضياع حيث كانت بمثابة العاصمة او بمعنى آخر القاعدة. فأمها سكان هذه النواحي إما لإنجاز معاملاتهم الرسمية والخاصة واما للقيام بتبادل منتوجاتهم المختلفة فيما يسمى بالمقايضة تارة أو بعمليات البيع والشراء بواسطة النقود تارة أخرى، ضمن اطار سوق شعبي محلي جامع سيما وان المدينة كانت قد اتخذت في أكثر عهودها مركزاً وداراً لضرب النقود على اختلاف انواعها.

فلهذا يحتم ان تكون سنجار قد شهدت حركة تجارية واسعة بنوعيها الداخلي والخارجي. فقامت فيها الاسواق العامة والخاصة. وفي هذا يقول ابن شداد: «... وفي سنجار الاسواق العامرة[١]»... والذي تجدر الملاحظة اليه هو ان هذه التجارة كانت قد خضعت للظروف السياسية والامنية التي كانت تسود بلاد الجزيرة والعراق. فكان نصيبها الانتعاش والازدهار حينا، والجمود والكسالة حيناً آخر، وان أسوأ مرحلة عاشتها هذه التجارة كانت - كما أفاد به الرحالة بدج - في بداية العهد التركي العثماني لإقليم الجزيرة، اذ وضع العثمانيون ايديهم على سنجار وأخضعوها لسلطاتهم وقضوا على الجانب الاكبر من تجارتها التي تمتعت بها في الماضي[٢].

---

(١) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج٣، ق١، ص١٥٦.

(٢) بدج، رحلات الى العراق، ٢: ١١٤.

هذا ويستدل على قيام التجارة والأعمال التجارية في سنجار وعلى بعض المنتوجات التي كانت قائمة عليها والبلاد التي كانت تتعامل معها من خلال النصوص التالية:

- « ... والرمان الكبير المجفف حبه الدائم الى العراق والنواحي جهازه وحمله[١] »...

- « ... وبه (اقليم الجزيرة) تجارات ترتفع من الموصل، الحبوب والعسل والفحم والشحوم والبن والسماق.. ومن سنجار، فرك اللوز وحب الرمان والقصب والسماق[٢] »...

وبعدان يعدد المقدسي انواع التجارات في اقليم الجزيرة يعرج الى تعداد المكاييل والموازين التي كانت تستعمل في عمليات البيع والشراء، فيذكر: المد والمكوك والقفير والكارة ويحدد قيمة كل منها بالارطال[٣].

فالايرادات الحاصلة عن المنتوجات الزراعية والحيوانية والصناعية والعائدة من النشاطات التجارية* كانت كبيرة لذلك كان عليها من أنواع الضرائب والخراج ما يتناسب ومقاديرها في العصور الاسلامية المتلاحقة.

---

(١) ابن حوقل، صورة الارض، ص١٩٩.

(٢) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص١٤٥ أو ١٤٦ - ويذكر من تجارات اقليم الجزيرة أيضاً، الخيل والسلاسل والصابون.

(٣) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ١٤٥ و ١٤٦ - ويذكر ان المكوك هو خمسة عشر رطلا، والمد ربعه، والكارة مائتان وأربعون رطلا، والقفير ربعها وأرطالهم بغدادية، «نفس المصدر».

* يعتقد ان مدينة سنجار كانت تجني بعض الارباح من مرور القوافل التجارية عبر أراضيها فيما يسمى اليوم بتجارة الترانزيت.

ثانيا - الخراج:

وسنجار التي هي احدى كور ديار ربيعة المهمة، كان خراجها حسب ايرادتها بالنسبة الى المدن الأخرى، وكذلك حسب الوضع الاقتصادي والسياسي للدولة الاسلامية صاحبة السيادة في كل عصر، والخراج كان كما يبدو يجبى إما من كل كورة علىٰ حدة أو مجتمعة كما أوردها قدامة ابن جعفر حينما تحدث عن ديار ربيعة بهذا الخصوص حيث قال:

« ... وديار ربيعة وكورها: بلد، بعربايا، نصيبين، دارا، ماردين كفرتوثا، وتل يسمى سنجار، ورأس عين، الخابور، وارتفاع هذه الكورة مع الاحتسابات اربعة آلاف الف وستمائة والف وخمسة وثلاثون الف درهم » (١).

وحدد ابن خرداذبة مقدار هذا الخراج الناتج عن ديار ربيعة مجتمعة فافاد: « ... وخراج ديار ربيعة: نصيبين وارزن وآمد ورأس عين، وميافارقين وماردين وباعربايا وبلد وسنجار وقردى وبازبدي، سبعة آلاف الف وسبع مائة الف درهم(٢).

واتفق ابن الفقيه الهمذاني مع ابن خرداذبة في مقدار هذا الخراج بقوله: « .... وخراج ديار ربيعة سبعة آلاف وسبع مائة الف درهم(٣)».

ويعود ابن الفقيه في حديث آخر ليطلعنا على خراج سنجار منفردا كسائر مدن الجزيرة من ديار ربيعة فيوضح: « .. ديار ربيعة: ميافارقين ثمان مائة الف وستة وخمسون الف، وكذلك سائر المدن مثل

---

(١) قدامة بن جعفر، كتاب الخراج وصنعة الكتابة، ص ٢٤٦ - ويعني بذلك مقدار: ٤،٦٣٥،٠٠٠ درهم.

(٢) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص ٩٥ - ويعني بذلك مقدار: ٧،٧٠٠،٠٠٠ درهم.

(٣) ابن الفقيه الهمذاني، مختصر كتاب البلدان، ص ١٣٣ - ويعني ذلك مقدار: ٧،٧٠٠،٠٠٠ درهم.

ماردين ودارا وسنجار وقردى وبازبدى وطور عبدين ورأس عين وغيرها وقد اجمل خراجها[١] ».

وهكذا نجد أن خراج سنجار كان قد بلغ ثمان مائة ألف وستة وخمسون الف درهم في زمن ابن الفقيه الذي عاش في القرن الرابع الهجري – العاشر الميلادي « ٢٩٠ – ٣٦٦ هـ/٩٠٢ – ٩٧٦ ».

والى جانب الخراج، كان يجبى من سكان الجزيرة وسنجار ضرائب عدة اختلفت اسماؤها باختلاف العهود والدول. ومن بين تلك الضرائب نذكر ضريبة المظالم التي كانت قد فرضت على المدينة في زمن دولة الاتابكيين الزنكيين. وذكر ان قيمة هذه الضريبة كانت قد بلغت نحوا من الف دينار[٢].

---

(١) ابن الفقيه الهمذاني، مختصر كتاب البلدان، ص ١٣٥ – ويعني ذلك مقدار: ٨٥٦,٠٠٠ درهم.

(٢) أبو شامة، الروضتين، ١: ٢٤٨ – ويضيف المستشرق الفرنسي «Elisséeff» ان الملك نور الدين محمود بن زنكي – صاحب السيادة في الجزيرة وسنجار – كان قد ألغى هذه الضريبة عن مدينة سنجار في سنة ٥٥٢ هـ/ ١١٥٧م اسهاما منه في تخفيف اوجاع السكان التي نجمت عن الزلزال الذي ضرب المدينة في هذه السنة.

– Elisséeff, Nur ad din, P: 804.

ثالثا - طرق المواصلات والبريد:

ان شهرة مدينة سنجار التاريخية، والانتعاش الاقتصادي الذي كانت عليه، ما كانا ليحصلا لولا تمتع المدينة نفسها بموقع جغرافي داخلي ممتاز، كان أبرز ظواهره، انه ملتقى الطرق والقوافل التجارية منذ أقدم الأزمان.

ونظراً للدور الذي لعبته المواصلات في حياة مدينة سنجار، واستكمالا للبحث، وجب علينا ان نتعرف الى أهم طرقها ومسالكها لندرك مراحلها وأبعادها.

أ - الطرق البرية:

ان الطرق البرية في منطقة سنجار تبدو قديمة العهد، ويمكن ارجاع تاريخها - حسبما اطلعتنا عليه المصادر والمراجع - الى العهود الرومانية. فقبل هذا التاريخ لم يكن في بلاد سنجار ولا في بلاد الجزيرة والعراق وبلاد الشرق قاطبة طرقاً منشأة بالمعنى الذي نعرفه. وانما كانت هناك ممرات تكونت مع مرور الزمن من عبور الناس والدواب المتواصل عليها. فلقد ذكر انه عندما فتحت بلاد سنجار من قبل القائد الروماني «لوسيوس كيوتوس من جهة الامبراطور تراخان» في سنة ١١٤ - ١١٥م تم بناء الطريق الذي يربط المدينة بنصيبين. وكذلك وفي زمن حملة الامبراطور ساويروس الكسندر في سنة ٢٣٢ م أدخلت تحسينات على مواصلات سنجار مع وادي الخابور السفلي لأن المدينة كانت تقع انذاك على خط سير القسم الرئيسي من الجيش الذي كان تحت أمرته(١).

---

(١) I. Oates, David, Singara and its Fortifications..., Part VII–XII, P: 97–106.
انظر خوارط الطرق الرومانية المرفقة في نهاية البحث.
David Oates, The Roman Frontier..., Fig ،1–2).

وابرز الطرق الرومانية في بلاد سنجار، كانت تلك التي انشأها ساويروس نفسه «٢٢٢ - ٢٣٥»، والتي اطلعتنا عليها حجرة المسافات التي كانت قد اكتشفتها مديرية الاثار العراقية القديمة بالقرب من سنجار، والمحفوظة حاليا في متحف الموصل، والتي اشارت اليها مجلة سومر في احدى نشراتها العائدة الى سنة ١٩٥٢م (١).

ومع ان هذه الحجرة - التي هي بمثابة راقم للاميال اعتاد الرومان نصب امثاله على الطرق لابانة المسافات بين المدن الرئيسية لم تتطرق الى اظهار معالم هذا الطريق وامتداده، فيعتقد - كما ذكرت المجلة - انه كان ملتقى لطريقين كانا يبدآن من الخابور ويلتقيان عند اسفل سلسلة جبال سنجار في طريق واحد يتجه من هناك الى مدينة سنجار. ولعل هذه الحجرة كانت قائمة عليه. وتضيف المجلة انه ورد ذكر لهذين الطريقين في كتاب بعنوان «آثار رومة في صحراء سوريا» للبحاثة الفرنسي المعروف بوادیبار Poidebar(٢).

ويفيد البحاثة الدكتور الاب جان موريس في (J. M. Fiey) الذي قام بدراسة هذا الاثر المكتشف وقرأ ما كتب عليه، ان الاسطر الثلاثة الاخيرة من الكتابة تعين الموضع الذي نصب فيه هذا الراقم بالنسبة الى مدينة سنجار التي عدت مبدأ الطريق. وان هذا الموضع هو على ثلاثة اميال رومانية من المدينة. وذهب البحاثة الاب الى القول:

(١) مديرية الاثار العراقية القديمة، مجلة سومر، مقال بعنوان: اكتشاف حجرة مسافات بالقرب من سنجار، مجلد ٨، سنة ١٩٥٢ -ص ٣١٩ - ٣٢٠. وهذه الحجرة هي سمراء اللون بشكل مخروط ناقص ارتفاعها ١٣٤ سم وقطر قاعدتها ٤٨ كم. عليها كتابة لاتينية للامبراطور اسكندر ساويروس، وجدت ملقاة في الجانب الغربي من وادي شويتي، على بعد يسير من قرية «حمى» في موضع يقع على نحو أكثر من أربعة كيلومترات من سنجار «نفس المصدر».

(٢) هذان الطريقان اللذان يبدآن من الخابور، يمر أحدهما بخرائب قصيبة والاسم القديم لها «بتيتاس» ويمر ثانيهما بخرائب الخاتونية «والاسم القديم لها لاكس ببراس»، ثم يلتقيان عند أسفل جبال سنجار في طريق واحد.

«مجلة سومر، مجلد ٨ سنة ١٩٥٢، ص ٣٢٠.

«وبما ان الميل الروماني الواحد يساوي الف خطوة فالموضع هو على مسافة اطول بقليل من اربعة كيلومترات » [١] .

واذا تأملنا خارطة ديلمان - الطرق القديمة في بلاد الرافدين العليا - وتتبعنا شبكة المواصلات التي تم انشاؤها في العهد الروماني، والتي ربطت سنجار باكثر نواحي اقليم الجزيرة تظهر لنا الطرق التالية: - الطريق الاول، ويبدأ من سنجار ويتجه غربا الى تل الحيال ومنها الى نصيبين ثم دارا، وهناك يتفرع:

١ - نحو الشمال ((طريق رقم ١) الى ديار بكر.
٢ - نحو الغرب (طريق رقم ٤) الى بلبسيوم.
٣ - نحو الجنوب الغربي (طريق رقم ٥) الى الخابور.

- الطريق الثاني، ويبدأ من سنجار ويتجه شرقا الى عين الشهيد حيث يتفرع هناك:

١ - شرقا الى نمرود.
٢ - نحو الجنوب الشرقي باتجاه مدينة الحضر وقلعة شرقاط [٢] .

اما الطرق البرية التي انشئت او كانت قائمة في العهود الاسلامية المتلاحقة، فقد جاء وصفها من قبل الجغرافيين والرحالة المسلمين والاجانب فعددوها وذكروا مسافاتها وعدد مراحلها* وسككها*

---

(١) مجلة سومر، اكتشاف حجرة مسافات بالقرب من سنجار، مجلد ٨ سنة ١٩٥٢ ص٣٢٠. وكان الدكتور البحاثة الاب في قد أجرى عملية حسابية استخرج منها طول هذه المسافة.. «١،٤٨٠ × ٣ ».

(٢) انظر خارطة ديلمان المرفقة بنهاية البحث.

II, **Dillemann. Louis,** Haute Mésopotamie Orientale et pays adjacents Routes antiques de Mésopotamie «Est», **Fig XVIII.**

* المرحلة: يقال بيني وبين كذا مرحلة أو مرحلتين. والمرحلة هي المنزلة يرتحل منها، وما بين المنزلتين مرحلة والله أعلم: ابن منظور، لسان العرب ١١ : ٢٨٠.

* السكة: هي الطريق المسكوكة التي تمر فيها القوافل من بلد الى آخر ويقول ياقوت: خير المال سكة مأبورة وفرس مأمورة، «معجم البلدان، ٣: ٢٣١ ».

واتجاهاتها وبعدها بالفراسخ*والايام عن المدن الاخرى.

- فابن خرداذبة كان قد اشار الى الطريق من مدينة بلد على دجلة والمتجه غربا الى قرقيسياء على الفرات مارا بمدينة سنجار فقال: «الطريق من بلد الى سنجار ثم الى قرقيسيا. ذات اليسار: من بلد الى تل اعفر خمسة فراسخ، ثم الى سنجار سبعة فراسخ ثم الى عين الحيال خمسة فراسخ» (١).

- وقدامة بن جعفر يشير الى نفس الطريق لكنه يختلف مع ابن خرداذبة في تقدير المسافة بين تل اعفر وسنجار فيقول: «... واما الطريق من بلد ذات الشمال الى قرقيسيا، وسنجار وطريق الفرات: من بلد الى تل اعفر خمسة فراسخ ومن تل اعفر الى سنجار - وهي مدينة رومية - خمسة فراسخ. ومن سنجار الى عين الحيال خمسة فراسخ» (٢).

هذا بشأن الطريق من بلد الى سنجار فقرقيسيا، او بالاحرى هذه شبكة الطرق المتفرعة من سنجار الى تل اعفر فبلد شرقا. ومن سنجار الى عين الحيال فعرابان وقرقيسيا وعلى الفرات غربا.

اما شبكة الطرق الثانية المتفرعة من سنجار الى الموصل شرقا والى نصيبين ورأس عين شمالا وغربا او الطريق المتجه من الموصل غربا الى سنجار والى نصيبين ورأس عين ومنها الى سائر مدن الجزيرة والشام فهذه ابعادها كما حددها ابن حوقل: «... من الموصل الى سنجار ثلاثة ايام، ومن سنجار الى نصيبين خمسة ايام، ومن نصيبين الى رأس عين ثلاث مراحل...» (٣).

---

* الفرسخ: ثلاثة أميال. والميل أربعة آلاف ذراع، فالفرسخ اثنا عشر الف ذراع مأموني. ابن فضل الله العمري، مسالك الابصار، ١: ٢٣».

(١) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص٩٦.

(٢) قدامة بن جعفر، كتاب الخراج، ص٢١٦.

(٣) ابن حوقل، صورة الارض، ص ١٩٠.

وهناك طريق ثالث متفرع من سنجار الى تل اعفر ثم الى الشجاجية والى المحلبية فالموصل وبالعكس، كان قد ذكره المقدسي بقوله: « .. واما المسافات فتأخذ من الموصل الى مرجهينة او الى بلد او الى المحلبية او الى مزارعي مرحلة مرحلة... وتأخذ من المحلبية الى الشجاجية مرحلة، ثم الى تل اعفر مرحلة، ثم الى سنجار مرحلة.. »(١) .

والطريق بين الموصل وسنجار وهو الاهم كانت قد ذكرته مصادر أخرى وحددت ابعاده بالايام تارة - « ... وبين الموصل وسنجار ثلاثة ايام » (٢) .

وبالمراحل تارة اخرى «... وسنجار عن الموصل على ثلث (ثلاث مراحل) سنجار في جهة الغرب والموصل في جهة الشرق » (٣) . وبالأميال والفراسخ احيانا. « .. وبين الموصل وسنجار ستة وخمسون ميلا، وهي ثمانية عشر فرسخا وثلث فرسخ » (٤) .

بالاضافة الى ما تقدم فان هناك طرقا اخرى تربط سنجار بجاراتها من مدن الاقليم وتتعداها. ومنها: - طريق عرابان - الحيال - سنجار - ماكسين - المنخرق - ومسافاتها كما حددها ابن حوقل كانت كالاتي: « ...ومن عرابان الى الحيال مرحلتان، ومنها الى سنجار نصف مرحلة ومن سنجار الى ماكسين مرحلتان ومن ماكسين الى المنخرق يوم » (٥) .

وتحدث الاصطخري بدوره عن طريق سنجار - ماكسين فقال:

---

(١) المقدسي، احسن التقاسيم، ص ١٤٩.
(٢) ياقوت، معجم البلدان، ص ٢٦٣ - ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع، ٢: ٧٤٣.
(٣) ابو الفدا، تقويم البلدان، ص ٢٨٣ - القلقشندي، صبح الاعشى، ٤: ٣٢٢.
(٤) ابن فضل الله العمري، مسالك الابصار، ص ٢٩١.
(٥) ابن حوقل، صورة الارض، ص ١٩٠.

«... وبين ماكسين وبين سنجار ثلاثة ايام في مفازة قفر ليس فيها عمارة الا الجبال - من ضياع سنجار - وهذه البرية (المفازة) هي برية سنجار ولها اتصال بالفرات والبادية [١].

وهكذا لاحظنا من خلال ما اوردته المصادر بان مدينة سنجار كانت على اتصال بمعظم مدن اقليم الجزيرة وتعدتها ايضا الى الفرات فالشام كما هي عليه في الوقت الحاضر [٢].

ب - الطرق النهرية: بما ان مدينة سنجار هي مدينة الطرق والقوافل التجارية، فان صلتها بالمدن سواء في داخل الجزيرة الفراتية ام في خارجها لم تقتصر على الطرق البرية وانما تعدتها الى الطرق النهرية، وان كانت تقع في حيز داخلي بعيد عن مجرى النهرين دجلة والفرات -. فالاتصال النهري الى جانب الاتصال البري، كانا قد اكسبا المدينة أهمية اقتصادية كبيرة، فبالإضافة الى تسويق منتوجاتها المحلية على هذه الطرق، فانها كانت مركزاً لعبور القوافل التجارية الذاهبة والآيبة من الموصل وبلد ونصيبين وسائر مدن الجزيرة وبلاد الشام.

---

(١) الاصطخري، كتاب الاقاليم، ص ٤١.

(٢) جاء في المراجع الحديثة ومنها موسوعة العراق الحديث للسيد خالد العاني: ان هناك عدة طرق في الوقت الحاضر تربط العراق بسوريا وتمر بمدينة سنجار ومنها: طريق يبدأ بالموصل ويسير غربا نحو تل اعفر فأم الشبابيط فسنجار حيث ينتهي تعبيده - ثم يستمر من سنجار الى الوردية فالحدود العراقية السورية وطوله بين الموصل والحدود نحو ١٧٦ كلم.

ومنها طريق آخر يربط الشدادي بالقامشلي، ويتشعب منه فرع يوصل بلد سنجار بالحسكة الواقعة على خابور سوريا، وهو طريق صحراوي يبلغ طوله ٦٠ كلم. «٣: ١٤٢٤».

- وجاء في المرشد للاستاذين طه باقر وفؤاد سفر انه يتفرع من سنجار - في الوقت الحاضر جملة طرق في البادية، يذهب احدها الى قامشلي وحسجة (مركز محافظة الجزيرة اليوم) وطريق آخر الى دير الزور في سوريا. ويوجد طريق من سنجار الى مركز ناحية «كرسي» الواقع خلف جبل سنجار. وهناك أيضاً طريق سنجار - دير الزور وهو يتجه نحو الغرب والمسافة بينهما ٢٨١ كلم، ويمر بجملة مواضع. كما ان طريق سنجار - حسجة (الواقع على الفرات نحو الغرب) يمر بعدة نقاط مسافته الكلية ١٣١ كلم، «المرشد، الرحلة الثالثة ص ٦٤ - ٦٥».

وتفيد المصادر ان مدينتي الموصل وبلد كانتا الميناءين النهريين اللذين تصلهما قوافل سنجار التجارية المنحدرة الى العراق. واستعمال مدينة سنجار للطريق المائي عبر دجلة - لتصدير منتوجاتها الى العراق - كان قد أشار اليه المقدسي في حديثه عن التجارة والأموال التي ترد العراق بنهر دجلة من اقليم الجزيرة فذكر: ... وبه (اقليم الجزيرة) تجارات ترتفع من الموصل: الحبوب والعسل والنمكسود... ومن سنجار: فرك اللوز، وحب الرمان، والسماق، ومن نصيبين: شاه البلوط (وهي شيء اكبر من البندق) والفواكه المقددة، والموازين، ومن الرقة: الصابون والزيت...[1] ».

ولم ينس ابن حوقل صلة سنجار بنهر دجلة واستعمالها لطريقه في عملية تصدير محاصيلها. فبعد ان يعدد انواع هذه المحاصيل يفيد: « ... والرمان الكبير المجفف حبه الدائم الى العراق والنواحي جهازه وحمله[2] ».

وكما كانت مدينة سنجار على اتصال بالعراق ونواحيه عبر دجلة، فانها كانت ايضا على اتصال ببلاد الشام وسائر المدن الفراتية عبر نهر الفرات. وهذا الاتصال كان قد أشار اليه الجغرافي الكبير الاصطخري، وقدامة بن جعفر، وابن خرداذبة وغيرهم[3].

ان الطريق النهري عبر الفرات، وان لم تشر المصادر الى استعماله - من قبل السناجرة - كوسيلة من وسائل النقل النهري اسوة بدجلة، فاننا نعتقد بانه ربما استعمل في نقل التجار وبضائعهم،

---

(١) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٤٥.
(٢) ابن حوقل، صورة الارض، ص١٩٩.
(٣) الاصطخري، كتاب الاقاليم، ص ٤١.
- قدامة بن جعفر، كتاب الخراج، ص ٢١٦.
- ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص ٩٦.

والمسافرين وامتعتهم - الذاهبين منهم والعائدين، كما استعمل ايضا في الأغراض العسكرية وغيرها.

ج - البريد: جاء في الأخبار ان مدينة سنجار وأطرافها كانت تقوم على الطريق الرئيسي للبريد* في العهود العباسية. وهذا الطريق - كما حددته المراجع - كان يصل بغداد بشمال افريقية والمتجه شمالاً الى الموصل وبلد وسنجار ونصيبين ورأس عين وحقة (الرقة) ومنبج وحلب وحماه وحمص وبعلبك ودمشق وطبرية والرملة والغفار والفسطاط والاسكندرية، ومنها يسير غربا باتجاه مدينة برقة[1]. والبريد كما هو معروف، اختراع قديم جدا ويرجع الفضل في تقدمه الى الامبراطور الفارسي دارا الأول الذي استعمله لربط اجزاء امبراطوريته الفارسية في الشرق الأدنى بغيرها من الأجزاء الأخرى، وبالعاصمة، ليتمكن من الاشراف الفعلي على كافة نواحي الامبراطورية بواسطة نوابه وقادته. وجاء الاسلام واستعمل البريد في ظل دولة الأمويين بعد اصلاحه وتحسينه. ثم ورثه العباسيون وأصبح في ايامهم من مضالح دولتهم الخاصة. وكان صاحب البريد - كما تفيد المراجع - يتمتع بصلاحيات

---

(١) مولوي، س، أ، ق، الادارة العربية، ص ٣٨٠ - ومن برقة - التي يسميها آدم ميتز في حديثه عن هذا الطريق باسم قيرين «الحضارة الاسلامية، مجلد ٢، ص٤١٢ » -، يتجه هذا الطريق الى شمال افريقية الى القيروان (حسن ابراهيم حسن، تاريخ الاسلام السياسي والاجتماعي، ٣: ٢٧٥).

حدد ياقوت البريد فقال: «البريد فيه خلاف، وذهب قوم الى أنه بالبادية اثنا عشر ميلا، وبالشام وخراسان ستة أميال، وقال ابن الاعرابي: كل ما بين المنزلين بريد. (معجم البلدان، ١: ٣٧).

- وأوضح ابن فضل الله العمري مقدار البريد فقال: « .. كل أربعة فراسخ بريد » (مسالك الابصار، ١: ٢٣).

- وورد في لسان العرب تعريف آخر للبريد جاء كالتالي: « .. البريد فرسخان، وما بين كل منزلين بريد. والجمع برد. وبرد بريد يعني أرسله. وسكك البريد: كل سكة منها اثنا عشر ميلا ». (ابن منظور، ٣: ٨٦).

- وقال القلقشندي في البريد: « .. المراد منه مسافة معلومة مقدرة باثني عشر ميلا. قدره الفقهاء وعلماء المسالك والممالك بأنه أربعة فراسخ، والفرسخ ثلاثة أميال والميل ثلاثة آلاف ذراع بالهاشمي ». (صبح الاعشى، ١٤: ٣٦٦، طبعة وزارة الثقافة والارشاد القومي).

واسعة منها مراقبة العمال، والتجسس على الأعداء، أي ان له عملاً شبيها بعمل رئيس قسم المخابرات في وزارة الدفاع اليوم، بينما كانت مهمته في اول الأمر تقوم على ايصال اخبار الولاة والعمال الى الخليفة. ثم توسع فيها حتى أصبح عينا للخليفة[١].

وكان يتطلب في رجل البريد شروط ابرزها ان يكون ثقة، وكان الخلفاء يكتبون له عند توليته عهدا يرسمون فيه الطرق التي يجب ان يسير عليها. وهذه الطرق كانت منتشرة في شرق الدولة العباسية وغربها ومنها ارض اقليم الجزيرة الفراتية ومدينة سنجار[٢].

---

(١) حسن ابراهيم حسن، تاريخ الاسلام السياسي والاجتماعي، ٣: ٢٥٧.

(٢) يتحدث ليسترانج عن مسالك اقليم الجزيرة وطرق البريد فيها فيذكر: ... ان مسالك الجزيرة هي تكملة لمسالك العراق، فطريق البريد من بغداد الى الموصل يصعد في شرقي دجلة نحو اقليم الجزيرة، فيدخله عند تكريت ثم ينتهي الى الموصل عن طريق السن والحديثة (دجلة)، ومن الموصل يعبر طريق البريد الى يمين دجلة (أي الجانب الغربي) فيتجه صاعدا الى بلد وعندها ينقسم طريقين ينتهي ايسرها الى قرقيسياء على الفرات مارا بسنجار، ويتجه الأيمن صوب كفرتوثا مارا بنصيبين وفيها ينقسم الى طريقين، ينتهي الايمن الى آمد والايسر الى الرقة. «بلدان الخلافة الشرقية، ص ١٢٩ ».
«انظر خوارط الجغرافيين القدامى المرفقة في نهاية هذا البحث».
والذي تجدر الاشارة إليه ونحن نتحدث عن البريد – هو أنه كان للبريد محطات تسمى السكك وكانت تزود بالخيل والراكبين على مسافات معينة، كل ثلاثة أميال أو فرسخين، وربما كان راكب البريد يركب الطريق كله «آدم ميتز، الحضارة الاسلامية، ٢: ٤١٠ – ٤١٢».



الفصل السابع

الحياة الاجتماعية في مدينة سنجار

أولا - سكان سنجار.

ثانياً - الطوائف الدينية في سنجار.

ثالثاً - التنزه واللهو والأعياد في سنجار.



الحياة الاجتماعية في مدينة سنجار

اولا - سكان سنجار:

السكان في مدينة سنجار وأطرافها شأنهم شأن سكان سائر بلاد الجزيرة كالموصل ونصيبين وبلد وغيرها، كانوا يتكونون من الفئات الرئيسية الثلاث: العرب والأكراد والسريان، ومن مجموعات أخرى قليلة العدد اذا قورنت بها. ونظراً لندرة المعلومات الخاصة بهذه المجموعات، فاننا سنقصر البحث على الفئات الرئيسية فقط وهي التالية:

١ - العرب: علمنا فيما سبق ان مدينة سنجار هي في الجزيرة الفراتية، ومن مدن ديار ربيعة[١]، وهذه الديار كانت قد وفدت اليها القبائل العربية، وتوطنت فيها قبل الاسلام وبعده لخصبها. ويقول ياقوت بهذا الشأن:

« ... وسميت ديار ربيعة لأنهم كلهم من ربيعة وهذا اسم لهذه البلاد قديم كانت العرب تحله قبل الاسلام في بواديه[٢] ».

ومن القبائل التي أتت سنجار واستقرت في بريتها نذكر: تغلب، وائل، سليم، قشير، نمير، كلاب، عقيل[٣]. ومنها ايضا قبيلة طيّ (من

---

(١) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص ٩٥ - قدامة بن جعفر، كتاب الخراج، ص ٢٤٥.
- المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ١٣٦ - أبو الفدا، تقويم البلدان، ص ٢٨٢.

(٢) ياقوت، معجم البلدان، ٢: ٤٩٤.

(٣) ابن حوقل، صورة الارض، ص ١٩٩ - ٢٠٥ - البكري الاندلسي، معجم ما استعجم، ٢: ٤٨١.
- ياقوت، معجم البلدان، ٣: ٢٦٢ - القلقشندي، نهاية الارب، ص ١٧٥ - ١٧٦.
- ابن خلدون، تاريخه، مجلد ٢، ق ٣، ص ٦٢١ - ٦٢٣.
يقول القلقشندي بأن قبيلة تغلب هي من احياء ربيعة العدنانية (نهاية الارب، ص ١٧٥ - ١٧٦) ويضيف الهمذاني (أبو محمد الحسن بن أحمد) بأن جبل سنجار كان من منازلها وخاصة الشراة منها، كبني

ربيعـة القحطـانيـة[١])، وقبيلـة زبيـد (وهي من طي). وقبيلـة بني يعقوب[٢]. وقبيلة العبيد[٣]. وقبائل شمر والضفير[٤]. وكان لكثرة القبائل وقوتها من جهة، وانتشار الدين الاسلامي واللغة العربية في المنطقة من جهة ثانية ان استطاعت ان تغلب على بقية الأجناس في تلك المنطقة.

٢ - الأكراد: وشارك الأكراد العرب في سكن منطقة سنجار بقبائلهم المتعددة. وكانت هذه المنطقة من مواطنهم الأساسية. وكان لهؤلاء دور سياسي كبير، ترك أثره على مجرى الأحداث في تلك الديار خلال عصورها المتلاحقة. والدلائل التي تشير الى وجودهم في سنجار كثيرة. وهاك بعض ما أورده المؤرخون والرحالة المسلمون وغيرهم بهذا الخصوص.

زهير وبني عمرو «صفة جزيرة العرب، ص١٣٣».

(١) خصباك، الدولة الايلخانية، ص ١٦٩ - ويضيف ان ديرتها كانت تمتد من زمن ابن سعيد المغربي (أي اواسط القرن السابع الهجري،الثالث عشر الميلادي) من سنجار الى البادية فإلى أطراف بغداد (نفس المصدر).

(٢) وبنو يعقوب كانت لهم مدرسة في مدينة سنجار تعرف باسمهم. «القفطي، المحمدون من الشعراء واشعارهم، ص٣١٩». وهذه القبيلة تنسب - كما يقول عمر رضا كحالة - الى يعقوب بن عبدالله - وهي بطن يعرف بأولاد يعقوب من حكيم من علاّق من سليم من العدنانية، كانت لهم رئاسة حكيم وسائر بطونها، «**معجم قبائل العرب القديمة والحديثة**، ٣: ١٢٦٦».

(٣) اشار القلقشندي الى قبيلة بني العبيد قال: «... بنو العبيد، بضم العين المهملة، بطن من سليح من قضاعة من القحطانية، وهم بنو العبيد بن الابرص بن عمرو بن اشجع بن سليح من اشراف العرب. والنسبة إليهم «عبدي». كان لهم ملك يتوارثونه بالحصين الذي أثاره في برية سنجار من الجزيرة الفراتية، الى أن كان آخرهم الضيزن بن معاوية بن العبيد المعروف عند الجرامقة بالساطرون. «نهاية الارب، ص٦٣ - ٦٤». ويؤكد العزاوي على وجود هذه القبيلة في سنجار فيقول:

«... واثارهم فيها باقية». (عشائر العراق القديمة - البدوية الحاضرة، ١: ١٣). اما عماد عبد السلام رؤوف محقق كتاب «تاريخ حوادث بغداد والبصرة من سنة ١١٨٦ - ١١٩٢ هـ/ ١٧٧٢ - ١٧٧٨ م لصاحبه عبد الرحمن بن عبد الله العويدي البغدادي المتوفى في سنة ١٢٠٠ هـ/ ١٧٨٧ م فإنه يرجع نسب هذه القبيلة الى بني عبيد بن عدي بن رخياب بن قضاعة بن حمير ويقول انها هاجرت من نجد الى الجزيرة تحت ضغط قبائل شمر الكبيرة، وانها تقاسمت مع قبيلة الجبور حوض الفرات الاعلى وانحاء الجزيرة حتى الخابور في أوائل القرن الثاني عشر الهجري الثامن عشر الميلادي. (حاشية ص١١٣).

(٤) العزاوي، عشائر العراق القديمة - البدوية الحاضرة، ١: ١٢٨ و ٢٩٧.

- ألمح كل من ابن الأثير وابن العديم الى وجود الأكراد الزرزاريين في قلب سنجار، وذكر ان نفوذهم وسلطانهم قد شمل بعض نواحي المدينة[1].
- تحدث ابن جبير - الذي زار سنجار في أواخر القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي - عن اكراد سنجار فأبدى حذره وتخوفه منهم وأوضح عجز السلاطين عن اسكاتهم ورد هجاتهم ضد الدولة والتجار والحجاج[2].
- وجاء ابن بطوطة - وعرج برحلته الى سنجار وذلك بعد مرور قرن من الزمن على زيارة ابن جبير، لكنه لم يذهب في حديثة عن اكراد سنجار ما ذهب اليه نظيره، وانما نعتهم بالكرم والرجولة: «... وأهل سنجار اكراد ولهم شجاعة وكرم[3]».
- ولم تغفل المراجع الحديثة ذكر الأكراد في سنجار، فتحدثت عنهم وعن أعمالهم والمتاعب والاضطرابات التي سببوها للمنطقة والمتاعب التي حملوها للسلاطين والحكام[4].

أما من هم هؤلاء الأكراد وما هي اجناسهم وأنواعهم، فالمؤرخون كانوا قد اختلفوا في ذلك وذهبوا مذاهب شتى. فمن قائل انهم من اصل

---

(١) ابن الاثير، الكامل، ١١: ٤٨٧ حوادث سنة ٥٧٨ هـ.
- ابن العديم زبدة الحلب، ٣: ٥٨ حوادث سنة ٥٧٨ هـ.
. أشهر قبائل الاكراد كانت: الزرزارية المسلمة - اليعقوبية والجورجان النصرانية. وفي القرن الرابع والخامس الهجري اشتهرت في نواحي سنجار والموصل القبائل الكردية التالية: الحميدية، الهذبانية، الرواذية، المروانية وبعض هذه القبائل بل أكثرها قد تمتعت بشيء من الاستقلال نظراً لاستيطانها - في البدء - المناطق الجبلية الوعرة. هذا وتفيد المصادر الى أن أفراد هذه القبائل كانوا قد قاتلوا الى جانب الجيوش الحمدانية والعقيلية والاتابكية والايوبية وغيرهم. (المعاضيدي، دولة بني عقيل في الموصل، ص١٣٤).

(٢) ابن جبير، رحلته، ص ٢١٩.

(٣) ابن بطوطة، رحلته، ١: ١٥٩.

(٤) المعاضيدي، دولة بني عقيل في الموصل، ص ١٣٣.

عربي، وانهم هاجروا مع غيرهم من القبائل العربية من جنوب الجزيرة، وسكنوا المناطق الجبلية، واختلطوا بسكانها ونسوا لغتهم العربية وكونوا الشعب الكردي. وهذا يصدق على ما ذهب اليه المسعودي حين قال: « ... وتنازع الناس في بدئهم فمنهم من رأى انهم من ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان، انفردوا في قديم الزمان، انضافوا الى الجبال والأودية. دعتهم الى ذلك الانفة، وجاوروا من هنالك من الأمم الساكنة المدن والعمائر من الأعاجم والفرس، فحالوا عن لسانهم، وصارت لغتهم اعجمية، وهم أنواع ولكل نوع لغة لهم بالكردية[1].

ومن الناس من رأى انهم من مضر بن نزار من ولد كرد بن مرو بن عمرو بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن، وقيل من ولد عمرو بن مزيقيا بن عامر ماء السماء[2]. ومنهم من رأى انهم من ربيعة ومضر، وقد اعتصموا في الجبال طلبا للمياه والمراعي. فحالوا عن اللغة لما جاورهم من الأمم[3].

وقد توصلت بعض المراجع الى القول بان الأكراد هم من العنصر الآري، وكانوا قد وفدوا من شرق ايران الى بلادهم الحالية. وفيها اختلطوا بالسكان الاصليين، وامتزجوا وكونوا الشعب الكردي. وقالت اخرى انهم مزيج من عدة اقوام آرية - سامية مختلفة، سكنوا في بلادهم الحالية وكونوا الشعب الكردي[4].

---

(١) المسعودي، مروج الذهب، ٢: ١٢٢.

(٢) الفارقي، تاريخه، حاشية، ص ٤٩.

(٣) المسعودي، مروج الذهب، ٢: ١٢٢ - ويضيف المسعودي رأيا اخر يقول فيه: « .. ومن الناس من الحقهم باماء سليمان بن داود عليه السلام، حين سلب ملكه ووقع على امائه المنافقات الشيطان المعروف بالجسد. فعلق منه المنافقات، فلما رد الى ملكه ووضع تلك الاماء الحوامل من الشيطان قال: أكردوهن الى الجبال والاودية، فربتهم امهاتهم وتناكحوا وتناسلوا فذلك بدء نسب الاكراد » (نفس المصدر، ٢: ١٢٣).

ويقول القلقشندي في نسب الاكراد: « ... هم من بني ايران بن اشور بن سام بن نوح » (صبح الاعشى، ١: ٣٦٩).

(٤) المعاضيدي، دولة بني عقيل في الموصل، ص ١٣٣.

ومهما تعددت الآراء واختلفت فان العنصر المتكلم باللغة الكردية حل بأرض سنجار - كما حل بغيرها من أرض العراق والجزيرة - واختلط بالسكان الاصليين من نصارى ومسلمين وامتزج بهم. ومع مرور الزمن استطاع ان يفرض ما هو عليه من معتقدات وتقاليد وينجح بالتالي في اضفاء الصبغة الكردية على غالبية السكان مع الابقاء على وجود اقلية ضئيلة من العرب الأصليين، استطاعت ان تحافظ على عنصريتها ولم تختلط بهم او بغيرهم وان اصبحت توصف في كثير من الأحيان بالكردية.

٣ - الجرامقة - السريان -: وكانت بلاد ما بين النهرين بما فيها سنجار محط رحال الجرامقة المعروفين بالسريان. وكان هؤلاء من جملة الموجات السامية التي وصلت الى بلاد الجزيرة واستمرت في سكناها الى ما بعد الاسلام. ويستدل على وجود السريان في منطقة سنجار من خلال ما تحدثت به المصادر والمراجع على اسقفيه مدينة سنجار سواء النسطورية منها او اليعقوبية مما سيلي الحديث عنه فيما بعد.

وتباينت آراء المؤرخين في توضيح اصل الجرامقة، فمال البعض منهم الى القول انهم من الفرس أو العجم[(١)]. وقال البعض الآخر غير ذلك. الا ان جميع الاراء اتفقت على ان بلاد الموصل وأعمالها - ومن بينها مدينة سنجار - كانت من مراكز توطنهم[(٢)].

وابن خلدون في تاريخه، كان قد أعطى توضيحاً، يستفاد منه ان الجرامقة كانوا قد نزلوا أرض الجزيرة وملكوها، وبنوا فيها المدن ومنها مدينة سنجار[(٣)]. والمؤرخون المعاصرون حاولوا ان يثبتوا ان الجرامقة

---

(١) تحدث ابن الاثير في تاريخه في حوادث سنة ١٠١ هـ بهذا المعنى فقال: « .. اتاكم في برابرة وجرامقة وجراجمة وأنباط وابناء فلاحين واوباش واخلاط » وكان في حديثه هذا يتناول ذكر دخول يزيد بن المهلب مدينة البصرة وخلعه ليزيد بن عبد الملك (الكامل، ٥: ٧٥).

(٢) القلقشندي، صبح الاعشى، ١: ٣٦٧.

(٣) ابن خلدون، تاريخه، مجلد ٢، ق ١، ص ١٣٠ - ١٣١. وهاك ما أورده بهذا الخصوص. « ... قال:

هم الآراميون. ومن بين هؤلاء نذكر على سبيل المثال البحاثة سليمان الصائغ حيث أورد بعض الادلة بهذا الشأن[1].

ويرجح ان تسمية الاراميين بالجرامقة كان بسبب قدومهم من منطقة جرمق في فارس. وكانوا قد لجأوا إليها تحت تأثير الأشوريين. وهذا ما نوه به الدكتور احمد سوسة في بعض كتاباته عندما قال: « ... الجرامقة هم اراميون، كانوا قد لجأوا الى عيلام تحت تأثير الاشوريين، فحلوا في منطقة تعرف بالجرمق في فارس. ثم لما عادوا الى بلاد آشور حملوا معهم هذا الاسم فعرفوا به فسموا الجرامقة. وكان هؤلاء يسكنون الموصل عندما فتحها العرب في عصر الخليفة عمر بن الخطاب، وسمى بعض الكتاب العرب اللغة الارامية بالجرمقية نسبة إليهم[2].

أما بشأن تسميتهم بالسريان فقد المح إليها المسعودي بقوله: « ... الجرامقة هم طائفة من الكلدانيين أي السريان[3] ». وهذا ما أكده الصائغ في حديثه عن اللغة الارامية وانتشارها عند ما أفاد ».. وكانت

يقول ابن سعيد: ... ولي فالغ بن شالخ بن أرفخشذ، سوريان بن نبيط على بابل. فانتفض عليه وحاربه... ولما هلك فالغ قام بالأمر ابنه ملكان فغلبه سوريان على الجزيرة وملكها هؤلاء الجرامقة اخوانه في النسب بنوجرمق، بن أشوذ بن سام. وكانت مواطنهم بالجزيرة. وكان ابن اخت سوريان منهم الموصل بن جرموق، فولاه سوريان على الجزيرة وأخرج منها بني عامر.. وملك بعد الموصل ابنه رائق ثم ابن رائق اشور ثم ابنه نينوى وكان من عقبه بسنجاريف بن اشور بن نينوى - الذي بنى مدينة سنجار - ثم ملك الجزيرة بعد سنجاريف اخوه ساطرون الذي بنى مدينة الحضر في برية سنجار - «نفس المصدر»، ويضيف ابن خلدون في حديث آخر «.. والساطرون هو الضيزن بن معاوية بن العبيد من بني العبيد ابن الابرص... الذي يعرف عند الجرامقة بالساطرون». تاريخ ابن خلدون، مجلد ٢، ق ٣، ص ٥٨٠ - ٥٨١. ويشير الطبري الى الضيزن بقوله «.. هو ملك الحضر، كان من الجرامقة، وهو من قضاعة ويقال له الساطرون. «تاريخ الرسل والملوك ٢: ٤٧. وقال فيه ابن الاثير. «وكان (أي الضيزن) ملك الجزيرة وكثر جنده». الكامل، ١: ٣٨٧.

(١) الصايغ، تاريخ الموصل، ١: ٤٥.

(٢) أحمد سوسة، العرب واليهود في التاريخ، ص ٤٦٥.

(٣) المسعودي، كتاب التنبيه والاشراف، ص ٧٨. ويقول ايضا: الكلدانيون وهم السريانيون وقد ذكروا في التوراة وكانت دار مملكتهم العظمى مدينة كلواذي من أرض العراق وإليها اضيفوا وكانوا شعوبا وقبائل. «نفس المصدر».

اللغة الارامية منتشرة قبل ظهور الاسلام شرقا الى امارة حدياب• وبيت جرماي (كركوك حاليا)، وغربا الى سوريا وشمالا الى أرمينيا وأذربيجان، وجنوبا الى أعمال بابل والأهواز واقليم ميشان (منطقة البصرة الحالية)، حيث كان يقطن الاراميون. وهؤلاء تركوا بعد تنصرهم اسمهم القديم وتسموا بالسريان المشارقة والمغاربة•، ليتميزوا بذلك عن الاراميين الوثنيين(١).

---

(١) الصائغ، تاريخ الموصل، ٢: ١٣ (توطئة).

• حدياب: وبعد انتشار المسيحية وبحكم العلاقات والمواصلات الدينية اتسعت امارة حدياب وصارت تمتد من الزاب الاصغر الى الخابور. ومن حدود ران الحالية وأطراف رومية الحالية الى دجلة. وكانت مدينة اربيل اكبر عواصمها الى أن تعمرت الموصل فقامت مقامها في الاهمية. «الصائغ، تاريخ الموصل، ٢: ٨ - ١٣ (توطئة)».

• السريان المشارقة اي السريان النساطرة، والمغاربة اي اليعاقبة وكلا الفريقين كان يؤدي طقوسه الدينية عبر الاديرة الخاصة به في منطقة سنجار.

ثانيا - الطوائف الدينية في سنجار:

وسكان سنجار الذين عرفنا فئاتهم كانوا يندرجون - كما هو الحال في معظم الاقطار والمدن الاسلامية - في قوائم الطوائف التالية:

١ - المسلمون: من المعلوم ان المسلمين كانوا قد غلبوا على العراق والجزيرة الفراتية، وان القبائل العربية الآتية من اليمن والحجاز استوطنت أرض الجزيرة وديار ربيعة منها. ودخل في الدين الاسلامي الكثير من أهلها. وانتشر الاسلام فيهم وعم. وسنجار التي كان قدامة بن جعفر قد وصفها بانها مدينة رومية نصرانية(١)، فانها وان احتفظت بنصرانيتها بعد الفتح الاسلامي ولمدة من الزمن فإن الدين الجديد ما لبث ان عرف طريقه الى العديد من جماعاتها وتوطد في أرجائها. واذا كنا نتحدث عن المسلمين في سنجار فإنما نتحدث عنهم بطوائفهم المتعددة السنية والشيعية والعلوية وبنسب متفاوتة مع ارتفاع نسبة اهل الجماعة (السنة) فيهم، على غرار ما كان عليه الوضع في أكثر مدن اقليم الجزيرة وهذا ما أكده لنا الجغرافي الكبير شمس الدين أبو عبد محمد المقدسي في حديثه عن مذاهب اقليم أقور (الجزيرة) حين قال: «... ومذاهب اقليم أقور سنة وجماعة الاعانة فإنها كثيرة المعتزلة(٢)».

ولما كان الحديث عن مسلمي سنجار وأوضاعهم المختلفة قد يطول، ولما كان الدين الاسلامي بعشائره المعروفة سواء في هذه المدينة أم في غيرها من المدن التي امتد إليها - اشهر من أن يعرّف، لذا فإني سأقتصر البحث على وضع باقي الطوائف الاخرى.

٢ - النصارى: والنصارى سواء العرب منهم أم الاراميون فإنهم وجدوا في مدينة سنجار وضواحيها في العصور الاسلامية وقبلها(٣).

(١) قدامة بن جعفر، كتاب الخراج، ص ٢١٦.

(٢) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ١٤٣.

(٣) مدينة سنجار وسائر مدن ديار ربيعة في الجزيرة كانت قد غلبت عليها النصرانية لمجاورتها الروم.

والأدلة على وجودهم بها كثيرة ومتنوعة. فمن ذلك ما ذهبت إليه المصادر والمراجع من وجود العديد من آثار الاديرة والكنائس في تلك الضواحي. كما ذهبت الى القول بوجود اسقفية لهؤلاء في قلب المدينة وعددت اسماء الكثيرين من اساقفتها. وأكدت الاخبار ان هذه الاسقفية كانت في حوالى القرن الرابع الميلادي تابعة من حيث التشكيلات الكنسية لمطرانية بيت عرباي التي كان مركزها مدينة نصيبين. فتاريخ النصرانية في بلاد سنجار هو تاريخ قديم ويرجع في قدمه الى القرون الأولى لظهور المسيحية. والذي يلفت النظر هنا ان التواريخ الكنسية قليلا ما تتحدث عن كيفية دخول النصرانية الى سنجار، وعن الحياة الطويلة التي عاشتها فيها. وكيف حافظت هذه الديانة على وجودها واستمرارها وهي محاطة بشعوب تختلف عنها بالدين والجنس واللغة.

فسنجار والنصرانية عاشتا جنبا الى جنب مدة تزيد على اثني عشر قرنا، وان النصارى كانوا - كما لوحظ من خلال الدراسة - قد عاشوا في عز ومنعة في بداية امرهم، ساعدهم في ذلك حصانة موقع المدينة ووعورة مسالكها من ناحية، وكثافة اعدادهم بالنسبة الى سائر طوائف المدينة من ناحية ثانية[1].

أما بشأن تاريخ انقراض النصرانية من سنجار وعوامل هذا الانقراض، فالدملوجي في كتابه المسمى «باليزيدية» يروي ان النصرانية التي عاشت القرون العديدة في سنجار باديرتها ومعاهدها الدينية والعلمية، كان قد قضي عليها فور ظهور اليزيدية، وان الطاووس - وهو شعار اليزيديين - قد احتل مكان الصليب في تلك البقعة من الأرض[2]. وسنرى فيما بعد صحة هذا التعبير، اما فيما يتعلق

= ابن عبد ربه العقد الفريد، ٦: ٢٥٢ - القلقشندي، نهاية الارب، ص ١٧٦ - قلائد الجمان، ص ١٣٢.

(١) الدملوجي، اليزيدية، ص ٤٧٥.

Niebuhr, G, Voyage en Arabie et en d'autres pays circonvoisins, 2: 315.

(٢) الدملوجي، اليزيدية، ص ٤٧٧ - حاول الدملوجي في بحثه الخاص «بانقراض النصرانية في بلاد =

بمقومات الديانة النصرانية ومؤسساتها في مدينة سنجار وأطرافها فهذا ما نحن بصدده الآن.

- **الديانة النصرانية، مؤسساتها وأشهر اعلامها في سنجار**: وأقام النصارى في بلاد سنجار العديد من مؤسسات العبادة وشيدوا المزيد من معاهد العلم والثقافة. وتخرج من تلك الدور رجال علماء حفظ التاريخ الكنسي وبعض المراجع الاخرى اسماءهم وأشادوا بذكراهم. وتلك اثار النصرانية في سنجار من أديرة وكنائس لا تزال قائمة في جنبات المدينة أو على مقربة منها.

أ - **الأديرة**: اعتمدنا في هذا المجال على المعلومات والاراء والمراجع التي زودنا بها البحاثة الاب الدكتور جان موريس فيي، لمعرفته وإلمامه التام بشؤون الديانة المسيحية ومؤسساتها في مدينة سنجار وضواحيها ومن خلال هذه المعلومات يظهر ان الاديرة في سنجار لم تؤسس قبل نهاية القرن السادس الميلادي. ويستدل على ذلك من الملاحظات التالية التي وردت في مجلة Le Muséon[1]:

١ - الرهبان - آكلي الحشائش - الذين كانوا يسكنون مرتفعات

= سنجار »، تحليل ومناقشة ما جاء في كتاب (عبدة ابليس) لنوري باشا الذي ارجع تاريخ انقراض النصرانية الى بداية القرن التاسع عشر الميلادي وعلى ما جاء في كتاب (مجموعة النصوص والبراهين على الملة اليزيدية) للمستشرق الفرنسي (نو). فاستبعد الدملوجي ما جاء في الاول وأكد ان الانقراض قد حصل قبل هذا التاريخ بكثير. اما بخصوص الكتاب الثاني فبعد ان قام بتعريبه واستنتج منه ان الانقراض قد تم في حدود سنة ١٦٦٠م أو بعد ذلك بقليل، ذهب الى القول بأن التواريخ الكنسية الموجودة والاخبار المنقولة عن بلاد سنجار وخاصة الجبل منها لم تتكلم عن زمن الانقراض. وأضاف: انه حتى ولا الحملات العثمانية التي توالت على الجبل في القرن السادس عشر الميلادي بداعي تأديب اليزيديين عثرت على أثر للنصرانية في ذلك التاريخ. ويخلص الى القول ان كل ذلك يجعلنا نتردد في قبول صحة ما جاء به المسيو (نو) أيضاً. «لمزيد من التفاصيل انظر (الدملوجي، اليزيدية، ص ٤٧٦ - ٤٧٧).

(١) **I. Fiey. J. M**, Encore Abdulmasih de Singar, **Revue**, Le Muséon (Louvain), LXXVII, **1964, P: 219- 222.**

سنجار والذين ذكرهم المؤرخ سوزومينوس اليوناني في سنة ٤٤٣ م أنهم أسسوا أديرة في تلك النواحي.

٢ - انه في سنة ٥٥٣ م مكث الاسقف المونوفيزيتي يوحنا اسقف تلا في هذه المنطقة هارباً من السلطة الساسانية، وأقام عند جماعة من الرهبان، ولعل السبب في إقامته هناك هو عدم وجود الأديرة المنظمة في تلك السنة، لأن منطقة سنجار - كما نعلم - كانت الحدود المتنازع عليها بين الفرس والرومان.

٣ - يستنتج من المعلومات الواردة في كتابين، الأول ويسمى كتاب العفة، والثاني ويسمى كتاب السنهادوس (في الطبعة الفرنسية والسريانية)، ان الأديرة في سنجار أسست مع نهاية القرن السادس الميلادي، حيث ذكر ايشوعدناح اسم ديرين بجانب سنجار في ذلك الوقت أولها أسسه مارابا في سنة ٥٩٠ م ووسعه ماريونان، وكان موقعه في المحلة المسماة بارطورا[١]. والثاني أسسه تلميذ آبا واسمه سابوخت، وكان موقعه وراء دير برطورا[٢]. ويمكن ان يكون هناك دير ثالث أسسه تلميذ آبا (أو مرافق آبا) آخر اسمه جبرائيل، لم يذكره كتاب العفة، ولكن ألمح إليه كتاب مخطوط محفوظ في متحف برلين[٣]. أما كتاب السنهادوس فيذكر ثلاثة أديرة في سنجار ويقول:

---

(١) ايشوعدناح، الديورة في مملكة الفرس والعرب (كتاب العفة)، ص٤٩
ويقول الدملوجي في كتابه (اليزيدية) ان هذا الدير اسمه ابا يونان المجوسي خلال سنة ٨٩٢ - ٩٠٧ يونانية الموافقة لسنة ٥٨١ - ٥٩٦ م (ص٤٧٥).

(٢) - يقول ادي شير في كتابه (تاريخ كلدو وآثور ٢: ٢٦١)، ان سابوخت كان من وجوه نصيبين وان ديره في جبل سنجار، وكان من تلاميذ ابراهيم الكبير (ابراهيم اليشكري) الذي كان يعد من مؤسسي الاديرة.

(٣) - كان الدملوجي قد المح الى هذا الدير في كتابه اليزيدية، لكنه اخطأ في تأريخ تأسيسه. فاعتبر ذلك انه في سنة ٧٧٤ يونانية الموافقة لسنة ٤٦١ م وهذا الخطأ مرده ان جبرائيل هذا - الذي كان معروفاً بجبرائيل السنجاري - كان قد عاش بعد هذا التاريخ بأكثر من قرن من الزمن وفي عهد كسرى الثاني ابرويز.

انه في سنة ٥٩٨ م وفي حلف الأديرة ضد المصليين - وهو الحلف الذي شكل برئاسة البطريرك سبر يشوع الأول، وتحت ظل كسرى الثاني ابرويز. - دخل في هذا الحلف دير برقيطي ودير آخر يسمى بالدير الجديد، وجماعة ثالثة من الرهبان في شرق دير برقيطي. ويظهر انه لا يوجد في جبل سنجار أي دير آخر عدا هذه، لأن الميثاق الذي كان يربط الأديرة الثلاثة أفسح في المجال لدخول جماعات جديدة لتستوطن هذا الجبل.

ولهذا أصبح من المؤكد ان الأديرة الثلاثة التي ذكرت في القائمتين (كتاب العفة وكتاب السنهادوس) وفي فترة واحدة هي ذاتها، ولكن لا نتمكن نحن من مطابقة القائمتين من حيث الأسماء والمواقع. أما في الوقت الحاضر فاننا نجد في جبل سنجار ثلاثة أديرة هي:

الأول: دير عاصي على مسافة ساعة نحو الشمال من مدينة سنجار.

الثاني: ويقع على قمة الجبل ووراء الدير الأول وعلى مسير ثلاث ساعات مشياً على الأقدام من المدينة، وهو الدير المبني من الصخور الضخمة غير المنحوتة ويسمى (ديره ووزنه). وفي الجنوب الشرقي منه بساتين مسماة (كاني شف).

الثالث: ويقع شرقي الثاني، وكذلك على هضبة سنجار ويسمى (ديره زدشكه) بالقرب من مغارة تشه لمر (الأربعين) والذي يسمى احيانا بدير الزلازل.

ومن خلال ما تقدم يمكننا ان نستنتج ما يلي:

١ - ان دير برقيطي* في برطورا، هو دير عاصي* الحالي، ومن

---

* دير برقيطي: كان قد اشار اليه بالاسم الاب البيرابونا في كتابه (ادب اللغة الارامية، ص١٨٧) وقال: انه على مسير ساعة شمالي بلدة سنجار.
* دير عاصي: افاد الدملوجي ان هذا الدير كان يعرف قديما بدير باعوث، وانه يقع على تلة الجبل القاحل فوق مدينة سنجار. ويظن ان بناءه كان في المئة الخامسة للميلاد (وهذا خطأ). وكان من اهم

مشاهيره في القرن السابع الميلادي كان الكاتب سليمان بن جرف. وفي النصف الثاني من القرن الثامن كان الانبا مرقس رئيس الدير.

٢ - ان الدير الجديد لمؤسسة سابوخت، يسمى حاليا (ديره ووزنه)، كان قد تركه النساطرة قبل سنة ٧٣٤م، واشتراه شمعون الزيتي، ثم بقي بيد السريان اليعاقبة (الغربيين) حتى القرن العاشر الميلادي.

٣ - اما الجماعة التي في الشرق (شرق دير برقيطي)، والتي ليس لها اسم مسيحي معروف فهي في تشه لر، ويسمى هذا الدير (ديره زدشكه).

مواطن تعليم النصرانية في القرن الثامن الميلادي. ذاع صيته في القرن التاسع، ثم انطمس خبره وعفا اثره (اليزيدية، ص٤٧٥). وكان الرحالة زاره وهرتسفيلد قد ذكرا هذا الدير. وقالا انه مبني من الحجر والجص بعد رؤيته اثناء الزيارة التي قاما بها الى منطقة سنجار في مطلع القرن العشرين.
(- **Sarré** - **Herzfeld**, Archaeologische..., 1: 204).

- وذكر الدملوجي في كتابه (اليزيدية، ص٤٧٥ - ٤٨٠) اسماء عدد آخر من الاديرة، كانت قائمة في سنجار في عهود مختلفة، ولدى استشارة البحاثة الاب الدكتور فيي في صحتها، تردد في التأكيد عليها. وهذه الاديرة هي: الدير الكبير، لمؤسسه مارادي (احد حواري السيد المسيح)، ذكر انه كان يحتوي على مكتبة قديمة كتب اكثرها على رق الغزال - دير المعلق او دير سرجيس - دير زعورا - دير خنوشا.

- ذكر ادي شير في مؤلفه (تاريخ كلدو واثور، ٢: ٢٦٧) اسما لدير آخر يعرف بدير حدثا، وقال انه في اطراف سنجار، لم يعرف اسم مؤسسه.

- كان البحاثة سليمان صائغ قد افاد بوجود دير آخر في سنجار يعرف باسم دير ماراوجين، وذكر ان ماراوجين هذا كان في صعيد مصر ثم اتى الى بلاد الرافدين في نهاية القرن الثالث وبداية القرن الرابع الميلادي واخذ ينشر الحياة الرهبانية ويؤسس الاديرة في تلك الجهات. (تاريخ الموصل، ٣: ١٢ حاشية)، وتعقيبا على ذلك نقول: ان ما ذهب اليه البحاثة الصائغ من ان ماراوجين قد اسس اديرة منظمة في وقته لأمر لا يحتمل التصديق او الصواب، سيما اذا اخذنا بالحسبان المعلومات التي زودنا بها البحاثة الاب فيي، والتي قالت ان الاديرة لم تؤسس في سنجار قبل نهاية القرن السادس الميلادي. فاغلب الظن هو ان ماراوجين كان قد اسس اماكن خاصة - لم تبلغ مرتبة الاديرة المنظمة - لتجميع الرهبان المتنقلين الذين كثرت اخبارهم في زمنه، وذلك بغية البدء بقيام حياة رهبانية شبه مستقرة ما امكن، تهدف الى نشر وتعليم المسيحية بطرق افضل في تلك النواحي.

ب - أسقفية سنجار وأساقفتها:

١ - الأسقفيـــة النسطوريـــة (المرعيـــث* النسطوري): لا تعرف بالضبط سنة تأسيس الأسقفية أو المرعيث النسطوري في مدينة سنجار؛ حيث لم يذكر اسم المدينة في قائمة اسقفيات اقليم نصيبين التي دونها مجمع سنة ٤١٠ م. وان ما زعمه الكتاب المسمى بتاريخ اربل من انه كان في سنجار اسقفية منذ منتصف القرن الثالث الميلادي كان موضوعاً للجدل والمناقشة، اذ ان الباحثين فندوا المعلومات الواردة في هذا الكتاب وبرهنوا من خلال ذلك على انه كتاب مزيف لا يرتقي إلا الى بداية القرن الحالي.

وكذلك فان ما ذكره بعضهم من ان اسقف سنجار واسمه جرجيس، قد اشترك في مجمع نيقيه* لسنة ٣٢٥ م، لا يستند الى مرجع موثوق به. هذا ما زودنا به البحاثة الأب الدكتور في مختصراً المقالة التي كان قد نشرها بهذا الصدد. ويضيف قائلاً: ان أول اسقف أكيد لكرسي سنجار - كما يتبين من خلال المعلومات - هو باباي وذلك في سنة ٥٣٣ م وهو نسطوري (سرياني شرقي)، كان قد اشترك في بعثة العلماء الفرس الذين أرسلوا الى الامبراطور يوستينيانوس لمناقشة بعض المسائل الدينية.

ومنذ ذلك التاريخ بدأنا نتعرف الى أساقفة سنجار. ففي سنة ٥٥٤ م ورد ذكر أسقف اسمه قاريص، وهو مونوفيزيتي (سرياني غربي) الا ان هذا الأمر مشكوك فيه. وفي سنة ٥٩٥ م نجد ذكر أساقفة دير برقيطي في العهد المفروض على رهبان هذا الدير حيث كان أحد

• المرعيث: كلمة مشتقة من السريانية، معناه تقسيم اداري كنسي يديره اسقف.
اما الابرشية فتشتمل على عدد من المراعيث ويديرها رئيس اساقفة اي مطران (ميطروبوليط).
اما الرئيس الاعلى للكنيسة النسطورية فكان يطلق عليه الجاثليق، وهي كلمة يونانية معربة.

• نيقية، مدينة في الجمهورية التركية تعرف اليوم باسم ازنيق.

الأديرة الثلاثة التي تشكل منها حلف الأديرة ضد المصليين برئاسة البطريرك سبر يشوع الأول. فمن خلال ما تقدم يظهر ان اسقفية سنجار النسطورية كانت قد أسست ما بين سنة ٤١٠ م وسنة ٥٣٣ م[١].

٢ - **أساقفة سنجار النسطوريين:** قبل تأسيس الأسقفية، أفادت المعلومات بوجود اساقفة متنقلين، منهم ما بين سنة ٣٧٤ م وسنة ٤١١ م:

- الاسقف معين، الذي كان سابقا من قواد جيش شابور الثاني•، ويقال انه بنى ما يقارب تسعة وستين معبدا بين أديرة وكنائس في منطقة سنجار[٢].

أما بعد تأسيس الأسقفية، فقد أوردت المعلومات أسماء عدد من الأساقفة منهم:

- الاسقف باباي في سنة ٥٣٣ م.
- الاسقف شمعون، ٩٨٧ - ٩٩٩ م.
- الاسقف موسى، ١٠٣٢ م.
- الاسقف ماري، ١٢٥٧ م.

---

(١) Encore Abdulmasih de Singar, Revue, le Muséon (Louvain), LXXVII, 1964, P: 218. I. Fiey.J. M.

- ويقول الاب البيرابونا في كتابه (ادب اللغة الارامية، ص٣٦١) ان ابرشية سنجار كان قد رسم لها اسقفا قبل سنة ٦٢٩م.

(٢) de Sapor II, Confesseur et évêgue dans le Muséon LXXXIV, 1971, P: 437 - 452. I. Ma'in Général

- هذه المعابد التي بناها الاسقف معين في منطقة سنجار والتي اطلقت عليها المعلومات اسم اديرة وكنائس هي ليست الا اماكن خاصة لا ترتقي الى مرتبة الاديرة او الكنائس المنظمة التي تعهدها، لان مثل هذه الاديرة او الكنائس لم يبدأ بتأسيسها الا منذ سنة ٥٩٠م كما ذكرنا من قبل.

• شابور الثاني، هو الذي انتصر على الرومان في موقعه سنجار الكبرى في سنة ٣٤٨م (راجع الفصل الاول ص٢٦) وسبى العديد من مسيحيي سنجار وآمد ونقل هؤلاء الى الاهوار وهذا ما يعرف بالسبي الثاني، لان السبي الاول للمسيحيين في سنجار والجزيرة، كان على عهد شابور الاول في سنوات ٣٤٤م و٢٥٦ و٢٥٩ و٢٦٠م حيث نقل فيه الاسرى الى بلاد ايران.

- الاسقف عبد يشوع بن بريخا• (المبارك)، قبل سنة ١٢٩٠ م.
- الاسقف يوحنا، ١٣١٨ م.
- الاسقف ماران عمّه، بين سنة ١٦٠٧ م و١٦١٦ م.

٣ - الاسقفية اليعقوبية (المرعيث اليعقوبي): دخل المذهب المونوفيزيتي اليعقوبي (ذو الطبيعة الواحدة) مدينة سنجار بعدما انتشر في المدن والأديرة المجاورة. وكان لليعاقبة• في سنجار اسقفية وعدد من الأساقفة. ونعلم انه في سنة ٦٢٩ م، وبعد الفتح الروماني لشمال العراق الحالي، كان بطريرك انطاكية (رئيس الكنيسة السريانية الغربية أو اليعقوبية) قد نظم وكالة له في الأراضي الفارسية السابقة التي احتلتها الجيوش الرومانية. وكان مركز هذه الوكالة (التي سميت بالمفريانية• المشرقية فيما بعد) مدينة تكريت، وشملت ثماني ثم عشر ابرشيات، كانت الأولى منها في جميع القوائم سنجار بأسقفها جورجيس. ولم تذكر المصادر الكنسية أو غيرها متى فقدت سنجار اسقفها الخاص بها وأدمجت بأبرشية بعربايا او بيت عرباي.

- • عبد يشوع بن بريخا، او عبد يشوع الصوباوي، ذكر انه ابصر النور في منتصف القرن الثالث عشر الميلادي، واقيم اسقفاً على سنجار في نحو سنة ١٢٨٥ م وفي سنة ١٢٩٠ م اقامة البطريرك يابا لاها الثالث مطران فوليكا (ميطرو بوليط) من نصيبين مارومينية. ومن هنا اتاه لقب الصوباوي نسبة الى نصيبين (صوبا). توفي في سنة ١٣١٨ م «توما اسقف المرج، متاب الرؤساء، ص٣». ويفيد الاب البيرابونا في كتابه (ادب اللغة الآرامية ص٤٤٦) ان عبد يشوع اقيم أسقفاً على سنجار وبيت عرباي في سنة ١٢٨٥ م وانه كان كاتباً مشهوراً ترك العديد من المؤلفات الادبية اللاهوتية والجدلية والفلسفية وغيرها.
- • يذكر روفائيل بابو اسحق في مؤلفه (تاريخ نصارى العراق ص١٣٢) ان اليعاقبة الذين انتشروا في بلاد سوريا والجزيرة والعراق كان عددهم في العراق اقل بكثير من الشاطرة.
- • المفريانية المشرقية، ضمت البلاد الواقعة شرق نهر الفرات، ويقول بابو اسحق في (تاريخ نصارى العراق ص١٣٢) ان مقر المفريانية كان مدينة تكريت، وخضعت له عدة ابرشيات منها: سنجار. والكوفة، معلثايا، ارزن، الموصل وبغداد. حيث كان ينظم امورها ويرعى شؤونها. ويضيف ان عدد هذه الابرشيات كان قد ازداد ابان الاجتياح العربي والمغولي لدولة الفرس حيث ان الكثيرين من اليعاقبة غادروا بلاد النهرين الى أقطار فارس وتركستان وأقاموا فيها أبرشيات خاصة بهم.

والجدير بالذكر ان قائمة ادي شير الخاصة بالابرشيات التي كانت تتبع المفريانية المشرقية والتي أوردها في توطئة كتابه (تاريخ كلدو واثور الجزء الثاني) هي قائمة قد اختلطت فيها الابرشيات القديمة بالحديثة ليس الا.

- فمثلا ذكر انه في سنة ١١٨٩ م، وعندما نزل المفريان - غريغوريوس يعقوب الأول - عند طبيب امير سنجار وهو مسيحي اسمه برهان - لم يذكر اسم اسقف محلي في ذلك الوقت.
- وبين سنة ١٣١٧ - ١٣٤٥ م يذكر اسم سنجار مع اسم دير المعلق (كرسي اساقفة بعرباي).
- وفي القرن السادس عشر الميلادي وعندما الغي كرسي سنجار - بيت عرباي دير معلق - نسبت سنجار، الى طور عبدين[١].

٤ - اساقفة سنجار اليعاقبة (السريان الغربيون): وكما ذكرنا من قبل كان من بين هؤلاء.

- الأسقف جورجيس في سنة ٦٢٩ م. ويليه الأسقف ديوسقوروس في سنة ٦٧٧ م.
- وفي نحو سنة ٧٥٠ م كان الاسقف المفسر الياس.
- وفي سنة ٧٥٠ م كان الاسقف ايشوع بكر.
- وفي سنة ٧٥٨ م، كان الاسقف الياس•.
- وفي سنة ١٢٧٨ م توحدت اسقفية سنجار بأسقفية الدير المعلق (بالغرب من مدينة بلد) وكان مركز الاسقف في الدير المذكور[٢].

ج - من اخبار النصارى وآثارهم في سنجار: ومن ابناء سنجار أو الذين نسبوا اليها من النصارى او الذين تولوا الأمور الدينية فيها وكان لهم دور في شؤون وانتشار الديانة المسيحية من اساقفة ورجال دين

---

(١) I. Fiey. J. M. Les diocèses du Maphrianat- Syrien, (Extrait de la revue parole del'orient), vol V, No 2, 1974, P: 132- 337.

(٢) Fiey. J. M. Encore Abdulmasih de Singar, Revue, Le Muséon, (Louvain), LXXVII, 1964, P: 218- 222.

• الاسقف الياس: ذكره الدملوجي في مؤلفه (اليزيدية، ص٤٧٦) باسم الاسقف ايليا السنجاري.

وغيرهم فضلا عن الذين أوردنا أسماءهم أعلاه والذين سنورد أسماءهم في فصل الحياة العلمية نذكر:

١ - **جبرائيل السنجاري**: أفاد البحاثة الأب الدكتور فيي عن جبرائيل السنجاري، قال: «كان رئيس اطباء كسرى، نسطوري الأصل لكن حرم من قبل البطريرك سبر يشوع لتزوجه امرأة ثانية. وأفاد أيضاً ان الملك كسرى توسط له لدى البطريرك ليحله من هذا الحرم إلا ان طلبه رفض، وتجددت هذه الوساطة للمرة الثانية في سنة ٦٠٤ م حين كان البطريرك آنذاك في حالة التنازع، ولكنها رفضت ايضاً، عندئذ ارتد جبرائيل واعتنق المذهب المونوفيزيتي (اليعقوبي) وراح يعمل بشتى الطرق على الأضرار بأصحاب مذهبه السابق (النسطوري)، فمن ذلك انه حاول اغتصاب بعض الأديرة. ومن ذلك ايضا انه حصل من الملك كسرى على امر يمنع النساطرة من انتخاب بطريركا لهم من سنة ٦٠٩ م الى سنة ٦٢٨ م. ويذكر البحاثة فيي ان سبب مقام جبرائيل الرفيع لدى كسرى هو انه كان قد عالج له الملكة (المفضلة) شيرين التي كانت عاقرا فانجبت.

٢ - **القديس مارشوحا لماران**: ذكر ان هذا القديس قد ذاع صيته واشتهر في أوساط الكنيسة عندما اسندت اليه كرسي بلاد سنجار[١].

- ومن أخبار المسيحية في سنجار، نذكر قصة الولد اليهودي (أشير) الذي كان رفاقه الصبيان من الرعيان المسيحيين قد عمدوه أثناء قيامهم بأعمال الرعي في الحقول، والذي قتله أبوه انتقاما منه، وقيل ان جثته كانت قد نقلت الى مدينة صدد بالقرب من حمص وشيد له هناك هيكل تعرف آثاره حتى الآن باسم مار عبدا. وهذه

(١) توما اسقف المرج، كتاب الرؤساء، ص ٢٩٤.

القصة - التي زودنا باخبارها البحاثة الأب في - كانت قد ترجمت من السريانية الى العربية والى الأرمنية والجيورجية نحو سنة ٥٩٨ م[١].

- وبوجه عام فقد لوحظ من خلال الدراسة ان نصارى سنجار والجزيرة على الرغم من الحرية التي تمتعوا بها في ممارسة شعائرهم وطقوسهم الدينية، واشتراكهم في معظم مهام الحكم، وقيامهم بدور فعال في تطور الحياة المدنية والعلمية في تلك البقاع في ظل الدولة الاسلامية خلال عصورها المتتابعة، فان هؤلاء كانوا يتعرضون بين فترة وأخرى لمضايقات من جانب الحكام وموظفيهم ومن ورائهم الطوائف الاسلامية، لأسباب كانت تمليها الظروف السياسية التي كانت تعصف بمنطقة الجزيرة والعراق خاصة والشرق الاسلامي عامة، وخير شاهد على قولنا هذا هو ما أورده ابن العبري في تاريخه حين تحدث عن فتك المسلمين والأكراد ومعهم الملك الصالح اسماعيل بن بدر الدين لؤلؤ بالنصارى ساعة حصار المغول لمدينة الموصل. وان هؤلاء أجبروا على ترك ديارهم والاحتماء ببلاد أخرى كاربل مثلاً[٢].

٣ - **اليزيديون**: علمنا ان الصبغة الكردية هي التي غلبت على سكان سنجار النصارى منهم والمسلمين على السواء. ودام ذلك - كما أفادت المعلومات - الى ما بعد القرن الثامن الهجري - الرابع عشر الميلادي، الى أيام حملة تيمورلنك على بلاد العراق والجزيرة. هذه الحملة وما تسببت به من دمار وقتل الجأت الكثيرين من الناس الى الرحيل عن ديارهم، والهرب الى أماكن بعيدة وحصينة. وكانت بلاد

(١) **II. Fiey. J. M.** Encore Abdulmasih de Singar, **Revue,** Le Muséon- (louvain), LXXVII, 1964, P: 205- 223.

(٢) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص٢٨٣.

سنجار من بين تلك الأماكن فاتخذت ملجأ ومأوى. وكان أول من التجأ اليها - على ما ذكره الدملوجي - نحو من اربعمائة أسرة من يزيدية الشيخان في الموصل، ثم لحق بهم يزيديون كثيرون من ديار بكر وحوض دجلة وبدليس وأماكن أخرى[1]. وامتزج هؤلاء الوافدون بالسكان الأصليين (المسلمين والنصارى) واستطاعوا ان يؤثروا فيهم ويدخلوا الغالبية العظمى منهم في دينهم اليزيدي. اما كيف تمكن هؤلاء من فرض دينهم في تلك الناحية وسواها من النواحي، فيرجع ان السكان الأصليين لم يكونوا على درجة من القوة تمكنهم من الوقوف في وجههم ورد هجرتهم وان الضعيف متى يغلب على أمره ينقاد لمشيئة القوي ويجبر على أخذ عاداته وتقاليده وعقيدته بل ويندمج فيه اندماجاً كلياً في بعض الأحيان.

ومن الذين اعتنقوا المذهب اليزيدي وأخذوا بمبادئه في بلاد سنجار نذكر القبائل العربية التالية:

- قبيلة الشهوان: وكانت تغلب، وهي قبيلة عربية خالصة، قيل ان أفرادها نسوا دينهم، لكنهم ما زالوا يعرفون بالشهوان، وهم يعترفون بأصلهم وتربطهم روابط قبلية بالشهوان المسلمين. ولهذا فان المراجع تذكر ان بعض الشهوان هؤلاء يزيدية يتكلمون اللغة الكردية وبعضهم الآخر أو اكثرهم عرب مسلمون يتكلمون اللغة العربية.
- قبيلة الهبابات: وهي قبيلة عربية أيضاً من طي، وسكناها كان في جبل سنجار.
- قبيلة عمرا: ذكر انها من نسل الخليفة عمر بن الخطاب، كانت قد نزحت من الموصل الى سنجار وأقامت الى الشمال[2].

(١) الدملوجي، اليزيدية، ص٤٨٢.
(٢) الدملوجي، اليزيدية، ص ٢١٦ - ٢١٧.

ورغم تغلب العنصر اليزيدي على بلاد سنجار وتغلغله بين الديانتين النصرانية والاسلامية، فانه بقي للمسلمين في تلك الديار أثر من ذكر، ولكنه أثر ضئيل جداً. وهذه القلة من المسلمين يذكر انها حافظت على بقائها الى جانب اليزيدية ليس بقوة السيف وانما بانضوائها تحت لواء اليزيدية، ودخولها تحت حمايتها. وتمثلت تلك الأقلية بالعشائر الكردية المسلمة التالية:

- عشيرة الباباوات.
- عشيرة كلب علي.
- عشيرة عبد علي.
- بيت ناصو.
- عشيرة الهلالية.
- عشيرة الموسقورة.
- عشيرة الخاتونية•[1]. ولهذا قال الاستاذان طه باقر وفؤاد سفر في المرشد:

« .. وسكان سنجار خليط إلا ان الكثير منهم من اليزيدية[2] ».

ونظراً لما تمثله اليزيدية من دين ومعتقدات وعادات وتقاليد، وجب علينا ان نلم بمعرفة بعض جوانبها موجزين ذلك قدر الامكان.

---

(١) الدملوجي، اليزيدية، ص ٢٣٨ - ٢٤١.

(٢) طه باقر، المرشد، ٣: ٦٣ - وذكر نيبور الذي زار سنجار في النصف الثاني من القرن الثامن عشر الميلادي بان القسم الاكبر من سكان المدينة كان لزمنه من اليزيدية

- **Niebuhr. G,** Voyage en Arabie et en dautres pays circonvoisins, 2: 315.

ويقول كوينيه ان عدد سكان سنجار من اليزيديين كان قد بلغ في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي نحو من خمسمائة نسمة من مجموع السكان البالغ عددهم ستمائة نسمة.

Guinet, V, La Turquie d'Asie 1: 839,

• عشيرة الخاتونية، وديرتها في صحراء سنجار، اصبحت بسبب مجاورتها اليزيدية واختلاطها بها نصف كردية - يزيدية.

ولما كانت المصادر التي تحدثت عن اليزيدية كثيرة ومتنوعة، وجدنا من المفيد الرجوع الى كتاب (اليزيدية) لمؤلفه الدكتور صديق الدملوجي، لما حواه من توضيح لمختلف معالم هذه الديانة. بالإضافة الى مراجع أخرى سنشير اليها في حينه.

أ - **في أصل وتسمية اليزيدية:** لا يعلم عن أصل اليزيدية شيء ثابت، ولهذا اختلف الباحثون في وجه تسمية هذه الطائفة وأصلها، وتعيين الزمن الذي سميت فيه. وذهبوا في ذلك مذاهب شتى، أورد بعضاً منها الدملوجي في كتابه المسمى باسمها (اليزيدية) معللا إياها ومبدياً رأيه فيها[1]. ويستنتج مما توصل اليه، وما ذكره غيره من الباحثين، ان هذه الطائفة هي في الأصل من المجوس الزردشتيين. كانت قد ولدت في مدينة الشيخان (وهي مدينة مقدسة عند جميع اليزيديين)، من ابوين زرادشتيين، ثم اعتنقت الاسلام في زمن عدي بن مسافر• الذي اشتهر فيها. ولقد أخذ أصحابها الكثير من تعاليم الدين الاسلامي وتأثروا بذلك من عدة وجوه دينية وأخلاقية واجتماعية. تظهر بالمقارنة بينها وبين الزردشتية.

وبعد وفاة الشيخ عدي عام ٥٥٧ هـ/ ١١٦١ م، ظهر بين خلفائه في قيادة الطائفة بعض من أضلّها وأبعدها عن تعاليم الإسلام الصحيحة. كما

(١) الدملوجي، اليزيدية، ص ١٦١ وما بعدها.

• الشيخ عدي بن مسافر كان قد اشتهر بالزهد والورع وكثرة المجاهدة، فتسامع الناس به فقصدوه من الاطراف للاسترشاد. ثم انتقل الى جبال هكار (موطن الاكراد) فتبعه خلق كثير اتخذ منهم (المريدين) واحدث الطريقة العدوية التي كان قد حاربها فيما بعد بدر الدين لؤلؤ - صاحب الموصل وجوارها - واستطاع القضاء على زعمائها. ويقول الباحث سعيد الديوه جي - في حديثه عن اليزيدية - ان نسب الشيخ عدي يتصل بمروان بن الحكم وان والده كان زاهداً صالحا ومن سكان قرية (بيت فار) من اعمال بعلبك في سهل البقاع. تنقل في حياته وانقطع الى البراري وانجب عديا. ويضيف الديوه جي ان عديا هذا شب في رعاية امه حيث تولت تربيته وتنشئته على العلم والتقوى. فانقطع الى النصح والارشاد - وكان يدعى عدي الاعزب لأنه لم يفكر مطلقا في الزواج، واقتدى في مسكله آثار بعض المشايخ الأمويين وسار على طريقتهم.
(الديوه جي، اليزيدية، ص٥٢).

مزجت فيها أقوال شوهتها وأبعدتها عن مبادىء النصرانية واليهودية أيضاً مع تعظيم لعدي بن مسافر وغيره من ساداتها تعظيماً لا يليق بمخلوق. يضاف الى ذلك ما استنبطته قرائحهم من أوهام وخيالات، فعادت وظهرت فيها براعم الدين المجوسي، فارتدت الى ديانتها القديمة مع معتقدات توارثتها وكانت مزيجا من عبادات وتعاليم غير ثابتة.

أما لماذا سميت هذه الطائفة باليزيدية، فالشائع هو أنها نسبة إلى يزيد بن معاوية، ثاني خلفاء بني امية، حيث ان اصحابها يدعون انهم من نسله، رغم وجود بعض الآراء التي تنسبهم الى غيره.

فالدملوجي أفاد ان التسمي باليزيدية لا يستلزم الانتماء الى يزيد بن معاوية مطلقا، وانه ظهر خلال العصر الثاني والثالث للهجرة بيت عرف رجاله باليزيديين ولم يكن له صلة لا بيزيد ولا بالأمويين قاطبة. وأضاف ان دعوى اليزيدية انهم من نسل الأمويين غير صحيحة. الا ان الذي لا جدال فيه هو ان امراءهم وشيوخهم أمويون يرتقون الى مروان بن الحكم رابع خلفاء بني أمية[1].

أما بشأن تاريخ هذه التسمية فمن المرجح انه لم يكن لهذه الطائفة وجود ولا ذكر في التاريخ قبل القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي، حيث ظهر فيها الشيخ عدي كما أسلفنا من قبل.

وأما ما أتت عليه بعض المصادر من ذكر لاناس اطلق عليهم هذا الاسم قبل ذلك فان هؤلاء هم غير اليزيديين أو اليزيدية التي نحن بصددها، والتي تنتمي الى الشيخ عدي. ويفيد الدملوجي بهذا الخصوص فيقول انه من الخطأ أن نعتقد أن الشيخ عدياً هو الذي أطلق اسم اليزيدية على أصحابه، أو أنهم كانوا يحملونه قبل ظهوره، بل أُعطي لهم

(١) الدملوجي، اليزيدية، ص ١٦٣ - ١٦٤.

من قبل كتبة الاسلام في بداية القرن الثامن الهجري - الرابع عشر الميلادي -، أو قبل ذلك بقليل[1].

ب - **مواطن اليزيدية وتاريخها**: من أهم الديار التي استوطنها اليزيديون كانت منطقة سنجار والشيخان وطور عبدين وديار بكر ومسعود وبدليس وماردين وحلب والى أبعد من ذلك الى ما وراء حدود وان فبلاد القوقاس. وكانت منطقتا سنجار* والشيخان من أهم مواطنهم الرئيسية.

أما عن تاريخ هؤلاء فتفيد المصادر انهم تحملوا العناء الطويل بسبب تعصبهم لمعتقداتهم والمحافظة على تقاليدهم، حيث ناصبتهم الحكومات التي قدر لها ان تسيطر عليهم العداء السافر، ولقد بدأت وقائعهم التاريخية التي عانوا منها في منتصف القرن السابع الهجري - الثالث عشر الميلادي عندما أرسل اليهم امير الموصل - بدر الدين لؤلؤ - جيشا قتل الكثير منهم. وبلغ به الانتقام - على حد قول السيد العاني - الى نبش قبر الشيخ عدي من ضريحه واحراق عظامه[2].

وهذا العمل نفسه تكرر بعد قرنين من الزمن. عندما قام امراء عديدون بتحريض من بعض العلماء وعلى رأسهم حاكم جزيرة ابن عمر بمذبحة هائلة قتل فيها الآلاف منهم وهدم قبر الشيخ عدي من جديد. وتكررت المأساة نفسها، بل وبأشد في أواسط القرن الحادي عشر الهجري - السابع عشر الميلادي -، عندما أقدم والي (وان) العثماني

---

* نحن نعلم ان المجاري المائية كانت قد شقت مدينة سنجار الى الشقين. الاول ويقع فوق الجبل، والثاني ويقع في سفحه.، وقد اختصت الطائفة اليزيدية منذ نشأتها وحتى اليوم بسكنى الشق الاول، بينما اختصت الطوائف الأخرى الباقية بسكنى الشق الثاني.

(١) الدملوجي، اليزيدية، ص١٧٣.

(٢) العاني، موسوعة العراق الحديث، ٢: ١٠٠٤ - ١٠٠٥.

شمسي باشا على قتالهم والانتقام منهم وذلك بتأييد من السلطان محمد الرابع[١].

وفي مطلع القرن الثاني عشر الهجري - الثامن عشر الميلادي - وبالتحديد في سنة ١٧٠٨ م أعلن يزيديو جبل سنجار العصيان والتمرد على الدولة العثمانية. فقوبلوا بحملات متواصلة وعنيفة. قيل انها أهلكت مجموعات كبيرة منهم. وكانت الدولة في صراعها معهم ترمي الى ارغامهم على ترك دينهم ومعتقداتهم واعادتهم الى الدين الاسلامي أولاً[٢]. والقضاء على الاستمرار في عصيانهم وتمردهم والحيلولة دون قيامهم بأعمال اللصوصية ضد القوافل التجارية وقوافل المسلمين ثانياً[٣].

ج - عادات اليزيدية ومعتقداتهم بوجه عام: أفادت المعلومات التي تحدثت عن اليزيدية وأتباعها ان عادات هؤلاء ما هي إلا مزيج من النصرانية والإسلام والمجوس. وان اسماءهم هي اسلامية من أمثال ذلك نذكر: علي، خضر، عمر.. الخ. وانهم يعمدون الذكور ويختنونهم في وقت واحد ويتزوجون بنساء كثيرات. والمعروف عنهم انهم يمتنعون عن التلفظ بكلمة تجمع بين حرفي الشين والطاء. وكذلك فهم لا يتلفظون باسم الشيطان مطلقاً[٤]. ويمنع عندهم التنحنح وأكل القرع والخس والسمك ولحم الغزال والديكة. اما من حيث اللباس فهو لا يزال كما كان في الماضي يغلب عليه لبس العباءة البيضاء والطاقية السوداء، أو الحمراء أحياناً المصنوعة عادة من صوف الغنم. ويلاحظ ان اللون الأزرق مكروه لديهم وخاصة الكهنة منهم[٥].

---

(١) العاني، موسوعة العراق الحديث، ٢: ١٠٠٤ - ١٠٠٥.

(٢) مجلة التراث الشعبي، السنة السادسة، ١٩٧٥، العدد الخامس، ص ٥٦، مقال بعنوان (التقويم عند اليزيدية) بقلم صبري مراد نذير.

(٣) حملات السلاطين العثمانيين على سكان سنجار من اكراد ويزيديين، انظر ذلك في: Guinet, V, La Turquie d'Asie, 2: 842.

(٤) وذلك رهبة منه وتعظيماً له - ذكرت ذلك اكثر المراجع.

(٥) العاني، موسوعة العراق الحديث، ٢: ١٠٠٥.

ومن جهة المعتقد، فالشائع عنهم سهوا انهم عبدة الشيطان بصفته ممثلا لقوة الشر، على مبدأ المجوسية. اما قوة الخير فينسبونها الى الله تعالى. ويقول العاني بهذا الخصوص: «... انهم يقولون ان الله الذي لا حد لجوده ومحبته للخلائق لا يفعل بهم شراً لأنه صالح. اما الشيطان فهو منقاد الى عمل الشر. وعليه فالحكمة تقضي على من يريد السعادة ان يهمل عبادة الرب ويطلب ولاء الشيطان[1]».

هذا ويرمز اليزيدية الى معبودهم بطاووس ملك. وهو عبارة عن تمثال لديك مصنوع من نحاس أصفر، واقف على حامل يشبه الشمعدان. ومن عاداتهم الدينية، انهم يسجدون للشمس عند بزوغها تعبداً لها، ويضحون لها. وذكر ان لهم كتابين مقدسين هما: مصحف رش او الكتاب الأسود ومصحف الجلوة[2]. ومن معتقداتهم أيضاً انهم يؤمنون بتناسخ الأرواح وانهم يفرقونها بين صالحة وشريرة.

وفوق ذلك فلليزيدية شرائع وطقوس عديدة منها الصوم والصلاة والحج والزكاة وكلها تختلف في طريقة ادائها عندهم عما ذهب اليه الاسلام أو النصرانية او اليهودية[3]. كما ان لهم مقدسات عديدة - عدا الطاووس - كان ولا يزال يحتفظ بها رئيس الطائفة[4].

د - بعض خصائص يتميز بها يزيديو سنجار: ويزيديو سنجار يختلفون عن غيرهم من يزيديي المناطق الأخرى في بعض معتقداتهم وعاداتهم ومنها اعتقادهم برجال الاسلام ولا سيما بالسادة العلويين.

(١) العاني، موسوعة العراق الحديث، ٢: ١٠٠٥.

(٢) مصحف رش: يذكر ان مؤلفه هو الحاج محمد وهو كتاب قديم يبحث في امور الخليقة والكائنات وتاريخ الشيخ عدي، واحكام المعاملات كالزواج والزيارة.. الخ.
اما مصحف الجلوة فهو يبحث في الله سبحانه وتعالى وفي الازل وكان قد ألفه كبير شيوخهم لم يذكر بالاسم. «العاني، موسوعة العراق الحديث، ٢: ١٠٠٥».

(٣) لمزيد من التفاصيل انظر «العاني، موسوعة العراق الحديث، ٢: ١٠٠٦».

(٤) انظر تفاصيل هذه المقدسات في كتاب اليزيدية، الدملوجي، ص ١٤ - ١٥.

وسبب ذلك هو اندماج الكثير من المسلمين فيهم عند اول قدومهم الى سنجار وجبالها. ويظهر بعض هؤلاء المحبة والولاء للأئمة العلويين ويحترمونهم بصفتهم قرشيين. ولا يدخرون وسعا في تقديم المساعدة لهم والدفاع عنهم اذا لزم الأمر[١]. كما تجمعهم بالأمويين أواصر النسب حيث ظهر يزيد منهم. ويوضح الدملوجي ان اليزيدية كلهم على حد سواء، يكرهون النبي محمد بن عبد الله ﷺ لاعتقادهم به انه كثيرا ما حارب ديانتهم ووقف في وجه تقدمها. كما يكرهون علماء الاسلام الذين قاوموهم وأباحوا دماءهم[٢].

هذا وينقسم يزيديو سنجار الى قسمين هما: الخوركان والجوانا. وهذا الانقسام هو ليس من العقيدة والدين بشيء - كما يقولون - ويمكن التفريق بينهما بسهولة ولأول وهلة. حيث ان القسم الذي يسمى بالجوانا والذي ينتمي الى الشيخ شرف الدين هو ممن يرسلون شعورهم على أكتافهم شيبا وشبانا، ويلبسون القبعة الطويلة على الأغلب، ويترفعون عن تزويج فتياتهم من الخوركان إلا إذا أصبح الخوركاني جوانياً. وعشائر كل من القسمين كثيرة[٣]. واتضح أن أقوى العشائر اليزيدية في بلاد سنجار كانت:

- عشيرة الهبابات.
- عشيرة المهركان.
- عشيرة عمرا. ومن حيث لغة يزيدية سنجار فمن المفهوم انهم كانوا وما يزالون يتكلمون اللغة الكردية وهي لغتهم الدينية. وبعضهم

---

(١) ذكر عمر رضا كحالة في مؤلفه (معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، ٢: ٥٥٨) أن عشائر سنجارية جاءت في سنة ٦٢٠ هـ/١٢٢٣م تحت قيادة الأمير حسن بن يوسف المكزون السنجاري لانقاذ علويي جبل العلويين في سورية من مظالم الاكراد والاسماعيلية. واغلب الظن ان هذه العشائر كانت على المذهب اليزيدي من الفرع الذي يعتقد بالسادة العلويين ويدافع عنهم.

(٢) الدملوجي، اليزيدية، ص ١٨٩ - ١٩٠.

(٣) الدملوجي، اليزيدية، ص ٢٢٤ - ٢٣٣.

يتكلم اللغة العربية وأكثرهم أكراد، وبعضهم يرجعون الى أصل عربي[١].

وككل مذهب فان للمذهب اليزيدي أئمة وشيوخاً وقادة يتولون تدبير أمور الرعية والاهتام بمصالحها والسهر على حمايتها. ولقد انتشرت مراقد أئمتهم في معظم أنحاء سنجار. ويقصدها اليزيديون للزيارة والتبرك في مواسم خاصة ومحددة كل حسب عشيرته وأئمته. ومن بين هذه المراقد نذكر ما جاء منها في كتاب (اليزيدية) للدملوجي وما علمناه عنها من مراجع أخرى[٢].

- مرقد الشيخ شرف الدين في جبل سنجار - هذا المرقد يزار من قبل الخوركان والجوانا على السواء وبالآلاف من الناس ما بين ٢٠ - ٢١ من شهر تموز الشرقي من كل سنة ويحضر موسم الزيارة المسلمون أيضاً. وموضعه في غاية الروعة والجمال.
- مرقد الشيخ بركات، وموضعه في ناحية من نواحي سنجار تسمى قرية (تخمي عوج).
- مرقد الشيخ دقيق، وموضعه بين قريتي حمسكي وبارة من أطراف سنجار.
- مرقد الشيخ محمد رشان. وموضعه شمال قرية تبه في سنجار، علم ان فيه مقبرة يدفن فيها أموات عشيرة الهبابات والدلكان.
- مرقد الشيخ الرومي السنجاري. ويقع في غابة شمال جبل سنجار.
- مرقد الشيخ أسود. موضعه في وسط خرائب سنجار، ويعتقد به كل من اليزيدية والاسلام.

---

(١) الديوه جى، اليزيدية، ص ٢١٥.
(٢) انظر: الدملوجي، اليزيدية، ص ١٨٦ - ١٨٨.
- الديوه جي، اليزيدية، ص ٢١٥ وما بعدها.

- مرقد الست زينب (بنت علي بن ابي طالب سلام الله عليهما). ويقع في شرق سنجار على ربوة عالية، وتنتسب اليها الطائفة اليزيدية المعروفة بالبابوات، (وسيأتي الحديث عن هذا المرقد بالتفصيل في فصل الآثار).
- مرقد بيرزكر. وموضعه في سنجار وتقدسه جملة من عشيرة البابوات فيقال - كما ذكر الديوه جي - بأبوات بيرزكر وبابوات الست زينب[١].

والخلاصة من كل ما تقدم ان الزيدية هي أشبه بتكتل عشائري قديم جمعته عقائد دينية خاصة. وان هذه العقائد هي خليط - كما اسلفنا من قبل - من معتقدات اسلامية وأخرى قديمة. وهذا التكتل يتميز بوجه عام باحترامه لدينه وميله الى الولاء الاموي لاعتقادهم انهم من نسل يزيد بن معاوية.

هـ - من أخبار اليزيدية - (التقويم عند اليزيدية): اتخذ اليزيديون حسابات سنوية منها بدائية كاستعمال الظلال لمواقع ثابتة، او شروق الشمس وغروبها من خلال قمم وتسننات الجبال. كما استعملوا التقويم الشرقي اليولياني، وحساباً شمسياً آخر - وهو حساب خاص لا يشبه اياً من التقاويم المعروفة[٢] - والحساب القمري.

وكانت لليزيدية طريقة حسابية خاصة في معرفة عمر القمر في يوم معين من التقويم الشرقي اليولياني. وذكر انهم استفادوا من ظهور بعض

(١) الديوه جي، اليزيدية، ص ٢١٥.

(٢) هذا التقويم الشمسي الخاص يسمى (تقويم الفقراء). وهو تقويم يعمل به قسم من اليزيدية في مناطق سنجار وخاصة عشيرة الفقراء وعشائر اخرى مجاورة لهم اليوم. ويدعي الفقراء - اصحاب هذا التقويم - ان اباءهم واجدادهم تعلموه من الأولياء القدامى. (انظر تفاصيل هذا التقويم في مجلة التراث الشعبي، العدد الخامس، السنة السادسة ١٩٧٥ م، ص ٥٩ في مقال بعنوان التقويم عند اليزيدية بقلم: صبري مراد نذير).

النجوم في أوقات محددة من السنة لتحديد الزمن كالشعرى اليمانية التي تسمى عندهم (الفرغ).

وكانت وحدات قياس الزمن عندهم تتألف من:

اليوم: ويبدأ بغروب الشمس وينتهي بالغروب التالي للشمس وهو يتكون من أربع وعشرين ساعة.

الاسبوع: وهو سبعة أيام، يبدأ بيوم السبت، وينتهي يوم الراحة (يوم الجمعة) وأسماء الأيام لا تختلف عندهم عما عند مجاوريهم سواء باللغة العربية او الكردية.

الشهر: وأيامه كما في التقويم اليولياني.

السنة: السنة الشمسية هي نفسها المستعملة في التقويم اليولياني، اما القمرية ومدتها ثلاثمائة وأربعة وخمسون يوما فهي غير مستعملة عندهم. وكذلك القرن.

ومما يلفت النظر ان اليزيديين كانوا وما يزالون يؤرخون الحوادث والأعمار وغيرها بالنسبة الى حوادث تاريخية كان لها أثر بارز في حياتهم كظواهر فريدة. ففي تاريخهم الحديث مثلا أرّخوا بالنسبة الى سفر برلك - في الحرب العالمية الأولى -، وأرّخوا بالنسبة الى سنة ١٨٣١ م أو ما يعرف بسنة (ميري كورا)، وهو الأمير الراو ندوزي محمد كور باشا الذي هاجم ديارهم وأوقع بهم مذابح شنيعة[١].

٤ - الشبك•: والى جانب اليزيدية في سنجار، هناك جماعات قليلة من الأتراك تعرف باسم الشبك او الشاباك. وهؤلاء مختلطون مع عشائر

• الشبك: يطلق المسلمون على هؤلاء اسم (اعوج) لاعوجاجهم عن الطريق المستقيم (محمد امين زكي، خلاصة تاريخ الكرد وكردستان، ١: ٢٩).

(١) مجلة التراث الشعبي، العدد الخامس، السنة السادسة ١٩٧٥. ص ٥٧ - ٦٢.
مقال بعنوان: التقويم عند اليزيدية، بقلم: صبري مراد نذير.

الباجوان• والأكراد والتركمان والعرب ولسانهم خليط من الكردية والعربية والفارسية والتركية، والأخيرة غالبة على لسانهم. وفي رواية انهم جاءوا من ايران وان لهم أقارب وصلات هناك. والذي يثير الاستغراب ان هؤلاء لا يعرفون متى جاءوا ولا سبب مجيئهم الى الديار الموصلية وجوارها[1].

وللشبك صلة قرابة بجيرانهم اليزيديين، من حيث انهم يحضرون اجتماعاتهم ويزورون مزاراتهم. كما انهم يظهرون ولاءً خاصاً للإمام علي بن ابي طالب سلام الله عليه. وهم يدعونه (علي رش•)[2]. كما ان لهم عبادات ومواسم ومراسيم[3].

---

(١) محمد امين زكي، خلاصة تاريخ الكرد وكردستان، ١: ٢٩. هناك عدة احتمالات في عنصر الشبك وتاريخ نزولهم بارض العراق. فيقال انهم من العنصر التركي، نزحوا الى العراق في عهد السلطان السلجوقي طغرلبك في سنة ٤٤٧ هـ/١٠٥٥م. كما يقال انهم من عشائر القره قونيلو والاق قونيلو التركمانيين. او انهم من الاتراك الذين جاء بهم السلطان مراد الرابع العثماني في سنة ١٠٤٧ هـ/١٦٣٩ - ١٦٤٠م واسكنهم شمالي العراق. ويقال ايضا انهم أتراك جاوءا العراق بعقيدتهم الصفوية «احمد حامد الصراف، الشبك، ص ٩٠ - ٩١».

• الباجوان (باج وان) هم من اهل السنة والجماعة ولسانهم قريب جدا من لسان الشبك ويتظاهرون بالحب الزائد للامام علي المرتضى رضي الله عنه، مجاملة للشبك الساكنين معهم. (احمد حامد الصراف، الشبك، ص٩١ - ٩٢).

• علي رش: (بالكردية ره ش: اسود)، تسكن جماعات الشبك في القرى السنجارية التالية: ينكجه، خزنة، تلارة (الشبك، ص ٢٣٠، ملحق رقم ٢). كما انهم ينتشرون في اكثر من عشرين قرية في الجانب الشرقي من الموصل، وان عددهم قدر قبل سنة ١٩٥٤م بين عشرة آلاف وخمسة عشر الف نسمة (الشبك، ص ٩٠)، وان الاغلبية منهم تتعاطى العمل الزراعي.

(٢) احمد حامد الصراف، الشبك، ص ٢٣٠، ملحق رقم (٢).

(٣) احمد حامد الصراف، الشبك، ص ٩٧، ٩٨.

ثالثاً - التنزه واللهو والاعياد في سنجار: رأينا كيف اطنب المؤرخون والجغرافيون القدامى والحدّاث في وصف مدينة سنجار وتعداد محاسنها وجمال موقعها وطيب مناخها، وصفاء اديمها، وكثرة بساتينها وعذوبة مائها ووفرة ينابيعها وانهارها، واتساع سهولها وتنوع خيراتها. فكل ذلك كان قد ترك اثره في حياة سكانها من جهة، ولفت انظار الملوك والامراء والقادة المحليين منهم والاجانب الغزاة على مر تاريخها من جهة ثانية. فالملوك اتخذوها مصيفاً ومشتى. فاخلدوا فيها الى الراحة والسكينة. والعامة والخاصة من اهلها كانوا يقضون فراغ ايامهم في قصد منتزهاتها من حدائق وبساتين وسفوح جبال وضفاف انهر. خاصة في اوقات الربيع حين تزهو الارض ويطيب الهواء وتصبح الطبيعة فيها فرجة للناظرين. سيما وان اهلها كانوا - كما علمنا من سياق البحث - على غنى ويسر تجليا في اكثر الاحيان من خلال ما شيدوه من عمارات حسنة، وقصور مزخرفة وهياكل وقلاع الى غير ذلك مما اورده السبط ابن الجوزي، والقزويني والقرماني وامثالهم. وما نقله عنها الرحالة المسلمون والاجانب عبر زياراتهم لها. كما ان انتشار الاديرة ومراقد الائمة والشيوخ في تلك الربوع، والتي اختيرت لها المواقع الشهيرة المشرفة، والتي احيطت بالحدائق ذات الرياحين الغناء، كان من الاسباب التي دفعت بالسكان الى قصد تلك الاماكن للترويح عن النفس والتنزه من جهة وللزيارة والعبادة من جهة ثانية[1]. حتى ان تلك

---

(١) ذكر الدملوجي في بحثه عن اليزيدية، ص ١٨٦، ان مرقد الشيخ شرف الدين الكائن على جبل سنجار، كان في موقع هو غاية في الروعة والجمال حيث تحفه الاشجار الوارفة، وتجري حوله المياه الزاخرة، وان اليزيديين كثيرا ما كانوا يصنعون له (جماعية) يجتمع فيها الالآف منهم ومن المسلمين وذلك في يوم ٢٠ - ٢١ من شهر تموز الشرقي من كل سنة. تقام فيها الصلوات ثم احتفالات المرح واللهو من غناء ورقص وما شابه ذلك من عادات المواسم.

الاماكن نفسها ربما كانت في كثير من الاحيان ملجأ وملاذا للصالحين والزهاد والوعاظ واهل العلم يقصدهم العامة والخاصة للتفقه تارة ولحل ما اشكل عليهم من امور دينية ومدنية تارة اخرى، ولتلقي العلم والمعرفة احيانا.

ومن المعتقد ان كثرة الاديرة وانتشارها في سنجار وضواحيها، وما تحيط بها من اراض اختصت اكثرها بزراعة الكروم كان سبباً في ارتياد القوافل التجارية لجلب الخمور منها ومن ثم بيعها في مناطق اخرى. فصناعة الخمور وبيعها وما ينتج عن ذلك من ارباح تعود الى جيوب السناجرة من جهة، واعتياد الافراد على تناول تلك الخمور في مناسباتهم واحتفالاتهم - التي كثر الحديث عنها - لدليل اكيد على الطابع الخاص الذي تميزت به حياة السناجرة الاجتماعية والذي غلب عليه الميل الى اللهو والترف والرفاهية.

اما بالنسبة الى اعياد مدينة سنجار. فبالاضافة الى مواسم الزيارات والمناسبات التي كان يقوم بها اليزيديون الى مراقد الائمة واضرحة الاولياء وما يجري اثناءها من طقوس وعبادات وما يتبع ذلك من مظاهر الفرح والابتهاج - تماما كما هو عليه الحال عند الطوائف الاخرى - فقد كان للسناجرة على اختلاف مذاهبهم اعياد ومناسبات اخرى كثيرة.

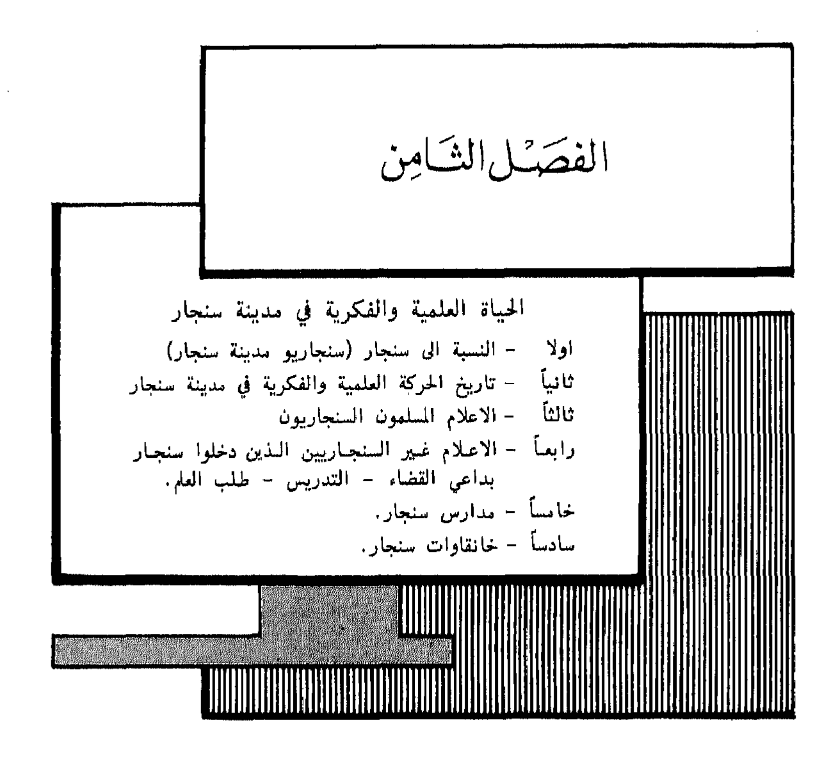
واذا استثنينا من تلك اعياد النصارى والمسلمين المعروفة لدينا. فإن اعياد اليزيدية تبقى هي الاكثر عدداً والاوضح تنوعاً. ولدى التعرف الى مراسيم تلك الاعياد. يتضح لنا ان اكثرها قد اخذ عن الاسلام والمسيحية مع تغييرات ادخلت لتتوافق وواقع المذهب اليزيدي.

فاليزيديون يقدسون يوم الجمعة، ويعيدون عيد الفطر وعيد الاضحى،

ويحتفلون بليلة القدر. وقد اقتبسوا عيد البيلندى وعيد خضر الياس من النصارى اسوة بالمسلمين[١].

---

(١) عيد البيلندى او البيرنده. هو بعرف اليزيدية عيد ولادة الملك (يزيد)، وهو مجوسي بجميع مظاهره. ففيه يخبز اليزيديون الخبز على شكل آلات الحراثة في التنانير ويوزعونه على الفقراء. وفيه يغدقون الطعام على ثيرانهم المخصصة للفلاحة. ويوقدون النار في منازلهم ونواديهم. والنصارى (اليعاقبة) يجرون على مثل هذه القاعدة في ولادة المسيح.
ومن اعياد اليزيدية في سنجار ايضا نذكر: عيد الاموات - عيد الجماعية. وذكر عنهم انهم يحيون ليلة القدر بدون صلاة. اذ يشترطون ان تكون الصلاة في هذه الليلة في مرقد الشيخ عدي.
الدملوجي، اليزيدية، ص ١٩١ - ١٩٧ ».



الفصل الثامن

الحياة العلمية والفكرية في مدينة سنجار

اولا - النسبة الى سنجار (سنجاريو مدينة سنجار)
ثانياً - تاريخ الحركة العلمية والفكرية في مدينة سنجار
ثالثاً - الاعلام المسلمون السنجاريون
رابعاً - الاعلام غير السنجاريين الذين دخلوا سنجار بداعي القضاء - التدريس - طلب العلم.
خامساً - مدارس سنجار.
سادساً - خانقاوات سنجار.

الحياة العلمية والفكرية في مدينة سنجار

اولا - النسبة الى سنجار (سنجاريو مدينة سنجار):

قبل البدء بالكلام على الحياة العلمية والفكرية ومؤسساتها واعلامها في مدينة سنجار عبر تاريخها، علينا ان نشير الى ان غالبية من يعرفون بنسبة السنجاري ينتسبون الى مدينة سنجار الواقعة في الجزيرة الفراتية - موضوع بحثنا - وهذا بعض ما ذكرته كتب الانساب عن هذه التسمية:

- السمعاني في الانساب قال: « .. السنجاري: هذه مدينة بالجزيرة يقال لها سنجار بكسر السين وسكون النون وفتح الجيم والراء... خرج من هذه البلدة جماعة من المحدثين قديماً وحديثاً... »[1] (وقد ذكر بعضهم).
- وابن الاثير في اللباب افاد: « ...السنجاري: هذه النسبة الى سنجار وهي من بلاد الجزيرة.. نسب اليها كثير من العلماء قديماً وحديثاً... »[2]، (وقد اتى على ذكر بعضهم).
- والسيوطي في لب اللباب اوضح فقال: « ... السنجاري: بالكسر والسكون وجيم الى سنجار مدينة بالجزيرة »[3].

---

(١) السمعاني، الانساب، ٧: ١٥٩ - ١٦٠.

(٢) ابن الأثير، اللباب في تهذيب الانساب، ١: ٥٦٨ - ويقول ياقوت في معجم البلدان: « ... سنجار مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة... خرج منها جماعة اهل العلم والأدب والشعر... »، ٣: ٢٦٢. ويقول في المشترك ان هذا الاسم تحمله ايضا قرية في نواحي مصر وهي من كور النستراوية (ص ٢٥٤).

(٣) السيوطي، لب اللباب، ص ١٤١.

وبعد، فإن نسبة السنجاري اوكل من يكنى بها هو منسوب الى سنجار التي هي في الجزيرة، وذلك لأن كتب الانساب والتراجم اكدت على ذلك والمحت الى ان السناجرة الذين اوردت اسماءهم من علماء وفقهاء ومحدثين وخطباء ورواة وما شابه ذلك كانوا في حركة تنقل دائم بين مدينة سنجار وسائر مدن العراق والشام ومصر، اما بداعي التدريس والخطابة والافتاء، واما بداعي التزود بالعلوم والمعارف الدينية منها والدنيوية، واما بداعي القضاء وتسلم المناصب في الدولة الاسلامية كالوزارة وغيرها[١]. ومن المرجح ايضاً أن نسبة السنجاري هذه كانت قد اطلقت على كل الذين كانوا قد عاشوا في مدينة سنجار سواء الاصليين منهم او الدخلاء المقيمين.

---

(١) السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ٨: ١٤٣.

ثانياً - تاريخ الحركة العلمية والفكرية في مدينة سنجار:

لكي تكون دراسة الحياة العلمية والفكرية في مدينة سنجار كاملة وواضحة، علينا ان نعود بالمدينة الى عصورها الميلادية الاولى. ومن ثم نتدرج الى ان ندرك عصورها الاسلامية المتلاحقة،ولو كان ذلك بإيجاز. فمن المعلوم ان الخلايا الاولى لدور العلم ومعاهده كانت تتمثل انذاك بالاديرة والكنائس، حيث انشئت في داخلها المدارس بعلومها وانظمتها وحيث احتشد بين جدرانها المئات من المتعلمين والمصنفين والشعراء. وان تواريخ الديور او الكنائس تبدو زاخرة باخبار هؤلاء، وحافلة باسماء العديد منهم. واذا كانت مدارس هذه المؤسسات الدينية قد اقتصرت في الاجيال المتقدمة على تعليم اللغة الآرامية• وآدابها، وعلى دراسة الكتب المقدسة وتفسيراتها، وسير اباء الكنيسة الاولين، ومدارج الحياة الرهبانية، فإنها سرعان ما توسعت آفاقها، في ايام الدولة الاسلامية وبخاصة الدولة العباسية ونهضتها، فتناولت مناهجها عدا اللغة الارامية، اللغة العربية واليونانية والفلسفة والتاريخ، والعلوم الرياضية والطب. ونبغ في هذه المجالات اعلام كبار لا تزال امهات الكتب تحتفظ بأسمائهم[1].

وسنجار كغيرها من مدن الجزيرة الفراتية، كانت قد غلبت على اهلها الديانة النصرانية الى ما بعد الفتح الاسلامي. ولهذا فقد شهدت هذه المدينة المزيد من بناء الاديرة والكنائس التي انتشرت في داخلها

• انتعشت اللغة الارامية من القرن الثاني الى القرن السابع الميلادي (الاول الهجري)، حيث تكلم بها العام والخاص وبلهجة واحدة من شواطىء الفرات ودجلة الاعلى الى شواطيها السفلى. ويقول ادى شير بهذا الصدد: «... ان آداب اللغة الارامية قد ازدهرت في الاجيال ٥ و ٦ و ٧ مسلادية. وكان مركزها اورهاي (الرها) ونصيبين والمدائن. وشيدت المدارس في المدن الأخرى. وفي اغلب الاديرة. وظهر علماء كثيرون كتبوا في كل فن. في الألهيات وتفسير الكتاب المقدس وامثال ذلك. «تاريخ كلدو واثور، ٢: ٢٦٩».

(١) الصائغ، تاريخ الموصل، ٣: ١٢٠ (حاشية) - لمزيد من المعرفة انظر: كتاب الرؤساء لمؤلفه توما اسقف المرج - كتاب الديوره (العفة) لصاحبه ايشوعد ناح.

واطرافها وقام بالامر فيها نخبة من الرهبان والاساقفة كنا قد نوهنا باسمائهم فيما سبق. هؤلاء مثلوا النواة الاولى للحياة العلمية في المدينة، وعلى ايديهم تعلم ابناؤها الاوائل وتثقفوا دينياً ودنيوياً، وبرز منهم فيما بعد اعلام في عدة مجالات.

ودخل الاسلام مدينة سنجار، وتكونت فيها جماعة اسلامية عاشت جنباً الى جنب مع الجماعات النصرانية. وطبق مسلمو سنجار مبادىء وتعاليم الدين الاسلامي ارشدهم في ذلك علماء منتدبون من القيادة الاسلامية في الجزيرة. ومن ثم اصبح جامع سنجار ومسجدها بحلقاته المتعددة بمثابة مدرسة دينية اسلامية، تخرج فيه الكثير من الرجال الذين كانوا قد اشتهروا في الافاق البعيدة. يثبت ذلك ما نراه من تراجم السناجرة الذين توفر لنا ذكرهم من خلال المصادر والمراجع، حيث نجد ان جلهم كانوا من العلماء والقضاة والفقهاء والمحدثين والقراء والحفاظ والخطباء والرواة والمشايخ والائمة والزهاد. ويؤكد قولنا هذا كل من الرحالة ابن جبير ونظيره ابن بطوطة اللذان زارا سنجار في زمنين مختلفين ومتباعدين حيث التقيا هناك بائمتها ومشايخها، وتحادثا معهم. وهاك ما ذكره الاول قال:

«... ويسكن في احدى الزوايا الجوفية من جامعها المكرم الشيخ ابو اليقظان ... احد الاولياء الذين نوّر الله بصائرهم بالايمان وجعلهم من الباقيات الصالحات في الزمان، الشهير المقامات، الموصوف بالكرامات، نضو التبتل والزهادة، ومن اخلقت جدته العبادة، قد اكتفى بنسيج يده ولا يدخر من قوت يومه لغده اسعدنا الله بلقائه...[1]».

(١) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص ٢١٨ - ٢١٩. كانت الزيارة في الربع الأخير من القرن السادس الهجري وبالتحديد في ربيع الأول من سنة ٥٨٠ هـ/١١٨٤م.

وافاد الثاني فقال « ... ومن لقيته بها (بسنجار) الشيخ الصالح العابد الزاهد عبد الله الكردي، احد المشايخ الكبار، صاحب كرامات...[1] ».

ولم تقتصر الحركة العلمية في سنجار - في العهود الاسلامية - على العلوم الدينية وانما تعدتها الى العلوم اللسانية ايضاً التي ازدهرت بفضل ما بذله من مساع وجهود حكام الدول المتعاقبة على المدينة واشرافها من عباسيين وحمدانيين وعقيليين واتابكة ومن اعقبهم. فظهرت فيها جماعات من رجال العلم والمعرفة، كانت اكثر وضوحاً في العهود العباسية المتأخرة وعلى الاخص في الزمن الاتابكي الزنكي والايوبي، ولما وصف به ملوك هذه الاسر من ميل الى العلم وشغف به واحترام لرجاله. فالمصادر اوضحت ان هؤلاء الملوك كانوا هم ورجالاتهم ينفقون الاموال الطائلة في سبيل ذلك، وانهم كانوا يقربون اليهم العالم والشاعر والفقيه ويعظمون منزلته، وربما كانوا يقطعونه اذا وجدوا فيه الخبرة والصلاح. هذا الاهتمام كان من اهم عوامل التنشيط للحركة الفكرية حيث كثرت مؤسساتها وتعددت معاهدها. ومن يطالع المصادر التي ارخت لهذه الفترة كالكامل لابن الاثير، والوفيات لابن خلكان، والروضتين لابي شامة وامثالهم يدرك مدى رغبة الملوك الاتابكة والايوبيين في اقامة المدارس والربط والبيمارستانات وكل ما له صلة بالعلم والتعليم والثقافة، وان انشاء هذه المؤسسات لم يكن حكرا على مدينة دون اخرى وانما شمل وعم كل مدن المملكة في ذلك الوقت.

لقد شارك هؤلاء الملوك انفسهم في اقامة مثل هذه الدول ونسبوها اليهم، وذكر ان أول ما كان يفعله الواحد منهم هو ان ينشيء مدرسة

(١) ابن بطوطة، رحلته، ١: ١٥٩ - كانت الزيارة في مطلع القرن الثامن الهجري، الرابع عشر الميلادي.

باسمه ويجهزها بالأوقاف والجرايات، ويعين من المدرسين والنظار والخدم وسواهم.

هذه الحركة التي واصلت تقدمها وازدهارها في الزمن الأتابكي ومن ثم الأيوبي، سرعان ما تعثرت وانحسرت وخمدت وتضاءل عدد روادها والمشتغلين بها وذلك في العهد المغولي والعهود التي تلته، لأن الذين بسطوا سلطانهم على المدينة في هذه العهود كانوا غرباء عنها من مغول ومماليك وتركمان واعاجم كان همهم الأول والأخير هو بسط النفوذ واكل الخيرات والاستفادة من الموقع. ورغم ذلك فان المصادر ما زالت تحمل بين طيات صفحاتها اسماء رجال أعلام كانوا قد ظهروا انذاك. وان هؤلاء بذلوا جهودا في سبيل احياء الحركة العلمية والأدبية ومواصلتها وانتعاشها. يشهد على ذلك ما تركوه من تصانيف ومؤلفات في شتى نواحي المعرفة مما سيتضح لنا من خلال ما سنورده من تراجم بعضهم..

ثالثاً - الاعلام المسلمون السنجاريون:

١ - الاعلام الدينيون* المرجح كونهم سنجاريين أصلاً ومنشأ: ومن بين هؤلاء نذكر:

-نصر بن علي بن عبد الملك السنجاري. ذكر انه من رواة الحديث. روى عن معمر بن محمد بن عبد الله بن ابي رافع. روى عنه ابو القاسم سليمان بن احمد بن ايوب الطبراني. قيل انه سمع منه بمدينة سنجار في سنة ثمان وسبعين ومائتين[١].

- عبيدة بن حسان بن عبد الرحمن العنبري السنجاري: قيل انه من رواة الحديث. قال فيه السمعاني في الأنساب عن ابي حاتم بن حيّان، قال: هو من اهل سنجار، روى عن الزهدي وعن يحي بن سعيد الأنصاري وقتادة. روى عنه خالد بن حيان الرقي وابن اخيه عمرو بن عبد الجبار بن حيان[٢].

- مروان بن محمد السنجاري: ذكر انه من رواة الحديث. روى عن مسلم بن خالد الزنجي. روى عنه أهل الجزيرة منهم: محمد بن عبد عيسى النصيبي الداري وغيره[٣].

- محمد بن جبير ابي بكر السنجاري: قيل انه من رواة الحديث[٤].

- ابو سعد ابراهيم بن عبد الرحمن بن عبد الله السنجاري المعروف بالمؤذن. ذكر انه كان قد سكن ميافارقين. وانه من رواة الحديث. روى عن جده محمد بن جبير ابي بكر السنجاري. روى عنه ابو العز

---

(١) السمعاني، الانساب، ٧: ١٦٠ - ابن الأثير، اللباب في تهذيب الانساب، ١: ٥٦٨.

• المقصود بالاعلام الدينيين هم المشايخ والأئمة والفقهاء والمحدثين والزهاد والقراء والحفاظ والرواة والخطباء (خطباء المساجد) - والمدرسين. وقد اعتمدنا على التسلسل الزمني في سرد اخبارهم. هذا ونلفت انتباه القارىء الى ان السبب في عدم ورود سنة الولادة او الوفاة لبعض هؤلاء الاعلام او لغيرهم ممن سيأتي ذكرهم فيما بعد ، او العصر الذي عاشوا فيه، يرجع الى اغفال المصادر لذلك.

(٢) (٣) - (٤) - - السمعاني، الانساب، ٧: ١٦٠ - ابن الأثير، اللباب في تهذيب الانساب، ١: ٥٦٨.

محمد بن علي بن محمد البستي. كانت وفاته في حدود سنة خمسمائة هجرية/١١٠٧م[١].

- ابو سعيد عمرو بن هاشم السنجاري ثم الجزري. قيل روى عن جماعة وروي عنه[٢].

- عبد العزيز بن هبة الله بن الخطيب السنجاري وولده محمد. ذكر ان الخطابة في سنجار كانت فيهما وذلك في أواخر القرن السادس الهجري[٣].

- الشيخ جمال الدين ابي عبد الله محمد بن عبد الباقي ابن الصفار السنجاري: قيل انه كان من القراء الجيدين[٤].

- فخر الدين ابو سعيد عبد العزيز بن عبد الله بن البهلوان السنجاري وولده زين الدين عبد الله وكانا من القراء والمحدثين[٥]. اشتهرا في النصف الثاني من القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي.

- ابو بكر بن ايوب بن يعقوب السنجاري: ذكر انه كان محدثا ومؤدباً. قال فيه صاحب الدرر: « .... كان نزيل دمشق، رجلا صالحا، سمع على ايوب البقاعي وابن ابي اليسر. كان يعرف بالخيوطي، يؤدب

---

(١) السمعاني، الانساب، ٧: ١٦٠ - ابن الأثير: اللباب ١: ٥٦٨.

(٢) السمعاني، الانساب، ٧: ١٦٠ - ذكره ابن الاثير في اللباب تحت، اسم ابو سعيد عمرو بن الحسين بن يعمر السنجاري (١: ٥٦٨).

(٣) ابن الفوطي، مجمع الاداب في معجم الالقاب، ج٤ ق٣، ص٢١٤.

• تاج الدين عبد القادر بن السنجاري. ذكره النعيمي في الدارس الا انه لم يشر الى الزمن الذي عاش فيه ولا الى سنة وفاته وجملة ما قاله عنه: وصل دمشق واقام فيها ودرس بمدارسها وخاصة المدرسة الزنجيلية (الزنجارية) التي انشأها عز الدين الزنجيلي والتي موضعها خارج باب توما (١: ٥٣٠).

(٤) ابن الفوطي، مجمع الاداب في معجم الألقاب، ج٤، ق٣، ص٢١٤.

(٥) ابن الفوطي، مجمع الاداب في معجم الألقاب، ج٤، ق٣، ص٢١٤.

الأطفال بالجامع، مات في شوال من سنة ٧٠٧ هـ[١].

- احمد بن محمد بن احمد البكري المعروف بابن الشريشي العباسي الشافعي، شيخ دار الحديث الأشرفية بدمشق. ومدرس الناصرية ترشح لقضاء القضاة بالشام، كان ذا هيبة وشكل، ولد بسنجار سنة ثلاث وخمسين وستمائة هجرية. قيل انه توفى بالكرك في سنة ٧١٨ هـ/١٣١٩ م[٢].

- محمد بن محمد بن احمد السنجاري الكاكي الحنفي الملقب بقوام الدين: ذكر انه كان فقيها اصوليا. قدم القاهرة واقام فيها مدة ثم انتقل الى ماردين وادّب ودرّس في جامعها الى حين وفاته في سنة ٧٤٩ هـ/١٣٤٨ م. ذكرت له مؤلفات وتصانيف عديدة منها: شرح الهداية المسمى بمعراج الدراية، وعيون المذهب في فروع الفقه الحنفي[٣].

- محمد بن ابي السنجاري (محيي الدين): كان مؤذنا بالمسجد النبوي، درس الفقه على مذهب الحنفية. وصف بأنه كان حسن الصوت في التأذين. كثير السعي في قضاء حاجات الناس، حسن الأخلاق، دين ورع، مات في حدود سنة ٧٥١ هـ/١٣٥٠ م[٤].

- محمد بن ابراهيم بن ابي بكر بن ابراهيم السنجاري: ثم الاسكندراني الشاذلي. قيل انه كان محدثا لبقا، مات بالاسكندرية في اوائل سنة ٧٥٩ هـ/١٣٥٨ م[٥].

---

(١) ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ١: ٤٧٢.
(٢) ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، ١: ١٢٠.
(٣) عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، ١١: ١٨٢.
- حاجي خليفة، كشف الظنون، ٢: ١١٨٧.
(٤) ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ٤: ٣١.
(٥) ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ٣: ٣٨٨ - ذكره الزركلي في الاعلام باسم محمد بن ابراهيم السنجاري وقال انه توفى في سنة ٧٤٩ هـ/١٣٤٨ م. «٣: ٢٠٧».

- الشيخ شجاع الدين ابي بكر السنجاري: امام ومحدث، كانت وفاته في سنة ٧٩٠ هـ/١٣٨٨ م[١].

٢ - الأعلام الدينيون المرجح كونهم سنجاريين بالاقامة:

- ابن الحكاك، ابو علي الحسن بن محمود الخجندي الأصل، الموصلي المولد، السنجاري المنشأ. قيل: تولى اشراف ديوان سنجار في أيام عماد الدين زنكي مودود (بن زنكي بن آق سنقر). كان شيخاً طريفاً، شيعي المذهب، فيه ادب قال الشعر، توفي في سنة أربع وستمائة هجرية/١٢٠٧ م عن ثلاث وثمانين سنة [٢].

- شرف الدين السنجاري، احمد بن عثمان بن عمر الجدلي المعروف بالسنجاري: مولده بالجدل في سنة ٦٢٥ هـ/١٢٢٨ م. لقب بشرف الدين. كان امام الجامع الأزهر بالقاهرة، تصدر للنحو في جامع الأقمر يقرىء الفية ابن معطي ويتغالى في معرفتها. قيل انه كان يقول الشعر وله اشعار جيدة[٣].

- ابراهيم بن ابي بكر بن ابراهيم بن ابي بكر بن اسماعيل بن محمد البرلسي•، ثم السنجاري. ذكر انه كان من المشتغلين بالعلم وغلب عليه الصلاح. كان صاحب كرامات وله خوارق. مات في حدود سنة ٧١٩ هـ/١٣٢٠ م[٤].

- حسن بن محمد بن سرسق الماريني السنجاري: كان يلقب ببدر الدين. قيل انه كان وجيهاً في قومه وعصره. وكانت له حرمة

---

(١) الدملوجي، اليزيدية، ص ٤٨١.
(٢) ابن الساعي الخازن، الجامع المختصر في عنوان التواريخ والسير، ٩: ٢٥٦ و ٢٥٧ و ٢٥٨.
(٣) الصفدي، الوافي بالوفيات، ٧: ١٧٩ - ١٨٠.
(٤) ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ١: ٣١.
• البرلسي: نسبة الى برلّس: بفتحتين وضم اللام وتشديدها، بليدة على شاطىء نيل مصر قرب البحر من جهة الاسكندرية. «ياقوت، معجم البلدان، ١: ٤٠٢»

وكرامات. مات في سنة ٧٧٥ هـ/١٣٧٣م بعد ان عمّر طويلاً[١].

– نجم الدين السنجاري النقيعي•: هو ابن سلامة بن شبيب النقيعي. حنفي المذهب. فقيه فاضل اديب. قيل انه صنف كتابا في الجدل واصاب فيه[٢]. ذكره ابن شداد باسم نجم الدين مسلم بن سلامة. وقال انه استدعي من سنجار الى حلب ليدرس بالمدرسة الشاذبختية•[٣]. كانت وفاته قبل الثمانمائة هجرية اي قبل سنة ١٣٩٨م[٤].

– محمد بن عبد القادر بن عمر، الملقب بالنجم السنجاري الشافعي. ذكر انه شيرازي الأصل، واسطي المولد، سنجاري المنشأ. يعرف بالسكاكيني. ولد ما بين سنة ٧٥٧ و ٧٦٠ هـ. قيل انه كان نزيل الحرمين، تبحّر في القراءات، وارتحل في طلب العلوم حتى غدا عالما فقيهاً اديباً. وصف انه كان متواضعا حريصاً على نفع الناس والطلبة، اخذ عنه الكثيرون[٥]. ترك النجم مؤلفات وتصانيف كثيرة وذكر منها: تكملة حرز الأماني للشاطبي، تخميس قصيدة البردة، تيسير الشدة، بلوغ المراد في تخميس قصيدة بانت سعاد[٦].

---

(١) ابن حجر العسقلاني، انباء الغمر بابناء العمر، ١: ٨٤ – ٨٥.

(٢) ابن قطلوبغا، تاج التراجم، ص ٧٧ – الدملوجي، اليزيدية، ص ٤٨١.

(٣) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج١، ق١، ص١١٣.

(٤) ابن قطلوبغا، تاج التراجم، ص٧٧.

• النقيعي: نسبة الى قرية النقيعية من قرى سنجار وقريبة منها. «الدملوجي اليزيدية، ص ٤٨١».

• المدرسة الشاذبختية: انشأها الأمير جمال الدين شاذ بخت الخادم الهندي الاتابكي، الذي اناب عن نور الدين محمود بن زنكي بحلب، «ابن شداد، الاعلاق، ج١، ق١، ص١١٣».

(٥) السخاوي، الضوء اللامع، ٨: ٦٧ – ٦٨.

– عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، ١٠: ١٨٢.

(٦) البغدادي (اسماعيل باشا)، ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، ص ٣٤٣.

– البغدادي، هدية العارفين، ٢: ١٨٩.

وكان الدملوجي قد اورد في كتابه المسمى «اليزيدية، ص ٤٨٠» اسمين لعلمين دينيين آخرين قال انهما ظهرا في سنجار واشتهرا وهما:

– ابو سعيد احمد بن عبد الجليل محمد، صاحب كتاب «الاختبارات واحكام الاشارات، في علم النجوم.

– ابو سعيد الاربلي، صاحب كتاب «الابانة في علم الحديث. كان قد توفي في سنة اربعين واربعمائة هجرية الموافقة لسنة ثمان واربعين والف ميلادية.

٣ - الأعـــلام النحويون واللغويون والشعراء والقضـــاة السنجاريون أصلاً وبالاقامة:

أ - النحويون واللغويون:

- علم الدين ابو البركات محمد بن عبد السلام.... بن الخطيب السنجاري: ذكر ان الخطابة بسنجار كانت في آبائه واجداده. درّس بالمدرسة العقيلية باربل. كان على صلة بالأمير مظفر الدين كوكبري (صاحب جزيرة ابن عمر) وله حظوة عنده، استعمله رسولاً الى أمراء النواحي والى دار الخلافة في بغداد، قيل أنه تولى في وقت من الأوقات منصـــب القضـــاء بملطيـــة. كـــان أديبـــاً شاعراً، توفي في سنـــة ٦١٩ هـ/١٢٢٢ م[١].

- محمود بن الحسين السنجاري: الملقب بركن الدين ابو القاسم: كان رجلا فاضلاً اديباً، خطيباً ومن آثاره: نشد المثل السائر وطي الفلك الدائر. توفي في حدود سنة ٦٥٠ هـ/١٢٥٢ م[٢].

- طاهر بن ابراهيم السنجاري: اكتفت المراجع بالقول انه صاحب كتاب الإيضاح لبنية الاصلاح في حفظ الصحة[٣].

- قوام الدين ابو بكر عبد الله بن ابراهيم بن محمد المعروف بالقنواتي السنجاري: كان اديبا ومحدثاً. ذكر ابن الفوطي فقال: «... حدثني عنه الشيخ جمال الدين ابو عبد الله محمد بن مكي الربعي السنجاري النحوي قال: هو اديب فاضل له شعر حسن، باق في سنجار

(١) ابن الفوطي، مجمع الاداب في معجم الالقاب، ج٤، ق١، ص٦٢٢ - ٦٢٣. هذا وكان ابن الفوطي قد ذكر شيئاً من شعره ومنه:

لـــا اغرت علـى ريحـــان عـارضـــه ... وكـــدت افنيه بين العـــض والقبـل
صـــاغ الحيـــاءُ عقوداً درّها عَرَقٌ ... لِوَرْدِ وَجْنَتِيــــهِ من شدةِ الخجـــل

(٢) عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، ١٢: ١٥٩.

(٣) الدملوجي، اليزيدية، ص ٤٨١.

وانشدني له شعراً[١] ». عاش في أواخر القرن السابع الهجري.

– الشيخ جمال الدين ابو عبد الله محمد بن مكي الربعي السنجاري النحوي[٢]. وهو من ابناء أواخر القرن السابع الهجري. قيل انه وزر للملك الصالح ابن الملك المنصور سلطان ماردين[٣].

– عز الدين القاسم بن عبد الكريم بن الخطيب السنجاري (توفي في اوائل القرن الثامن الهجري). قيل انه من بيت عرف بالعلم والخطابة والتدريس والتقدم بسنجار، وعز الدين هو واسطة قلادتهم فضلاً وادباً وعلماً. ذكره ابن الفوطي فقال: « ... هو حسن الأخلاق، كثير السخاء، دائم التحصيل والاشتغال[٤].

– الشيخ صفي الدين السنجاري: وصفته المصادر انه كان عالما فاضلاً، الا انه كان ضريراً. تنقل في البلاد واشتغل بالتدريس واقام بدمشق ودرّس بمدارسها ومنها المدرسة الشبلية البرانية[٥]. وكان من ابناء القرن السابع الهجري.

– محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن محمود السمرقندي: السنجاري الحنفي فقيه واديب ومدرّس، وذكر ان اصله من سمرقند. واختلف في مكان ولادته. فقيل بسمرقند او بسنجار. اقام بماردين يفتي ويدرس

---

(١) ابن الفوطي، مجمع الاداب في معجم الالقاب، ج ٤، ق ٤، ص٧٩٣. ومن شعره:

ولائم لامـــني في يوم بينهم   وقد بكيت دما من دمعي الجاري
قلت اعتبر بمصابي بعد بعدهم   ولا تلمني فرأيي رأي سنجاري.

(٢) ابن الفوطي، مجمع الاداب في معجم الالقاب، (نفس المصدر)، ج ٤، ق ٤، ص٧٩٣.
(٣) الدملوجي، اليزيدية، ص ٤٨١.
(٤) ابن الفوطي، مجمع الاداب في معجم الالقاب، ج ٤، ق ١، ص٢٧٨.
(٥) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج ٢، ق ١، ص٢٢٧. – والمدرسة الشبلية البرانية تعرف ايضا بالشبلية الحسامية نسبة الى بانيها الطواشي شبل الدولة الحسامي في سنة ٦٢٦ هـ/١٢٢٩م. وهي تقع خارج مدينة دمشق. «النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس، ١: ٥٣٢ ».

وتوفي بها سنة احدى وعشرين وسبعمائة هجرية. كانت ولادته في سنة خمس وسبعين وستمائة هـ. له تصانيف منها -: عمدة الطالب لمعرفة المذاهب، وله شعر جيد[١].

ب - الشعراء:

- الحسين بن احمد السنجاري، قال ابو الحسن الباخرزي في دمية القصر: انشدني له الشيخ ابو محمد قال: انشدني عز الدين المعالي بجزيرة ابن عمر هذه الابيات:

ولما بسطنا للوداع اكفنا وكلّ لما يلقاه قد ودّع الصبرا
وقفت على الاطلال ساعة ودعّوا اسائلها طورا واندبها اخرى
وقلت ولم املك سوابق عبرة على الخد تحكي بعد سيرهم القطرا
كفى حَزَناً للهائم الصب ان يرى منازل من يهوى معطلة قفرا[٢].

وكانت وفاة الحسين قبل وفاة الباخرزي اي قبل سنة ٤٦٧ هـ/١٠٧٥ م.

- سلامة بن الزّرار السنجاري. كان بعد سنة خمسمائة هجرية. كان قد غلب عليه الهجاء. قال يهجو بعض القضاة:

ضاق بحفظ العلوم ذرعا ضيقة كفيه بالايادي
قاض ولكن على المعالي والدين والعقل والسداد
يعدل في حكمه ولكن الى الرّشا او عن الرشاد[٣].

---

(١) حاجي خليفة، كشف الظنون، ٢: ١١٦٨.
- عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، ١٠: ١٥٥.
وذكره الزركلي في الاعلام تحت مادة السنجاري، «٧: ٦٥».
(٢) الباخرزي، دمية القصر وعصرة أهل العصر، ١: ٣٠٦.
(٣) العماد الاصفهاني، خريدة القصر وجريدة اهل العصر (قسم شعراء الشام) ٢: ٤٠٠.

- الخطيب ابو الحسن علي، خطيب سنجار، كان بعد الخمسمائة هجرية، قال فيه العماد الاصفهاني في الجزيرة: «.. ذكروا انه كان فاضلا رقيق الشعر رائعه» ثم اورد له بعضاً من ابياته:

كيف اخون والوفاء مذهبي ... ام كيف اسلو والوداد ديني
يا سادتي لا سلمت من الردى ... يمين من يمين في اليمين.

- الرئيس مجد الدين الفضل بن نصر السنجاري. كان قد عاصر العماد الاصفهاني (ت٥٩٧ هـ)[١]، او كان قبله بقليل. ذكره في الخريدة فقال: «... ذكر انه من اهل الفضل ولكنه قليل النظم. انشدت له اشعار رقيقة»[٢].

- الرئيس الياس بن علي المعروف بالصفار السنجاري. قال العماد في الجزيرة: «كانت الرياسة بسنجار لم تزل فيهم معمورة بمساعيهم، وسمعت ان هذا الياس ذو فضيلة وفضل ونباهة ونبل ومعرفة وفكاهة وظرف وله شعر يقطر ماء اللطف من رقته، ويزهو نور الحسن من حدقته. انشدني البهاء السنجاري له بدمشق شعراً استجدته. وذكر انه صنف كتاباً في سائر المعاني والاوصاف، واورد اشعار الناس في كل معنى. وضم اليها شعره فما انشدني له قوله:

يا للهوى ان قلبي في يدي رشأ ... مزنّر الخصر يسبي الخلق بالحدق
مستعرب من بني الاتراك ماتركت ... لحاظه في الهوى مني سوى رمق»[٣]

هذا ويرجح ان الياس بن علي قد عاش في عصر سابق على عصر العماد كما يتضح من النص الوارد اعلاه.

- ابو الفـــدا اسماعيـــل بن يرنقش السنجـــاري العمادي، مولى

---

(١) العماد الاصفهاني، خريدة القصر وجريدة اهل العصر (قسم شعراء الشام) ٢: ٣٩٩.
(٢) العماد الاصفهاني، خريدة القصر وجريدة اهل العصر (قسم شعراء الشام) ٢: ٤٠٠.
(٣) العماد الاصفهاني، خريدة القصر (قسم شعراء الشام)، ٢: ٤٠٤ - وذكر العماد ان والد الياس وهو علي الصفار السنجاري كان اديبا وشاعرا، له شعر ورسائل. «نفس المصدر».

عماد الدين زنكي بن مودود بن زنكي صاحب سنجار. قيل انه كان جندياً موصوفاً بحسن السيرة والكياسة والسخاء والادب والفضل. له نظم. فمن ذلك قوله وقد كتب بها الى الملك الاشرف بن العادل الايوبي يعزيه في اخ له مات كان اسمه يوسف قال:

دموع المعالي والمكارم ذرف   وربع العلى قاع لفقدك صفصف
غدا الجود والمعروف في اللحدثاويا   غداة ثوى في ذلك اللحد يوسف
فتى خطفت كف المنية روحه   وقد كان للارواح بالبيض* يخطف
سقته ليالي الدهر كأس حمامها   وكان بسقي الموت في الحرب يعرف

وذكر ان اسماعيل كان قد توفى شاباً في مدينة الموصل في سنة احدى وستمائة هجرية/١٢٠٥ م[١].

– الحسين بن علي السنجاري، المعروف بابن دبّابا، ويلقب بامين الدولة، ذكر انه كان مولعاً بحب بلده سنجار فوصفها وصفاً رائعاً. واشتهر بالهجاء وكان هجوه لاذعا[٢].

– ابو الحسن علي بن الحسين بن دبّابا السنجاري (ابن امين الدولة). كان يعرف بالفقيه شمس الدين. قيل انه تبادل نظم الشعر مع الشمس الدمشقي[٣]. وكان قد عاش في النصف الاول من القرن السابع الهجري.

– البهاء السنجاري: هو اشهر الشعراء السنجارة على الاطلاق. ذكره صاحب الوفيات فقال: «وهو ابو السعادات اسعد بن يحيى بن موسى بن منصور بن عبد العزيز بن وهب بن هبان بن سوار بن عبد الله بن رفيع بن ربيعة بن هبان السنجاري، الفقيه الشاعر المنعوت بالبهاء. غلب عليه الشعر واجاد فيه واشتهر به وخدم به الملوك واخذ

(١) ابن الساعي الخازن، الجامع المختصر في عنوان التواريخ والسير، ٩: ١٦٤ - ١٦٥.
(٢) ياقوت، معجم البلدان، ٣: ٢٦٢.
* البيض: ويقصد بها السيوف.
(٣) القفطي، المحمدون من الشعراء واشعارهم، ص ٣١٩.

جوائزهم. طاف البلاد ومدح الاكابر. وشعره كثير في ايدي الناس، لم اقف له على ديوان ولم ادر هل دوّن شعره ام لا. ويضيف ابن خلكان فيقول: وجدت له في كتب التربة الاشرفية بدمشق ديوانا في مجلد كبير ومن شعره من جملة قصيدة مدح بها القاضي كمال الدين الشهرزوري:

وهواك ما خطر السلو بباله ولانت اعلم في الغرام بحاله
ومتى وشى واش اليك بأنه سال هواك فذاك من عذاله
يا للعجائب من اسير دأبه يفدي الطليق بنفسه وبماله
بابي وامي نابل بلحاظه لا يتقى بالدرع حدّ نباله[1].

وذكره العماد في الخريدة واثنى عليه قائلا: «كان البهاء السنجاري من المتفقهة، له شعر لطيف. انشدني لنفسه بدمشق في مدح القاضي كمال الدين الشهرزوري (في سنة ٥٧٠ هـ) قال:

من منصفي من ظلوم لج في الغضب يظل يلعب والاشواق تلعب بي.
مستعرب من بني الاتراك ماتركت ايام جفوته في العمر من ارب
تناسب الحسن فيه غير مكتسب والحسن ماكان طبعا غير مكتسب[2].

وترجم له ياقوت في معجمه فقال: «... هو من أهل عصرنا، كان أولاً فقيهاً شافعياً. ثم غلب عليه الشعر فاشتهر به. وكان احد المجيدين المشهورين به. قدم عند الملوك، ناهز التسعين. وكان ثقة كيساً لطيفاً فيه مزاح وخفة روح، له اشعار جيدة[3]».

ورد اسم البهاء عند السبكي، في طبقات الشافعية فافاد فيه: «هو شاعر وفقيه، تفقه على ابي القاسم بن فضلان ببغداد، وابي القاسم المجير، وبالموصل على الحسين بن نصر وابي الرضى سعيد بن عبد الله[4]».

(١) ابن خلكان، وفيات الاعيان، ١: ٢١٤ - ٢١٥.
(٢) العماد الاصفهاني، خريدة القصر وجريدة اهل العصر. (قسم شعراء الشام)، ٢: ٤٠١.
(٣) ياقوت، معجم البلدان، ٣: ٢٦٢ - ٢٦٣.
(٤) السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ٨: ١٢٩ - ١٣٠.

وجاء في الكنى والالقاب للقمي: « ... ابو السعادات اسعد بن يحي بن موسى الفقيه الشافعي الشاعر، غلب عليه الشعر واشتهر به وطاف البلاد ومدح الاكابر[1] ». هذا وكانت ولادة البهاء في سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة هجرية/١١٣٩م. ومات في سنة اثنتين وعشرين وستمائة هـ/١٢٢٣م بمدينة سنجار[2].

- احمد بن ابراهيم بن أحمد السنجاري: ذكر انه كان من المتكلمين الجيدين له تصانيف ومؤلفات عديدة كان منها: القصيدة السنية في العقيدة السنيّة. مات بحدود سنة ٧٤٢ هـ/١٣٤١م[3].

ج - **القضاة**: والى جانب هذه القافلة من اللغويين والنحويين والشعراء فان مدينة سنجار كانت قد انجبت او شهدت مجموعة من مشاهير القضاة، ممن تصدروا مراكز عالية في الحكم والوزارة والادارة في المدينة نفسها او في سواها من مدن الدولة الاسلامية الواسعة وفي عهود مختلفة. ومن بين هؤلاء نذكر:

- عز الدين السنجاري، محمد بن ابي الكرم بن عبد الرحمن الحنفي السنجاري: ولد بسنجار وتنقل بينها وبين حلب ودمشق والموصل. ودرّس بمدارسها وناب الحكم فيها وعلى الأخص في مدينة دمشق قبل زمن قاضي القضاة الجمال المصري (٥٥٢ - ٦٢٣ هـ). واستمر العزفي التدريس والقضاء الى وفاته في سنة ست واربعين وستمائة هجرية/١٢٤٨م وكان ذلك في دمشق[4].

(١) القمي، الكنى والالقاب، ٢: ٩٨.

(٢) ابن خلكان، وفيات الاعيان، ١: ٢١٦ - يقول عمر رضا كحالة في حديثه عن البهاء ان مولده كان بمدينة اربل وان وفاته كانت بسنجار في حدود سنة ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م. « معجم المؤلفين: ٢: ٢٥٠ ».

(٣) عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، ١: ١٣٣.

(٤) ابو شامة، ذيل الروضتين، ص١٨٢.

- Sourdel, D, Les professeurs de Madrassa á Alep aux XII–XIIIèm dáprès Ibn Saddad, Boe. XII(1949).

– بدر الدين الزرزاري، يوسف بن الحسن بن علي ابو المحاسن: قيل انه كان رئيساً جليلاً ممدوحاً موصوفاً بالكرم والرياسة لا ينازع في ذلك. وان الأحوال تنقلت به فكان أول امره بسنجار والبلاد الشرقية في الجزيرة الفراتية. كانت له حظوة ووجاهة عند الملك الأشرف موسى بن العادل الأيوبي. قيل ان الأشرف ولاه القضاء في بعلبك ونواحيها، فكان القضاة هناك نوابه. وكان يكنى في كتاباته ورسائله بأبي العز، له مماليك وحاشية. كما كانت له ابهة الوزراء الكبار لهيبته وحسن زيه.

علمنا انه لعب دوراً في احداث سنجار في زمنه فحفظها من عبث الخوارزمية. كما استطاع جلب هؤلاء الى صف الملك الصالح نجم الدين ايوب ضد خصمه صاحب الموصل بدر الدين لؤلؤ[١]. نعته الذهبي في تاريخه بالوزير الكامل قاضي القضاة وقال انه مات في سنة ٦٦٣ هـ بمصر[٢].

وافاد ابن كثير في تاريخه في حوادث سنة ٦٦٣ هـ قال: قال ابو شامة: ان سيرة بدر الدين كانت معروفة في اخذ الرشا من قضاة الاطراف والمتحاكمين اليه، الا انه كان كريماً وجواداً صودر هو واهله[٣].

ونوه به ابن شداد وافاد ان القاضي بدر الدين اشتغل مدرساً في بعض اوقاته ودرّس في عدة مدارس في بلاد مختلفة وكان من بينها المدرسة

(١) اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ٢: ٣٣٢ – ٣٣٣.

(٢) الذهبي، دول الاسلام، ٢: ١٣٠ – الرويشيدي، امارة الموصل في عهد بدر الدين لؤلؤ، حاشية ص ١٣٦.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، ١٣، ٢٤٦ حوادث سنة ٦٦٣ هـ.

• الفوز السنجاري، لم تشر المصادر الى الاسم الكامل له واكتفى النعيمي في الدارس بالقول التالي: «... كان قد فوّض .قضاء القضاة بدمشق. وكان ينوب عنه ابن سني الدولة التفليسي». «٢: ٢٨٣».

الأمينية بدمشق[١].

– برهان الدين السنجاري الزرزاري، الخضر بن الحسن بن علي قاضي القضاة الوزير – اخو قاضي القضاة – بدر الدين السالف الذكر – ولد في سنة ست وعشرين وستمائة هجرية/١٢٢٩م، قيل انه ولي قضاء مصر ايام الملك الظاهر بيبرس. ذكره السبكي وقال: انه عمل عليه عند الظاهر حتى عزله وحبسه واهانه، وبقي معزولا فقيراً. كان قد ولّي الوزارة أيام الملك السعيد في مصر عندما خلف بهاء الدين بن حنا في سنة ٦٧٧هـ/١٢٧٩م[٢].

عرف عنه انه كان يحسن الى من يسيء اليه وكانت له مكانة ومروءة تامة. يقال انه مات مسموماً وذلك في سنة ست وثمانين وستمائة هجرية/١٢٨٧م[٣].

– تاج الدين السنجاري، ابو محمد عبد الله بن علي بن عمر السنجاري الحنفي المعروف بقاضي صور•. وصفته المصادر انه كان اماما عالما مفتيا بارعا في الفقه والعربية. قال فيه صاحب النجوم: «... افتى ودرس بدمشق ومصر عدة سنين، استوطن دمشق مدة أخذ بها من العلامة علاء الدين القونوي الحنفي. ثم قدم مصر فأخذ عن العلامة شمس الدين محمد الاصبهاني وغيره. وبرع في عدة فنون. اشتغل وصنف ومن تآليفه: الحاوي في الفتاوي، نظم كتاب (المختار في الفقه)، نظم السراجية في الفرائض وكتاب سلوان المطاع لابن ظفر. ناب في الحكم في القاهرة. ولي وكالة بيت المال بدمشق[٤]». نعته ابن حجر فقال: «...

---

(١) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، (تاريخ مدينة دمشق)، ج٢، ق١، ص٢٣١.
– والمدرسة الأمينية هي من بناء المعروف بربيع الاسلام (نفس المصدر).
(٢) السبكي، معيد النعم ومبيد النقم، مقدمة الكتاب (التعريف بالمؤلف واثاره، ص (ص. ق٢).
(٣) السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ٨، ١٤٣.
(٤) ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، ١٢: ١٦٢ – ١٦٣.
• صور: بليدة بين حصن كيفا وماردين من ديار بكر. (ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، ١٢: ١٦٢).

كان من محاسن الدنيا علماً وديناً وخيراً وكرماً[1]». كانت ولادته بسنجار في سنة ٧٢٢ هـ/١٣٢١ م ووفاته بدمشق في سنة ٨٠٠ هـ/١٣٩٨ م[2].

---

(١) ابن حجر العسقلاني، انباء الغمر بابناء العمر، ٣: ٤٠٥ - ٤٠٦.

(٢) عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، ٦: ٩٢ - الدملوجي، اليزيدية، ص ٤٨١، ذكره صاحب كتاب كشف الظنون، وقال: ان وفاته كانت في سنة ٧٩٩ هـ/١٣٩٧م. وذكر له كتاب (شروح على الفرائض السراجية المسماة بفرائض السجاوندي. وقال ان هذه التسمية للكتاب كانت نسبة الى الامام سراج الدين محمد بن محمود السجاوندي الحنفي. «حاجي خليفة، ٢: ١٢٤٩».

رابعاً - الأعلام غير السنجاريين الذين دخلوا سنجار بداعي: القضاء - التدريس - طلب العلم:

- القاسم بن الشهرزوري، ابو احمد القاسم بن المظفر بن علي بن القاسم الشهرزوري جد الشهرزوري قضاة الشام والجزيرة والموصل. وكلهم ينسبون اليه. حكم اربل مدةوسنجار مدة. كانت وفاته في سنة ٤٨٩ هـ/١٠٩٥ م بالموصل ودفن فيها[١].

- المظفر بن القاسم الشهرزوري، ولي قضاء سنجار في كبره. قيل: اضر قبل موته. وكانت وفاته في حدود سنة ٥٣٦ هـ/١١٤١ م[٢].

- العماد الأصفهاني، الشهير بالكاتب. قيل انه دخل سنجار في سنة ٥٦٥ هـ/١١٧٠ م وعمل فيها بخدمة الملك نور الدين محمود بن زنكي[٣].

- شرف الدين ابن ابي عصرون قاضي القضاة، ابو سعد عبد الله، التميمي، الحديثي ثم الموصلي، الفقيه الشافعي من أعيان الفقهاء والفضلاء. ذكر انه قدم سنجار وتولى قضاءها مرتين وتسلم قضاء نصيبين وحران وغيرها من ديار بكر[٤]. قيل ان الملك نور الدين محمود عزله عن القضاء لتعاطيه اخذ الرشاوى من الناس. ويستنتج مما اورده مخايل السرياني والرهاوي المجهول ان الملك العادل نور الدين بعد ان تبين له ان شرف الدين هذا كان قد غضّ الطرف عن هدم المستجدات من العمائر والكنائس في منطقة نصيبين لقاء مال تسلمه، وكان قد امر بذلك، ساء ظنه به وعزله[٥].

(١) ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٤: ٦٨.
(٢) ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٤: ٧٠ - السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ٧: ٣٠١.
(٣) العماد الاصفهاني، خريدة القصر، (قسم شعراء الشام)، ٢: ٣٩٩.
(٤) ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٣: ٥٣ - ٥٤. - ابو شامة، الروضتين، ١: ١٨٩.
- الذهبي، العبر في خبر من غبر، ٤: ٢٥٦ حوادث سنة ٥٨٥.
(٥) I- Michel Le Syrien, Chronique de... 3: 339- 340

ولد ابو سعد بالموصل في سنة ٤٩٢ - ٤٩٣ هـ/١٠٩٩ - ١١٠٠ م، وكان قد اضر قبل موته بعشر سنوات ودفن بإحدى مدارسه التي كان قد انشأها بدمشق وهي المدرسة العصرونية[١]. وكان قد انشأ مدارس عدة في اماكن مختلفة ومنها حلب. تفقه عليه جماعة كان من بينهم الفخر بن عساكر وامثاله[٢]. وكانت وفاته في سنة خمس وثمانين وخمسمائة هجرية/تسع وثمانين ومائة وألف ميلادية.

- محمد بن (بياض) الدمشقي. ولم تشر المصادر والمراجع الى اسم والده او عائلته. ولم يعثر له على ترجمة كاملة الا ما ذكره القفطي ومجمله: «... فقيه شافعي مناظر، اشتغل مدرساً بمدرسة بني يعقوب بسنجار. في اوائل القرن السابع الهجري، له شعر جيد. هجا القضاة الاكراد الذين استولى امرهم على الأحكام على أرض الجزيرة ومدنها[٣].

- ياقوت الحموي، وقيل الرومي، افادت المصادر انه وصل الى سنجار واقام بها بداعي العلم والتعلم والتفقه وكان ذلك في حدود سنة ٦١٦ هـ//١٢١٩ م[٤].

- ابو الفرج عبد القاهر بن نصر بن اسد بن عبسون. قال الزبيدي في تاج العروس: «تولى قضاء سنجار[٥]». ولم يذهب الى اكثر من ذلك ولم يحدد تاريخ توليته.

Anonymi, autoris chronicon..., P: 126.

(١) ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٣: ٥٥ - العماد الاصفهاني، خريدة القصر (قسم شعراء العراق)، حاشية ١: ١٢.

(٢) النعيمي، الدارس، ١: ٤٠٠.

(٣) القفطي، المحمدون من الشعراء واشعارهم، ص ٣١٩ - ٣٢٠ - ومن هجوه لهؤلاء القضاة هذه الأبيات التي اوردها القفطي ايضا:

يا طالبا حقا يروم خلاصه وخلاصه ميعاده الميعاد
لا تطلبن في ذي البلاد بأسرها حقا وكل قضاتها اكراد.

(٤) ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٦: ١٢٨.

(٥) الزبيدي، تاج العروس، ٤: ١٨٤.

– الشيخ عمر الملقب برشيد الدين الفرغاني•. اوضحت المصادر انه عمل مدرساً بسنجار قبل سنة ٦٣١ هـ/١٢٣٤ م. واضافت انه تضايق من صاحبها الملك الأشرف موسى الأيوبي فرحل عنها الى بغداد، ثم قبض عليه ومات في حدود سنة ٦٣١ هـ/١٢٣٤ م[١].

– احمد بن المبارك بن نوفل، الإمام تقي الدين ابو العباس النصيبي الخرفي•. ذكر انه كان اماما عالما فقيها. نحوياً مقرئاً يشغل الناس بالموصل وسنجار، ودرّس بها مذهب الامام الشافعي. ذكرت له مصنفات عديدة، وقيل انه مات في سنة أربع وستين وستمائة هجرية/الموافقة لسنة ست وستين ومائتين وألف ميلادية[٢].

---

(١) القزويني، اثار البلاد واخبار العباد، ص ٢٣٦ – ذكره محمد رضا الشبيبي في كتابه (مباحث عراقية في الجغرافية، ١: ١٧٠) فافاد فيه: «هو ابو حفص عمر بن ابي نصر الفرغاني. الفقيه الحنفي، الشيخ الصالح، قدم سنجار، واقام بها مدة، يقرىء عليه في جامعها الفقه والادب، توفي في سنة ٦٣٢ هـ/١٢٣٤ م.

(٢) السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ٨: ٢٩ – السيوطي، بغية الوعاة، ١: ٣٩٠.

• الفرغاني: نسبة الى فرغانة المتاخمة لبلاد الاتراك (القزويني، اثار البلاد، ص ٢٣٦).

• الخرفي: نسبة الى قرية خرفه من قرى نصيبين.

خامساً - مدارس سنجار:

من المعروف ان التعليم في العصور الاسلامية الاولى كان يجري في حلقات الجوامع والمساجد وفي دور الفقهاء والعلماء ومنازل المحدثين والقرّاء. وان ذلك كان يتناول بصورة عامة العلوم الدينية وبعض مبادىء القراءة والكتابة والمعارف الاخرى. وان الحال على هذا المنوال استمر الى ان كان عهد الوزير السلجوقي نظام الملك الطوسي - وزير السلطان ملكشاه - الذي ذكر عنه انه اول من انشأ مكانا منظماً للتعليم فيما عرف بالمدرسة. واعني بذلك المدارس النظامية ومنها نظامية بغداد التي انشأها في سنة ٤٥٩ هـ/١٠٦٧ م والتي زودها بالمدرسين المشاهير، واوقف عليها الاوقاف البدارة من مال وضياع وخانات للانفاق على المدرّسين والطلبة والخدم على السواء. ومنذ ذلك الوقت انتقل التعليم من الحلقة الى المدرسة، التي كان قد عمّ بناؤها سائر بلاد المشرق الاسلامي ومنها بلاد الجزيرة وسنجار، حيث كانت تلك النواحي مجال نفوذ السلاجقة واتابكيتهم. والاتابكة هؤلاء كانوا - كما قلنا في السابق - قد شجعوا ظاهرة انتشار المدارس وامور العلم والتعليم واهتموا بها واسهموا بجد في تطورها وازدهارها في اطار الصفة الدينية لمناهجها. فتوزعت مدارسهم كما كان عليه الوضع في الممالك المجاورة بين شافعية يقرأ فيها فقه الامام الشافعي. وحنفية تتلى فيها تعاليم ابي حنيفة. وحنبلية كانت لفقه الامام احمد بن حنبل. ومالكية يعطى فيها فقه الامام مالك بن انس.

وكان بعض من هذه المدارس يتناول تدريس مذهبين او اكثر. وكان ابن شداد قد افاد انه كان في مدينة سنجار لزمنه (ت٦٨٤ هـ/١٢٨٥ م) ست مدارس، وجميعها كانت من هذا القبيل دون ان يشير الى غيرها من مدارس الطوائف الاخرى غير السنية (اهل الجماعة). كالشيعة والعلويين والنصارى مثلا. واغلب الظن ان موقف

الايوبيين ومن قبلهم الزنكيين المعادي للشيعة كان يمنع هؤلاء من اقامة مؤسسات تعليمية خاصة بهم اللهم اذا استثنينا عهد بدر الدين لؤلؤ من ذلك.

لذا فإن مؤرخي تلك الحقبة الزمنية، وجلهم من السنة، لم يلحظوها في مؤلفاتهم. والمدارس الست التي كان قد اشار اليها ابن شداد، واكدها المستشرق الفرنسي البحاثة (Elisseeff) في كتاباته كانت كالتالي:

أ - مدرستان داخل سور المدينة وهما:

١ - مدرسة من انشاء السلطان الشهيد نور الدين محمود، كان يدرس فيها مذهب ابي حنيفة.

٢ - مدرسة من انشاء الشيخ صدر الدين المعروف بابن الشيخ - رئيس سنجار في زمنه وكبيرها وعينها - درس فيها مذهب الامام الشافعي.

ب - اربع مدارس خارج سور المدينة وهي:

١ - مدرسة من انشاء الامير مجاهد الدين قايماز عتيق (مولى) عماد الدين زنكي الاول، وكانت على مذهب ابي حنيفة•.

٢ - مدرسة من انشاء شمس الدين المعروف بابن الكافي (صاحب ديوان سنجار) كان يدرس فيها المذهبين الشافعي والحنفي.

٣ - مدرسة من انشاء ام قطب الدين محمد بن عماد الدين زنكي الاول. درس فيها المذهب الشافعي•.

• مجاهد الدين قايماز. ذكره ابو شامة فقال: «..الخادم الرومي، الحاكم على الموصل، بني الجامع المجاهدي والمدرسة والرباط والبيمارستان بظاهر الموصل على دجلة. ووقف عليها الأوقاف وكانت كثيرة، بحيث لم يدع في الموصل بيتا فقيرا الا أغنى أهله. كان ديِّناً صالحاً عادلاً كريماً...» ذيل الروضتين، ص ١٤».

• مدرسة ام قطب الدين. دفن فيها الملك الفائز ابراهيم ابن الملك العادل الأيوبي، (ابن شداد الاعلاق، ج٣ ق١، ص١٥٧) وقيل ان بدر الدين لؤلؤ أخرجه الى ظاهر المدينة عندما استولى عليها. ودفن عند تربة عز الدين زنكي (احمد بن ابراهيم الحنبلي، شفاء القلوب في مناقب بني أيوب، ص ٢٧٥).

٤ - مدرسة من انشاء عماد الدين زنكي، وهي على المذهب الحنفي[1] وهذه المدرسة قد اشار اليها ابن الاثير باسم المدرسة العمادية الحنفية، واضاف انه شرط ان يكون النظر فيها للحنفية من اولاده دون الشافعية وشرط ان يكون البواب والفراش على مذهب ابي حنيفة وشرط للفقهاء طبيخا يطبخ كل يوم..[2]

استمرت هذه المدارس تمارس التعليم قبل عصر ابن شداد وبعده. وان مدارس اخرى قامت الى جانبها وان اغفلت المصادر عن ذكرها في بعض الاحيان. وكان ابو الحسن جمال الدين بن يوسف القفطي المتوفى في سنة ٦٤٦ هـ/ ١٢٤٨ م قد اشار الى وجود مدرسة سابعة هي:

- مدرسة بني يعقوب. ذكر انها كانت عامرة في ايامه. وكان من بين مدرسيها محمد بن (بياض) الدمشقي في سنة ٦٣٢ هـ/١٢٣٥ م[3].

ويظهر ان الحياة العلمية والفكرية في بلاد سنجار اخذت تنحسر عنها بعد استقرار اليزيدية فيها (اي بعد القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي) لأن المصادر التي ارخت او كتبت لهذه الفترة، وان اطلعتنا على بعض اسماء لرجال تعاطوا العلم ومهنة التدريس والقضاء، فإنها لم تشر الى وجود اية مدارس او معاهد كانت قائمة في المدينة او انشئت فيها خلال ذلك. لهذا وجب الاعتقاد ان مدارس سنجار التي ازدهرت وأعطت في العهدين الاتابكي والايوبي وكانت مقصداً لعشرات بل ولمئات الطلاب والمدرسين، قد اهملت واصابها الخراب وربما اضحت

---

(١) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج ٣، ق ١، ص ١٥٧.

Elisséeff, Nur ad Din, PIFD, 1967, P: 934-935.

البحاثة المستشرق «Elisséeff» كان من البحاثين الأوائل الذين اعتنوا في الكشف عن مخلفات الأمم الغابرة خاصة في بلاد الشام والجزيرة فيا يتعلق بمجالات الحياة العلمية والأدبية والثقافية والعمرانية.

(٢) ابن الاثير، الكامل، ١٢: ١٣٢ حوادث سنة ٥٩٤ ه - التاريخ الباهر، ص١٩١.

(٣) القفطي، المحمدون من الشعراء وأشعارهم، ص ٣١٩.

في عالم الدوارس. وامست كغيرها من مدارس الاقطار المجاورة مربطاً للبهائم بعدما كانت معبداً للصائم والقائم، لأن المعروف عن اليزيدية انهم شعب بدائي زراعي لا يلتفت البتة الى امور الحياة الاخرى. وهذا ما اوضحه لنا كوينيه في حديثه عن سنجار في اواسط القرن التاسع عشر الميلادي حيث قال ما ترجمته التالية: «... وفي سنجار، كما في غيرها من الاماكن اليزيدية، لا توجد اية مدرسة، لأن اليزيديين لا يهتمون بالعلم، ولا نجد بينهم من يحسن القراءة والكتابة»(١).

---

(١) I, Guinet, V., La Turquie d'Asie, 2: 839-840.

سادسا - خانقاوات سنجار:

الى جانب المدارس، قامت في بلاد سنجار - كما في غيرها من الربوع الاسلاميـــة - مؤسسات تعليميـــة تثقيفيـــة دينيـــة عرفـــت بالخانقاوات. وهذه كانت قد سارت مع المدارس جنباً الى جنب وبتشجيع من الملوك والامراء واصحاب الامر. وعملت على هداية الناس وتربيتهم وتعليمهم. وازدهرت هذه المؤسسات واشتهرت في العهدين الاتابكي والايوبي. وذكر ان روادها اتصفوا بحسن الاخلاق والانضباط السلوكي الى جانب اشتهارهم بالورع والزهد والتقشف.

ان هذه الخانقاوات لم تكن حكرا على سكان سنجار، وانما كانت مقصداً للواردين الغرباء. وذكرت المصادر انه كان يولى على كل خانقاه شيخ (رئيس) ويوقف عليها الاوقاف للانفاق على من فيها. كما كان يخصص للمنقطعين فيها ارزاق وطعام في كل يوم[(١)].

ونظراً للتسهيلات التي كان يلقاها رواد هذه المؤسسات فقد كثر الاقبال عليها. وتخرج منها ومن سائر معاهد العلم والمعرفة طائفة من السناجرة ممن عرفوا بالمشايخ والقراء والمحدثين والزهاد والائمة وسواهم ممن اوردنا اسماءهم فيما مضى.

وابن شداد كان قد افاد بوجود ثلاث خانقاوات في زمنه (توفى سنة ٦٨٤ هـ/١٢٨٥ م) بمدينة سنجار وهذه الخانقاوات هي:[(٢)]

أ - واحدة داخل سور المدينة. قال انها من بناء نور الدين محمود بن زنكي.

---

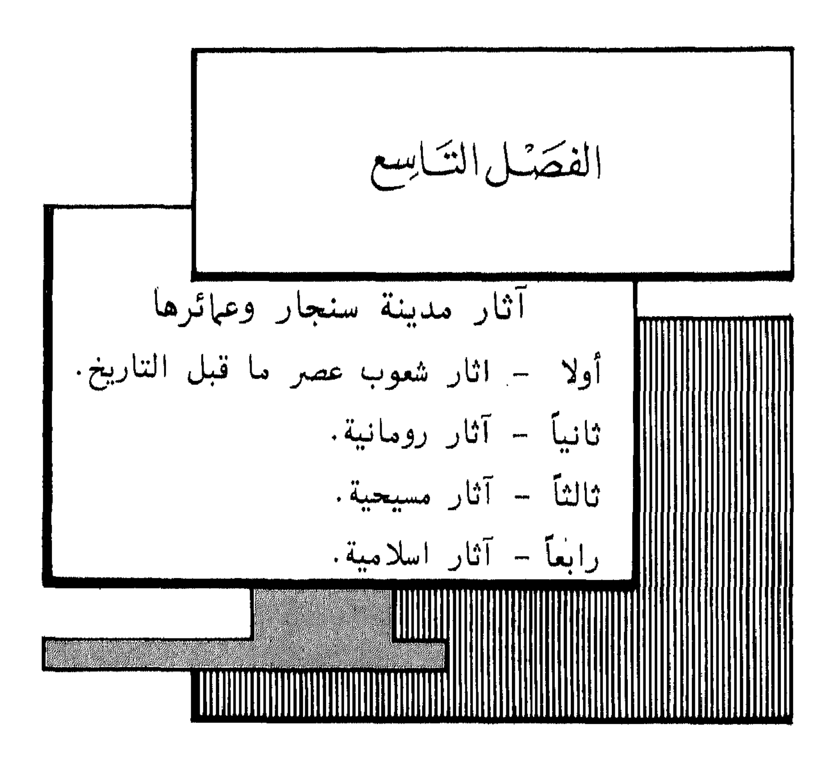
(١) المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج ٤، ص ٣٧٣.
ويضيف المقريزي فيقول: ان اول من أنشأ خانقاه في مصر كان السلطان صلاح الدين الأيوبي في سنة ٥٦٩ هـ/ ١١٧٤ م، عرفت بخانقاه سعيد السعداء، وولى عليها شيخا عرف بشيخ الشيوخ (نفس المصدر).

(٢) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج ٣، ق ١، ص ١٥٧.

ب - اثنتان خارج السور.

الاولى: من انشاء نور الدين محمود وكانت مرصدة للغرباء الواردين.

الثانية: من انشاء الوزير جمال الدين محمد الاصفهاني.



الفصل التاسع

آثار مدينة سنجار وعمائرها

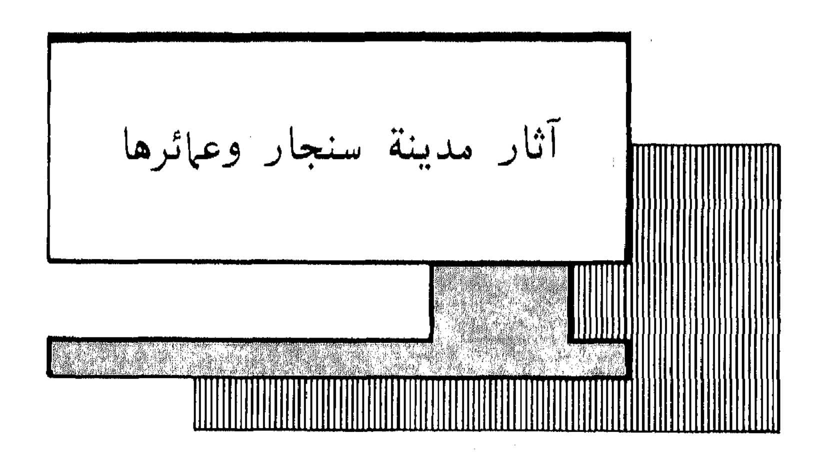
أولا - اثار شعوب عصر ما قبل التاريخ.

ثانياً - آثار رومانية.

ثالثاً - آثار مسيحية.

رابعاً - آثار اسلامية.




آثار مدينة سنجار وعمائرها

آثار مدينة سنجار وعمائرها

أظهرت التحريات الأثرية التي أجراها المنقبون الآثاريون في خرائب مدينة سنجار القديمة، وسنجار العصور الوسطى وجود العديد من الآثار العائدة الى الأمم والدول التي تعاقبت على حكم هذه المدينة، أو امتد نفوذها وسلطانها إليها.

وتسهيلا للبحث فقد وزعنا ما توفر لدينا معرفته من آثار - من خلال المصادر والمراجع - على الأدوار التاريخية التالية.

أولاً - آثار شعوب عصر ما قبل التاريخ:

١ - أدوات من حجر الصوان والحجر الاوبسيدي (البركاني) من العصور الحجرية[١].

٢ - أدوات فخارية منوعة وجدت في المنطقة بين سنجار وتلعفر[٢].

٣ - أدوات خزفية ونحاسية وحديدية عثر عليها الاثاري ستيفن لوئيد بين سنجار وتلعفر في المرتفع المسمى (كرى رش). وهذه هي عبارة عن أوعية خزفية وآلات نحاسية ونبال ومدى ذات حد وذات حدين. وأدوات زينة خالية من النقش. كما عثر في المنطقة نفسها في مرتفع آخر يسمى (تل خوشي) على بقايا ابنية وأدوات زينة منقوشة، ذكر منها اناء خزفي عليه حية دابة؛ اعتقد انه يرتقي الى منتصف الألف الثالث قبل الميلاد[٣].

---

(١) طه باقر وفؤاد سفر، المرشد الى مواطن الآثار، ص ٦٤.

(٢) 11-Behnam. Abu Soof, Sumer 1975, Vol XXXI, Nos I et 11, P: 21.

(٣) الصائغ، تاريخ الموصل، ٣: ٦٣ - ٦٤. مقال مستل من رسالة للاثاري ستيفن لوئيد، بعنوان: تنقيبات الحكومة العراقية في سنجار. نشر في مجلة العراق الاركئولوجية التي ينشرها المعهد البريطاني الاركئولوجي.

- Seton Eloyed. Iraq, Gouvernement Soundings in Sinjar, Iraq Vol VII, Part 1, Spring 1940.

٤ - تمثال من حجر البازلت - موجود حالياً في المتحف العراقي تحت رقم ٧٢٠٧٤ م ع. كانت قد أشارت اليه مجلة سومر وقالت فيه: « .. هو تمثال خشن الصنع، نقش بطريقة بدائية (لوح رقم ٢ - أ) يمثل شخصاً يبدو كأنه جالس، واضع يده اليمنى قرب فمه. واليسرى على صدره. له وجه مسطح يبرز فيه أنف طويل. جلب من منطقة سنجار من موضع مجهول. ومن الصعب تقدير زمنه. وأضافت المجلة فقالت: ان البعثة البريطانية في حفرياتها في المنطقة نفسها عثرت في سنة ١٩٦٤ م على تمثال مماثل لـه وهو من حجر أبيض خشن الصنع رقم (٢٣٣ - تل الرماح - ٦٩٥٦٠ م ع) وجد في الطبقة الثالثة المسماة طبقة نوزي (موقع أثري قرب كركوك). وعلى ذلك يعتقد - والقول للمجلة - بأن التمثال البازلتي الأول يعود الى تاريخ تلك الطبقة[1].

(١) مجلة سومر، سنة ١٩٦٧، مجلد ٢٣، ج ١ و ٢، ص ١٤١، مقال بعنوان: آثار متفرقة حازها المتحف العراقي في الآونة الأخيرة، بقلم فرج بصمجي.

ثانياً - آثار رومانية:

ان آثار العهد الروماني في مدينة سنجار لا تزال بادية للعيان اما ثابتة في مواضعها الأساسية. واما منقولة ومعروضة في باحات المتاحف ودور الآثار. ومن بين تلك الآثار:

١ - **راقم للمسافات**: كان قد وجد في ظاهر المدينة على نحو خمسة كيلومترات الى الجنوب الغربي منها. وهو مدون باللاتينية من عهد الامبراطور اسكندر سويروس (٢٢٢ - ٢٣٥ م) فيه ثبت بالمسافات على الطريق الروماني المؤدي الى المدينة، حيث اعتاد الرومان نصب أمثاله لتبيان المسافات بين المدن الرئيسية[١].

وتفيد مجلة سومر ان البحاثة الأب الدكتور جان موريس فيي كان قد قام بدراسة هذا الأثر وقرأ الكتابة التي عليه. فأثبت ان طريقاً يعود اليه هذا الراقم كان قد انشأه الامبراطور الروماني المذكور في سنة ٢٣٢ م وذلك بعد منحه لقب حامي الحقوق العامة للمرة الحادية عشرة، ولقب قنصل للمرة الثالثة.

وكما أسلفنا من قبل - في حديثنا عن طرق المواصلات - فالراقم هذا هو عبارة عن حجرة سمراء بشكل مخروط ناقص ارتفاعها ١٣٤ سم وقطر قاعدتها ٤٨ سم. وقد قامت مديرية الآثار العراقية القديمة بنقله الى متحف الموصل حيث لا يزال معروضا حتى الآن[٢].

٢ - **قلعة سنجار**: وسنجار - كما علمنا من قبل - كانت من المواقع الحربية الشهيرة التي اعتمدتها الدول القديمة ومنها دولة الرومان في صد هجمات أعدائهم والمحافظة على ما بأيديهم من بلاد. ولهذا

(١) طه باقر وفؤاد سفر، المرشد الى مواطن الآثار، الرحلة الثالثة، ص ٦٣.
(٢) مجلة سومر، سنة ١٩٥٢، مجلد ٨، ج ١ و ٢، ص ٣١٩ - ٣٢٠.
مقال بعنوان: اكتشاف حجرة مسافات بالقرب من سنجار.

وكعادتهم في كل موقع هام، فقد أقاموا التحصينات والأسوار والقلاع في هذه المدينة ومرتفعاتها. والقلعة التي نحن بصددها الآن ما زالت بقاياها ماثلة للعيان في خرائب المدينة. واذا كان الباحثون المهتمون بالآثار قد نسبوا هذه البقايا الى مخلفات العهد الروماني دون سواه، فان امر ذلك يعود ليس الى المصادر القديمة او المراجع الحديثة التي نسبتها الى زمن العقيليين او الزنكيين، ولا استنادا الى كتابات أو إشارات هي في الواقع خالية منها، وكان لا بد وان تظهر لتترجم تاريخها وتدل على بناتها، وانما يعود امر ذلك الى مبدأ المقارنة الذي اعتمده هؤلاء الباحثون في معرفة نسب الآثار. وعن هذا الطريق وجدوا ان هذه البقايا تشبه الى حد بعيد في طرز بنائها ما هو موجود الآن في ديار بكر (آمد) من تحصينات وقلاع رومانية ترجع الى ايام الامبراطور قسطنطين في حدود سنة ٣٣٠ م فنسبوها الى ذلك[١].

واما ما ذكره الجغرافيون والمؤرخون القدامى - ومنهم ابن شداد - من أن قلعة أو قلعتي سنجار هي من بقايا العهدين العقيلي والزنكي، فعليه نقول انه رغم الشهرة التي حازها رجال هذين العهدين في إقامة العمائر والمباني، فمن المعتقد ان تكون القلعة التي نسبت الى العقيليين هي عينها من بقايا العهد الروماني وان امراء بني عقيل كانوا قد رمموها او جددوها اسوة بغيرها من المنشآت الأخرى. واما تلك التي نسبت الى الزنكيين - وبالتحديد الى قطب الدين محمد بن عماد الدين في سنة ٦٠٦ هـ/ ١٢٠٩ م - على ما ذكره ابن شداد نقلا عن سكان المدينة[٢]. فمن المرجح ان يكون ذلك قد حصل بالفعل. لأنه قبل هذا التاريخ لم نقع في كتابات الأقدمين على ذكر لأكثر من قلعة

(١) طه باقر وفؤاد سفر، المرشد الى مواطن الآثار، الرحلة الثالثة، ص ٦٤.
(٢) ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج ٣، ق ١، ص ١٥٥.
- ياقوت، المشترك وضعا والمفترق صقعا، ص ٢٥٤.
- ابن العديم، زبدة الحلب، ٢: ٢٩٦ - ٢٩٧ حوادث سنة ٥٤٤ هـ.

واحدة لمدينة سنجار. حيث ذكرت بالاسم[١].

والقلعة الزنكية هذه كان قد أصابها مع جارتها العقيلية، الخراب والتدمير على أيدي التتر المغول عندما استولوا على المدينة[٢]. ويظهر انها اندثرت وأزيلت من الوجود بعد ذلك لتبقى الرومانية الأصل العقيلية التجديد لأنها الأكثر قوة ومتانة، بدليل ان المصادر التي أرّخت لفترة ما بعد الاحتلال المغولي لسنجار والجزيرة، لم تشر إلا إلى وجود قلعة واحدة فقط. وبالتأكيد القلعة الرومانية التي استمرت في البقاء تقاوم صروف الدهر رغم ما انتابها من هدم وخراب من قبل الأمم الغازية والدول المتصارعة في طول الجزيرة وعرضها.

هذه القلعة عاصرت المؤرخ الكبير أبا الفدا المتوفى في حدود سنة ٧٣٢ هـ/ ١٣٢١ م فذكرها في مؤلفاته فقال: «... وسنجار... ولها قلعة[٣]». وعاشت الى ايام ابي العباس احمد القلقشندي المتوفى في سنة ٨٢١ هـ/ ١٤١٨ م فأشار اليها «... ولها (لسنجار) قلعة..[٤]».

والجدير بالذكر انه كان لقلعة سنجار دور مهم في حفظ المدينة وأهلها من هجمات الغزاة والفاتحين والعابثين على مر الدهور. وهي التي اكسبت سنجار الى جانب طبيعة الموقع - قوة ومنعة مكنتها من الصمود والبقاء.

٣ - سور سنجار، أبوابها وأبراجها: ان ما ذكرناه سابقا من سعة

(١) ابن الأثير، الكامل، ١١: ٤٨٧ حوادث سنة ٥٧٨ هـ - التاريخ الباهر ص٩٥.

(٢) ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج ٣، ق ١، ص ١٥٥ - ١٥٦.

(٣) ابو الفدا، تقويم البلدان، ٢٨٣.

(٤) القلقشندي، صبح الأعشى، ٤: ٣٢٢ - ويبدو ان هذه القلعة دمرت بالكامل على أيدي العثمانيين خلال مطاردتهم للسناجرة من الأكراد واليزيديين الذين كانوا على خلاف معهم. ويتحدث كوينيه عن ذلك فيقول انه اقيم - على انقاض القلعة بناءان كانا قائمين في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي. وهذان البناءان هما: مقر الحكومة وثكنة الجيش. وأضاف كوينيه: «... وان حجارة القلعة استعملت في البناء.

«Guinet, V.., La Turquie d'Asie, 2: 839».

سنجار وأهميتها ومكانتها القديمة والوسيطة من النواحي الجغرافية والاقتصادية والعسكرية والسياسية اقتضى ان يكون لها سور حصين يحتمي به سكانها كبقية المدن المهمة. ولكون مثل هذا التحصين من الأمور المألوفة والطبيعية لحماية المدن في العصور القديمة والوسطى.

ولقد أشار الأستاذان طه باقر وفؤاد سفر الى سور سنجار في كتاباتهما قائلين: «... ومن أهم آثار العهد الروماني التي تبدو الآن للعيان في خرائب المدينة القديمة، السور المبني من الحجر المنهدم[١]».

ومن الطبيعي ان يكون قد أصاب هذا السور التجديد او الترميم من قبل ملوك وامراء الدول التي امتد سلطانها الى تلك البقعة من العالم. ولهذا فقد ورد ذكره في كتابات الرحالة الجغرافيين والمؤرخين القدامى على اختلاف أزمانهم. وهاك بعض ما أوردوه بهذا الخصوص:

- فابن حوقل، الذي عاش في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، في حديثه عن سنجار قال: «... وعليها سور من حجر يمنع عن أهلها تضافرهم[٢]».
- وابن الأثير، الذي امتد به العمر من منتصف القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي الى بداية الثلاثينات من القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، أشار الى هذا السور في كلامه على حصار السلطان السلجوقي طغرلبك لسنجار في سنة ٤٤٧ هـ/ ١٠٥٦ م. فقال: «.. وانتقم طغرلبك من أهالي سنجار وحاصر المدينة، فصعد أهلها الى السور، وسبوا واخرجوا جماجم من كانوا قتلوا (من جند السلاجقة) وقلانسهم[٣]».

---

(١) طه باقر وفؤاد سفر، المرشد الى مواطن الآثار، الرحلة الثالثة، ص٦٣
- السامر، الدولة الحمدانية، ١: ١٤٩.

(٢) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ١٩٩ - محمد الزبيدي، العراق في العصر البويهي، ص ٧٣.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ٩: ٦٣٠ حوادث سنة ٤٤٨ هـ. ويقول الذهبي في العبر: ان سور سنجار كان قد

- وكان ابن شداد قد انفرد عن غيره من المؤرخين او الجغرافيين ممن كتب عن سنجار وأسوارها، فقال: « ... وكان للمدينة قبل استيلاء التتر عليها سوران، احدهما أعلى من الآخر وكلاهما مبني من الحجر والجص وان أحد الأمراء العقيليين قد جدد بناء هذا السور، إلا ان التتر خربوه مع غيره من المنشآت[١] ».

ويظهر ان المسؤولين عن سنجار عملوا بعد هدوء العاصفة المغولية على إعادة بناء السور وتجديده. ولهذا ورد ذكره في مؤلفات أبي الفدا فأشار اليه بقوله: « ... وسنجار مسورة..[٢] ».

ومن المرجح ان يكون هذا السور قد تهدم بعد منتصف القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي. بدليل ان أبا العباس القلقشندي - الذي كثيرا ما تحدث عن سنجار - لم يشر اليه في حديثه عن المدينة. وإنما اكتفى بالإشارة الى القلعة فقط[٣].

والى جانب الكتّاب القدامى. هناك طائفة من الرحالة والباحثين الأجانب ممن زاروا سنجار واطّلعوا على مخلفاتها الأثرية. فتحدثوا عنها ووصفوها وأثنوا على بنائها وذكروهم بالاسم احيانا. ومن بين هؤلاء الذين أتوا على ذكر أسوار المدينة (Buckingham, M.J.)

- بكنغهام، جيمس، ويستنتج مما كتبه ان هذه الأسوار هي رومانية البناء والطراز وان الملك الفارسي شابور الثاني كان قد هدمها[٤].

= انهدم في سنة ٥١١ هـ/ ١١١٧ م، عندما غرقت سنجار نتيجة سيل جارف كان قد جر باب المدينة مسيرة مرحلة وطمه.. (٤: ٢٣). ومن المرجح ان يكون الملك نور الدين محمود بن زنكي هو الذي اعاد بناء هذا السور وتجديده. لأن أبا شامة كان قد أورد نصاً في كتابه المسمى (الروضتين) أشار فيه الى ان نور الدين كان قد أمر في سنة ٥٦٦ هـ/ ١١٧١ م بإعادة عمارة أسوار المدينة (١: ١٨٩).

(١) ابن شداد، الاعلاقة الخطيرة، ج ٣، ق ١، ص ١٥٥.

(٢) ابو الفدا، تقويم البلدان، ص ٢٨٣.

(٣) القلقشندي، صبح الاعشى، ٤: ٣٢٢.

(٤) بكنغهام، رحلتي الى العراق، ١: ١٦.

- لايارد، اوستن (Layard, A. H.) الح لايارد الى هذه الأسوار بعبارة (جدار قديم، او حائط قوي البنيان مثبت بخندق محفور بالصخر الصلب[١].
- ليسترانج، كي (Le Strange, Gy): ذكر ليسترانج من بين المعلومات التي جمعها من البلدانيين العرب، ان المستوفي كان قد وصف سور سنجار وحدد أبعاده، فكان دايرا طوله (محيطه) ٦٢٠٠ خطوة، وكانت مادته من الحجر الكلسي[٢].
- زاره وهرتسفيلد (Sarre – Herzfeld) اشارا الى هذا السور وأرجعاه الى الأيام الرومانية[٣].

أما من حيث الحديث عن أبواب المدينة وأبراجها ودور الامارة والعمائر المتبقية فيها والتي ذكرتها المصادر وأكدتها المراجع فنورد نقلا عن ابن شداد الذي نعتبره أكثر المؤرخين والمحدثين تعريفا لها وتركيزا عليها قوله انه كان للمدينة أربعة أبواب هي: ثلاثة منها تقع لجهة القبلة من المدينة (لجهة الجنوب). الأول ويسمى باب السماء. والثاني ويدعى بالباب العتيق. والثالث الباب الجديد. ومن هذا الباب يدخل الى ساحة كبيرة كانت تقوم فيها فيما مضى دور السلطنة – كما يلاحظ ذلك من خلال خرائب المدينة المتبقية –. أما الباب الرابع فهو في

---

(١) 111– Layard, Discoveries, P: 248– 249.
وذكر لايارد في سياق حديثه عن آثار سنجار وخصوصا السور الذي كان قد اعتبره أقدم عهداً من الإسلام، وأرجعه الى العهود الرومانية – وجود قنطرة مهدمة يجري تحتها جدول ماء. اعتقد انها من عمل الرومان ايضاً لأنهم اعتادوا بناء مثيلات لها في انحاء مختلفة من العالم.

(٢) IV– **Le Strange**, The Lands of the Eastern Caliphate, P: 98.
وجاء في الترجمة العربية لكتاب ليسترانج (بلدان الخلافة الشرقية، ص ١٢٨) وان داير هذا السور كان قد قدر بـ ٣٢٠٠٠ خطوة.

V– **Sarré– Herzfeld.** Archäeologishe. Reise in Euphrat un Tigris–Gebiet, I: 202.

(٣) يفيد السيد صادق الحسني في كتابه المسمى (الاثار والمتاحف في العراق، ص ٣٨) ان بقايا سور سنجار هي الآن على بعد ١٢٥ كلم من الموصل.

شمالي المدينة ويدعى باب الجبل نسبة الى الجبل الذي يطل على المدينة من شماليها[١].

وتحدث ابن شداد عن الابراج فذكر ان للمدينة برجا كان لا يزال قائما عشية استيلاء التتر عليها. وقال انه كان يعرف ببرج الخزانة وان بناءه يعود الى أحد الامراء العقيليين[٢]. الا أن المهتمين بالآثار قالوا انه من بقايا العمائر الرومانية في المدينة[٣]. ولهذا فمن المعتقد ان يكون العقيليون قد أعادوا تجديد بنائه اثر الخراب الذي كان قد لحقه من جراء الحروب والغزوات التي تعرضت لها سنجار في أيامهم.

٤ - النقود: للنقود اهمية كبرى في دراسة حياة الأمم والدول. فهي تميط اللثام عن خفايا كثيرة أهملتها غوامض النصوص ومبهماتها. فبالنقود اتضحت وما تزال تتضح أمور كثيرة فسرت التاريخ وأوضحت جملة من وقائعه المشهورة. وبها أيضاً تجلت ظواهر الدول من سياسية واقتصادية واجتماعية ودينية وعمرانية. فهي صفحة كاشفة عن اداراتها المتعاقبة. فمن خلالها نتعرف الى سيادتها واستقلالها ومدى امتداد نفوذها خارج حدودها، ومدى اتساع علاقاتها وتجاراتها. فهي تقوم بقسط وافر من المهمة التاريخية، وانها تعد في الواقع من أجل المصادر وأدقها لأنها كما نعلم من أهم شارات الدول وعنوان مجدها. وسنجار التي كانت قد تعاقبت على حكمها امم ودول شتى مستقلة حينا وغير مستقلة احيانا قد عرفت صناعة النقود، وانها كانت لفترات عديدة وطويلة دارا لضربها. وظهرت على تلك النقود صور وكتابات تمثل شارات تلك

(١) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج ٣، ق ١، ص ١٥٦. انظر صورة الباب الجنوبي المرفقة في نهاية البحث. (Fig. 4).

(٢) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج ٣ ق ١، ص ١٥٥. انظر صورة الأبراج المرفقة في نهاية البحث. (Fig. 5).

(٣) طه باقر وفؤاد سفر، المرشد الى مواطن الآثار، الرحلة الثالثة، ص٦٣. ويضيف الاستاذان فيقولان ان الدار العائدة حالياً الى أبناء اسماعيل آغا هي ايضا من مخلفات العهد الروماني (نفس المصدر).

الأمم والدول ورموزها.

وتفيد المراجع التي توفرت لدينا بهذا الخصوص، على ان مجموعة من هذه المسكوكات عثر عليها في منطقة سنجار، بل وفي خرائب المدينة نفسها حيث توجد نماذج منها في المتحف العراقي وفي بعض دور الاثار العامة في العراق وخارجه. ويرجع تاريخ البعض منها الى ما قبل الاسلام، الى العهود الرومانية، والبعض الاخر الى العصور الاسلامية ومن ثم الى العصور المغولية وسواها.

ويفيد المهتمون بالآثار من العرب والاجانب ممن زاروا المدينة انهم عثروا على بعض القطع النقدية التي تعود الى أيام الرومان وان بعضها كان يحمل اسم المدينة وألقابها والآخر يحمل صور الاباطرة أو شعارات ترمز إليهم(١).

---

(١) من المعروف ان بلاد سنجار أدخلت ضمن الممتلكات الرومانية، وان الرومان حكموها حكماً مباشراً زمناً طويلاً، وضربوا فيها النقود. ويشير الرحالة بكنغهام انه عثر على نقود تحمل اسم سنجار على انها مستعمرة رومانية. (رحلتي الى العراق، ١: ١٤).

- ويقول دانفيل في كتاباته. ان هناك نقودا عثر عليها تحمل اسم اورليا وسبتميا، وهذه الألفاظ هي ألقاب عرفت بها مدينة سنجار عندما أصبحت مستعمرة رومانية في أيام الامبراطور مرقس اورلس وذلك في نهاية القرن الثاني وبداية الثالث الميلادي.

D'Anville, L'Euphrat et le Tigre..., P: 50.

- ومن بين المسكوكات الرومانية التي تيسر لنا معرفتها من خلال مؤلفات الرحالة نذكر القطع التي عثر عليها الاثاري لايارد وهي التالية:

* قطع نقش عليها صورة الامبراطور جورديان (Gordian) مع الامبراطورة ترانكلينا (Tranquillina)
- قطع تمثل مدينة سنجار بصورة امرأة على رأسها تاج عليه حيوان القنطروس (سنتورس) (Ceintaures) وهي تجلس على تلة يجري تحت أقدامها نهر.

Layard, A. H., Discoveries..., P: 249.

- ذكر الرحالة زاره وهرتسفيلد انه عثر في منطقة سنجار على نقود ترجع الى العهد السلوقي ثم الروماني (ايام قسطنطينوس) وان بعضا منها نقش عليه رسم يمثل فرسا.

Sarré Herzfeld, Archäeologishe..., 1: 203.

- يؤكد الدملوجي في مؤلفاته على وجود مثل هذه المسكوكات الرومانية ويقول انه عثر عليها بكثرة في جهات سنجار والمدينة. و(اليزيدية، ص ٤٧٤).

ثالثا - آثار مسيحية:

قلنا ان النصرانية هي التي غلبت على سنجار وبعض ديار الجزيرة قبل الاسلام وبعده. وان مؤسسات هذه الديانة من كنائس وأديرة كانت قد انتشرت في تلك الربوع. لذا فإن مدينة سنجار القديمة لا تزال تحتضن بين جوانبها وعلى أطرافها بعضا من هذه المؤسسات التي كانت تتجدد باستمرار مع تقادم الزمن. كما تربض بين خرائبها انقاض مؤسسات اخرى وجميعها تعود الى الايام الاولى لانتشار المسيحية[١].

(١) كان الدملوجي قد أفاد بوجود دير في مدينة سنجار يقال له الدير الكبير (نوهنا به سابقا) لمنشئه مار آدي. وان هذا الدير كان يحتوي على مكتبة قديمة جدا مكتوب أكثرها على رق الغزال (اليزيدية، ص٤٨٠) لكن يظهر ان هذه الرواية مبنية على تقليد سكان المدينة المسيحيين الذين قالوا بوجود مكتبة ثمينة في مكان ما في الجبل يعرف بها قلة من اليزيديين.

رابعا - آثار اسلامية:

١ - المسجد الجامع - المئذنة: من الملاحظ ان المسلمين كانوا قد أقاموا في كل بقعة نزلوها ونشروا فيها مبادىء دينهم دورا للعبادة، يمارس فيها اتباعهم شعائرهم الدينية ويتلقون بين أرجائها تعاليم دينهم من جهة وبعض المعارف والعلوم اللسانية من جهة ثانية.

ولهذا فإن مدينة سنجار كانت قد شهدت اقامة مثل هذه الدور، وأعني بها المسجد والجامع وذلك منذ بدء دخول المسلمين إليها. ويؤكد هذا ما ذهبت إليه بعض المصادر والمراجع المختلفة.

- فالسبط ابن الجوزي اشار الى وجود جامع في المدينة وذلك في تأريخه لحوادث سنة ٤٤٩ هـ/ ١٠٥٧م فقال: «.... وعندما ثأر السلطان (طغرلبك) لهزيمة قتلمش من أهل سنجار احرق جامعها[١]»...

- وابن شداد لم يكتف بذكر مسجد واحد في المدينة وانما تجاوز ذلك فقال: «... وبها (بسنجار) المساجد الآهلة[٢]».

- والرحالة المسلمون القدامى اطنبوا في وصف جامع سنجار وتعداد فضائله فمن ذلك ما قاله ابن جبير: «... ويسكن في احدى الزوايا الجوفية من جامعها المكرم الشيخ ابو اليقظان الاسود الجسد الابيض الكبد أحد الاولياء[٣]»...

- ومما قاله ابن بطوطة: «... ومسجدها الجامع مشهور بالبركة، يذكر ان الدعاء به مستجاب[٤]»....

وزيادة في الايضاح فإن البحاثة لايارد (الذي زار المدينة في أوائل

---

(١) - سبط ابن الجوزي مرآة الزمان (الحوادث الخاصة بتاريخ السلاجقة) ص ٢٢.
(٢) - ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج ٣، ق ١، ص ١٥٦.
(٣) - ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص ٢١٨.
(٤) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ١: ١٥٩.

القرن التاسع عشر) كان قد أشار الى بقايا هذا الجامع عندما حط رحاله بالقرب من خرائب المدينة القديمة. فقال ما ترجمته التالية:

« ... وأمام مدخل احد الخيم (التي نصبت له ولرفاقه) توجد مئذنة مائلة قديمة وبقايا جامع واطلال اخرى من معالم عربية[١] ».

وليسترانج كان قد ذكر هذا الجامع حين تحدث عن معالم سنجار فقال: « ... وكان في وسطها مسجد جامع كبير[٢] ».

ويظهر ان بقايا الجامع قد اندثرت تماما مع بداية القرن العشرين حيث لم يشر إليها المرشدون والمهتمون بمواطن الآثار والحضارة المعاصرون وخصوصا العراقيون امثال طه باقر وفؤاد سفر وناصر النقشبندي وغيرهم ممن اتوا على ذكر ما تبقى من معالم المدينة القديمة الا الجامع والمئذنة. لذا يرجح ان يكون الاتساع العمراني لسنجار الحديثة قد امتد الى الخرائب - حيث بقايا سنجار القديمة - وأكل قسما منها.

ويظهر من كتابات القنصل نقولا سيوفي (١٨٢٩ - ١٩٠١ م) من ان المئذنة التي ورد ذكرها عند لايارد اعلاه هي من مخلفات العهد الاتابكي. وان بقاياها كانت لا تزال موجودة الى نهاية القرن التاسع عشر، وان السيوفي نفسه كان قد شاهدها وقرأ ما عليها من كتابة حيث قال: « ... على داير ما بقي من المئذنة ضمن خراب الربض (المدينة القديمة) التابع لنفس البلد (سنجار الحديثة) كتابات بالقلم العربي تقول: بسم الله الرحمن... العبد الفقير الى... الدين.... بن زنكي آق سنقر في شهر محرم سنة ثمان وتسعين وخمسمائة هجرية[٣] ».

(١) **Le Strange, Guy.** The Lands of the Eastern Caliphate, P: 98.
- **Canard,** Histoire de la Dynastie des Hamdanides.., 1: 107.

(٢) نقولا سيوفي، مجموع الكتابات المحررة في أبنية مدينة الموصل، ص ١٦٦. ومن خلال هذه الكتابات

(٣) - Layard, A. H., Discoveries..., P:248.

٢ - بقايا العمارة والزخارف والكتابات الرخامية: تدل بقايا العمارة والاضرحة التي لا تزال تشاهد في خرائب سنجار القديمة، أو تلك التي أودعت دور الاثار، على ان صناعة البناء في تلك الجهات كانت متقنة ومزدهرة. وان هذا الاتقان وذلك الازدهار ما كانا ليحصلا لولا وجود وفرة في مواد البناء من ناحية، ووجود بُنائين مهرة من ناحية ثانية. ومن خلال تلك البقايا، ومن بعض ما أفادتنا به المراجع نقول ان نواحي سنجار وأطرافها كانت غنية بمواد البناء (رخام، حلان، آجر، جص....) وان البنائين فيها - او في ما يجاورها - كانوا قد تفننوا في استعمالها فأتت عمائرهم على جانب من الحسن والروعة. ونظرا لكثرة وجود مقالع حجارة الحلان (الحجارة الكلسية السمراء) والرخام (المرمر بألوانه المختلفة) وما تميزت به هذه الحجارة من سهولة في قطعها ومطاوعة للحفر والزخرفة عليها فقد استغلت هناك - كما استغلت في معظم مدن الجزيرة الفراتية - في مختلف الاغراض البنائية، فصنعت منها الأعمدة والتيجان، والعقود المدببة والمقرنصات، والاقواس وقواعد الدعامات، ومجاري المياه. وبلطت بها أرضيات وعتبات الغرف والدور والدرج والحمامات، وصنعت منها التماثيل وشواهد القبور والمحاريب وسواها.

ومع ان المدينة كانت - كما سبق ان قلنا - من المواطن القديمة، وانها كانت تمثل في بعض ادوار تاريخها جزءاً من أراضي امبراطوريات عريقة في حضارتها - كالفارسية والرومانية - فقد تمثلت فيها عمائر تلك الأمم بكل نماذجها وفنونها. كما احتوت ايضا على نماذج من عمائر

= نستنتج ان الذي بنى هذه المئذنة كان الأتابك الملك المنصور قطب الدين محمد بن زنكي الذي ملك مدينة سنجار من سنة ٥٩٤ هـ الى سنة ٦١٦ هـ/ ١١٩٧ - ١٢١٩ م. ومن جهتنا فاننا نعتقد ان بناءها يرجع الى ما قبل هذا التاريخ بكثير اي الى زمن بناء الجامع؛ الى العهود الاسلامية الأولى، وان الملك قطب الدين قد جدد هذا البناء أو عمل على ترميمه. ثم أمر بنقش اسمه على داير واجهته.

العهود الاسلامية التي توالت عليها.

لهذا نقول ان عمائر سنجار لم تكن حكراً على عهد من العهود، لأن بنيانها استمر على الدوام رغم ما الم بها من نكبات وما عانته من محن. وان ما نشاهده الان من بقايا العمارة الاتابكية فيها - وهو الاكثر وضوحا - ما هو الا جانب من جوانب الحركة العمرانية التي واكبت تاريخ المدينة - ولعله الجانب الاهم والاوسع، وذلك لما بذله الملوك الاتابكيون من جهود في سبيل اعمار ممالكهم وشعوبهم وانعاشها ومنها مملكة سنجار التي استمرت في البقاء نيفا وتسعين سنة. واذا كانت بقايا السور والقلعة والقنطرة الشاخصة في خرائب المدينة القديمة قد أظهرت لنا ما انتجه الفكر الروماني في مجال العمارة من ابداع وتصوير، فإن ما ذهب إليه القزويني في وصفه للعمارة في سنجار يدل على صدق ما ذكرناه من وفرة لأحجار الارحاء والرخام والخلان وغيرها من جهة وعلى المدى الفني الذي بلغته العمارة في أيام حكم الاتابكة وأتباعهم بني أيوب من جهة أخرى. حتى قال عنها القزويني: «... ما رأيت أحسن من حماماتها، بيوتها واسعة جداً، وفرشها فصوص وكذلك تأزيرها.... وتحت كل أنبوبة حوض حجرية مثمنة في غاية الحسن. وفي سقوفها جامات ملونة الاحمر والاصفر والاخضر والابيض. فالقاعد في الحمام كأنه في بيت مدبج[1] »...

---

(١) القزويني، آثار البلاد واخبار العباد، ص ٣٩٣. وكان الرحالة زاره وهرتسفيلد قد أكدا صحة ما ذكره القزويني لرؤيتهما بقايا تلك الحمامات والأحواض والفسيفساء التي كانت تزينها.

«**Sarré - Herzfeld,** Archaeologishe..., 1: 204.»

ويستطرد القزويني في وصفه لعمائر سنجار لكنه يرجع في حديثه على عمائر الحمدانيين فيها. فيطلعنا على تراث عمراني رائع وعجيب كان يقع بين مدينتي سنجار ونصيبين الا وهو قصر العباس بن عمر الغنوي والي مصر في ذلك الوقت فيقول فيه: «.... كان قصرا عجيب العمارة، مطلاً على بساتين ومياه كثيرة من أطيب المواضع وأحسنها.. كان ينزل فيه بعد العباس الملوك لطيب مكانه وحسن عمارته..» (نفس المصدر والصفحة). ويستنتج مما ذكره ايضا ان الأمراء الحمدانيين كانوا يتخذونه مصيفا ومنزلاً ومنهم سيف الدولة حيث لا تزال بعض أشعاره منقوشة على بعض واجهاته. كما نزله=

ويظهر ان العمارة التي كانت عليها مدينة سنجار في العهود العباسية (الحمدانية والعقيلية والاتابكية والايوبية) والتي درست اثار معظمها قد تدهور وضعها في الأزمان اللاحقة فاقتصرت على التواضع والبساطة. وذلك بتأثير الشعوب التي غزت المنطقة وتحكمت فيها. وكلها شعوب غريبة عنها وبعيدة منها. كان همها الأول والأخير هو الاستغلال والنهب وافقار البلاد وجعلها عاجزة ومغلوبة على أمرها. من ذلك ما اشار إليه الرحالة بدج - الذي زار سنجار في أواخر القرن التاسع عشر (١٨٩٠ - ١٨٩١ م) واطلع على معالم المدينة القديمة المتمثلة بالخرائب، كما اطلع على معالم المدينة الحديثة التي كانت قد قامت على أنقاض القديمة وتوسعت في أطرافها - في احدى مقالاته حيث افاد: « ... وكانت البليدة تقع في ايامها الأولى على منحدرات التلال الكائنة على ضفتي مجرى مائي... لكنني وجدت ابان زيارتي لها ان البنايات الكائنة على هذه المنحدرات لا تعدو ان تكون خرائب تقريبا وكرت فيها البوم والغربان[1] »... ويستطرد بدج فيقول - وهو يتحدث عن

= الامراء العقيليون. هذا وكان صاحب الوفيات وصاحب فوات الوفيات قد ذكرا هذا القصر واتفقا في الرأي على ان صاحبه العباس بن عمرو الغنوي هو أحد قواد الخلافة العباسية. وان الخليفة المعتضد كان قد أرسله على رأس جيش لمقاتلة القرامطة لما اشتد أمرهم. وأضافا ان ابا سعيد القرمطي كان قد انتصر عليه وأسره مع أكثر جيشه بين البصرة والبحرين وقتل الكثيرين من عساكره. وبعد ذلك أطلق سراح العباس فجاء وحيداً الى دار الخلافة في سنة ٢٨٧ هـ/ ٩٠٠ م. كما أوردا ابياتا من الشعر قالا انها توجد على أحد جدران القصر وهي بخط سيف الدولة الحمداني - صاحب حلب. ومنها:

يا قصر عباس بن عمرو كيف فارقك ابن عمرك
واها لعزك بل لجودك بل لمجدك، بل لفخرك.

«ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٥: ٢٦١ - ٢٦٢ ».
« ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، ٣: ١٧٢ ».
« الدملوجي، اليزيدية، ص ٤٨٠ ».

(١) بدج، رحلات الى العراق، ٢: ١١٢ - ١١٣. وكان ليسترانج قد أشار الى بنيان سنجار بقوله: « ... وان أغلب بيوتها كانت مبنية بشكل درج على سفح جبل ».
Le Strange, Gy. The Lands of the Eastern Caliphate, P: 98.
- انظر تخطيط مدينة سنجارة القديمة، (**David Oates,** Plan of Singara, Fig. 3) المرفق في نهاية البحث.

سنجار القائمة في زمنه: « .... وتتعالى البيوت في سلاسل من المدرجات بعضها فوق بعض، وكلها رصينة البنيان، شيدت من صخر وكسيت بالكلس احيانا، وشكلها مستطيل ولها سطوح منبسطة، ولا نوافذ فيها، ولكل منها باب واحد[1] »...

وبعد ان عرفنا المصادر والمراجع - من خلال كتاباتها - بنشاط الحركة العمرانية التي كانت عليها سنجار القديمة، وسنجار العصور الوسطى، فإن ما تبقى من آثار العمائر وما تحتويه من كتابات ونقوش وزخارف تزيدنا الماما ومعرفة وتوضيحا لذلك. وهذا ما نلحظه في أغلبه في الصور الملتقطة لبعض هذه البقايا المحفوظة منها والدارسة.

ومن آثار الكتابات الحلانية والرخامية التي توفر لنا معرفتها - عدا تلك التي ظهرت في واجهات بعض الابنية ومداخلها نذكر كتابات مجموعة من شواهد القبور كان قد عثر عليها في المدينة ولا يزال المتحف العراقي يحتفظ بها الى الآن، وهي مندرجة تحت أرقام مختلفة. ومنها تلك التي أمدنا بها كتاب «نصوص في المتحف العراقي - نصوص عربية[2] ».

- الشاهد الأول: ويحمل الرقم ١٠٩٤٥، وهو من حجر الحلان، كتب عليه النص التالي: «توفا في خامس عشر... سبعة وعشرين وسبعمائة... له ما في السموات وما »....
- الشاهد الثاني: ويحمل الرقم ١٠٩٤٤، وهو من حجر الحلان أيضاً (محفوظ في مديرية الاثار العامة) دوّن عليه ما يلي: «١٠٠٠ -

(١) بدج، رحلات الى العراق، ٢: ١١٢ - ١١٣. وكان ليسترانج قد أشار الى بنيان سنجار بقوله: « ... وان أغلب بيوتها مبنية بشكل درج على سفح جبل ».

Le Strange, Gy. The Lands of the Eastern Caliphate, P: 98.

- انظر تخطيط مدينة سنجارة القديمة، (**David Oates,** Plan of Singara, Fig. 3) المرفق في

(٢) عيسى سلمان، أسامة النقشبندي، نجاة التوتونجي، نصوص في المتحف العراقي - نصوص عربية، مجلد ٨، ص٨٢ و٨٤ و٩٢ و٩٦.

ذي القعدة ٢ -.. سنة ستة وثلاثين. ٣ - وسبعمائة. ٤ -.. السماوات وما في....».

- الشاهد الثالث: ويحمل الرقم ١٠٩٢٤، وهو عبارة عن لوحة من حجر الحلان كانت قد نقلت من مقبرة الشيخ اسود الكندي في سنجار، دوّن عليها ..«هذا ما تطوع باشتغاله المؤيد المنصور (الاسف الدين) ناصر الاسلام... الانام شرف الملة (أمير) المؤمنين وها ما يستحق».

- الشاهد الرابع: ويحمل الرقم ١٠٩٦٠، نقل من سنجار وحفظ في مخازن مديرية الاثار. كتب عليه النص التالي (بخط الثلث): «.. بسم الله... من الرحيم هذا قبر علي ابن الشيخ فخر بن... وما في الارض من ذا الذي....» والشاهد غير مؤرخ ويرجح الباحثون انه يعود لبداية القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي.

٣ - المنارة: ذكر نقولا سيوفي وجود بقايا منارة في خرائب سنجار وان هذه البقايا هي عبارة عن الجزء الأسفل منها[1]. وهذا الجزء هو الذي لا يزال يشاهد في الخرائب الى الآن وقد افاد بذلك كل من الاستاذين طه باقر وفؤاد سفر. واوضحا ان المنارة هذه هي من مخلفات الاتابكيين وبالتحديد هي من عهد الاتابك قطب الدين محمد بن عماد الدين زنكي ٥٩٨ هـ/١٢٠١م إبان ملكه لمدينة سنجار ذلك استنادا الى الكتابة التي كانت في الماضي تزينها والتي لم يبق منها شيء في الوقت الحاضر. وذكر الاستاذان ان هذه المنارة كانت مشيدة بالاجر والجص بالاسلوب الذي شيدت فيه منارة الحدباء بالموصل[2]. والواقع ان تاريخ بناء هذه المنارة قد يرجع الى ما قبل الاتابكة بكثير وربما

---

(١) نقولا سيوفي، مجموع الكتابات المحررة في أبنية الموصل، ص ٨.
(٢) طه باقر وفؤاد سفر، المرشد الى مواطن الآثار، الرحلة الثالثة، ص ٦٣ - ٦٤.

الى ايام الدويلات العربية التي فرضت نفسها على الدولة العباسية في مناطق الجزيرة. واعني من تلك الدويلات دويلة بني عقيل (٣٨٠ - ٤٨٩ هـ / ٩٩٠ - ١٠٩٥ م). فمن المعروف ان عهد العقيليين كان عهد عمران وازدهار انتشرت فيه ظاهرة بناء المنارات في المناطق التي خضعت لسلطانهم. ولما كانت مدينة سنجار وبلادها من بين تلك المناطق فمن المرجح ان تكون منارتها هي من صنعهم. وان الهدم قد تطرق اليها فاعاد الاتابكة تجديد بنائها بالشكل الذي كانت عليه ونسبوها اليهم. ويؤكد ترجيحنا هذا ما ذهب اليه المعاضيدي من القول من ان منائر العهد العقيلي كانت تبنى بالجص والآجر، وان طرازها المعروف بالطراز الكنائسي او (البردكي) كان معمولاً به في جميع مناطق نفوذهم وان المنائر الموجودة في بلاد سنجار وتكريت وعانة هي من هذا الطراز نفسه(١).

٤ - المشاهد والمراقد: يلاحظ انه كانت قد كثرت في جهات سنجار اقامة مراقد الاولياء والأئمة على اختلاف مذاهبهم. وقد أشرنا من قبل الى بعض مراقد الأئمة اليزيدية، في مجال حديثنا عن المذهب اليزيدي في فصل الحياة الاجتماعية. اما المراقد والأضرحة التي كانت قد اقيمت في تلك الجهات قبل ظهور المذهب المذكور، والتي شارك في تكريمها وتعظيمها بعض عشائر اليزيدية فيما بعد، فهي تلك التي سنبحثها الآن، والتي نسبت في معظمها ولا تزال لآل البيت. فمن المعروف انه كثر بناء مثل هذه المشاهد والأبنية ونسبتها لآل البيت وشهدائهم احياء لذكراهم، وذلك عند سيطرة او وجود نفود للدويلات او الدول الشيعية المذهب كالفاطميين والبويهيين والحمدانيين والعقيليين. وان حكام

---

(١) المعاضيدي، دولة بني عقيل في الموصل، ص ١٩٥ - ١٩٦. وصف هذا الطراز بانه من الشكل المثمن الاضلاع. نقشت على جدرانه سلسلة من التماثيل والهياكل. كما وجدت على زواياه الخلايا المليئة بالألواح. ويتكون بناؤه من قسمين من العمارة. توجد في الأسفل أبراج ناتئة الى الخارج وهي مجوفة من الداخل على شكل هندسي مثلث الأضلاع. (نفس المصدر).

هذه الدول – الذين كانوا على المذهب الشيعي في الأصل، اولئك الذين اعتنقوا هذا المذهب لاغراض سياسية مصطبغة بصبغة مذهبية دينية (كبدر الدين لؤلؤ مثلا) – شجعوا هذه الظاهرة وتبنوها وقدموا لها بسخاء وحشروا لها امهر البنائين والصناع. لهذا كانت ابنيتهم آية في الروعة والمتانة. وانتشرت في كل بقعة امتد سلطانهم اليها. هذا وربما تكرر اسم المرقد او المشهد في اكثر من مكان واحد. ولما كانت بلاد سنجار قد دانت لسلطان هذه الدول السالفة الذكر فكان من الطبيعي ان تقام على أرضها مثل هذه المشاهد وتلك الأضرحة. ويعتبر ضريح السيدة زينب ابرزها وامثلها.

– ضريح الست زينب•:

أ – **موقعه:** يقوم هذا الضريح على ربوة عالية في مدخل المدينة. وينسب الى السيدة زينب بنت الإمام علي بن ابي طالب (سلام الله عليها)(١).

ب – **اوصافه ومحتويات بنائه:** استنادا الى المشاهدات والنصوص الحديثة نقول: ان هذا الضريح يتكون من فناء واسع. يدخل اليه من

---

(١) ذكر الهروي المتوفى في سنة ٦١١ هـ/ ١٢١٤ م عند وصوله الى سنجار ما يلي: «... وبها مشهد علي بن ابي طالب (رضي الله عنه) على الجبل». ولم يذكر انه مزار الست زينب. (الاشارات الى معرفة الزيارات، ص٦٦).

Sourdel, Guide des Lieux de Pélerinages, HL. Harawi, P: 147– 148.

– وكرر ابن شداد المتوفى في سنة ٦٨٤ هـ ما قاله الهروي: «... وبسنجار مشهد كان ملاصقا للسور يعرف بمشهد علي عليه السلام» الأعلاق الخطيرة، ج٣، ق١، ص١٥٥ .

• والسيدة زينب بنت علي، كانت قد ولدت قبل وفاة جدها النبي محمد ﷺ بخمس سنين وتزوجت – على ما ذكرته المصادر – من ابن عمها عبد الله بن جعفر، فولدت منه محمداً وعلياً وعباساً وام كلثوم. وصحبت أخاها الحسين في موقعة كربلاء. ثم أخذت مع السبايا الى دمشق وتوفيت في حدود سنة ٦٥ هـ. كان قد اختلف في مكان دفنها. فعمر رضا كحالة ذكر انها دفنت بقناطر السباع بمصر وان مسجدها هناك. (اعلام النساء في عالمي العرب والاسلام، ٢: ٩٩). اما الزركلي فقد نفى وجود ضريح للسيدة زينب في مصر وقال: «لم أر في كتب التاريخ ان السيدة زينب بنت علي (رضي الله

باب صغير. وهذا الفناء اتخذ بأكمله مقبرة. ينزل الى البناء من مدخل يقع الى اليمين بدرجتين تؤديان الى غرفة مربعة الشكل تقريباً، ابعادها - كما حددها المهتمون بالآثار - ٣,٤٠ × ٣,٦٢ م. والمسافة بين المدخل والغرفة هي عبارة عن ممر يبلغ طوله: ٤,٣٠ م × ٣,٣٠ م. على جانبيه غرف مربعة مداخلها من الرخام[١].

في جدار الغرفة المربعة الجنوبي محراب مصنوع من الحجر والجص - سيأتي الكلام عنه - وغطيت هذه الغرفة بقبة مظهرها الخارجي نصف كروية، تقوم فوقها قبة أخرى مخارية الشكل. يتوسط الجدارين الشرقي والغربي مدخلان شيدا من الحجر. يؤدي المدخل الذي الى يمين الداخل (المدخل الأيمن) الى غرفة صغيرة مربعة الشكل ابعادها: ٣,٤٠ م × ٣,٣٠ م وهي خالية من النقوش.

على عقادة الباب يوجد عبارة: «راجي رحمة ربه المعروف بالرشيد[٢] ». اما المدخل الذي يوجد الى يسار الداخل (المدخل الأيسر) فيعلوه عقد مزخرف بنقوش نباتية محفورة في الحجر، وهو يؤدي الى غرفة الضريح. وهذه الغرفة هي مستطيلة الشكل ابعادها: ٥,٤٠ م× ٣,٧٣ م. في وسطها القبر المشيد من الحجر والجص. ويوجد على بعض

= عنها) جاءت الى مصر في الحياة أو بعد المات. (الاعلام، ٣: ١٠٨).

- يقع الضريح في مكان على جانب كبير من الجمال والروعة. ويروي سكان المدينة المسيحيون ان أصل هذه العمارة كان ديرا للنصارى، وقد كان فيها صلبان منقوشة أزالها المسلمون عندما أثروا عليهم. وأخذ بعض السكان المسلمين هذه الرواية عن المسيحيين، وهذا الاعتقاد الشائع، مرده الى ظاهرة أوسع من هذه وهي ان جميع المنشآت الدينية كانت تنتقل من دين الى دين آخر حسب هوية المسيطرين. إلا انه في هذه القضية بالذات ليس هناك دليل عمراني يثبت صحة هذا الاعتقاد، وقد يجوز في غيره. هذا وينفي الدملوجي وجود أية علامة للصليب المعكوف الذي قيل انه على أحد جدران العمارة حين زار المكان واطلع على محتوياته في زمن سابق. (اليزيدية، ص١٨٨). وتجدر الملاحظة ان بعض عشائر اليزيديين الذين يعرفون بالبابوات (بابوات الست زينب) تجل هذا الضريح وتعظمه.

- لاحظ المنظر الخارجي للضريح (شكل ٤٣) المرفق في نهاية البحث.

(١) التوتونجي، المحاريب العراقية، ص ١٨١.

(٢) عطا الحديثي وهناء عبد الخالق، القباب المخروطية، ص ٦٠. وعلى المدخل الأيمن توجد أيضاً لوحة =

قطعه كتابات من آية الكرسي وضاعت بقية الكلمات، وفي هذه الغرفة ايضاً محراب صغير مصلح خال من النقوش، وتغطيها قبة مظهرها الخارجي مضلع مخروطي الشكل[1].

ج - تاريخ بنائه: ان الكلمات المنقوشة على مدخل الرواق - الى يسار غرفة الضريح - تدل على ان هذا البناء هو من قبل الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ ايام ملكه لبلاد سنجار ٦٣٧ - ٦٥٧ هـ/١٢٣٩ - ١٢٥٩ م. وهذه الكلمات هي: «عز مولانا السلطان الملك الرحيم بدر...». وبدر الدين هذا كان قد أكثر من اقامة المنشآت العمرانية في اطراف مملكته من قصور ودور وحمامات وخانات ومشاهد. وسعى الى اعادة تجديد او ترميم الاسوار والقلاع والجسور والمساجد والأضرحة. وخصوصاً الشيعية منها. فالمعلومات كانت قد افادت انه كان قد تقرب من هذه الطائفة واعلن موالاته لأئمتها تحقيقاً لسياسة كان يرمي من ورائها ازالة النفوذ الاتابكي والأيوبي السني والحلول مكانه. وذكر انه لما لم يجد امامه وسيلةافضل، لجأ الى كسب ود هذه الطائفة - التي كانت تشكل الجناح المعارض في ذلك الوقت - فنشط في مسايرة زعمائها وسادتها. وأخذ ينشر مذهبها ويدعو اليه. وعمل على رعاية شؤونها وصيانة مؤسساتها والعناية بها. فقيل انه لقب بولي آل محمد.

= مستطيلة طولها ١٧ سم وعرضها ١٦ سم سجل عليها: «اهتام العبد الفقير» وفي أسفلها شكل دائري يبلغ قطره ١٨ سم دوّن عليه: «راجي رحمه الله» وفي أسفلها سجلت العبارة: «يسأل الله الرحمة أقل الخدم أحمد المنجد». وملاحظاتنا هذه أكدها التوتونجي في المحاريب، ص١٨١.

- انظر الشكل ٤٩ (المرفق في نهاية البحث).

(١) عطا الحديثي وهناء عبد الخالق، القباب المخروطة، ص ٦١، وعلى المدخل الأيسر توجد لوحة مستطيلة بنفس القياس السابق حفر عليها «محمد بن زمام السنجاري». وفي أسفلها شكل دائري سجل عليه العبارة التالية «المعروف بالرشيد». ويقابل غرفة الضريح غرفة أخرى على ركني مدخلها عبارات كالتي مر ذكرها. وبين الغرفتين يوجد مصلى صغير مساحته ٣,٦٥ × ٢,٣٥ م. وأرضيته مبنية بالحجر والجص. وفي جدار قبلته المحراب. وأكد هذا ما أورده التوتونجي في المحاريب، ص ١٨١، انظر الشكل ٥٢ (المرفق في نهاية البحث).

وقيل ايضاً انه - رغبة منه في اظهار موالاته لهذه الطائفة وأئمتها - كان يرسل في كل سنة الى مشهد الأمام علي بن ابي طالب (سلام الله عليه) في النجف الأشرف قنديلاً مذهباً زنته ألف دينار[1].

ان ما ذكرناه من أقسام لهذا البناء يمثل في الواقع الاجزاء الأصلية منه، والتي ينحصر تاريخها بين سنة استيلاء بدر الدين لؤلؤ على سنجار سنة ٦٣٧ هـ/١٢٣٩ م وأخذها من صاحبها الملك الأيوبي الجواد يونس بن مودود، وبين سنة تشييده للاقسام الأخرى المضافة وهي سنة ٦٤٤ هـ/١٢٤٦ م. كما هو مثبت على احدى مداخل غرف الضريح[2].

والأقسام الأخرى المضافة هذه فهي تقع الى يسار وخلف غرفة الضريح. وتتكون من ممر يؤدي الى غرفة مربعة تقريباً، صغيرة مقببة، تؤدي بدورها الى غرفة مستطيلة غير منتظمة وبصيانات جديدة. طليت الغرفة المربعة المذكورة وجدران الممر بالاسمنت بحيث امحت غالبية الزخارف الرخامية الموجودة. اما باطن القبة فلم يعد يبدو منها شيء. والغرفة المربعة الموجودة في نهاية الممر فعقد الباب من داخلها يحتوي على الواح رخامية معشقة، عليها كتابة بخط اليد تذكر اسم المؤسس - بدر الدين لؤلؤ - وتأريخ اضافة هذا القسم. او لعله - كما ورد في كتاب القباب المخروطة - تأريخ البناء الأصلي وهو سنة أربع وأربعين وستمائة هـ. ولعل الألواح هذه كانت قد قلعت من الأجزاء الرئيسية من البناء واضيفت الى هذا القسم. كما ان الزخارف الموجودة في الممر قلعت هي ايضاً من البناء الأصلي واستخدمت في تجميل هذه الغرفة

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ١٣: ٢١٤. ويقال ان سبب تقرب بدر الدين لؤلؤ من الشيعة كان أيضاً التقوي بهم ضد الحركة العدوية التي كان قد استفحل أمرها في زمنه ويقال انه استطاع بتحالفه معهم القضاء عليها وعلى أتباعها.

« مجلة سومر لسنة ١٩٦٨، مجلد ٢٤، ج ١ و ٢، ص ١٧١ - ١٧٢، مقال بقلم سعيد الديوه جي، عنوان المقال: مشهد الإمام يحيى بن القاسم.

(٢) نجاة التوتونجي، المحاريب العراقية، ص ١٨٠.

حيث لا يوجد تناسق في الزخارف، ولم تعد تبدو بعد ان طليت بالإسمنت[1].

ويبدو ان هذا الضريح كان قد اصابه الهدم والتخريب مرات ومرات، وكان في كل مرة يعاد تجديده او ترميمه، واذا سلمنا جوازا بما افاد به ابن شداد من كون هذا الضريح او المشهد هو للإمام علي بن ابي طالب (عليه السلام) وليس لابنته السيدة زينب، فإنه قد خرّب مع جملة المباني على أيدي التتار الذين استولوا على سنجار في سنة ٦٦٠ هـ/١٢٦٢ هـ كما قال ابن شداد نفسه. ويظهر انه قد جدد فيما بعد ومن قبل نائب التتر وهو من العجم ويقال له قوام الدين محمد اليزدي، ورجع الى سابق عهده ومجده حيث عادت تقام فيه صلاة الجمعة من كل اسبوع[2].

وذكر ايضاً ان التجديد عاد ولحقه مرة أخرى كما يتضح ذلك من نص مكتوب على لوحة رخامية موجودة على جدار غرفة الضريح من خارج البناء يقول: «... جدد مزار الست زينب بنت علي، العبد الفقير سيدي باشا بن خداد.... ثمان عشر شهر ربيع الآخر سنة ١١٠٥ هـ[3].

٥ - القباب: وكان لسنجار حظ من القباب التي شاع بناؤها في عصور إسلامية مختلفة كان قد ذكرها المهتمون بمواطن الأثار وكتبوا

---

(١) عطا الحديثي وهناء عبد الخالق، القباب المخروطية في العراق، ص ٦١ - ٦٢. «انظر الاشكال ٥٤ المرفق في نهاية البحث».

(٢) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج ٣، ق ١، ص ١٥٥.

(٣) هذه المعلومات تطابق تماما ما جاء في كتاب «القباب المخروطية في العراق» وذلك في ص ٦٢. اما في كتاب «المحاريب العراقية» فقد حدث خطأ في تاريخ التجدد فجاء فيه ان سيدي باشا بن خدا قد =

فيها بعد ان دققوا النظر في معالمها. فما من ضريح او مشهد لإحد الأئمة او الصالحين او الملوك والقادة القادرين الا قامت في وسطه او على جنباته قبة او اكثر. ومن بين القباب التي لا تزال تشاهد في سنجار وينظر اليها بإعجاب:

أ - قبتا ضريح الست زينب: احداهما نصف كروية، تغطي غرفة من غرف الضريح المتعددة وهي الغرفة المربعة الشكل. تقوم على ثلاثة صفوف من المقرنصات. وتقوم فوقها القبة المحارية الشكل. وتحت قاعدتها (اي قاعدة القبة نصف الكروية) يدور شريط كتابي هو تتمة الآية التي تعلو المحراب. أي تتمة الآية التالية: «بسم الله الرحمن الرحيم، انما يعمر مساجد الله من آمن بالله» ثم اسم المتولي على البناء. وترتفع المقرنصات التي تقوم عليها القبة مقدار ٤,٥م عن الأرض. ويبلغ ارتفاع القبة الكلي حوالي سبعة أمتار. ومن الخارج تكون هذه القبة بل وتظهر بشكل نصف كروية[١].

والقبة الثانية مخروطية. وهي قبة غرفة الضريح. لم يبق من مقرنصات الزوايا فيها سوى أربع دخلات مستطيلة في الجدار الشمالي. وواحدة في الجدار الغربي. كما توجد ايضا اربع زوايا رممت بالجص بحيث محت المقرنصات التي كانت فيها. اما القبة من الأعلى فقد طليت

= جدده في الثامن عشر من ربيع الآخر من سنة ١٢٥١ هـ. وهذا الخطأ تصححه الأرقام الواردة في النص المكتوب على الجدار وهي واضحة تماما. وثمة ملاحظة جديرة بالاهتمام وهي ان صاحب كتاب المحاريب كان قد ذكر في بحثه الخاص بالضريح ان اللوحة التي على المدخل الأيسر قد حملت اسم «محمد بن زمام السنجاري» لذا فمن المحتمل ان يكون هذا الشخص قد جدد أو رمم هذا المرقد قبل أو بعد سيدي باشا بن خداد او خدا.. «انظر الشكل ٥٥ المرفق في نهاية البحث».

(١) عطا الحديثي وهناء عبد الخالق، القباب المخروطية في العراق، ص ٦٠. «انظر الأشكال ٤٦ و٤٧ و٤٨ المرفقين في نهاية البحث».

بالجص بحيث فقدت ايضاً كامل معالمها تقريباً. اما من الخارج فالقبة تبدو مضلعة مخروطية الشكل[١].

ب - **قبتا الولادة**: وتعرفان بقبتي عماد الدين. تقعان شرقي سنجار عن يمين الطريق الآتي من الموصل، قبل مدخل المدينة. احداهما تبدو انها على درجة من الأهمية. وهي مثمنة الشكل. تجويفها الداخلي من الجص المنقوش. مركبة على مقرنصات ذات المقطع الأفقي المربع او شبه المنحرف، حفرت عليها رسوم مختلفة، كانت مستعملة ومشهورة في الفن الاتابكي.

وقبتا الولادة هما اليوم من القباب الأثرية في سنجار وتنسبان محلياً الى أقرباء الشيخ أسود الأنف الذكر.

٦ - المحاريب:

١ - **محاريب مرقد السيدة زينب**: يوجد في مرقد ستنا زينب (سلام الله عليها) محاريب عدة اشهرها المحراب الموجود في جدار القبلة من المصلى الصغير الذي يقع بين غرفة الضريح والغرفة المقابلة لها[٢].

شيد هذا المحراب من الحجارة والجص. وغطيت واجهته بطبقة من

---

(١) ورد تعريف لهذه القبة وبنص مطابق لما ذكرناه اعلاه في كتاب القباب المخروطية في العراق» ص٦١. هذا وكان الاستاذان طه باقر وفؤاد سفر قد ذكرا في بحثهما المسمى «المرشد الى مواطن الآثار - الرحلة الثالثة، ص٦٤»، وجود قبة اخرى في سنجار وهي قبة «ستنا زبيدة» وحددا موقعها في الزاوية الجنوبية الشرقية من المدينة. وارجعا بناءها الى الملك بدر الدين لؤلؤ (٦٣٧ - ٦٥٧هـ). والجدير بالذكر هنا انه لا وجود لهذه القبة البتة. ويحتمل ان يكون الاستاذان قد قصدا بها قبة ستنا زينب وان كان هناك خطأ في تحديد جهة الموقع.

(٢) جاء في بعض النصوص ان مساحة المصلي الذي يقع فيه هذا المحراب هي: ٣,٦٥ م × ٢,٣٥ م. التوتونجي، المحاريب العراقية، ص١٨١.



اليسرى: ﴿ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء وسع كرسيه السموات والارض ولا...﴾. اما تكملة الآية فقد زالت.

ويلاحظ على جانبي تجويف المحراب شكل عمودين يعلو كلا منهما تاج ناقوسي. وليس له قاعدة، وانما يرتكز على الارض مباشرة. والعمودان خاليان من الزخرفة. ويستقر عليهما عقد مدبب مطول شبيه بالعقد المنفرج. وقد حفرت زخارف متعددة منها ما يشبه العقد المفصص. وحفرت اشكال خطوط متقاطعة. وفي قمة العقد ورقة من ثلاث شحمات وانصاف الاوراق النخيلية وازهار مغلقة. ويتراوح بروز هذه الزخارف بين ٢و٦ سم. ويحيط بالعقد من خارجه اشكال نباتية تشبه ما هو موجود بداخله. ويدنو من العقد شريط كتابي عرضه ٠,٢٥ م من الصعب قارءته لأن أكثر حروف كلماته زائلة. وتخطيط ارضية المحراب بشكل مستدير عمقه الكلي ٠,٣٧ م[١].

والمحراب هذا ليس مؤرخا، وأغلب الظن أن تاريخه يرجع الى زمن الملك بدر الدين لؤلؤ (٦٣٧ - ٦٤٤هـ/١٢٣٩م - ١٢٤٦م) اي الى زمن تشييد بناء الضريح بكامله لأن الزخارف النباتية والقنديل والتيجان (تيجان الاعمدة) شبيهة كما يقول صاحب كتاب المحاريب العراقية - بالتي على محرابي يحيى بن القاسم والامام عون الدين في الموصل، وهما من مخلفات بدر الدين نفسه، وان كان هناك اختلاف من حيث مادة البناء. فمحراب السيدة زينب ﴿سلام الله عليها﴾ بني بالحجارة والجص، وغطيت واجهته بطبقة سميكة من الجص، بينما المحرابان السابقان بنيا من الرخام الازرق[٢].

---

(١) وردت هذه التفاصيل في كتاب «المحاريب العراقية، ص١٨٣». ويلاحظ ان عمق هذا المحراب قليل بالنسبة لكبر حجمه وضخامته.

- انظر الشكل ٦٢ - ٦٣ (المرفقين في نهاية البحث).

(٢) التوتونجي، المحاريب العراقية ص١٨٣. انظر الشكل ٦١ (المرفق في نهاية البحث).

٢ - محراب كوكمت•

- موقعه: تقع خرائب كوكمت الى الجنوب الشرقي من سنجار. وسميت بهذا الاسم نسبة الى مرقد لليزيدية قريب منها. واستنادا الى النص الذي ورد في «كتاب المحاريب» بخصوص هذا المحراب نقول بأن مساحة هذه الخرائب تبلغ ٣٠ م × ٤٠ م من جهة الشرق. ويليها من جهة الغرب بقعة متصلة بها وهي اقل ارتفاعا ومساحتها ٢٠ م × ٤٠ م[١]. ويتضح من الرسم التخطيطي لهذه الخرائب ان موقع المحراب كان في اتجاه القبلة[٢].

- مادة المحراب ومقاييسه: ويلاحظ ان المحراب هذا كان قد بني من عدة قطع من حجر الكلس الاسمر (الحلان). اما باطن التجويف فقد شيد بالحجارة الكبيرة والجص، وكسيت واجهته بطبقة سميكة من الجص ايضاً. وهذا المحراب هو مستطيل الشكل، ارتفاعه الكلي ٣,٦٥ م، وعرضه ٣,١٥ م، وارتفاع التجويف ٢,٦٦ م، وارتفاع عقده ١,١٦، وسعة فتحته ١,٤٠ م[٣].

- وصف المحراب: تعلو المحراب نصف قبة حفر في داخلها اشكال مقرنصات، ويتقدمها عقد مدبب مطول (انظر صورة رقم ٢٩) ويرتكز على بروز (برواز) ارتفاعه ١,٥٠ م. داخل التجويف خال من الزخرفة، وعمق التجويف ٠,٧٤ م (شكل ٤٨)، وشكله شبه مستطيل، ويحف

---

(١) التوتونجي، المحاريب العراقية ص١٥١ - ذكر راتلنجر ان مساحة هذه الخرائب هي ٨٠ ياردة، وارتفاعها اثنا عشر قدما عن مستوى السهل المحيط بها.

(٢) انظر ملف موقع كوكمت العائد لمديرية الاثار العامة العراقية رقم ٣٥/٦١، ومجلة
Iraq. GU Kummet, By Gerld Reitlinger, Vol V, Part 2, P: 152. 1938.

(٣) التوتونجي، المحاريب العراقية، ص١٥١.

المعلومات الخاصة بهذا المحراب مقتبسة من كتاب «المحاريب العراقية» ومعنى كوكمت هو مسخر الجبال. والمحراب نقل من مكانة الاصلي وعرض في القصر العباسي (في بغداد) في الغرفة الثالثة ثم عاد ونقل مرة ثانية وعرض في المتحف العراقي في القاعة الاسلامية الاولى تحت رقم ٣١٠٥ع، «المحاريب العراقية، حاشية، ص١٥١».

بجانبي التجويف وفي قسمه العلوي اطار يتألف من خمس وعشرين حشوة تملؤها زخارف نباتية وصور بشرية صفت الواحدة بجانب الاخرى بعناية تامة بحيث لا تظهر فواصل بينها على جانبي التجويف وفي القسم الاسفل منه حشوة نباتية (صورة رقم ٣٠) ارتفاعها ٠,٥٦ م وعرضها ٠,٤٦ م حفرت عليها اوراق من ثلاث شحمات وانصاف اوراق نخيلية وزهرة الربيع الموصلية، .وتربط هذه الاوراق بعضها ببعض فروع نباتية.

وقد برزت هذه الزخارف على سطح المحراب بمقدار ٢,٥سم. وتعلو كلا من هاتين الحشوتين حشوتان اخريان على كل جانب، طول كل منها ٠,٤٣ م وعرضها ٠,٣٢ م. على احداها حفرت زخارف نباتية هي عبارة عن ورقة من ثلاث شحمات، وعلى جانبها انصاف الاوراق النخيلية وفروع نباتية وشكل زخرفي يشبه الهلال[1].

يحيط بالمحراب من جهاته الثلاث صف واحد من الحشوات ما عدا الحشوات المار ذكرها، حيث تألفت من صفين من الحشوات الواحدة بجانب الاخرى، ونلاحظ التشابه بالحشوات على جانبي التجويف... ويعلو هذه الحشوات حشوة نباتية تختلف عن الحشوة النباتية المار ذكرها. اي انها ملئت بالزخارف النباتية وهي خالية من العقد الزخرفي والعمودين. وفوق هذه الحشوة حشوة حفر عليها شكل شخص حامل بيده صولجانا وتعلوها حشوة نباتية كالتي وصفناها.

اما الشريط العلوي فقد تألف من تسع حشوات، اربع منها حفرت عليها اشكال آدمية، وخمس نباتية. فعلى الجانب الايمن للشريط حشوة حفر عليها شكل شخص حامل بيده اليسرى اناء، ويده اليمنى موضوعة على حزامه. وبجانبها حشوة نباتية تشبه الحشوة السابقة،

(١) انظر: المحاريب العراقية، ص١٥١ - ١٥٢.

وبجانبها حشوة اخرى حفر عليها شخص حامل بيده اليمنى قوسا، وباليسرى سهما. والملاحظ هنا ان اشكال الصور البشرية متشابهة من حيث الوجوه والملابس. اي انهم يرتدون رداء يتدلى الى منتصف الساقين تقريباً. وعلى رؤوسهم عمائم، وفوق العمائم ورقة من ثلاث شحمات. اما الاسلحة فهي تختلف من صورة الى اخرى وهي متنوعة وتشمل القوس والسهم والسيف(١).

آراء بعض الباحثين في محراب كوكمت وتاريخه: طرحت آراء مختلفة ومتعددة كان قد ادلى بها بحاثة مسلمون واجانب اثاريون حول محراب كوكمت وتاريخه. والآراء هذه وردت في كتاب «المحاريب العراقية» نقتبس منها ما يلي:

- قال البعض: ان التجويف (الذي هو المحراب نفسه) هو بالفعل محراب لمسجد لا غير. وبنوا آراءهم على بعض الافتراضات(٢).

- ادعى البعض الآخر ان هذا التجويف لا يصلح ان يكون محراباً. وعللوا آراءهم ببعض الادلة(٣).

---

(١) انظر، المحاريب العراقية، ص١٥٢ - ١٥٤.

(٢) من هؤلاء البحاث نذكر الاستاذ حسين عوني عطا. قال انه عثر هناك على قاعدة مئذنة مبنية بالطابوق والجص. وهي مستطيلة الشكل. وان بدن هذه المئذنة يبدو مدوراً. وتشبه منارة قطب الدين القريبة من كوكمت (على بعد نصف ميل) وان تاريخها يرجع الى سنة ٥٩٧ هـ/١١٢٠م.
كما ذكر انه عثر ايضاً على قراميد خزفية ذات اللون الازرق الفاتح تعود الى العصور الاسلامية. وعلى كسر فخارية لحباب مزخرفة تعرف بحباب سنجار كانت تشتهر بالصور البشرية وتاريخها يرجع الى العهد الاتابكي (المحاريب العراقية، ص١٥٤ - ١٥٥).
ومن اصحاب هذا الرأي ورد ايضاً اسم دايفد رايس. قال دايفد ان التجويف كان محرابا وانه يعد من المحاريب المهمة. وتاريخه يعود الى القرن الثاني عشر الميلادي (السادس الهجري). وان الصور البشرية المحفورة عليه كانت لمجرد الزخرفة (المحاريب، ص١٥٦).

(٣) من هؤلاء ورد اسم راتلنجر «Reitlinger» واسم كريسول. واعتقد هذا الاخير ان التجويف ما هو الا عبارة عن فجوة داخل قصر بني لوضع العرش فيه. او انه مدخل يؤدي الى المسجد مباشرة حتى يتمكن السلطان من الذهاب الى الصلاة دون ان يقابل عامة الناس. هذا وان صاحب كتاب «المحاريب العراقية» استبعد هذا الرأي وقال ان البناء الذي يوجد فيه التجويف لا يصلح ان يكون قصرا، ولا يصلح ان يكون بابا يؤدي من القصر الى المسجد «المحاريب، ص١٥٦». =

- من حيث تاريخ تشييد المحراب، فإن الآراء اجمعت على انه من بقايا العهد الاتابكي بالمقارنة مع غيره من محاريب ذلك العهد سواء من حيث البناء، او من حيث الزخرفة فيه . الا ان اقرب نقوش لهذا «المحراب» نجدها في اطار باب كنيسة النبي شموني في قرية قراقوش قرب الموصل[١].

٧ - الخان: كان لوجود الخانات في المدن واطرافها ضرورة املتها طريقة الحياة منذ اقدم العصور. اذ كانت هذه الأماكن تقوم بوظيفة شبيهة بوظيفة الفنادق في الوقت الحاضر تقريباً. فالرحالة والمسافرون والتجار على اختلاف مذاهبهم واجناسهم كانوا يجدون في تلك الخانات فرصاً يرتاحون فيها من عناء أعمالهم واسفارهم. ففي جنباتها كانت تعرض البضائع وتجري عقود البيع والشراء.... وفي زواياها كانت تقام حلقات التعارف، وتنشأ الصداقات، وتدبر المكائد. وكثيرا ما كانت هذه الأماكن نفسها ملاذا للضالين وابناء السبيل وامثالهم. لهذا فاننا نجد اكثر القادة من الملوك والامراء والولاة كانوا يكثرون من بناء هذه الأمكنة في جهات مختلفة من ديارهم وينسبونها اليهم.

والخان الذي نحن بصدده الآن، والذي تحدثت عنه بعض المصادر. هو ذلك الذي كان يقع في خراج سنجار العصور الوسطى، والذي

= - ومن هؤلاء ايضاً ورد اسم الاستاذ سعيد الديوه جي الذي قال: «ربما كان هذا التجويف - الذي يعود لعهد الاتابكيين ٥٢١ - ٦٣٠ هـ/١١٢٧ - ١٢٣٣م - مدخلا او شباكا مسدودا يتخذ لتزيين الغرفة وقد عارض صاحب المحاريب هذا الرأي ايضاً.

- اما نجاة التوتونجي - صاحب كتاب المحاريب - فقد رجح ان تكون خرائب كوكمت (حيث يوجد المحراب) هي نفس مدرسة السلطان عماد الدين زنكي المتوفى في سنة ٥٩٤ هـ/١١٩٧م (التي كان قد بناها للمذهب الحنفي الذي تعصب له (ابن الاثير، الباهر، ص١٩١).

وبما ان السلاطين الاتابكيين كانوا يتخذون الى جانب المدرسة مرقدا لهم او لأحد الائمة فمن المرجح ان يكون هذا الذي يسمونه محرابا ضريحا اقامه السلطان عماد الدين - صاحب سنجار - لنفسه بجوار مدرسته، حيث رغب في تزيين ضريحه بصور تسجل اعماله الحربية. وان تاريخ بنائه يرجع الى زمن انشاء المدرسة ابان تسلطنه (٥٦٦ - ٥٩٤ هـ) «المحاريب العراقية، ص١٥٧ - ١٥٨».

(١) II–AAssyrie chrétienne, vol. II, P1. C.

اصبح الآن خراباً يباباً.

فابن جبير كان قد عرفّنا اليه من خلال ما ذكره عنه في رحلته حيث كان قد نزله وبات فيه ليلته. « ... كان نزولنا بها (بسنجار) في خــان خــارجهــا...[١] » والمرحوم الاستــاذ نقولا سيوفي (١٨٢٩ - ١٩٠١ م) كان قد حدد موقع هذا الخان وارجع تاريخه - من خلال الكتابة التي كانت ظاهرة على بابه - الى عهد الاتابك بدر الدين لؤلؤ، وهذا ما قاله بشأنه: « ... في الخان الذي قبل سنجار باربع ساعات، وعلى داير الباب الذي اطرافه مدفونه في الخراب، كتابة بالقلم العربي بعضها مهشم، واولها وآخرها تحت الردم، وهذا ما امكن فكه: صان الله مولانا الملك الرحيم... العالم العادل المظفر المرابط الغازي بدر الدنيا والدين، ركن الاسلام والمسلمين ناصر الحق[٢] ».

ان الألقاب الواردة في الكتابة: الملك الرحيم، بدر الدنيا والدين، هي القاب السلطان بدر الدين لؤلؤ اتابك الموصل سنجار لسنة ٦٣٧ - ٦٥٧ هـ/١٢٤٠ - ١٢٥٩ م. الا ان هذه الكتابة لا تعني ان لؤلؤاً هو الذي بنى هذا الموقع. فربما يكون قد رممه او اعاد بناءه ولهذا ذكر اسمه على داير بابه. والدليل على صحة قولنا هذا هو ان هذا الخان (الواقع خارج سنجار) كان موجودا ساعة وصول الرحالة ابن جبير الى تلك الجهات (٥٨١ هـ/١١٨٥ م). وان هذا الرحالة كان قد نزله بنفسه وبات ليلته فيه - كما قلنا - فذكره، في الوقت الذي لم يكن فيه بدر الدين لؤلؤ قد ظهر على مسرح الأحداث في الجزيرة الفراتية وعلى الأخــص في الموصــل وأعمالهــا. اذ ان ظهوره كــان - كما ذكرت المصادر - بعد وفاة سيده - الذي كان قد اشتراه - واعني به نور الدين ارسلان شاه بن عز الدين مسعود - صاحب الموصل - وذلك في

(١) ابن جبير، رحلته، ص٢١٩.

(٢) نقولا سيوفي، مجموع الكتابات المحررة في ابنية الموصل، ص١٦٦.

سنة ٦٠٧ هـ/١٢١٠ م[١]. لهذا فان هذا الخان هو ليس من مخلفات العهد اللؤلؤي وانما يعود بالتأكيد الى العهود السابقة.

٨ - النقود: ان أهمية مدينة سنجار السياسية والاقتصادية ومكانتها بين مدن الجزيرة المحيطة بها جعلت منها - كما اسلفنا من قبل - دارا لضرب النقود منذ اقدم الأزمنة، وفي العهود الاسلامية بالذات. ولذا فقد تم العثور على نماذج عديدة من المسكوكات الإسلامية التي كانت قد ضربت في هذه المدينة وفي عصور مختلفة.

وأقدم هذه المسكوكات تعود - كما يظهر من الكتابة التي تحملها - الى اوائل القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) وهي مؤرخة بالسنين: ٣٠٦ - ٣١٩ - ٣٢٠ - ٣٢١ هـ. وهي جميعها مسكوكات عباسية يدخل بعضها (٣٠٦ - ٣١٩ هـ) ضمن فترة حكم الخليفة المقتدر بالله (٢٩٥ - ٣٢٠ هـ/٩٠٨ - ٩٣٢ م) وتقابل فترات حكم الامراء الحمدانيين على الموصل وديار ربيعة - ومنها سنجار - وعلى الأخص حكم عبد الله بن حمدان (ابي الهيجاء) واخيه الحسين ومن ثم حكم الحسن ابن عبد الله بن حمدان (ناصر الدولة ٣١٧ - ٣١٩ هـ/)[٢]. والبعض الآخر (٣٢٠ - ٣٢١ هـ) يرجع الى عهد الخليفة القاهر بالله ابي منصور محمد (٣٢٠ - ٣٢٢ هـ/٩٣٢ - ٩٣٤ م). وهذه المدة تقابلها الفترة التي كان فيها مؤنس الخادم - احد قواد الخلافة العباسية - قد وضع يده على ضياع بني حمدان واملاكهم - ومنها سنجار - وذلك

---

(١) ابن الاثير، التاريخ الباهر، ص١٩٧.

(٢) السامر، الدولة الحمدانية، ١: ٢١٠.

- كان لافوا قد اشار في كتابه الخاص بالمسكوكات الاسلامية الى المسكوكة المؤرخة في سنة ٣٠٦ هـ مبينا الكتابة الواردة فيها على الشكل التالي: «...بسنجار سنة ست وثلثمائة» وقدر وزنها ب ٢,٦٥ غ.

Henri Lavoix, Catalogue des monnaies ..., Vol I, P: 295, No 1175.

- اما المسكوكة المؤرخة في سنة ٣١٩ هـ، فقد اشار اليها (بول) وذكر الكتابة التي تحملها وهي التالية: «.. بسنجار سنة تسع عشرة وثلثمائة».

Lane- Poole, Catalogue oriental, Vol I, P: 147, No 334.

لانحيازهم الى جانب الخلافة ابانْ صراعه معها[1].

هذا ويرجح ان تكون مدينة سنجار قد اتخذت دارا للضرب في العصور الاسلامية السابقة لهذه التواريخ، وان النقد المشار اليه ما هو الا استمرار للضرب الذي كان سابقا[2].

---

(١) ابن مسكوية، تجارب الامم، ١: ٢٣٤ حوادث سنة ٣٢٠ هـ.

- ابو الفدا، المختصر في اخبار البشر، ٣: ٩٥ حوادث سنة ٣٢٠ هـ. والجدير بالذكر ان مؤنسا كان قد قتل في سنة ٣٢٠ هـ على يد الخليفة القاهر بالله. «الصابي، تحفة الامراء في تاريخ الوزراء، حاشية ص١٧٢).

- كان البحاثة (بول) قد اشار الى هاتين المسكوكتين المؤرختين بالسنتين ٣٢٠ و٣٢١ هـ في مؤلفه الخاص بالمسكوكات الاسلامية. واظهر العبارة التي تحملها كل منها. وكانت على النحو التالي: الاولى (المؤرخة في سنة ٣٢٠ هـ).. بسنجار سنة عشرين وثلثمائة.

الثانية (المؤرخة في سنة ٣٢١ هـ): على مركز الوجه: ... بسنجار سنة احدى وعشرين وثلثمائة.

لا اله الا الله وحده لا شريك له. ابو القاسم بن امير المؤمنين. على مركز الظهر: لله. محمد رسول الله - القاهر.

Lane- Poole, Catalogue Oriental, Vol I, P: 148 et 151 No 335 et 452.

(٢) ذكر المقريزي في كتابه «شذور العقود في ذكر النقود» ان الجزيرة - ربما كانت جزيرة ابن عمر - كانت دارا لضرب النقود في العهد الاموي وعلى الاخص في عهد مروان بن محمد الجعدي الذي ضرب الدراهم فيها على سكة حران حتى قتل سنة ١٣٢ هـ(ص١٧). ويضيف محقق الكتاب فيقول: وعلم من دور الضرب في بلاد الجزيرة عدا حران: الرها ونصيبين والموصل وسروج. (نفس المصدر). باب تعليقات وملاحظات ص١٢٩). بهذا نقول ان من الجائز ان تكون سنجار من بين تلك المدن ايضاً وان لم تذكر بالاسم. وهذا الجواز والترجيح اكده زامباور حين افاد بوجود مسكوكات مضروبة في سنجار في سنوات ما قبل التواريخ المبينة اعلاه. لكنه لم يشر الى نوعية تلك المسكوكات ولا الى الكتابة او الرسوم التي تحتويها. وانما اكتفى بذكر السنين التي ضربت فيها وهي على التوالي: ١٩٤، ٢٩١، ٣٠٠ هـ.

Zambaur, Die Münz Prägungen, des islams, I: 150.

فالمسكوكة الاولى (المؤرخة في سنة ١٩٤ هـ) تعود الى عهد الخليفة العباسي الامين (١٩٣ - ١٩٨ هـ/٨٠٩ - ٨١٤ م). وترجع اما الى ولاية محمد بن الفضل على الموصل والجزيرة واما الى ولاية ابراهيم بن العباسي الذي ولي بعد صرف ابن الفضل في نفس هذه السنة ايضاً. «الازدي، تاريخ الموصل، ص٣١٩ ».

والمسكوكة الثانية (المؤرخة في سنة ٢٩١ هـ) فهي من عهد الخليفة المكتفي بالله (٢٨٩ - ٢٩٥ هـ/٩٠٢ - ٩٠٨ م) وربما تقابل فترة بدء نفوذ آل حمدان على الموصل وديار ربيعة وان ذكرت المصادر ان امارتهم قد بدأت هناك من عام ٢٩٣ هـ.

والمسكوكة الثالثة (المؤرخة في سنة ٣٠٠ هـ) فهي تعاصر حكم الخليفة العباسي المقتدر بالله (٢٩٥ - ٣٢٠ هـ/٩٠٨ - ٩٣٢ م)، وتعود الى حكم آل حمدان في الموصل وسنجار وعلى الاخص عبد الله الملقب بابي الهيجاء.

واستمر ضرب النقود في سنجار ايام بني عقيل - حيث كانت ضمن ممتلكاتهم، وان هؤلاء ضربوا فيها نقودهم الى جانب الموصل وبلد. ولقد اشار زامباور الى وجود مسكوكات من ضرب العقيليين في سنجار وهي مؤرخة بالسنين (٣٩٠ - ٣٩١ - ٣٩٥ هـ)[١]. وهذه المدة تقابل فترات حكم الأمراء: حسام الدولة المقلد بن المسيب (٣٨٧ - ٣٩١ هـ/٩٩٧ -١٠٠١ م). ومعتمد الدولة «قراوش بن المقلد (٣٩١ - ٤٤٢ هـ/١٠٠١ - ١٠٥٠ م)[٢] وتعاصر حكم الخليفة العباسي القادر بالله (٣٨١ - ٤٤٢ هـ/٩٩١ - ١٠٣٠ م) وفي العهد الاتابكي، وهو العهد الأكثر شهرة وازدهارا في تاريخ سنجار حيث اضحت فيه امارة مستقلة، فأنه يستدل من مجموعة المسكوكات التي عثر عليها في خرائب المدينة، على انها استمرت دارا للضرب وضرب فيها معظم الملوك الاتابكة نقودهم المتنوعة[٣]. ومن تلك النقود التي ما زال المتحف العراقي وغيره من دور الآثار في العالم يحتفظ بها الى الآن:

١ - دينار من ذهب يرجع الى عماد الدين زنكي الأول (٥٢١ - ٥٤٤ هـ/١١٢٧ - ١١٤٦ م) مؤسس الدولة الاتابكية في الموصل وسنجار. ويعاصر حكم الخليفة العباسي المسترشد بالله (٥١٢ - ٥٢٩ هـ/١١١٨ - ١١٣٥ م)، محفوظ في المتحف العراقي تحت رقم ٤٢٨٨ - ع[٤].

---

(١) **Zambaur,** Die münz Pragungen des Islams, 1, 150.

(٢) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج٣، ق١، ص١٦١ - ١٦٢.

(٣) تنوعت مسكوكات آل زنكي فشملت الدنانير والدراهم والفلوس، من ذهب وفضة ونحاس وظهر على معظمها وخاصة النحاسية منها تصاوير مختلفة (محمد باقر الحسني، تطور النقود الاسلامية، ص٦٨). ومن ابرز هذه الصور:

١ - صورة نسر ذو رأسين، ناشر جناحيه يرجع - كما يذكر فيليب حتي - الى ايام سومر القديمة. (حتي تاريخ العرب المطول، ٢: ٧٨٦).

٢ - صورة شخص يتجه نحو اليسار. (محمد باقر الحسيني، العملة الاسلامية في العهد الاتابكي، ص١٣١).

(٤) هذا الدينار ذو شكل دائري غير مصور بصور آدمية، على الوجهين منه كتابات تحمل العبارات =

٢ - دراهم نحاسية ترجع الى عماد الدين زنكي الثاني بن مودود• (٥٦٦ - ٥٩٤ هـ/ ١١٧٠ - ١١٩٧ م) ويقدر عدد هذه الدراهم بأكثر من اثنتين وعشرين قطعة موزعة على متاحف عدة ومن نماذجها الدرهم

= التالية بشكل عمودي:

-مركز الوجه:
لا اله الا الله
المسترشد
السلطان
الاعظم
سنجر

هامش الوجه: ... الدينار سنة..
«معظم حروفه غير واضحة نتيجة الضرب غير السليم من ناحية وكثرة الاستعمال من ناحية اخرى».

-مركز الظهر: سنجاره
محمد رسول الله
السلطان
المعظم
منصور

هامش الظهر: ....
«معظم حروفه غير واضحة .... »
محمد شاه

ورد هذا في مجلة سومر مجلد، ٢٣، الجزء الاول والثاني لسنة ١٩٦٧، ص١٩١ - ١٩٢، مقال بعنوان: دراسة تحليلية لثلاث مسكوكات اتابكية نادرة. كما ورد في كتاب العملة الاسلامية في العهد الاتابكي، ص٣٤ » لمؤلفه: محمد باقر الحسيني.

- ثمة ملاحظة جديرة بالاهتمام على هذا الدينار وهي ان ورود اسم السلطان محمد شاه بن ملكشاه عليه واضحا دفع ببعض المشتغلين بدراسة المسكوكات الى القول انه ربما كان اثرا سلجوقياً وانه يعود الى ايام الامراء الذين حكموا باسم السلاجقة (٤٨٩ - ٥٢١ هـ/١٠٩٥ - ١١٢٧ م). الا ان وجود كلمة اتابك وسنجارة قد يزيلا بعض الغموض اذا استبدلنا اسم محمد شاه باسم ابنه (محمود) ذلك صحيحاً من الوجهة التاريخية استنادا الى الملاحظات التالية:

١ - ان خلافة المسترشد بالله (الوارد اسمه على الدينار) تنحصر بين ٥١٢ - ٥٢٩ هـ وان وفاة محمد شاه بن ملكشاه كانت في سنة ٥١١ هـ. فكيف يصح والحالة هذه ضرب عملة عليها اسم ملك كانت وفاته في سنة ٥١١ هـ، بينما تولى المسترشد الخلافة في سنة ٥١٢ هـ وبينهما فارق سنة واحدة.

٢ - ان مدينة الضرب (سنجاره) كانت قد دخلت في حكم عماد الدين زنكي في سنة ٥٢١ او ٥٢٢ هـ وهي بداية حكمه. ولم تكن سنجارة قبل هذا التاريخ الا مقاطعة وهبها السلطان سنجر شاه الى السلطان محمود مع غيرها من البلاد. واستمر نفوذ محمود عليها بعد اقطاعها من قبله الى عماد الدين - الذي كان مرضي عنه من قبل السلطان سنجر لانحيازه اليه (ابن الاثير، التاريخ الباهر، ص٤٢ - ٤٤). ولهذا ظهر اسم سنجر واضحاً على الدينار.

• كان العزاوي قد ذكر نقوداً تحمل السنين: ٥٥٥ - ٥٥٦ - ٥٥٧ هـ، أي انها تعود الى قطب الدين مودود المتوفى في سنة ٥٦٥ هـ - وهو والد عماد الدين زنكي الثاني - دون ان يشير الى مكان ضربها (تاريخ النقود العراقية، ص١٩٤). وبما ان قطب الدين قد ضم اليه سنجار في سنة ٥٤٤ هـ - بعد

المحفوظ في المتحف الاسلامي بالقاهرة تحت رقم ١٧١٨٩/٣[١].

٣ - فلوس نحاسية من عهد قطب الدين محمد (٥٩٤ - ٦١٦ هـ/١١٩٧ - ١٢١٨ م). قيل ان عددها بلغ ثلاث وثلاثون قطعة محفوظة الآن في عدة متاحف مؤرخة بالسنين: ٥٩٥ - ٥٩٦ - ٥٩٨ - ٦٠٠ - ٦٠١ - ٦٠٦ هـ. ويستفاد مما كتب عليها ان النقود الأيوبي كان قد بدا واضحا في بلاد سنجار. وان صاحب سنجار من آل زنكي كان قد دخل في طاعة الأيوبيين[٢]. وفي سنجار ضرب الأيوبيون

اتفاقه مع اخيه نور الدين محمود صاحب حلب - واقطعها الى وزيره زين الدين علي بن بكتكين (ابن الأثير، التاريخ الباهر، ص٩٧). فليس من المستبعد ان يكون مودود هذا قد ضرب عملته في المدينة كما فعل والده من قبله، وان المسكوكات التي أوردها العزاوي أعلاه هي من جملة ما ضرب فيها.

(١) وهذا الدرهم يحمل العبارة التالية:
على مركز الوجه صورة نسر ذي رأسين ناشر جناحيه، وعلى صدره كتب «الامام أحمد»
على هامش الوجه: ضرب هذا الدرهم بسنجار...
على الظهر: .. بن زنكي، الملك العالم، عماد الدنيا والدين زنكي بن مودود.
«محمد باقر الحسيني، العملة الاسلامية في العهد الأتابكي، ص ٨٦ - مجلة المسكوكات، العدد الثاني، لسنة ١٩٦٩، مجموعة صراف، تحت رقم٥٨٦».

- ذكر البحاثة (بول) في مؤلفه الخاص بالمسكوكات الاسلامية عدداً من هذه الدراهم وأشار الى الكتابة التي تحتويها ومنها ما كان على النحو التالي:
الأول: .. بسنجار سنة اربع و.. (بن زنكي) الملك العالم العادل...
الثاني: ضرب هذا الدينار بسنجار.. وخمساية زنكي بن.. زنكي بن مودود.
الثالث: ضرب. ست (؟) وثمانين وخمساية.
Lane Poole, Catalogue Oriental, Vol. 3, P: 219-220, No: 615- 616 - 617 - 618 - **619.**

- والى جانب النقدين المؤرخين في سنة اربع وثمانين وست وثمانين وخمساية. يضيف زامباور نقداً آخر كان قد ضرب في سنجار في عهد عماد الدين الثاني بن مودود. وهو مؤرخ في سنة ٥٩٣ هـ/ ١١٩٦ م.
Zambaur, Die Münz Prägungen des Islams, 1: 150.

(٢) من نماذج هذه الفلوس نذكر القطع التالية:
- الأولى وتحمل العبارة التالية:
مركز الوجه: الملك العزيز عثمان بن يوسف، الملك العادل ابو بكر بن أيوب.
هامش: الوجه: ضرب بسنجار سنة خمسة وتسعين... مائة.
مركز الظهر: الامام الناصر، الملك المنصور قطب الدنيا والدين محمد.
هامش الظهر: بن زنكي / بن مودود / ... / .../ يوسف.
Lane Poole, Catalogue Oriental, Vol. 3, P: 221, No 620.

- محمد باقر الحسيني، العملة الاسلامية في العهد الأتابكي، ص ١٢٩ - ١٣٠. يلاحظ في هذه المسكوكة =

نقودهم التي حملت اسماءهم كملوك مستقلين ذوي سيادة مطلقة على

= ورود اسم الملك الايوبي العزيز عثمان صاحب مصر (٥٨٩ - ٥٩٥ هـ/ ١١٩٣ - ١١٩٨ م). واسم الملك العادل ابي بكر بن ايوب - اخي صلاح الدين، الذي كان نائبا عن العزيز عثمان في دمشق. والسبب في ورود الاسمين معا هو قبول قطب الدين محمد - صاحب سنجار في الدخول في طاعة بني ايوب لاضطراره الى مساعدتهم على ابن عمه نور الدين ارسلان شاه - صاحب الموصل - لقصده بلاد نصيبين واخذها منه.

« ابن واصل، مفرج الكروب، ٣: ٧٨ - ٧٩ ».

- الثانية وعليها الكتابة الآتية:

مركز الوجه صورة شخص متجه نحو اليسار.

هامش الوجه: ضرب سنجار سنة ست وتسعين وخمسماية.

على الظهر: بن زنكي، الإمام الناصر لدين الله، الملك المنصور قطب الدنيا والدين.

- «محمد باقر الحسيني، العملة الاسلامية في العهد الاتابكي، ص ١٣١.

- «مجلة المسكوكات، العدد الثاني، سنة ١٩٦٩، مجموعة صراف، تحت رقم٥٨٧ ».

اما البحاثة (بول) فانه يضيف الى ما كتب على الظهر الكلمات التالية: «قطب الدنيا والد.. محمد بن مودود ».

Lane Poole, Catalogue Oriental, Vol. 3, P: 222, No 621.

- لم يذكر على هذه المسكوكة (المؤرخة في سنة ٥٩٦ هـ) اسم الملوك الأيوبيين كما في التي سبقتها. ومرد ذلك هو ان هذه السنة كانت من أشد الفترات السياسية اضطرابا في حياة الدولة الأيوبية، بسبب وفاة الملك العزيز عثمان - بن صلاح الدين -، ومحاولة العادل السيطرة على البلاد والاستئثار بالسلطنة. لذلك وأمام تصارع آل ايوب وحتى ينجلي الموقف، اغتنم قطب الدين الفرصة وضرب نقوده المتنوعة بحرية مطلقة دون ان يلمح فيها الى اي نفوذ أيوبي عليه.

- الثالثة، وتحمل الكتابة التالية:

مركز الوجه: الملك المنصور قطب الدنيا والدين محمد بن زنكي بن مودود ولي عهده سنجار شاه نوح.

مركز الظهر: الإمام الناصر لدين الله امير المؤمنين، الملك العادل سيف الدين ابو بكر بن أيوب.

هامش: ضرب سنجار سنة ستماية.

«محمد باقر الحسيني، العملة الاسلامية في العهد الأتابكي، ص ١٣١ ». اما البحاثة (بول) فلم يذكر التصوير الذي ورد على مركز الوجه واكتفى بذكر الكتابة فقط.

Lane Poole, Catalogue Oriental, Vol, 3, P: 224, No 629.

- في حين لم يذكر زامباور سوى النقدين المؤرخين في سنة ٦٠١ و٦٠٦ هـ مضيفا اليها نقداً آخر كان قطب الدين قد ضربه سنة ٦٠٥ هـ.

Zambaur, Die Münz Pragungen des Islams, 1: 150.

ان ورود اسم العادل على هذه المسكوكة دليل على عودة النفوذ الأيوبي الى بلاد سنجار وسائر بلاد قطب الدين، ففي هذه السنة (٦٠٠ هـ) سعى العادل الى استمالة قطب الدين وضمه اليه بعدما سمع بالاتفاق الذي تم بين هذا الأخير وبين نور الدين ارسلان شاه الأول - اتابك الموصل - الذي كان قد خاصم العادل. كما ان ورود اسم شاه نوح - وهو لم يرد مطلقا اثناء بحثنا للعهد الأتابكي في منطقة سنجار - يدفعنا الى القول انه ربما كان هذا ابنا رابعا لقطب الدين، وانه توفي في حياة ابيه. او ربما كان احد المقربين اليه. =

المدينة. وهناك العديد من مسكوكات مؤرخة بالسنين: ٦١٥ و ٦١٧ هـ، وجميعها تحمل اسم الملك الأشرف موسى بن العادل، وتعاصر حكم الخليفة العباسي الناصر لدين الله (٥٧٥ - ٦٢٢ هـ/١١٧٩ - ١٢٢٥ م)(١).

- اشار (بول) الى وجود عدد آخر من مسكوكات قطب الدين محمد مؤرخة بالسنين ٥٩٨ و٥٩٩ و٦٠١ و٦٠٦ هـ.

Lane Poole, Catalogue Oriental, Vol, 3, P: 223–225, No 626; 627, 631.634.

(١) فالمسكوكة المؤرخة في سنة ٦١٥ هـ تحمل الكتابة التالية:
مركز الوجه: سنجار خمس عشر ستاية.
هامش الوجه: الملك الأشرف شاه ارمن موسى بن ابي بكر.
مركز الظهر: الإمام الناصر، امير المؤمنين، الملك الكامل محمد.

- ويقول لافوا في كتابه الخاص بالمسكوكات الاسلامية ان هذه المسكوكة تحمل صورة ملك على رأسه تاج، ويده اليمنى على وركه، واليسرى يحمل بها كرة. وان وزنها يقدر بـ١٠,٤غ.

Lavoix H. Catalogue des Monnaies Musulmanes, (Egypte et Syrie), Vol. 3, P: 265, No ***690***.

- اما (بول) فقد اورد العبارة المكتوبة على هذه المسكوكة على النحو التالي:
مركز الوجه: سنجار سنة خمس عشر ستمائة....
هامش الوجه: الملك الأشرف شاه ارمن بن ابي بكر.
مركز الظهر: لا اله... الإمام الناصر لدين الله امير المؤمنين، الملك الكامل محمد وتحتها كتابة معكوسة (محمد رسول..) وتحتها عبارة: لدين الله.
هامش الظهر: الى اليمين (ل الله) والى اليسار (إلا الله).

Lane Poole, Catalogue Oriental, Vol. 4, P: 126, No: 456.

- ان ورود اسم الملك الكامل محمد لدليل على طاعة الملك الأشرف موسى لأخيه الكامل صاحب السيادة آنذاك على مصر والشام وبعض نواحي الجزيرة حيث ملك الأشرف.

- اما المسكوكة الثانية والمؤرخة في سنة ٦١٧هـ. فعليها الكتابة الآتية:
مركز الوجه: سنجار سبع عشرة وستاية.
هامش الوجه: الملك... ابو بكر - (لقب الملك الأشرف).
مركز الظهر: الإمام الناصر لدين الله، امير المؤمنين، الملك الكامل محمد.
هامش الظهر: محمد... رسول الله.
وذكر لافوا وزن هذه المسكوكة كان يقدر بـ٨,٨٠غ.

Lavoix, H, Catalogue des Monnaies...,Vol 3, P: 266–267, No 692.

وأفاد (بول) ثم لافوا بوجود مسكوكة ثالثة ترجع الى الملك الأشرف موسى ومؤرخة في سنة ٦١٥ هـ وهي تشبه نظيرتها المؤرخة بنفس السنة من حيث الكتابة الواردة فيها مع إضافة العبارة التالية على هامش الظهر: «... محمد رسول...».

Lane Poole, Catalogue Oriental, Vol. 4, P: 127, No 457.

وذكر لافوا ان وزنها قدرب ٩,٤٠غ.*

Lavoix, H, Catalogue des Monnaies..., Vol. 3, P: 266, No 691.

هذا ولم يتوقف ضرب النقود في سنجار بعد الأيوبيين بل استمر في عهد خلفائهم، واعني بذلك أيام بدر الدين لؤلؤ. فمن المعروف ان بلاد سنجار كانت احدى النواحي الهامة التي تشكلت منها مملكة بدر الدين. وان الأخير كان قد حرص على النهوض بها ودأب في تعميرها وازدهارها ومن ثم اتخذها - كسائر كبرى مدن المملكة - دارا لضرب نقوده. ولقد اشار زامباور في مؤلفه الخاص بالمسكوكات الى وجود نقدين اثنين كانا قد ضربا في سنجار في عصر بدر الدين وابنائه من بعده وهما مؤرخان بالسنين: ٦٥١ و٦٥٧ هـ. لكنه لم يشر الى الكتابة التي كانت عليها[(١)].

وبعد انقراض مملكة بدر الدين واولاده على ايدي المغول عام ٦٦٠ هـ/١٢٦٢م، دخلت سنجار ضمن الكورة المغولية، حيث خضعت لنفوذ الايلخانيين ثم الجلايريين والتيموريين ومن بعدهم التركمانيين والصفويين الى ان قبض عليها اخيراً الاتراك العثمانيون. وتشير مصادر النقود الى ان المدينة كانت من بين الأماكن التي ضربت فيها العملة أيام الايلخانيين ومن اعقبهم من سلاطين المتغلبة حيث عثر على مجموعة مسكوكات من فضة ونحاس تعود الى تلك الفترة، وجميعها تحمل اسم سنجار، كما تحمل اسماء والقاب السلاطين الذين ضربت في أيامهم. والبعض من هذه المسكوكات يظهر عليه تاريخ الضرب واضحاً وجلياً، والآخر يصعب ملاحظته نتيجة الضرب السيء او كثرة الاستعمال. ومع ذلك فان وجود الألقاب على تلك المسكوكات كفيل بردها الى هذا السلطان او ذاك. والمجموعة هذه ومثيلاتها تتميز - كما تشير المصادر -

---

* اما زامباور فقد اكتفى بذكر نقدين فقط من ضرب مدينة سنجار في العهد الأيوبي، وقال انها مؤرخان بالسنين ٦١٦ و٦١٧هـ.

(١) - Zambaur, Die Münz Prägungen de Islams, 1: 150.

I. Zambaur, «Op. Cit», 1: 150.

بكتابات وصور مختلفة وهي لا تزال محفوظة في المتاحف ودور الآثار سواء في القطر العراقي او في خارجه، وتحمل كل واحدة من مسكوكاتها رقماً خاصاً بها[١]. وان مصادر النقود لم تشر الى وجود مسكوكات من

---

(١) من مسكوكات هذه المجموعة نذكر:

١ - مسكوكات نحاسية مصورة بصور آدمية تعود الى هولاكو خان، ويقدر عددها - حسب مصادر المسكوكات - بعشرة، وهي الآن في المتحف العراقي. ومن نماذجها المسكوكة التي تحمل الكتابة التالية:

- مركز الوجه: صورة شخص بكامل جسمه، مأخوذة من الإمام، وعليه ملابس مخططة وفضفاضة.
- هامش الوجه: ضرب سنجار (سنة ثلث) وسبعين وستمائة.
- مركز الظهر: قا آن الأعظم هولاكو خان المعظم.
- هامش الظهر: لا اله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه.

«مجلة سومر، مجلد ٢٢ سنة ١٩٦٦، الجزء الأول والثاني، ص ١٠٥، مقال بعنوان: العملة الاسلامية في العهد الايلخاني. بقلم: مهاب درويش البكري». ومما يلفت النظر انه من ملاحظة تاريخ هذه المسكوكة يتبين انه لا يتطابق مع الفترة الزمنية التي حكم فيها هولاكو بلاد الجزيرة والعراق (٦٥٦ - ٦٦٣ هـ/ ١٢٥٨ - ١٢٦٤ م). لذلك فمن المرجح بل والأكيد ان الخطأ في كتابة التاريخ كان من جانب النقاش. لأنه بدلا من ان ينقش كلمة ستين او العدد(٦) نقش كلمة سبعين او العدد(٧). وتفيد مجلة سومر ايضاً ان وزن هذه المسكوكة قدّر بـ ٤ غ وان قطرها هو ٢٢ مم. - وورد ذكر هذه المسكوكة ايضاً في: مجلة المسكوكات، العدد الثاني، سنة ١٩٦٩، مجموعة صراف، تحت رقم ٥٩٠

والجدير بالذكر انه يوجد في المتحف العراقي الآن مسكوكة اخرى تحمل لقب قا آن اعظم ايلخان، مؤرخة في سنة ٦٥٤ هـ، وتحمل الرقم ٥٨٧٣ - ع، وعليها اسم سنجار. ارجعت من حيث اللقب الى هولاكو كان قد امتد الى ديار الجزيرة قبل سنة ٦٥٦ هـ كما بينا من قبل. هذا ويفيد العزاوي في كتابه (تاريخ النقود العراقية، ص ٤٦) انه لم يعرف من دور الضرب في العراق ايام هولاكو إلا بغداد والموصل واربل وسنجار.

٢ - مسكوكة نحاسية تحمل لقب قا آن (امحى تاريخ الضرب عنها)، هي الآن في المتحف العراقي تحمل الرقم ٤٩٢ - مس. يعتقد انها من عهد السلطان ارغون خان (٦٨٣ - ٦٩٠ هـ/ ١٢٨٤ - ١٢٩١ م). مجلة سومر، مجلد ٢١، سنة ١٩٦٥، الجزء الأول والثاني، ص ١٦١ - ١٦٢. مقال بعنوان: الألقاب على المسكوكات الايلخانية. بقلم: مهاب درويش لطفي».

٣ - مسكوكات نحاسية تحمل اسم السلطان غازان او لقبه (٦٩٤ - ٧٠٣ هـ/ ١٢٩٤ - ١٣٠٣ م). وكان (بول) قد ذكر الكتابة التي وردت على بعض منها... وكانت كالتالي:

.... ضرب سنجار / / تسعين وستماية

Lane Poole, Catalogue Oriental, Vol. VI, P: 37, No 100.

- هذا ويوجد في المتحف العراقي الآن عدد آخر من هذه المسكوكات النحاسية التي حملت اسم غازان. بعضها واضح التاريخ، وهو في سنة ٦٩٩ هـ، كما في المسكوكتين اللتين تحملان الرقمين ٥٧٧٨ - مس و ٦٣٨٩ - مس. والبعض الآخر غير مؤرخ، او ان تاريخها قد امحى، كما في المسكوكتين اللتين تحملان الرقمين ١٠٧١٥ - مس و ٥٨٢٠ - مس. «مجلة سومر، مجلد ٢٥، سنة ١٩٦٩، الجزء الأول والثاني، ص ١٢٦، مقال بعنوان: العملة الاسلامية في العهد الايلخاني، بقلم: مهاب درويش البكري». =

ضرب سنجار بعد فترة سلاطين المتغلبة. فربما كان ذلك يعود الى احد امرين:

- فاما ان مدينة سنجار لم تعد ذات شأن لتكون من أماكن دور الضرب بعد هذا العهد.

- واما بسبب الغموض الذي ما زال يعتري غالبية نقود الشعوب التي تلت حكم المتغلبين في تلك الجهات. خصوصاً ما كان من ضرب العراق لقلة ما عثر عليه منها. بحيث ان تلك الغالبية لا تحتوي على تواريخ ضربها ولا مواطنها[1]. وقد تكون من بين هذه الغالبية

اشار زامباور الى نقد آخر من ضرب سنجار في عهد غازان مؤرخ في سنة ٧٠١ هـ كما اشار الى نقد كان قد ضرب في عهد الايلخان اولجايتو (محمد خدابنده بن ارغون) ٧٠٣ - ٧١٦ هـ/ ١٣٠٣ - ١٣١٦ م). مؤرخ في سنة ٧١٤ هـ.

Zambaur. Die Mńz Prägungen des Islams, 1: 150.

٤ - مسكوكات فضية مؤرخة بالسنين ٧٢٩ و٧٣٣ هـ ترجع الى السلطان ابي سعيد بهادرخان (٧١٦ - ٧٣٦ هـ/ ١٣١٦ - ١٣٣٥ م) ومن نماذجها نذكر:

* الأولى: وتحمل الكتابة التالية: على مركز الوجه: ... سنجار.... على هامش الظهر... ضرب في سنة تسع وعشرين وسبع مائة.

- Lane Poole, (Op. Cit), Vol. X. P: 108, No: 173.

Zambaur, (Op. Cit), 1:150.

الثانية: وعليها مايلي: على هامش الظهر: ... ضرب في سنجار سنة ثلاث وثلاثين وسبع مائة.

Lane Poole, (Op. Cit.) Vol. X. P 108, No: 173.

- Zambaur, (Op. Cit.), 1: 150.

ويقول مهاب درويش لطفي في (مجلة سومر، مجلد ٢١، سنة ١٩٦٥، ص١٦١ - ١٦٢) ان هذه المسكوكة هي الآن في المتحف العراقي وتحمل الرقم ٥٢١٣ - مس، كما تحمل اللقب: السلطان العالم العادل. وذكر زامباور نقد آخر من ضرب سنجار في عهد السلطان ابي سعيد. وهو مؤرخ في سنة ٧٢٠ هـ.

- Zambaur, (Op. Cit), 1: 150.

وبعد وفاة ابي سعيد اخذ كل واحد من رجال الدولة الايلخانية يدعو لنفسه - كما أسلفنا من قبل - فتداخلت فترات حكم هؤلاء الرجال حتى أصبح من الصعب تحديد بداية ونهاية عهد الواحد منهم. وتطلعنا مصادر المسكوكات ببعض القطع التي ضربت في مدينة سنجار في أيام البعض منهم وأبرزها.

٥ - مسكوكات فضية مؤرخة في سنة ٧٣٩ هـ. منها واحدة هي الآن في المتحف العراقي تحمل =

(١) العزاوي، تاريخ النقود العراقية، ص٨٣.

مسكوكات هي من ضرب مدينة سنجار على ما نرجح اسوة بما كان قد

= الرقم ٣٩١٨ – مس، عليها لقب (السلطان العادل خان) اي لقب السلطان صاتي بك خاتون (٧٣٩ – ٧٤١ هـ/ ١٣٣٨ – ١٣٤٠ م) «مجلة سومر، مجلد ٢١، سنة ١٩٦٥، الجزء الأول والثاني، ص١٦٦ ».

٦ – مسكوكات فضية تحمل اسم او لقب السلطان سليمان خان بن محمد بن سينكة (٧٤١ – ٧٤٥ هـ/ ١٣٤٠ – ١٣٤٤ م). اشار (لين) الى احداها وذكر الكتابة التي تحملها وهي التالية:

– مركز الظهر: السلطان العادل سليمان خان، خلد ملكه.

– هامش الظهر: ضرب سنجار /... /.../ سبعمائة.

Lane Poole, (Op. Cit.), Vol. X, P: 119, No: 337.

وأوردت مجلة سومر نماذج من هذه المسكوكات، وقالت بانها لا تزال محفوظة في المتحف العراقي تحت ارقام مختلفة منها:

الأولى: وتحمل الرقم ٣٧٥٠ – مس، اللوح ٤، وعليها الكتابة التالية:

مركز الوجه: وهو ذو شكل رباعي ذو حنايا كتب عليه: لا إله إلا الله محمد رسول الله.

هامش الوجه: ابو بكر /عمر /عثمان /علي.

مركز الظهر: وهو دائري الشكل. عليه الكتابة التالية: السلطان العادل سليمان خان خلد ملكه. هامش الظهر: ... سنجار... سنة أحد و.... أر.... (أي سنة ٧٤١ هـ).

وأفادت المجلة أن وزن هذه المسكوكة قدر بـ ١,٩٠٠ غ، وقطرها بـ١٧ مم. «سومر، مجلد ٢٧، سنة ١٩٧١، الجزء الأول والثاني، ص٢٥٣.

مقال بعنوان: العملة الاسلامية في العهد الايلخاني، بقلم: مهاب درويش البكري». ويضيف البكري فيقول أن دراهم سليمان خان كانت كثيرة ومنوعة وقد قسمت الى عدة طرز، وان هذه المسكوكة هي من الطراز التاسع. (نفس المصدر).

الثانية: وتحمل الرقم ٤٦٦/١ – مس. وهي دائرية الوجه، سداسية الظهر، عليها الكتابة التالية:

مركز الوجه: الله. محمد. رسول الله.

مركز الظهر: ضرب السلطان الأعظم خلد الله ملكه.

هامش الوجه: أبو بكر/عمر/ عثمان/ علي.

هامش الظهر: ... سنجار/ .../ .../ بعين.

وأوضحت مجلة سومر ان وزن هذه المسكوكة قدر بـ ١,٤٠٠ غ، وقطرها بـ ١٤ مم، وانها من الطراز الحادي عشر.

« مجلة سومر، مجلد ٢٧، سنة ١٩٧١، ص٢٥٤ ».

الثالثة: وتحمل الرقم ٣٧٤٣/٢ – مس. كتب عليها:

هامش الوجه: ابو بكر/ صديق عمر فاروق/ عثمان عفا/ علي مرتضى.

هامش الظهر: ../ .../ ... خمس وأربعين/.. (أي في سنة ٧٤٥ هـ). قدّر وزنها بـ١,٣٥ غ، وقطرها بـ١٧ مم وذكر انها من الطراز الثالث.

« مجلة سومر، المجلد السابق، ص٢٤٩ ».

٧ – مسكوكة فضية واحدة مؤرخة في سنة ٧٤٧ هـ. هي الان في المتحف العراقي تحت رقم ٣٧٣٣/٥ – مس. اللوح ٤. من عهد السلطان انو شروان خان (ايغوري). ظهرت عليها =

ضرب في بغداد والموصل والحلة وسواها.

العبارات التالية:
مركز الوجه: محمد رسو.. /ابو بكر/ علي/ عثمان/ عمر.
هامش الوجه: الله لا إله إلا... لـ الله.
مركز الظهر: السلطان ايغوري، خلد الله ملكه.
هامش الظهر: سنجار/ سبع/ واربعين/ وسبعمائة.

وأفاد البكري في مقاله في (مجلة سومر، مجلد ٢٧، سنة ١٩٧١، ص٢٥٥) ان وزن هذه المسكوكة قدر بـ ١,٤٠٠ غ وقطرها بـ ١٧ مم.

المصادر والمراجع

أ - مصادر عربية

ب - مصادر مترجمة

ج - مراجع عربية

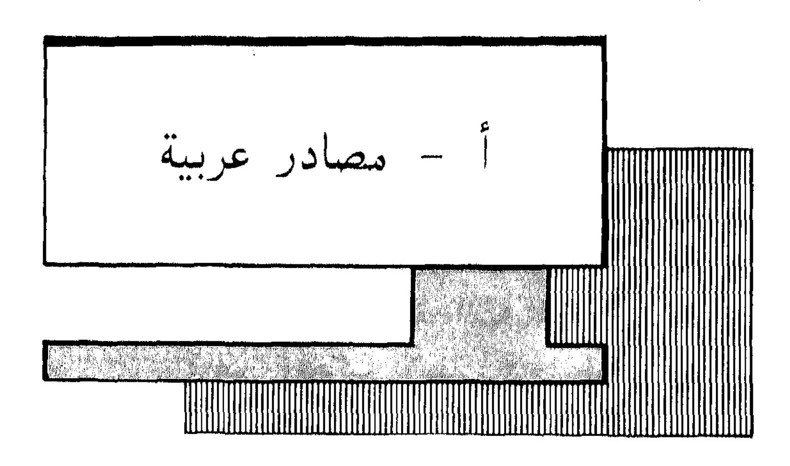
د - مراجع مترجمة

هـ - مراجع اجنبية

و - مجلات ودوريات عربية

ز - مجلات ودوريات مترجمة




أ - مصادر عربية

أ - مصادر عربية

ابن الاثير، ابو الحسن علي بن محمد، ت ٦٣٠ هـ/١٢٣٣ م:
- التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية في الموصل، ١ ج، تحقيق عبد القادر طليمات، القاهرة: دار الكتب الحديثة، ١٩٦٣.
- الكامل في التاريخ، ١٣ ج، بيروت: دار صادر، (١٩٦٥ - ١٩٦٧).
- اللباب في تهذيب الانساب، ٣ ج، القاهرة، نشر مكتبة القدسي، (١٣٥٦ - ١٣٦٩ هـ).

بن بطوطة، ابو عبد الله محمد اللواتي الطنجي، ت ٧٧٩ هـ/١٣٧٧ م:
- رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غريب الامصار وعجائب الاسفار، ٢ ج، طبعة ١٩٦٦.

ابن تغري بردي، جمال الدين ابو المحاسن يوسف، ت ٨٧٤ هـ/١٤٧٠ م -:
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ١٦ ج، القاهرة: دار الكتب المصرية، (١٩٢٩ - ١٩٧٢).

ابن جبير، ابو الحسن محمد بن احمد، ت ٦١٤ هـ/١٢١٧ م:
- رحلة ابن جبير، ١ ج، مصر: مطبعة السعادة، ١٩٠٨.

ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين احمد بن علي، ت ٨٥٢ هـ/١٤٤٩ م:
- انباء الغمر بابناء العمر، ٤ ج، حيدر آباد الدكن: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، (١٩٦٧ - ١٩٧٠).

- الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة، ٥ج، تحقيق محمد سيد جاد الحق. القاهرة: دار الكتب الحديثة، ١٩٦٦.

ابن حوقل، ابو القاسم محمد بن البغدادي الموصلي، ت ٣٨٠ هـ/٩٩٠ م:
- كتاب صورة الارض، ١ج، بيروت: دار مكتبة الحياة ١٩٦٣.

ابن خرداذبة، ابو القاسم عبيد الله بن عبد الله، ت ٣٠٠ هـ/٩١٢ م:
- كتاب المسالك والممالك (ويليه كتاب الخراج لقدامة بن جعفر)، ١ج، بغداد: مكتبة المثنى، د. ت. بريل: مطبعة بريل، ١٨٨٩.

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، ت ٨٠٨ هـ/١٤٠٦ م:
- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم. ٧ج، بيروت: دار الكتاب اللبناني، (١٩٦٧ - ١٩٧٨).

ابن خلكان، شمس الدين احمد بن محمد، ت ٦٨١ هـ/١٢٨٢ م:
- وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، ٨ج، تحقيق احسان عباس. بيروت: دار الصياد، (١٩٧٧ - ١٩٧٨).

ابن خياط، خليفة بن خياط العصفري، ت ٢٤٠ هـ/٨٥٤ م:
- تاريخ خليفة بن خياط، ٢ج، تحقيق سهيل زكار. دمشق: وزارة الثقافة والسياحة والارشاد القومي، ١٩٦٨.

ابن رسته، احمد بن عمر، ت ٢٩٠ هـ/٩٠٣م:
- كتاب الاعلاق النفيسة، ٧ج، موجود منه الجزء السابع

فقط طبع ليدن، بريل، ١٨٩١.

ابن الساعي الخازن، ابو طالب علي بن انجب تاج الدين، ت ٦٧٤ هـ/١٢٧٥ - ٧٦ م:

- الجامع المختصر في عيون التواريخ والسير، ٩ ج. موجود منه: الجزء التاسع، تصحيح مصطفى جواد. بغداد: المطبعة السريانية الكاثوليكية، ١٩٣٤.

ابن شداد، عز الدين ابي عبد الله محمد بن علي، ت ٦٨٤ هـ/١٢٨٥ م:

- الاعلاق الخطيرة في ذكر ملوك الشام والجزيرة، ٣ ج،: الجزء الاول، القسم الاول، تحقيق دومنيك سورديل. دمشق: المعهد الفرنسي للدراسات العربية، ١٩٥٣.
الجزء الثاني، القسم الثالث، تحقيق سامي الدهان. دمشق: المعهد الفرنسي للدراسات العربية، ١٩٥٦.
الجزء الثالث، القسم الاول، تحقيق يحيى عبارة، دمشق: وزارة الثقافة والارشاد القومي، ١٩٧٨.

ابن عبد الحق البغدادي، صفي الدين عبد المؤمن، ت ٧٣٩ هـ/١٣٣٨ م:

- مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع، ٣ ج، تحقيق علي محمد البجاوي. القاهرة: دار احياء الكتب العربية، (١٩٥٤ - ١٩٥٥).

ابن عبد ربه الاندلسي، ابو عمر احمد بن محمد، ت ٣٢٨ هـ/٩٤٠ م:

- العقد الفريد، ٧ ج، شرح وضبط احمد امين وابراهيم الابياري وعبد السلام هارون. القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر (١٩٤٨ - ١٩٥٣).

ابن العبري، ابو الفرج يوحنا غريغوريوس الملطي، ت ٦٨٥ هـ/١٢٨٦ م:

- تاريخ مختصر الدول ١ ج، وضع حواشيه ووقف على

طبعه الاب انطوان صالحاني اليسوعي. بيروت: المطبعة الكاثوليكية، ١٩٥٨.

ابن العديم، كمال الدين عمر بن احمد بن هبة الله، ت ٦٦٠ هـ/١٢٦٢ م:

- زبدة الحلب من تاريخ حلب، ٣ج، تحقيق سامي الدهان. دمشق: المعهد الفرنسي للدراسات العربية، (١٩٥١ - ١٩٦٨).

ابن العماد الحنبلي، ابو الفلاح عبد الحي، ت١٠٨٩هـ/١٦٨٩ م:

- شذرات الذهب في اخبار من ذهب، ٨ ج، القاهرة: مكتبة القدسي، (١٣٥٠ - ١٣٥١ هـ).

ابن الفرات، محمد بن عبد الرحيم، ت٨٠٧ هـ/١٤٠٥ م:

- تاريخ ابن الفرات، ٩ مجلد، موجود منه.

المجلد الرابع القسم الاول والثاني والمجلد الخامس القسم الاول، تحرير ونشر حسن محمد الشماع. البصرة: دار الطباعة الحديثة، ١٩٦٩، بغداد: مطبعة جامعة بغداد، ١٩٦٧.

المجلد التاسع، القسم الثاني، تحقيق قسطنطين زريق ونجلاء عز الدين. بيروت: المطبعة الاميركانية، ١٩٣٨.

ابن فضل الله العمري، شهاب الدين ابو العباس احمد بن يحي، ت ٧٤٩ هـ/١٣٤٩ م.

- مسالك الابصار في ممالك الامصار، ٢٧ ج، محقق منه:

الجزء الاول، تحقيق ونشر احمد زكي باشا. القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٢٤.

الاجزاء من ٢ - ٢٧ لا تزال مخطوطة (مصورة) موجودة في مكتبة الجامعة الاميركية في بيروت تحت رقم

(M.S! 915I 13mIA)

ابن الفقيه الهمداني، ابو بكر احمد بن محمد، ت٣٦٦ هـ/٩٧٦ م:

- مختصر كتاب البلدان، ١ ج، ليدن: مطبعة بريل، ١٣٠٢ هـ.

ابن الفوطي، كمال الدين ابو الفضل عبد الرزاق بن تاج الدين احمد، ت ٧٢٣ هـ/١٣٢٣ م:

- تلخيص مجمع الاداب في معجم الالقاب، ٤ ج، موجود منه:

:الجزء الرابع القسم الاول والثاني والثالث والرابع.
تحقيق مصطفى جواد. دمشق: وزارة الثقافة والارشاد القومي - (١٩٦٢ - ١٩٦٣).

- الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، ١ ج، تعليق وتصحيح مصطفى جواد، بغداد: المكتبة العربية - مطبعة الفرات، ١٣٥١ هـ.

ابن قاضي شهبة، تقي الدين ابو بكر احمد، ت٨٥١ هـ/١٤٤٨ م:

- تاريخ ابن قاضي شهبة المسمى بالاعلام المنتقى من تاريخ الاسلام للذهبي، موجود منه:

:المجلد الاول الجزء الثالث، تحقيق عدنان درويش، دمشق: المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية، ١٩٧٧.

ابن قطلوبغا، ابو الفدا زين الدين قاسم، ت ٨٨١ هـ/١٤٧٧ م:

- تاج التراجم في طبقات الحنفية، ١ ج، بغداد: مطبعة العاني - مكتبة المثنى، ١٩٦٢.

ابن القلانسي، ابو يعلى حمزة بن اسد، ت ٥٥٥ هـ/١١٦٠ م:

- تاريخ ابي يعلى المعروف، بذيل تاريخ دمشق، ١ ج، تحقيق هـ. ف. امدروز. بيروت: مطبعة الاباء اليسوعيين، بغداد، مكتبة المثنى، ليدن، مطبعة بريل، (١٩٠٨).

ابن كثير الدمشقي، ابو الفدا اسماعيل بن عمر، ت ٧٧٤ هـ/١٣٧٣ م:
- البداية والنهاية، ١٤ج في ٧، بيروت: مكتبة المعارف، الرياض: مكتبة النصر، ١٩٦٦.

ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، ت ٧١١ هـ/١٣١٢ م:
- لسان العرب، ١٥ ج، بيروت، دار صادر - دار بيروت، (١٩٥٥ - ١٩٥٦).

ابن منقذ، اسامة بن مرشد الكناني الشيرزي، ت ٥٨٤ هـ/١١٨٨ م:
- المنازل والديار، ١ ج، تحقيق مصطفى حجازي. القاهرة: لجنة احياء التراث الاسلامي - المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية، ١٩٦٨.

ابو واصل: جمال الدين محمد بن سالم، ت ٦٩٧ هـ/١٢٩٨ م:
- مفرج الكروب في اخبار بني ايوب، ٥ ج، (١٩٥٣ - ١٩٧٢)، موجود منه:
الجزء الاول، تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة: مطبعة جامعة فؤاد الاول، ١٩٥٣.
الجزء الثاني، تحقيق جمال الدين شيال، القاهرة: المطبعة الاميرية، ١٩٥٧.
الجزء الثالث، تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة: وزارة الثقافة والارشاد القومي - الاقليم الجنوبي، د.ت.
الجزء الرابع، تحقيق حسنين محمد ربيع، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٧٢.

ابو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل المقدسي الدمشقي، ت ٦٦٥ هـ/١٢٦٧ م:
- الروضتين في اخبار الدولتين، ٢ ج في ١، بيروت: دار الجيل، د. ت.
- الذيل على الروضتين، او تراجم رجال القرنين السادس والسابع، ١ ج، تصحيح محمد زاهد بن الحسن الكوثري نشر عزت العطار الحسني. بيروت: دار الجيل، ١٩٧٤.

ابو الفدا، الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل، ت ٧٣٢ هـ/١٣٢١ م:
- كتاب تقويم البلدان، ١ ج، تصحيح رينود - البارون ماك كوكين دسلان، باريس: دار الطباعة السلطانية، ١٨٥٠.
- المختصر في اخبار البشر، ٢ مجلد، بيروت: دار الكتاب اللبناني، (١٩٥٩ - ١٩٦١).

ابو يوسف، يعقوب بن ابراهيم، ت ١٨٢ هـ/٧٩٨ م:
- كتاب الخراج، ١ ج، القاهرة: نشر المكتبة السلفية، ١٣٥٢ هـ.

الازدي، ابو زكريا يزيد بن محمد بن اياس، ت ٣٣٤ هـ/٩٤٥ م:
- تاريخ الموصل، ١ ج، تحقيق علي حبيبة، القاهرة: لجنة احياء التراث الاسلامي، ١٩٦٧.

الاخطل، ابو مالك غياث بن غوث بن الصلت، ت ٩٠ هـ/٧٠٤ م:
- ديوان الاخطل (رواية ابي عبد الله محمد بن العباس اليزيدي)، ١ جلد، نشر الاب انطون صالحاني اليسوعي، بيروت: توزيع المكتبة الشرقية - الطبعة الثانية، د. ت.

(دار احياء التراث العربي، د.ت.)

الاصطخري، ابو اسحق ابراهيم بن محمد الفارسي، ت ٣٤٠ هـ/٩٥١ م:
- كتاب الاقاليم، ١ ج، بغداد: مكتبة المثنى، د.ت. (طبعة بالاوفست).
- كتاب المسالك والممالك، ١ ج، تحقيق محمد جابر عبد العال الحيني. القاهرة: وزارة الثقافة والارشاد القومي - دار القلم، ١٩٦١.

الاصفهاني، عماد الدين محمد بن محمد بن حامد الشهير بالعماد الكاتب، ت ٥٩٧ هـ/١٢٠١ م:
- خريدة القصر وجريدة العصر، (قسم شعراء الشام)، ٢ ج، تحقيق شكري فيصل. دمشق: المطبعة الهاشمية - مطبوعات المجمع العلمي العربي، (١٩٥٥ - ١٩٥٩).
- خريدة القصر وجريدة العصر (قسم شعراء العراق) ٢ ج، تحقيق محمد بهجة الاثري وجميل سعيد. بغداد - مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٥٥.

الالوسي، محمود شكري، ت ١٢٤٦ هـ/ ١٨٢٦ م:
- بلوغ الارب في معرفة احوال العرب، ٣ ج، اختيار محمد خالد الصحفي. القاهرة: مطبعة الصاوي الحديثة، نشر دار القلم، د.ت.

الباخرزي، أبو الحسن علي بن الحسن السنجي، ت ٤٦٧ هـ/ ١٠٧٥ م:
- دمية القصر وعصرة أهل العصر، ٢ ج، تحقيق سامي مكي العاني. بغداد: مطبعة المعارف، ١٩٧٠.

البحتري، أبو عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى الطائي، ت ٢٨٤ هـ/ ٨٩٧ م:
- ديوان البحتري، ١ مجلد، تعليق رشيد عطية، بيروت:

المطبعة الادبية، ١٩١١.

البغدادي، عبد الرحمن بن عبد الله السويدي، ت ١٢٠٠ هـ/ ١٧٨٦ م:
- **تاريخ حوادث بغداد والبصرة من سنة ١١٨٦ - ١١٩٢ هـ/ ١٧٧٢ - ١٧٧٨ م**، ١ ج، تحقيق عماد عبد السلام رؤوف. بغداد: دار الحرية للطباعة، ١٩٧٨.

البكري، أبو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز، ت ٤٨٧ هـ/ ١٠٩٤ م:
- **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواقع**، ٣ ج، تحقيق مصطفى السقا. القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، (١٩٤٥ - ١٩٤٩).

البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر، ت ٢٧٩ هـ/ ٨٩٢ م:
- **انساب الاشراف**، ٥ ج، موجود منه:
: الجزء الرابع، القسم الثاني، بغداد: مكتبة المثنى، ١٩٣٨.
: الجزء الخامس، بغداد: مكتبة المثنى، ١٩٣٦.
- **فتوح البلدان**، ١ مجلد، تحقيق عبد الله وعمر أنيس الطباع. بيروت: دار النشر للجامعيين، ١٩٥٧.

الجواليقي، أبو منصور موهوب بن أحمد، ت ٥٤٠ هـ/ ١١٤٥ م:
- **المعرب من الكلام الاعجمي على حروف المعجم**، ١ ج، تحقيق أحمد محمد شاكر. القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٦١ هـ.

حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله، ت ١٠٥٨ هـ/ ١٦٥٧ م:
- **كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون**، ٢ ج، طهران: المكتبة الاسلامية الجعفرية، (١٩٤٧ - ١٩٦٧). (طبعة بالاوفست).

الحميري، أبو سعيد نشوان بن سعيد بن نشوان، ت ٥٧٣ هـ/ ١١٧٨ م:
- **الحور العين**، ١ ج، تحقيق كمال مصطفى. القاهرة: مطبعة السعادة، ١٩٤٨، طهران: ١٩٧٢.

الحنبلي، أحمد بن ابراهيم، ت ٨٧٦ هـ/ ١٤٧٢ م:
- **شفاء القلوب في مناقب بني أيوب**، ١ ج، تحقيق ناظم رشيد.
بغداد، دار الحرية، ١٩٧٨.

الخوارزمي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف، ت ٣٨٧ هـ/ ٩٩٧ م:
- **مفاتيح العلوم**، ١ ج، القاهرة، نشر ادارة الطباعة المنيرية - مطبعة الشرق، ١٣٤٢ هـ.

الخوارزمي، أبو عبد الله محمد بن موسى، ت ٢٣٢ هـ/ ٨٤٦ م:
- **كتاب صورة الارض من المدن والجبال والبحار...**، ١ ج، تصحيح هـ.ف.متريك. فينا: مطبعة ادولف هولزهوزن، ١٩٢٦.

الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود، ت ٢٨٢ هـ/ ٨٩٥ م:
- **الاخبار الطوال**، ١ ج، تحقيق عبد المنعم عامر وجمال الدين الشيال. القاهرة: وزارة الثقافة والارشاد القومي - الاقليم الجنوبي، ١٩٦٠.

الذهبي، الحافظ شمس الدين أبي عبد الله، ت ٧٤٨ هـ/ ١٣٤٧ م:
- **دول الاسلام**، ٢ ج، حيدر اباد الدكن: مطبعة دائرة المعارف النظامية، ١٣٣٧ هـ.
- **العبر في خبر من غبر**، ٤ ج، تحقيق صلاح الدين المنجد.
الكويت: دار التراث العربي، (١٩٦٠ - ١٩٦٣).

الروذراوري، أبو شجاع محمد بن الحسين الملقب ظهير الدين، ت ٤٨٨ هـ/ ١٠٩٥ م:

- **ذيل تجارب الأمم**، ١ ج، (الجزء الاخير من كتاب تجارب الأمم)، تصحيح هـ.ف.أمدروز. بغداد: مكتبة المثنى، ١٩١٩.

الزبيدي، أبو الفيض مرتضى بن محمد الواسطي، ت ١٢٠٦ هـ/ ١٧٩١ م:

- **تاج العروس**، ١٠ ج، مصر: المطبعة الجمالية الخيرية، (١٣٠٦ - ١٣٠٧ هـ).

السبكي، تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي، ت ٧٧١ هـ/ ١٣٦٨ م:

- **طبقات الشافعية الكبرى**، ٨ ج، تحقيق محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح الحلو. القاهرة: عيسى البابي الحلبي، ١٩٦٤.

- **معيد النعم ومبيد النقم**، ١ ج، تحقيق محمد علي النجار وأبو زيد شبلي ومحمد أبو العيون. القاهرة: دار الكتاب العربي، ١٩٤٨.

السخاوي، محمد بن عبد الرحمن، ت ٩٠٣ هـ/ ١٤٩٧ م:

- **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، ١٢ ج، بيروت: دار مكتبة الحياة، د.ت.

السمعاني، أبو سعيد عبد الكريم محمد بن منصور التميمي، ت ٥٦٢ هـ/ ١١٦٦ م:

- **كتاب الانساب**، ٧ ج، تحقيق محمد عوامة، نشر محمد أمين دمج، بيروت: مطبعة محمد هاشم الكتبي، ١٩٧٦.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، ت ٩١١ هـ/ ١٥٠٥ م:

- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ٢ ج، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم. القاهرة: عيسى البابي الحلبي، ١٩٦٤.
- لب اللباب في تحرير الانساب، ١ ج، بغداد: مكتبة المثنى، د.ت، (طبعة بالاوفست).

شيخ الربوة، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي طالب الانصاري، ت ٧٢٧ هـ/ ١٣٢٦ م:
- نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، ١ ج، بغداد: مكتبة المثنى، د.ت.

الصابي، أبو اسحق ابراهيم بن هلال بن زهرون، ت ٣٨٤ هـ/ ٩٩٤ م:
- المختار من رسائله، ١ ج، تعليق الامير شكيب أرسلان.
بيروت: دار النهضة الحديثة، ١٩٦٨.

الصابي، أبو الحسين هلال بن المحسن، ت ٤٤٨ هـ/ ١٠٥٦ م:
- كتاب الوزراء، أو تحفة الامراء في تاريخ الوزراء، ١ ج، تحقيق عبد الستار احمد فراج. القاهرة: دار احياء الكتب العربية، ١٩٥٨.

الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك، ت ٧٦٤ هـ/ ١٣٦٣ م:
- نكت الهميان في نكت العميان، ١ ج، وقف على طبعه احمد زكي بك. مصر: المطبعة الجمالية، ١٩١١.
القاهرة:
المكتبة التجارية، ١٩١١.
- الوافي بالوفيات، ٨ ج، تحقيق احسان عباس، ديدرينغ، فيسبادن: فرنزشتايز. بيروت: دار صادر،

(١٩٣١ - ١٩٧٢).

الطبري، محمد بن جرير، ت ٣١٠ هـ/ ٩٢٢ م:
- تاريخ الرسل والملوك، ١٠ ج، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم. مصر: دار المعارف، (١٩٦٠ - ١٩٦٨).

العليمي، أبو اليمن مجير الدين الحنبلي، ت ٨٦٠ هـ/ ١٤٥٦ م:
- الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ٢ ج، تقديم محمد بحر العلوم، النجف الاشرف: المطبعة الحيدرية ١٩٦٨.

العمري، محمد أمين خير الله الخطيب، ت ١٢٠٣ هـ/ ١٧٨٨ م:
- منهل الاولياء ومشرب الاصفياء من سادات الموصل الحدباء، ٢ ج، تحقيق سعيد الديوه جي. الموصل: نشر مطبعة الجمهور، (١٩٦٧ - ١٩٦٨).

العمري، ياسين بن خير الله الخطيب، ت ١١٥٧ هـ/ ١٧٤٤ م:
- منية الادباء في تاريخ الموصل الحدباء، ١ ج، تحقيق سعيد الديوه جي. الموصل: نشر مطبعة الهدف، ١٩٥٥.

الفارقي، أحمد بن يوسف بن علي بن الازرق، ت ٥٧٧ هـ/ ١١٨١ م:
- تاريخ الفارقي أو تاريخ ميافارقين، ١ ج، تحقيق بدوي عبد اللطيف عوض، بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٧٤.

قدامة، ابن جعفر البغدادي أبو الفرج، ت ٣٢٠ هـ/ ٩٣٢ م:
- كتاب الخراج وصنعة الكتابة (ملحق بكتاب المسالك والمالك لإبن خرداذبة)، ١ ج، بغداد: مكتبة المثنى، ليدن: مطبعة بريل، ١٨٨٩.

القرماني، أبو العباس أحمد بن يوسف، ت ١٠١٣ هـ/ ١٦١٠ م:

- أخبار الدول وآثار الأول، ١ ج، بغداد: مطبعة عباس الميرزا التبريزي، ١٢٨٢ هـ.

القزويني، زكريا بن محمد، ت ٦٨٢ هـ/ ١٢٨٣ م:

- اثار البلاد وأخبار العباد، ١ ج، بيروت: دار صادر - دار بيروت، ١٩٦٠.

القفطي، أبو الحسن جمال الدين علي بن يوسف، ت ٦٤٦ هـ/ ١٢٤٨ م:

- المحمدون من الشعراء وأشعارهم، ١ ج، تحقيق حسن معمري الرياض: منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٩٧٠.

القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي، ت ٨٢١ هـ/ ١٤١٨ م:

- صبح الاعشى في صناعة الانشا، ١٤ ج، القاهرة: دار الكتب الخديوية - المطبعة الاميرية (١٩١٣ - ١٩١٨).
القاهرة: وزارة الثقافة والارشاد القومي، نسخة مصورة عن الطبعة الاميرية، المؤسسة العامة للتأليف والترجمة والنشر، (د.ت).

- قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، ١ ج، تحقيق ابراهيم الابياري. القاهرة: نشر دار الكتب الحديثة، ١٩٦٣.

- نهاية الارب في معرفة انساب العرب، ١ ج، تحقيق ونشر علي الخاقاني. بغداد: مطبعة النجاح، ١٩٥٨.

الكتبي، محمد بن شاكر، ت ٧٦٤ هـ/ ١٣٦٣ م:

- فوات الوفيات والذيل عليها، ٥ ج، تحقيق احسان عباس.
بيروت: دار صادر، (١٩٧٣ - ١٩٧٤).

المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين، ت٣٤٦ هـ/ ٩٥٦ م:
- **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، ٤ ج، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد. القاهرة: مطبعة السعادة - نشر المكتبة التجارية الكبرى، ١٩٦٤ - ١٩٦٥. بيروت: دار الاندلس للطباعة والنشر، ١٩٦٦.
- **التنبيه والاشراف**، ١ ج، ليدن: مطبعة بريل: ١٨٩٣.

مسكويه، أحمد بن محمد بن يعقوب، ت ٤٢١ هـ/ ١٠٣٠ م:
- **تجارب الأمم**، ٤ ج في ٣، تصحيح هـ. ف. أمدروز. بغداد: مكتبة المثنى، (١٩١٤ - ١٩١٩).

المقدسي، شمس الدين أبو عبد الله محمد، ت ٣٧٥ هـ/ ٩٨٣ م:
- **أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم**، ١ ج، بيروت: مكتبة خياط، ١٩٠٦.

المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، ٨٤٥ هـ/١٤٤١ م:
- **السلوك لمعرفة دول الملوك**، ٢ مجلد، تصحيح محمد مصطفى زيادة. القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، (١٩٣٩ - ١٩٧١).
- **شذور العقود في ذكر النقود** (النقود الاسلامية)، ١ ج، تحقيق محمد السيد علي بحر العلوم. النجف الاشرف: المطبعة الحيدرية، ١٩٦٧.
- **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**، ٢ ج، القاهرة: مطبعة النيل، ١٣٢٦ هـ.

النعيمي، عبد القادر محمد، ت٩٢٧ هـ/ ١٥٢١ م:
- **الدارس في تاريخ المدارس**، ٢ ج، تحقيق جعفر الحسني. دمشق: مطبعة الترقي، (١٩٤٨ - ١٩٥١).

النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، ت ٧٣٣ هـ/ ١٣٣٢ م:
- نهاية الارب في فنون الادب، ٢٠ ج،
الاجزاء من ١ - ١٨ - القاهرة: طبعة دار الكتب المصرية، (١٩٢٣ - ١٩٥٥).
الجزء ١٩، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٥.
الجزء ٢٠، تحقيق محمد رفعت فتح الله، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٥.

الهروي، أبو الحسن علي بن ابي بكر، ت ٦١١ هـ/ ١٢١٤ م:
- الإشارات الى معرفة الزيارات، ١ ج، تحقيق جانين سورديل طومين. دمشق: المعهد الفرنسي للدراسات العربية، ١٩٥٣.

الهمذاني، أبو محمد الحسن بن أحمد، ت ٣٣٤ هـ/ ٩٤٥ م:
- صفة جزيرة العرب، ٢ ج في ١، ليدن: مطبعة بريل، (١٨٨٤ - ١٨٩١).

الهمذاني، رشيد الدين فضل الله، ت ٧١٨ هـ/ ١٣١٨ م:

- جامع التواريخ، ٢ مجلد، ترجمة محمد صادق نشأت وغيره. القاهرة: وزارة الثقافة والارشاد القومي - الإقليم الجنوبي - دار احياء الكتب العربية - عيسى البابي وشركاه، ١٩٦٠.

الواقدي، أبو عبد الله محمد بن عمر، ت ٢٠٧ هـ/ ٨٢٢ م:

- فتوح الشام، ٢ ج، مصر: المكتبة التجارية الكبرى - دار العهد الجديد للطباعة بالخرنفش، د.ت.

ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله، ت٦٢٣ هـ/ ١٢٢٥م:
- **المشترك وضعا والمفترق صقعا**، ١ج، بغداد: نشر مكتبة المثنى، مصر: مؤسسة الخانجي، د.ت.
- **معجم البلدان**، ٥ مجلد، بيروت: دار صادر - دار بيروت، (١٩٥٥ - ١٩٥٧) - ليبزك: وستفلد ١٨٦٦.

اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر، ت٢٨٢ هـ/ ٨٩٥م:
- **تاريخ اليعقوبي**، ٢ج، بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٧٠.

اليونيني، قطب الدين موسى بن محمد، ت٧٢٦ هـ/ ١٣٢٦م:
- **ذيل مرآة الزمان**، ٢ج، حيدر اباد الدكن: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، (١٩٥٤ - ١٩٥٥).

ب - مصادر مترجمة

ايشوعد ناح:
- الديورة في مملكتي الفرس والعرب، ١ ج، نقله الى العربية القس بولس شيخو. الموصل: مطبعة النجم، ١٩٣٩.

سهراب، (ابن سرابيون، القرن الرابع الهجري، العاشر الميلادي):
- **عجائب الاقاليم السبعة**، ١ ج، تصحيح هانس فون مثريك، فينا: مطبعة أدولف هولز هوزن، ١٩٢٩.

المرجي، توما اسقف المرج (القرن التاسع الميلادي):
- كتاب الرؤساء، ١ ج، تعريب البيرابونا، الموصل: المطبعة العصرية، ١٩٦٦.

ج - مراجع عربية

ابونا، البير،

- ادب اللغة الارامية، ١ج، بيروت -: مطبعة ستاركو، ١٩٧٠

بابو اسحق، روفائيل،

- تاريخ نصارى العراق، ١ج، بغداد: مطبعة منصور، ١٩٤٨.

باقر، طه وفؤاد سفر:

- المرشد الى مواطن الآثار والحضارة، ٣ج، بغداد -: نشر مديرية الفنون والثقافة الشعبية في وزارة الثقافة والإرشاد ١٩٦٦.

البستاني، فؤاد افرام:

- دائرة المعارف،، ١٢ مجلد، بيروت: المطبعة الكاثوليكية، (١٩٥٦ - ١٩٧٧).

البغدادي، اسماعيل باشا بن محمد امين بن مير سليم الباباني، تـ ١٩٢٠ م:

- ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن اسماء الكتب والفنون، ٢ج في ١، اسطنبول: مطبعة وكالة المعارف، ١٩٤٥.
- هدية العارفين واسماء المؤلفين وأثار المصنفين، ٢ج، اسطنبول: مطبعة الحكومة، (١٩٥١ - ١٩٥٥).

التوتونجي، نجاه يونس الحاج محمد:

- المحاريب العراقية منذ العصر الاسلامي الى نهاية العصر العباسي، ١ج، بغداد: نشر وزارة الأعلام، ١٩٧٦.

الجلبي، داود:
- زبدة الآثار الجلية في الحوادث الأرضية، ١ج، تحقيق عماد عبد السلام رؤوف. النجف الأشرف: مطبعة الآداب ١٩٧٤.
- كلمات فارسية مستعملة في عامية الموصل وفي انحاء العراق، ١ج، بغداد: مطبعة العاني، ١٩٦٠.

الحديثي، عطا وهناء عبد الحق:
- القبـاب المخروطيـة في العراق،١ج، بغـداد: وزارة الأعلام - مديرية الآثار العامة، ١٩٧٤.

حسن، حسن ابراهيم:
- تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي في العصر العباسي الثاني، ٤ج، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، (١٩٦٤ - ١٩٦٧).

الحسني، صادق:
- الآثار والمتاحف في العراق، ١ج، بغداد: دار الجمهور، ١٩٦٩.

الحسني، عبد الرزاق:
- موجز تاريخ البلدان العراقية، ١ج، بغداد، مطبعة النجاح، ١٩٣٠.

الحسيني، محمد باقر:
- العملة الاسلامية في العهد الاتابكي، ١ج، بغداد، مطبعة دار الجاحظ، ١٩٦٦.
- تطور النقود العربية الاسلامية، ١ج، بغداد، مطبعة دار الجاحظ، ١٩٦٩.

حسيني، مولوي س. أ. ق.:
- الادارة العربية، ١ج، ترجمة ابراهيم احمد العدوي. القاهرة: نشر مكتبة الآداب، ١٩٥٨.

خصباك، جعفر حسين:
- العراق في عهد المغول الايلخانيين، ١ج، بغداد، مطبعة العاني، ١٩٦٨.

خليل، عماد الدين:
- عماد الدين زنكي، ١ج، بيروت: الدار العلمية، ١٩٦٧.

الدملوجي، صديق:
- اليزيدية، ١ج، الموصل: مطبعة الاتحاد، ١٩٤٩.

الديوه جي، سعيد:
- اليزيدية، ١ج، بغداد نشر المجمع العلمي العراقي، ١٩٧٣.
- الموصل في العهد الاتابكي، ١ج، بغداد، مطبعة شفيق، ١٩٥٨.

الرافعي، مصطفى:
- حضارة العرب في العصور الاسلامية الزاهرة، ١ج، بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٦٠.

الرويشيدي، سوادي عبد محمد:
- امارة الموصل في عهد بدر الدين لؤلؤ، ١ج، بغداد، مطبعة الإرشاد، ١٩٧١.

الزبيدي، محمد حسين:

- العراق في العصر البويهي - التنظيمات السياسية والادارية والاقتصادية، ١ج، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٦٩.

الزركلي، خير الدين، تـ ١٩٧٦:

- الاعلام، قاموس تراجم لاشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ١٠ج، القاهرة: مطبعة كونستاتوماس وشركاه، (١٩٥٤ - ١٩٥٩).

زكي، محمد امين:

- خلاصة تاريخ الكرد وكردستان من اقدم العصور التاريخية حتى الآن، ٢ ج، ترجمة محمد علي عوني. مصر: مطبعة السعادة (١٩٤٨ - ١٩٦١).

سالم، عبد العزيز:

- تاريخ الدولة العربية، ١ ج، بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٧٠.

السامر، فيصل:

- الدولة الحمدانية في الموصل وحلب، ٢ ج، بغداد: مطبعة الايمان، (١٩٧٠ - ١٩٧٣).

السامرائي، يونس احمد:

- البحتري في سامراء حتى نهاية عصر المتوكل، ١ ج، بغداد: مطبعة الارشاد، ١٩٧٠.

- البحتري في سامراء بعد عصر المتوكل، ١ ج، بغداد: مطبعة الارشاد، ١٩٧١.

سلمان، عيسى، (مع اسامة النقشبندي ونجاة التوتونجي):

- نصوص في المتحف العراقي - نصوص عربية، ١ ج،

بغداد: وزارة الاعلام - مديرية الآثار العامة، ١٩٧٥.
سوسة، احمد:
- **العراق في الخوارط القديمة**، ١ج، بغداد: مطبعة المعارف - مطبوعات المجمع العلمي العراقي، ١٩٥٩.
- **العرب واليهود في التاريخ**، ١ج، بغداد: دار الحرية للطباعة، ١٩٧٢.
- **ملامح من التاريخ القديم**، ١ج، بغداد: مطبعة اسعد ١٩٧٨.
- **ري سامراء في عهد الخلافة العباسية**، ١ج، بغداد: مطبعة المعارف - مطبوعات المجمع العلمي العراقي، ١٩٤٨.
سيوفي، نقولا، ت- ١٣١٩هـ/١٩٠١م:
- **مجموع الكتابات المحررة في ابنية الموصل**، ١ج، تحقيق ونشر سعيد الديوهجي. بغداد: مطبعة شفيق، ١٩٥٦.
الشبيبي، محمد رضا:
- **مباحث عراقية في الجغرافية والتاريخ والآثار وخطط بغداد**، ١ج، الكرخ - بغداد: شركة التجارة والطباعة المحددة، ١٩٤٨.
الشكعة، مصطفى:
- **سيف الدولة الحمداني**، ١ج، القاهرة: دار القلم - المكتبة التاريخية، عدد ٨ - ١٩٥٩.
شير، ادي:
- **تاريخ كلدو وآثور**، ٢ج، بيروت: المطبعة الكاثوليكية للاباء اليسوعيين، (١٩١٢ - ١٩١٣).

الصائغ، سليمان:
- **تاريخ الموصل**، ٣ ج،
: الجزء الأول، مصر: المطبعة السلفية، ١٩٢٣.
: الجزء الثاني، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، ١٩٢٨.
: الجزء الثالث، جونيه - لبنان: مطابع الكريم، ١٩٥٦.

الصراف، احمد حامد:
- **كتاب الشبك**، ١ ج، بغداد: مطبعة المعارف، ١٩٥٤.

الصياد، فؤاد عبد المعطي:
- **مؤرخ المغول الكبير** (رشيد الدين فضل الله الهمذاني، ١ ج، القاهرة: دار الكتاب العربي للطباعة، ١٩٦٧).

العاني، خالد عبد المنعم:
- **موسوعة العراق الحديث**، ٣ ج، بغداد: نشر الدار العربية للموسوعات، ١٩٧٧.

عبد الوهاب، حسن:
- **تاريخ المساجد الأثرية**، ١ ج، القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٤٦.

العزاوي، عباس:
- **تاريخ النقود العراقية لما بعد العهود العباسية**، ١ ج الصالحية، بغداد: نشر شركة التجارة والطباعة ذم. م. ١٩٥٨.
- **تاريخ العراق بين احتلالين**، ٧ ج، بغداد: (مطبعة بغداد، (١٩٣٥ - ١٩٥٦).
- **عشائر العراق القديمة** - البدوية والحاضرة، ٤ ج في ٣، بغداد: مطبعة بغداد، (١٩٣٧ - ١٩٥٦).

القمي، الشيخ عباس بن محمد رضا:
- الكنى والألقاب، ٣ ج، النجف الأشرف: المطبعة الحيدرية ١٩٥٦.
كحالة، عمر رضا:
- اعلام النساء في عالمي العرب والاسلام، ٣ ج، دمشق: المطبعة الهاشمية، ١٩٥٨.
- معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، ٣ ج، دمشق: المطبعة الهاشمية، ١٩٤٩.
- معجم المؤلفين، ١٢ ج، دمشق: مطبعة الترقي، (١٩٥٧ - ١٩٦٠).
كرد علي، محمد
- خطط الشام، ٦ ج، دمشق: مطبعة المفيد، (١٩٢٦ - ١٩٢٨).
مخلص، عدي يوسف:
- المقدسي البشاري (حياته ومنهجه)، ١ ج، النجف الأشرف: مطبعة النعمان، ١٩٧٣.
المعاضيدي، خاشع:
- دولة بني عقيل في الموصل،، ١ ج، بغداد: مطبعة شفيق، ١٩٦٨.

د - مراجع مترجمة

بدج، سروليس:

- **رحلات الى العراق**، ٢ج، ترجمة فؤاد جميل. بغداد: مطبعة شفيق، ١٩٦٨.

بروكلمان، كارل:

- **تاريخ الشعوب الاسلامية**، ٥ج في ٤، ترجمة نبيه فارس ومنير بعلبكي. بيروت: دار العلم للملايين، (١٩٤٨ - ١٩٥٠).

بكنغهام، جيمس:

- **رحلتي الى العراق**، ٢ج، ترجمة سليم طه التكريتي.
الجزء الاول، بغداد: مطبعة اسعد، ١٩٦٨.
الجزء الثاني، بغداد: نشر المجمع العلمي العراقي، ١٩٦٩.

حتي، فيليب خوري:

- **تاريخ العرب مطول**، ٢ج، ترجمة ادورد جرجي وجبرائيل جبور، بيروت: دار الكشاف، ١٩٦٥.

رنسيمان، ستيفن:

- **تاريخ الحروب الصليبية**، ٣ج، ترجمة الباز العريني، بيروت: نشر وتوزيع دار الثقافة، (١٩٦٧ - ١٩٦٩).

زامباور، ادواردفون، ت١٩٤٧:

- **معجم الانساب والاسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي**، ٢ج في ١، اخراج زكي محمد حسن بك وحسن احمد محمود، القاهرة: مطبعة فؤاد الاول، (١٩٥١ - ١٩٥٢).

ليسترانج، چي:
- بلدان الخلافة الشرقية، ١ج، ترجمة كوركيس عواد وبشير فرنسيس. بغداد: مطبعة الرابطة، ١٩٥٤.

لين بول، ستانلي:
- طبقات سلاطين الاسلام، ١ج، تحقيق علي البصري. ترجمه عن الفارسية مكي طاهر الكعبي. بغداد: دار منشورات البصرى، ١٩٦٨.

مكاي، دروثي:
- مـــدن العراق القـــديمـــة، ١ج، ترجمة يوسف يعقوب مسكوني. بغداد: مطبعة شفيق، ١٩٦١.

ميتز، آدم:
- الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري، ٢ج، ترجمة محمد عبد الهادي ابو ريدة. القاهرة: نشر دار الكتاب العربي، ١٩٦٧.

هـ - مراجع اجنبية

ANONYME

Anonymi auctoris chronicon ad A. C. 1234 pertinens, C.S.C.O., Vol. 354, Scriptores syri, T 154, Vol. 11, Louvain, 1974.

ANVILLE (M. d'-ET BOURGUIGNON, J.B.)

L'Euphrate et le Tigre, Paris, Imprimerie Royale, 1779.

BIRKEN (ANDREAS)

Die Provinzen des Osmanischen Reiches, Wiesbaden, 1976.

CANARD (MARIUS)

Histoire de la Dynastie de Hamdanides de Jazira et de Syrie, t. I, P.U.F., Paris, 1953.

CUINET (VITAL)

La Turquie d'Asie, t. 2, Paris, 1891.

DILLEMANN (LOUIS)

Haute Mésopotamie Orientale, Geuthner, Paris, 1962.

ELISSEEFF (NIKITA)

Nûr ad-Dên, 3 Vol., P.I.F. Damas, 1967.

FIEY (JEAN MAURICE)

– **Chrétiens syriaques entre Croisés et Mongols,** Symposium Syriacum 1, Rome, 1972.

– **Encore 'Abd al-Masîh de Sindjâr, Le Muséon,** LXXVII, Louvain, 1964.

– **Les diocéses du Maphrianat Syrien, Parole de l'Orient,** Kaslik, V, 2, 1974.

– **Ma'în, général de Sapor II, confesseur et évêque, le Muséon,** LXXVI, Louvain, 1971.

GIBBON (EDWARD)

The History of the Decline and Fall of the Roman Empire, 5 Vol., Philadelphia, S.D.

GROUSSET (RENE)

Histoire des Croisades et du Royaume Franc de Jérusalem. 3 Vol., Paris, 1934–1936.

LANE POOLE (STANLEY)

– **Catalogue of the Oriental Coins in the British Museum,** 10 Vol., London, 1875–1890.

– **Mohammedan Dynasties, Chronological and Généalogical,** Beirut, Khayat, 1966.

LAVOIX (HENRI)

Catalogue des monnaies Musulmanes de la Bibliothéque Nationale, 3 Vol., Imprimerie Nationale, Paris, 1887–1896.

LAYARD (A.H.)

Discoveries in the Ruins of Nineweh and Babylon, Murray, London, 1853.

LE STRANGE (GUY)

The Lands of the Eastern Caliphate› Cambridge U.P., 3d ed., 1966.

MICHEL LE SYRIEN

Chronicon, ed., tr. fr. J.B. Chabot, 4 Vol., Paris, 1899–1910

NIEBUHR (G.)

Voyage en Arabie et en autres pays circonvoisins, tr. fr., J.J. Besseling, Autriche,

1779.

OATES (DAVID)

Singara and its Fortifications, Studies in the Ancient History of Northern Iraq, British Academy, 1968.

RUNCIMAN (STEVEN).

A History of the Crusades, 3 Vol., **Cambridge U.P., 1951-1954.**

SACHAU (EDUARD)

Reise in Syrien und Mesopotamien, Vol. 1, Leipzig, 1883.

SARRE-HERZFELD

Archaeologische Reise in Euphrat und Tigrit Gebiet, Vol. 1, Berlin, 1911.

SOURDEL (DOMINIQUE)

Les professeures de Madrasa à Alep aux XIIo-XIIIo S., d'après Ibn Shaddad, in Bulletin d'Etudes Orientales, Damas, III (1949-1951).

ZAMBAUR (EDUARD VON.)

Die Münz Prägungen des Islams, Steiner, Wiesbaden, 1968.

و - مجلات ودوريات عربية

- مجلة التراث الشعبي العراقي، العدد الخامس، السنة السادسة، بغداد: دار الحرية، ١٩٧٥.
- مجلة سومر، بغداد: نشر وزارة الاعلام العراقية - مديرية الآثار العامة.

  المجلد الثاني، السنة ١٩٤٦.

  المجلد الثامن، السنة ١٩٥٢.

  المجلد الحادي والعشرون، السنة ١٩٦٥.

  المجلد الثاني والعشرون، السنة ١٩٦٦.

  المجلد الثالث والعشرون، السنة ١٩٦٧.

  المجلد الرابع والعشرون، السنة ١٩٦٨.

  المجلد الخامس والعشرون، السنة ١٩٦٩.

  المجلد السابع والعشرون، السنة ١٩٣١.

  المجلد الحادي والثلاثون، السنة ١٩٧٥ (القسم العربي والأجنبي).
- مجلة المسكوكات، العدد الثاني، السنة ١٩٦٩، مجموعة صراف.
- مجلة المشرق، المجلد الخمسون، بيروت: المطبعة الكاثوليكية، ١٩٥٦.

ز - مجلات ودوريات مترجمة

- دائرة المعارف الاسلامية، ١٤ ج، ترجمة محمد ثابت الفندي واحمد الشنتناوي وغيرهما، نشر جهان تران بوذجمري، د.ت.

الخاتمة

حاولت من خلال هذه الدراسة ان اظهر ما كان لمدينة سنجار من أهمية ومكانة في مختلف ادوارها التاريخية، ونواحي الحياة الانسانية فيها. فسنجار، هذه المدينة العريقة في قدمها، المهمة بموقعها، الغنية باتساع رقعتها، القوية بصلابة مستوطنيها، كانت ذات اثر بارز في تاريخ الجزيرة الفراتية، حيث شاركت بصورة فعالة في صنع الأحداث التي جرت على أرضها في اكثر من عصر. فعبر ممراتها الجبلية كانت تتقرر صورة العلاقات السياسية بين الدول المتصارعة على أرض الرافدين، من كبيرة وصغيرة، قديمة ووسيطة. وكأنما كتب لهذه المدينة ان تدخل حلبة الصراع الدولي أيام الاشوريين والحثيين والميتانيين والكلدان والفرس والرومان. فعلى هضابها ووهادها، وعلى صحرائها وساحاتها كانت لهذه الأمم صولات وجولات. وباسمها عرفت كثير من المعارك التي سطرتها كتب التاريخ.

وبظهور الاسلام، وان خبا نور سنجار لفترة، فسرعان ما انبلج هذا النور من جديد فعادت وتبوأت مركزها، بعد ان ادرك المسلمون أهميتها وتنبهوا الى مزايا موقعها حيث كانت كالطوق في حفظ جميع ما ملكوه من مدن وضياع، وما اقاموه من اسوار وقلاع في مختلف انحاء الجزيرة. فاعتبرت أمنياً بوابة الجزيرة ومفتاحها، وتبعت لحكم امرائها وقادتها، الى ان ذهب ملك الأمويين، وحل سلطان العباسيين. ونتيجة للأوضاع السياسية والادارية التي استحدثها هؤلاء اضحت سنجار خاضعة في أيامهم لارادة سادة الموصل وولاتها. واستمرت - كما كانت في السابق - مفتاحاً للجزيرة، وحصنا حصينا للموصل، اذ ارتبطت بها سياسياً وامنياً فكانت واياها كالتوأمين، وظلت سنجار موصلية بحتة فترة طويلة من الزمن، الى ان غلب عليها الاتابكة من آل زنكي،

فجعلوا منها عاصمة لامارة بدت شبه مستقلة، على نحو ما كانت عليه عشية استيلاء الرومان عليها في حدود سنة ١١٤ - ١١٥ م. واحتضن الزنكيون مدينة سنجار، واصابوا فيها النجاح والازدهار في مختلف نواحي الحياة حتى اضحت مثار الطامعين والحاقدين.

وعاشت هذه المدينة في بحبوحة ويسر، واستمرت في نعمها الى ان جثم على صدرها الكابوس المغولي. فشهدت حروباً ودماراً ودماء وويلات على أيدي المتسلطين من ايلخانيين وتيموريين. ولشد ما كانت نكبتها عظيمة ومريعة حينما انقض عليها الطاغي تيمورلنك وأهلك أهلها وازال عمرانها.

ورغم المأساة والمعاناة، عادت الحياة الى سنجار، وما كادت تصحو من أوجاعها حتى وجدت نفسها مرمية بين احضان الدول التركمانية.

ومع الأسف فإن حظ سنجار من هؤلاء لم يكن أحسن من ذي قبل. فنتيجة لخلافاتهم المستحكمة والمتواصلة بين بعضهم البعض من جهة. وبينهم وبين اخصامهم الصفويين من جهة ثانية، ذاقت هذه المدينة مرارة الألم والأسى لما حل بها من خراب ولما اصاب أهلها من هلاك. وكأن القدر أبى الا تعود سنجار الى سابق مجدها وعزتها، فسلط عليها العثمانيين، فأتوها وافتتحوها وبسطوا سلطانهم عليها واخضعوا سكانها من يزيديين واكراد بحد السيف.

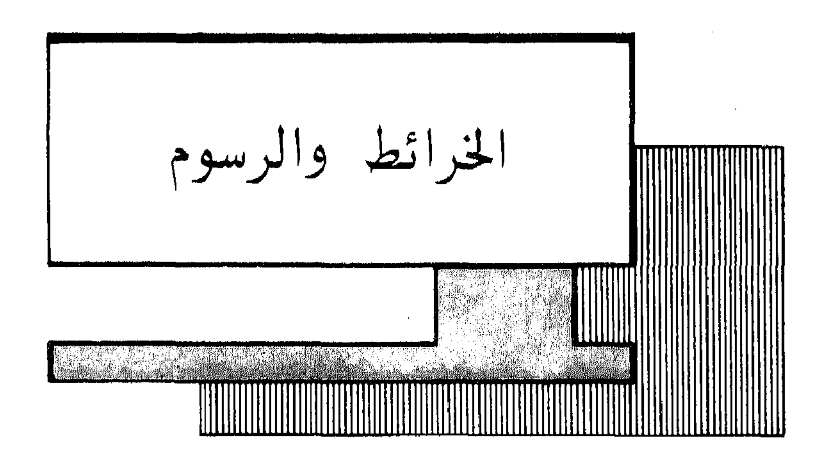
تلك هي سنجار القديمة وسنجار العصور الوسطى، تاريخ كامل، حافل بالحوادث والأخبار. هذا التاريخ ما هو الا جزء من تاريخ دول كتب لها ان تطأ أرض سنجار، وتبسط نفوذها عليها، وتخلف وراءها بعضاً من حضارتها وقيمها. وما ديمومة هذه المدينة الى اليوم الا كدليل واضح على قدرة الشعوب التي استوطنتها على استيعاب كافة حضارات الأمم التي توالت على حكمها. واستطاعتها على التكيف مع الديانات

السماوية التي غزت تلك البقعة من الأرض. فسنجار - كما عرفناها من قبل - كانت نصرانية بحتة الى ان جاء الاسلام فاعتنقه قسم من أهلها. وعاش النصارى والمسلمون معاً ردحاً طويلاً من الزمن، وتعاونوا في سبيل عزة المدينة ومنعتها الى ان تحصن فيها اليزيديون وغلبوا عليها وما زالوا. وما ديمومة سنجار ايضاً الا لكون مواطنيها من اناس اقوياء، هيأوا انفسهم، وهيأت لهم أرضهم مورداً معيشياً مستديماً، فانصرفوا اليها واعتنوا بها. كما انصرفوا الى مواجهة ومعاناة الجوانب الحيوية الأخرى من اقتصادية واجتماعية وعلمية وغير ذلك من شؤون كنا قد عرضناها في سياق هذه الدراسة.

وبعد اتمنى ان اكون قد استطعت - في ضوء النصوص التاريخية والجغرافية والبحوث الأثرية والمخلفات المسكوكية - تركيب بحث خاص بهذه المدينة يؤدي الى الغاية المتوخاة منه، ويتيح لي السبيل لنيل الثقة والموافقة على ما بذلت من جهد، ويكون حافزا لغيري لدراسة البقية الأخرى من المدن ذات الشهرة التاريخية في شتى انحاء العالم الاسلامي والعربي.

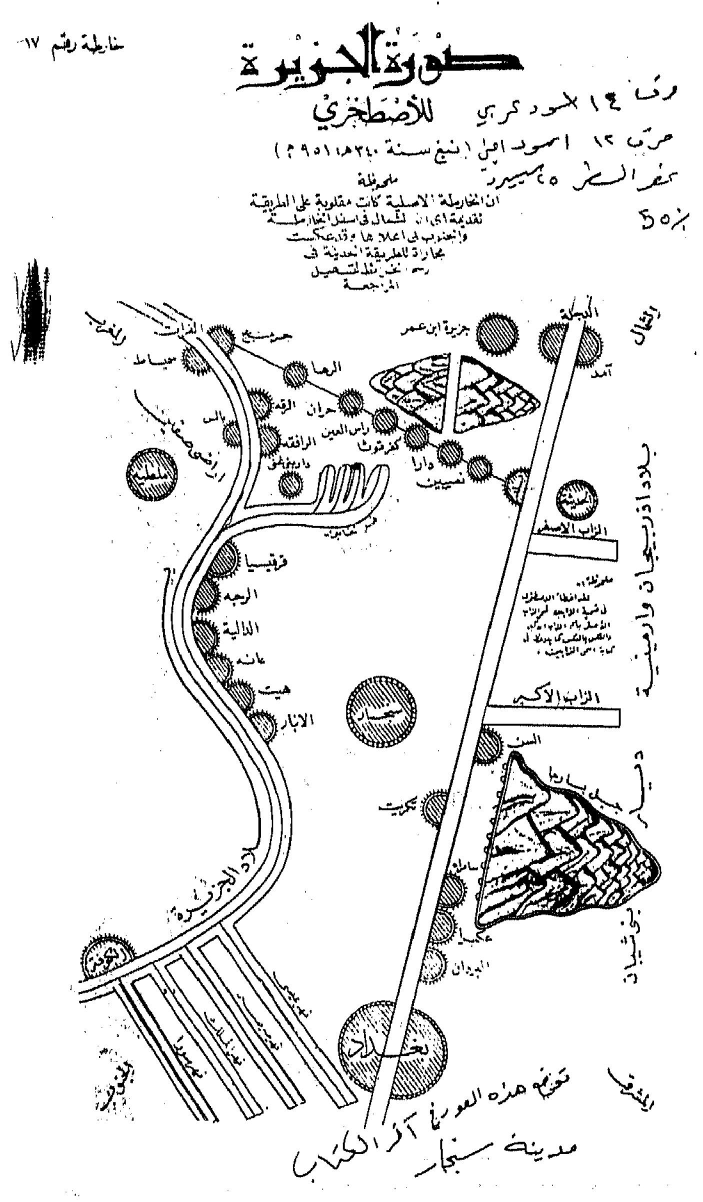
وأخيراً اسدي خالص الشكر الى استاذي المشرف الكريم البحاثة الأب الدكتور جان موريس فييه (J. M. Fiey) لما كان له من اثر ملحوظ فيما وصلت اليه من نتائج.

والله يوفقنا الى سداد القول وصواب العمل من اجل خدمة التراث.



الخرائط والرسوم





- مستلة من كتاب: العراق في الخوارط القديمة

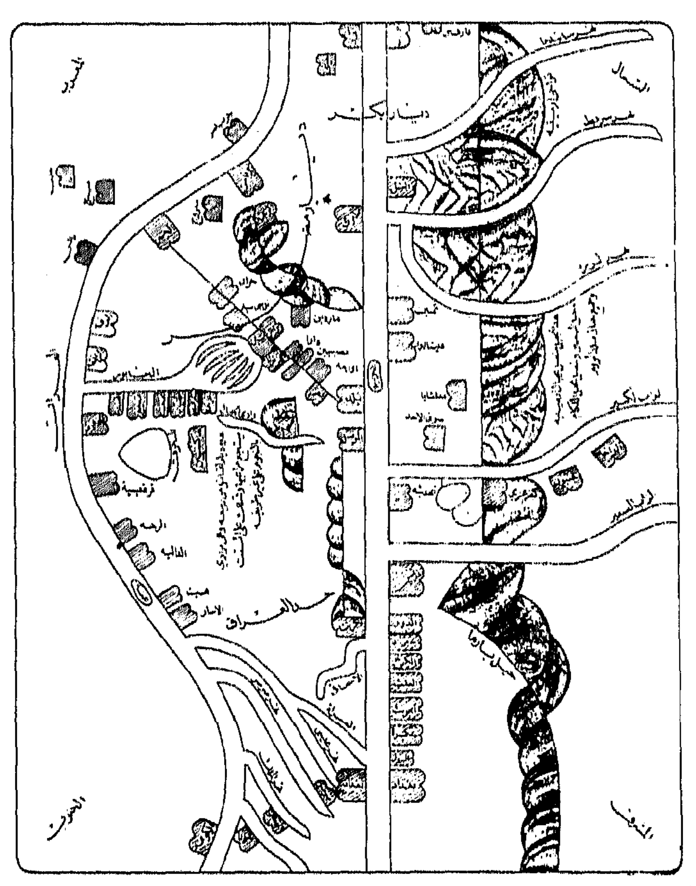
- الدكتور احمد سوسة

خارطة رقم ٢١

صورة الجزيرة

لابن حوقل (٣٦٧هـ ٩٧٧م) مقتطفات من كتاب المسالك والممالك

[illegible]



* ان الخارطة الاصلية كانت مقلوبة على الطريقة القديمة أي أن الشمال فيها في أسفل الخارطة والجنوب في أعلاها وقد عكسناها مجاراة للطريقة الحديثة في رسم الخرائط لتسهيل المراجعة

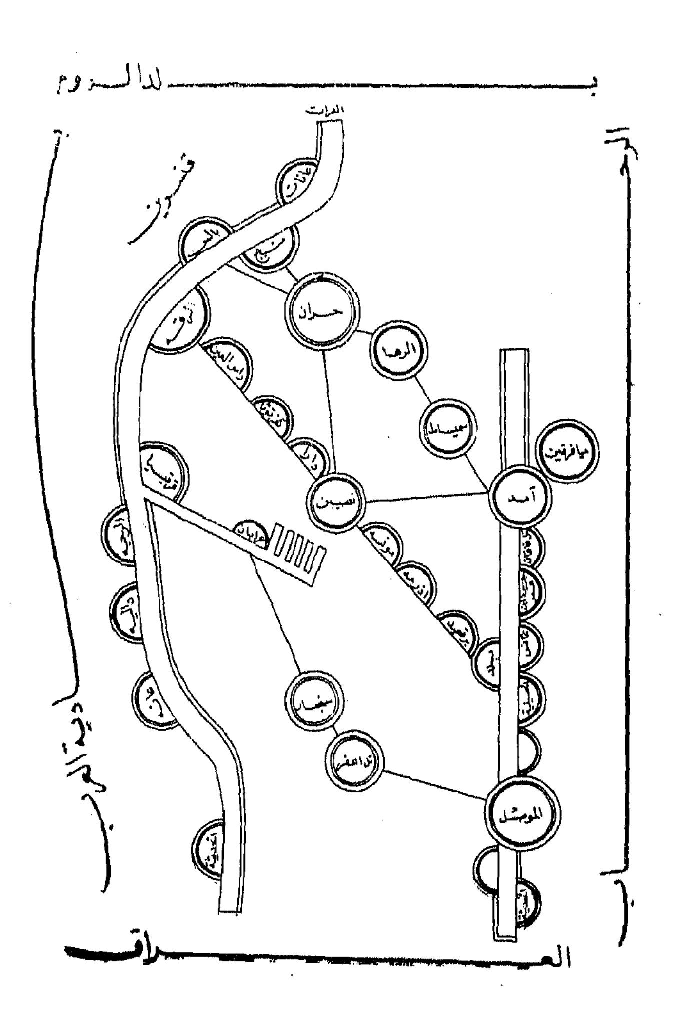
- مستلة من كتاب: العراق في الخوارط القديمة

- تحقيق الدكتور احمد سوسة

صُورَة الجَزيرة

للمقدسي

نسخ سنة ٣٧٥هـ ، ٩٨٥م



- مستلة من كتاب: العراق في الخوارط القديمة

- تحقيق الدكتور احمد سوسة

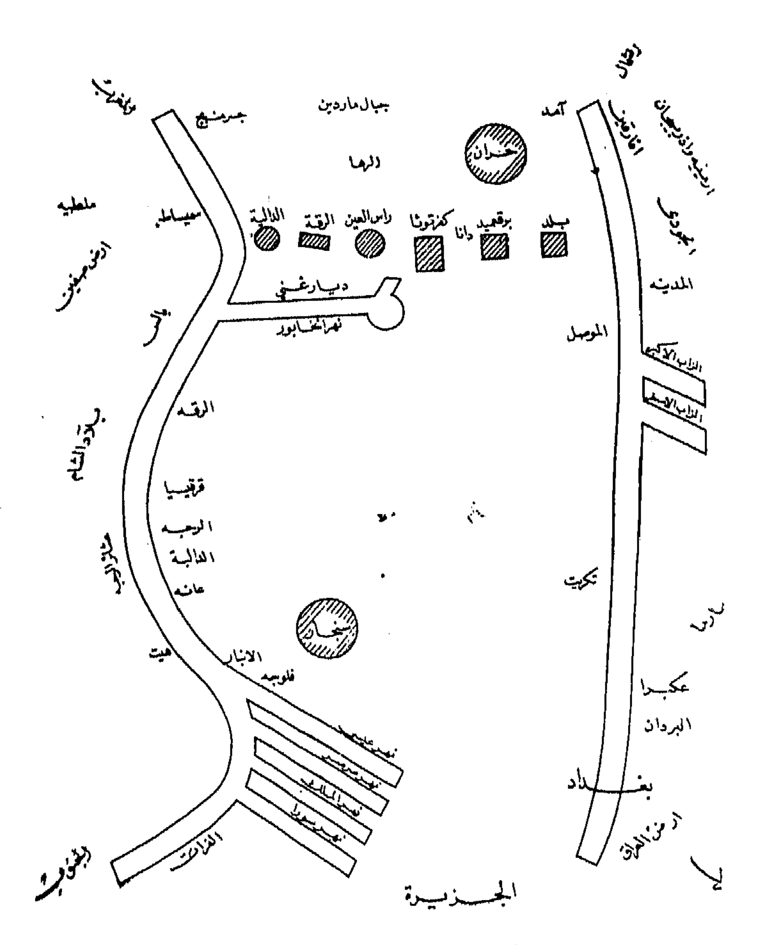
خارطة رقم ٣٤

صُورَةُ الجَزيرَة

لابن سَعيد المغربي

(٦١٠ - ٦٨٥ هـ ، ١٢١٤ - ١٢٨٦م)

ملاحظة :- ان الخارطة الاصلية كانت مقلوبة على الطريقة القديمة اى ان الشمال فى اسفل الخارطة والجنوب فى اعلاها وقد عكست مجاراة للطريقة الحديثة فى رسم الخرائط لتسهيل المراجعة .



- مستلة من كتاب: العراق في الخوارط القديمة

- تحقيق الدكتور احمد سوسة

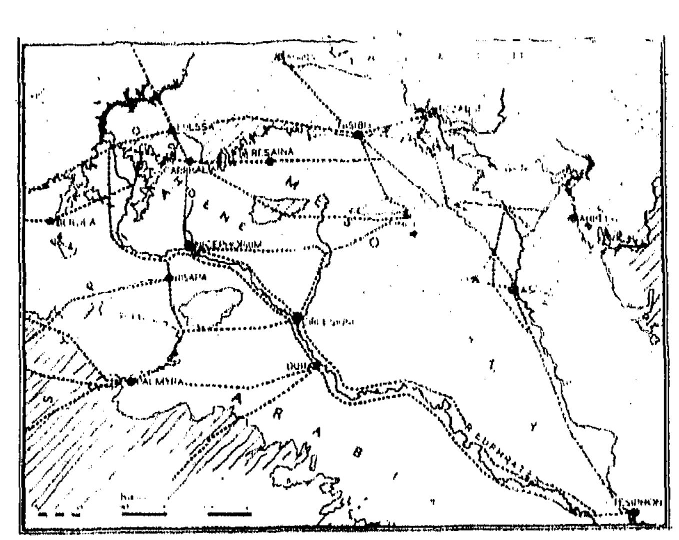
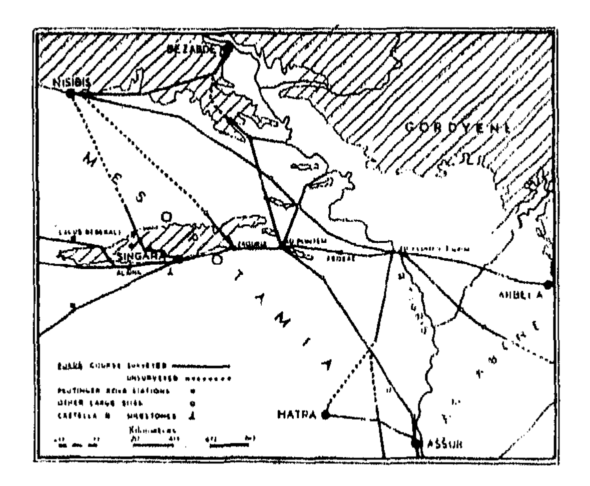
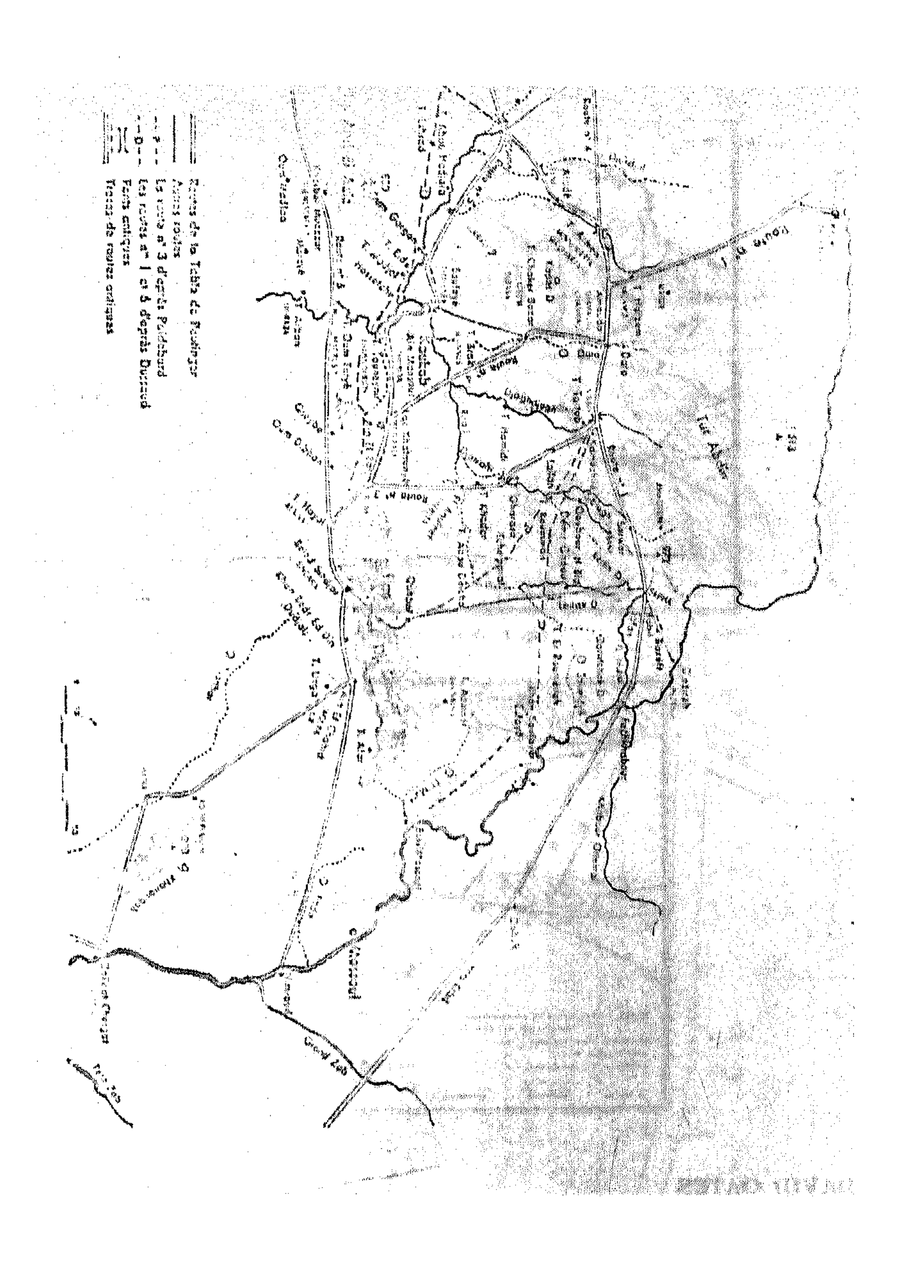


Fig. 1. Syria and Parthia c. AD 200



DAVID OATES

The Roman Frontier in Northern Iraq, in Geographical Journal, CXXII² / 1956, P. 190 – 199.



Louis Dillemann : Haute Mésopotamie Orientale et Pays Adjacents Beyrouth, Institut Français d'archéologie, 1962.

SINGARA
The South Gate

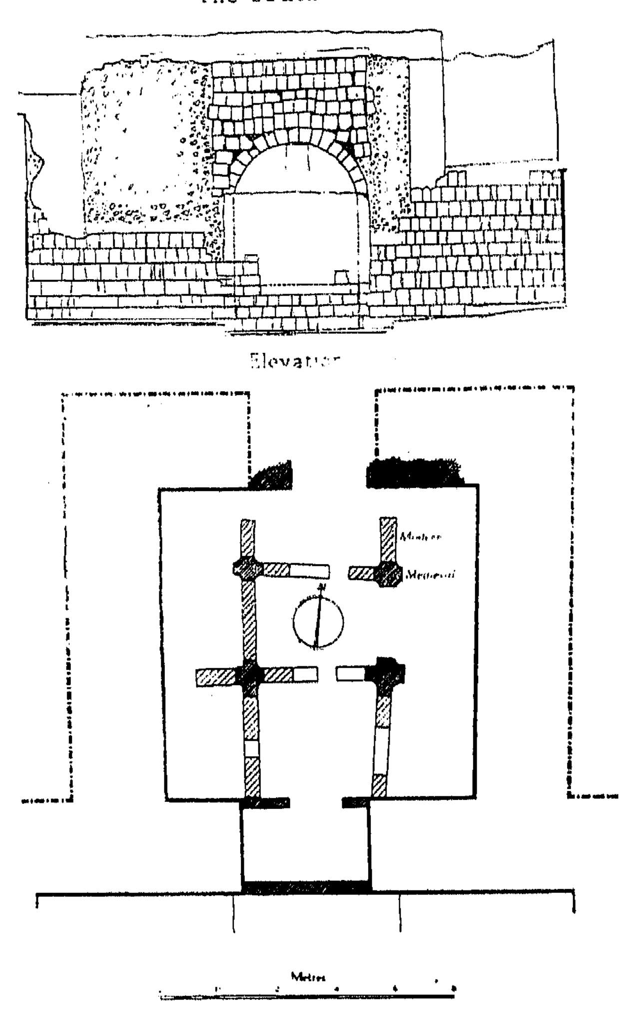
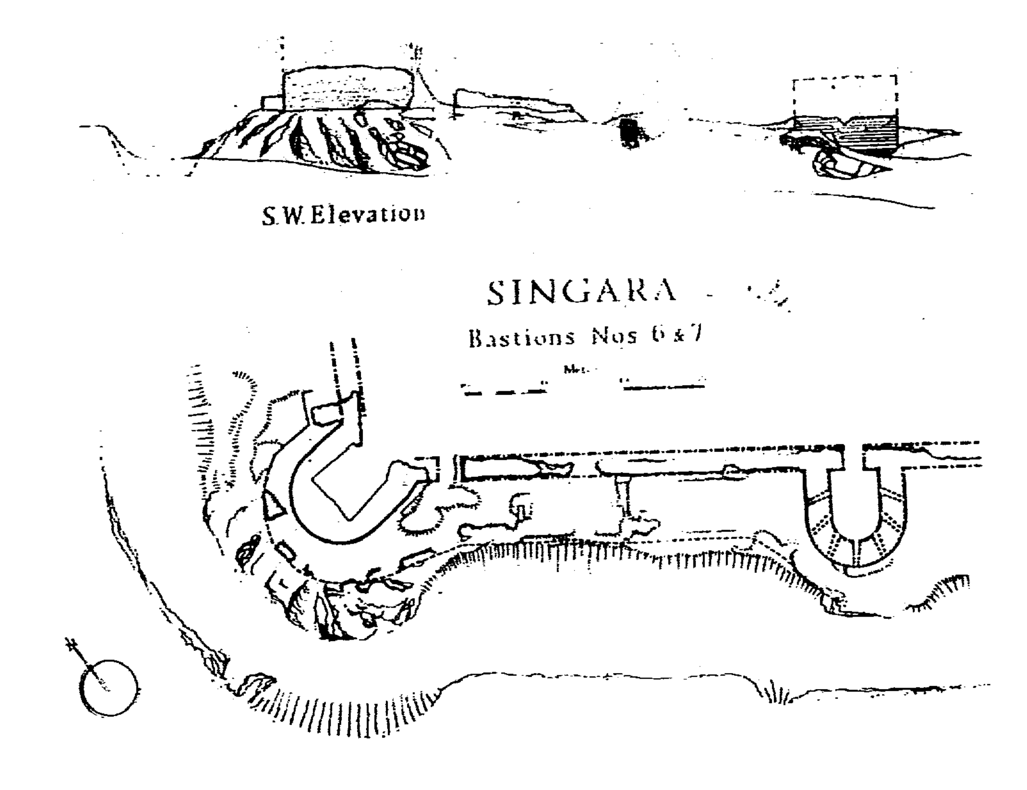
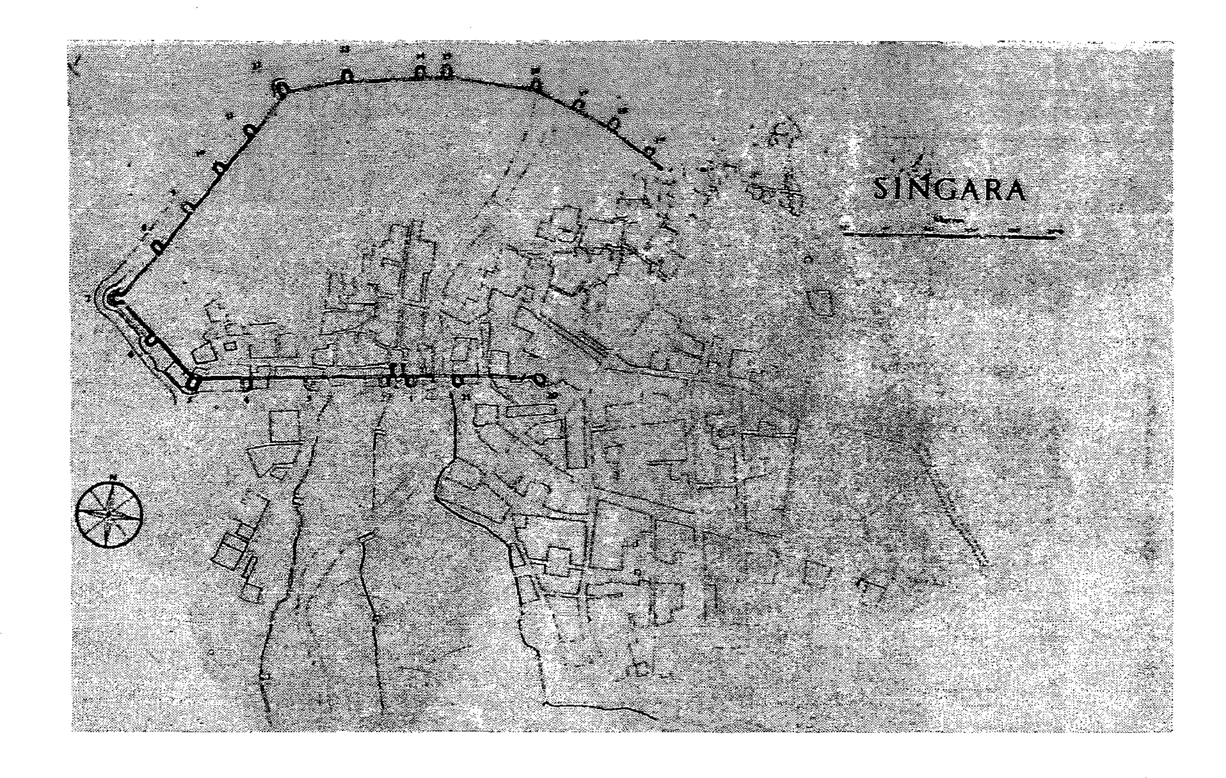


Fig. 4. Singara—the South Gate

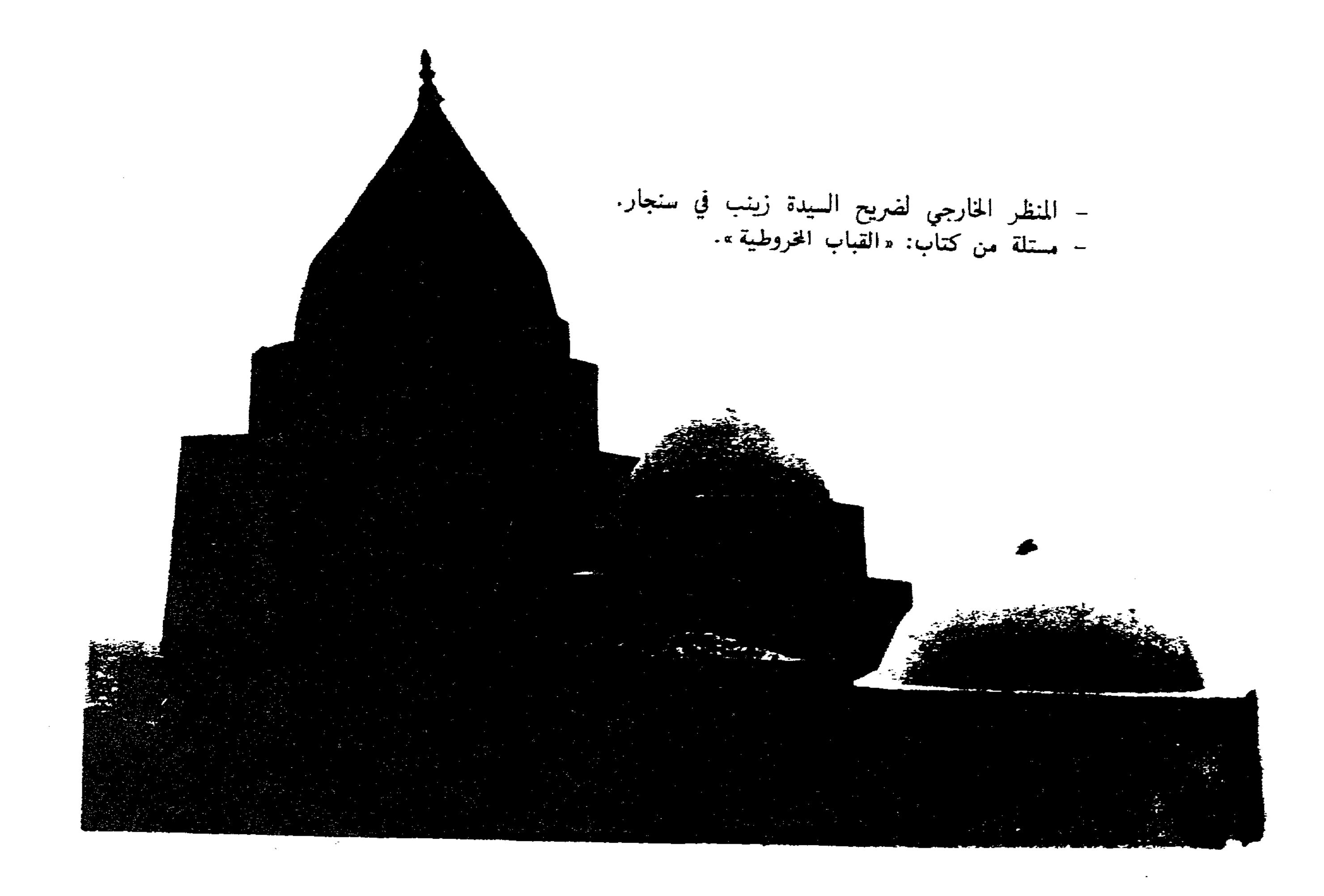
David Oates, the Roman Frontier. cit,.



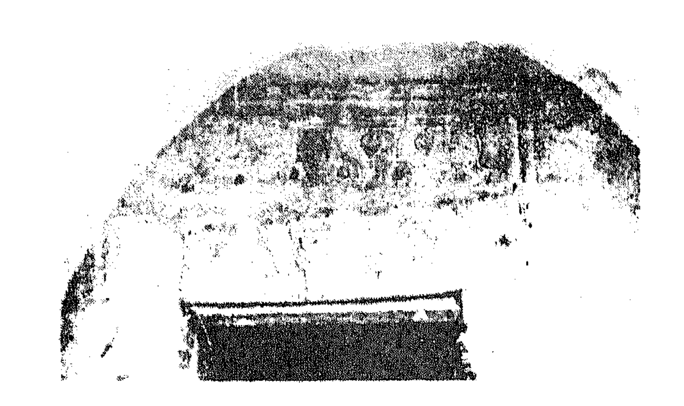
David Oates, the Roman Frontier, ett.



David Oates, the Roman Frontier. cit,.



- المنظر الخارجي لضريح السيدة زينب في سنجار.
- مستلة من كتاب: «القباب المخروطية».





- الجزء العلوي من المدخل الخارجي لضريح السيدة زينب.
مستل من كتاب: «القباب المخروطية في العراق».

- المحراب الموجود في الغرفة التي تتقدم غرفة ضريح السيدة زينب.
مستل من كتاب: «القباب المخروطية في العراق».



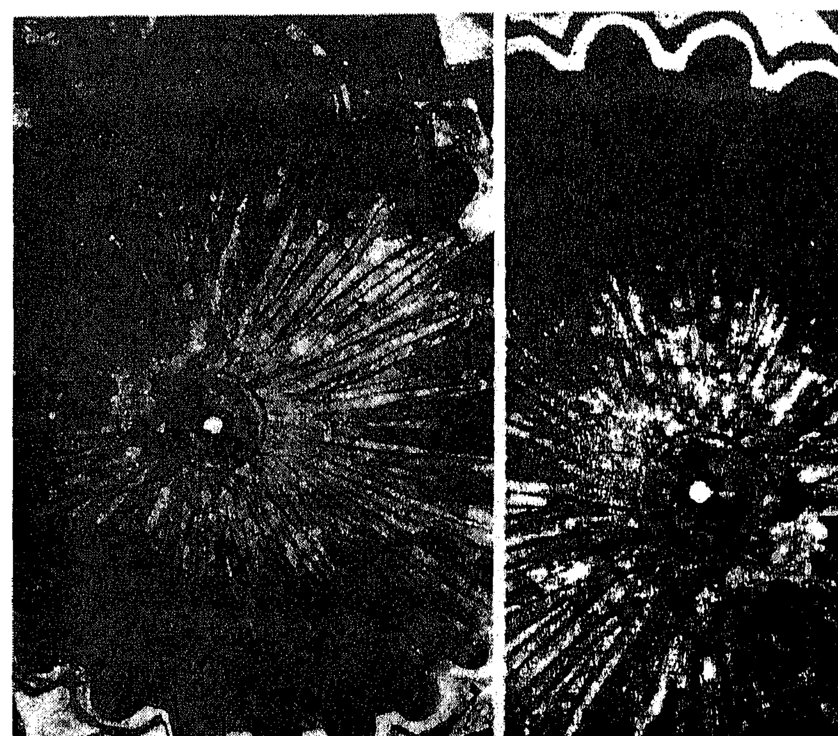
– المدخل الغربي في الغرفة الصغيرة في مرقد السيدة زينب.
مستل من كتاب: « القباب المخروطية في العراق.

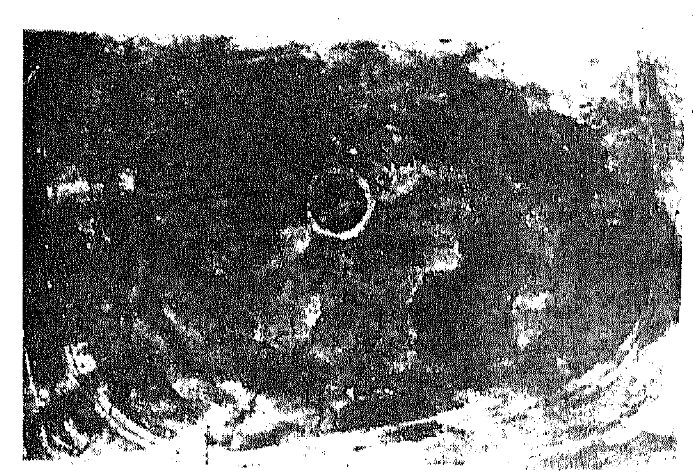


- الشريط الكتابي الذي يعلو المحراب
مستل من كتاب: « القباب المخروطية في العراق ».

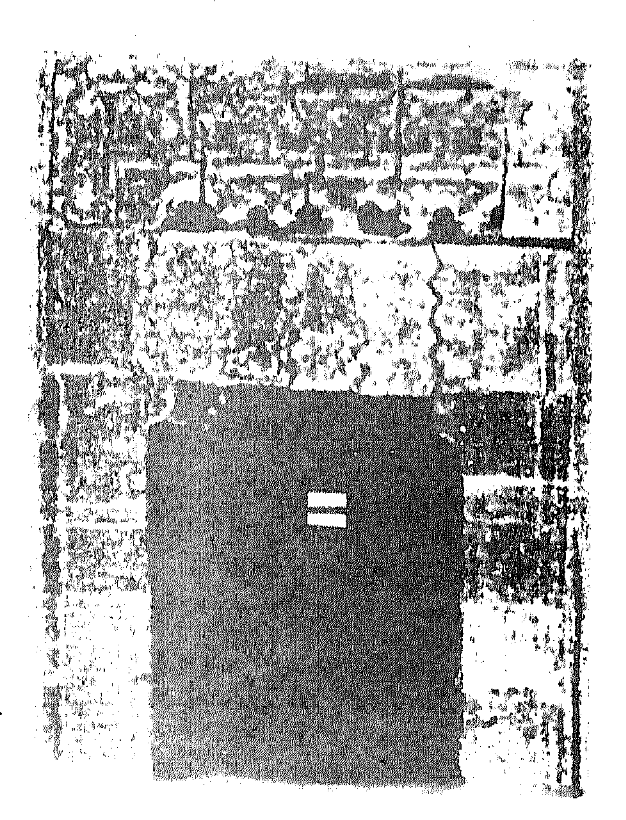
- القبة المحارية الشكل التي تغطي غرفة المحراب
مستل من كتاب: « القباب المخروطية في العراق »

- المقرنسات في القبة الصغيرة من مرقد السيدة زينب
مستل من كتاب: « القباب المخروطية ».

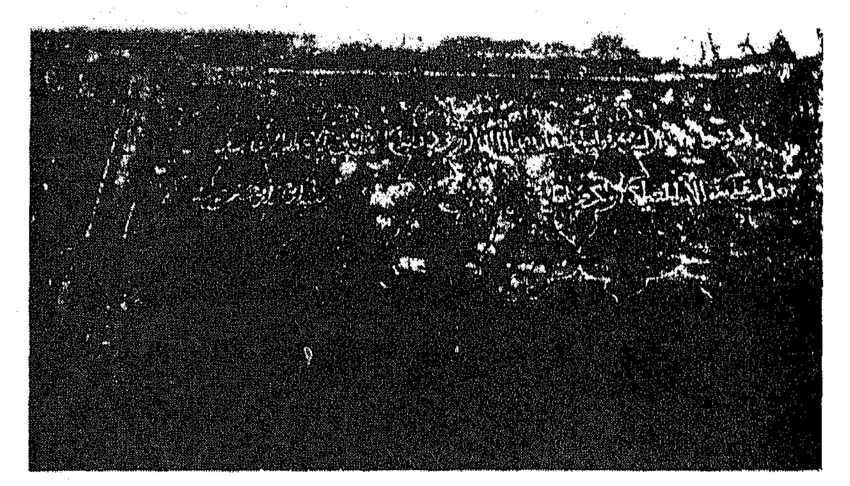




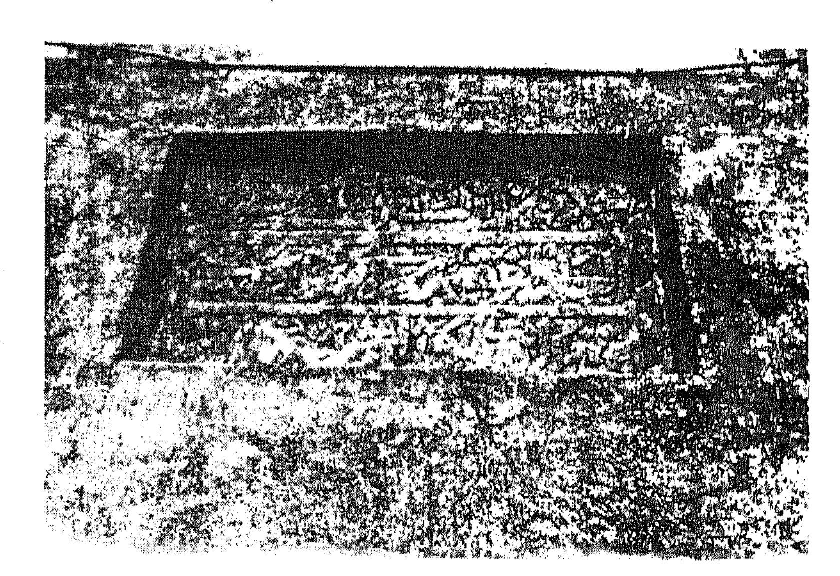
- القبة التي تغطي ضريح السيدة زينب.
مستل من كتاب: « القباب....



- الممر الموجود الى يمين الضريح.
مستل من كتاب: « القباب.....

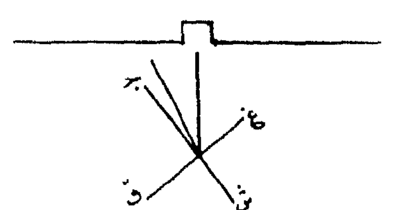


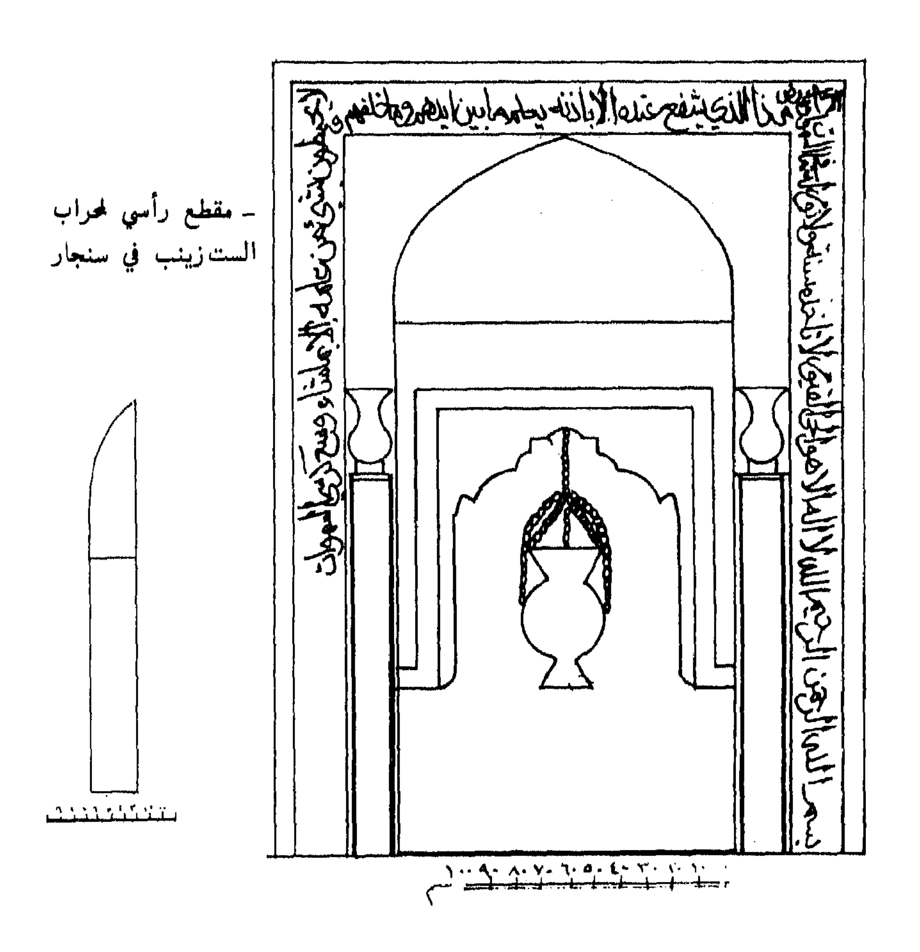
- كتابة تذكر اسم بدر لؤلؤ.
مستلة من كتاب: «القباب....



- واجهة البناء الخارجية تظهر تاريخ التجديدات.
مستلة من كتاب: «القباب....

- اتجاه القبلة في مرقد الست زينب في سنجار. اتجاه القبلة ٩ - غربي الجنوب درجة الانحراف ٢٧° الى الغرب.
- مستلة من كتاب: «المحاريب العراقية»





- مقطع رأسي لمحراب الست زينب في سنجار

- واجهة محراب الست زينب في سنجار

- مخطط محراب الست زينب في سنجار

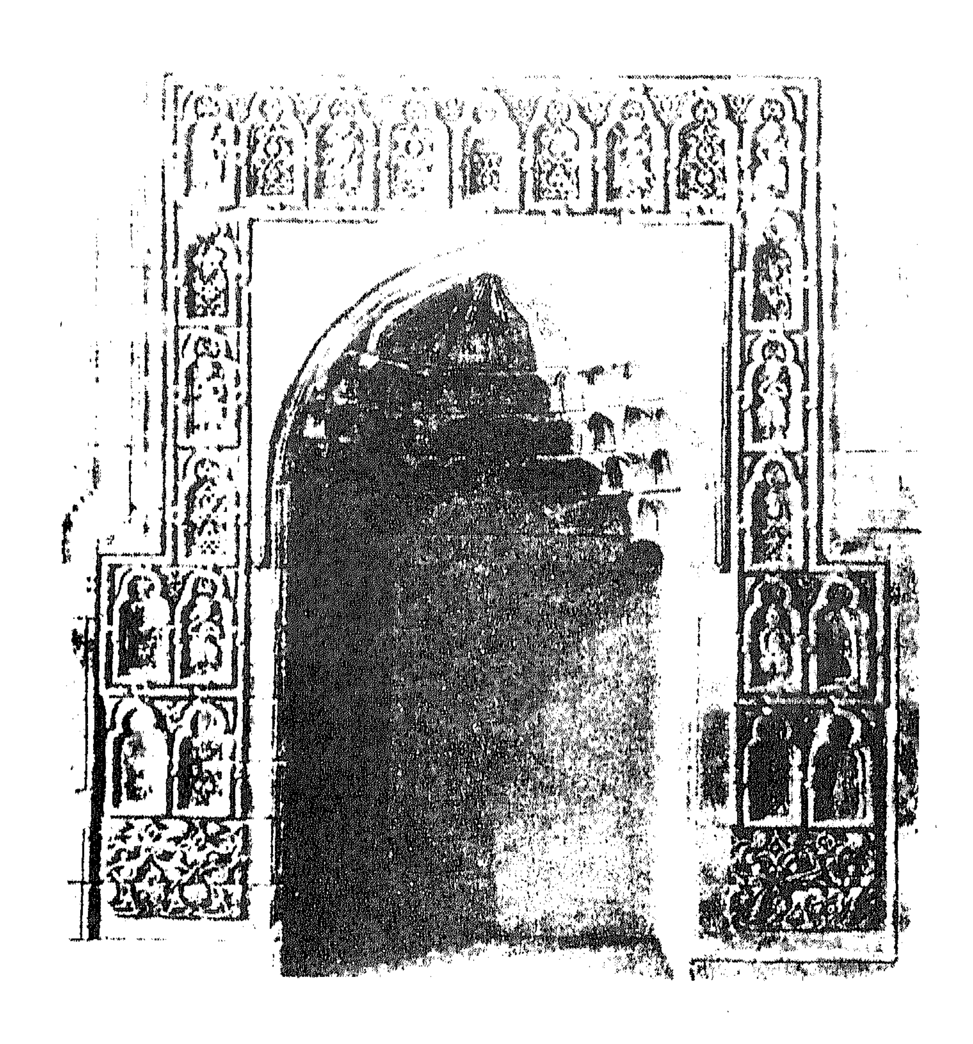
- مستلة من كتاب: « المحاريب العراقية »

- مخطط لمحراب كوكمت

- مقطع رأسي لمحراب كوكمت



- اربع حشوات من محراب كوكمت



- محراب من موقع كوكمت
- مستلة من كتاب: «المحاريب العراقية»



- محراب مرقد الست زينب في سنجار
- مستلة من كتاب: «المحاريب العراقية»



فهرس البلدان والأماكن

فهرس الأعلام والكنى والألقاب

فهرس القبائل والأجناس



فهرس البلدان والأماكن

- ح -

- خ -

فهرس الاعلام والكنى والألقاب

- ن -

فهرس القبائل والأجناس



محتويات البحث

صفحة

الفصل الأول:

الفصل الثاني:

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل الرابع:

الفصل الخامس:

الفصل السادس:

الفصل السابع:

الفصل الثامن:

الفصل التاسع:







MADĪNAT SINJĀR

by
DR. ḤASAN SHMAYSĀNI

Dar al-Afaq al-Jadida BEIRUT-LEBANON



MADĪNAT SINJĀR



MADĪNAT SINJĀR

by

DR. ḤASAN SHMAYSĀNI

الثمن: ٢٥ ل.ل.

Dar al-Afaq al-Jadida

BEIRUT. LEBANON